فهرس الجزء الاول من كتاب العمدة

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفة

صحيفه

صحيفه

ترجمة ابن رشيق

قال صاحب ... في كلامه على القيروان ٠٠ ومن أبناء القيروان أبو علي الحسن بن رشيق أحد الأفاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم رحل إلى القيروان سنة ست وأربعمائة كذا قاله ابن ... وقال غيره ولد بالمهدية سنة سبعين وثلاثمائة وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه إلى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب فرحل إلى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها إلى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وخربوها فانتقل إلى صقلية وأقام بمازر في ... مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله واختلف في تاريخ وفاته ٠٠ قال ابن خلكان رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة قال والأول أصح قال وقيل انه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين ٠٠ ومن شعره

يارب لا أقوى على دفع الأذى   وبك استعنت على الضعيف المؤذي

مالي بعثت إليّ ألف بعوضة   وبعثت واحدة إلى نمرود

وكان بينه وبين عبد الله بن أبي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف القيرواني مناقضات ومهاجاة وصنف عدة رسائل في رد عليه منها رسالة سماها ساجور الكلب ورسالة نجح الطلب ورسالة قطع الانفاس ورسالة نقض الرسالة الشعوذية والقصيدة الدعمة والرسالة المنقوصة ورسالة رفع الاشكال ودفع المحال وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة قراضة الذهب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وهو كتاب جيد وغير ذلك ٠٠ قال صاحب الوافي في الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الأدب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الأمر وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها ٠٠ ومن شعره

أحب أخي وان أعرضت عنه | وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطب راض | كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض | وبغض كامن تحت ابتسام

•• ومنه اذا ما جمعت لعهد الصبا | أتت ذلك الخمس والاربعونا
وما ثقلت كبراً وطأتي | ولكن اجر ورائي السنينا

•• ومنه وقائلة ماذا التشحوب وذا الضنا | فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك أتاني وهو ضيف أعزه | فأطعمته لحمي وأسقيته دمي

•• ومنه دمت لعينيك أعين الغزلان | قمر أقر لحسنه القمران
ومشت فلا والله ماحقف النقا | مما أرتك ولا قضيب البان
وثنى الملاحة غير أن ديانتي | تأبى على عبادة الأوثان

ومنها في المديح

يا بن الاعزة من أكابر حمير | وسلالة الأملاك من غطان
من كل أبلج آمر بلسانه | تصع السيوف مواضع الحدثان

•• ومنه في الناس من لا يرتجى نفعه | الا اذا مس باضرار
كالعود لا تطمع في طيبه | الا اذا أحرق بالنار

•• ومنه أقول كالمأسور في ليلة | ألقت على الآفاق كلكالها
يا ليلة الهجر التي ليلها | قطع سيف الهجر أوصالها
ما أحسنت جملا ولا أجملت | هذا وليس الحسن الالها

•• ومنه

ومن حسنات الدهر عندي ليلة | من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها نجني القدي عن عيوننا | بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الثغور ولثمها | كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا

قال الاخر ... احسن من قول ابن المعتز

... محتسبات حذر مرتقب

... عصفور وهي خائفة من الوطير يانع الرطب

... معتز غير مقدم ... رشيق لان ابن رشيق ذكر أنه في ليلة ... من حسنات الدهر فهو حسن تشبيه التقبيل مع الامن بالتقاط الطير ... دفعة بعد دفعة ... ابن المعتز فانه كان خائفاً بمجلس التقبيل وسرقة ... في ... لانه يقدم جارعاً خائفاً من الناطور فلا تطمئن ... كيف قال ...

قــــد ... كشرب الطائر الفزع

... وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيق

قــــد أحكمت ... رب كل شيء غير جودى

... أقول ... ت لاقبض يدى شديد

حتى ... أثريت ... ت الى السماحة من حديد

... لا يتم مع القعود

لا ... رحلة تدنى من الامل البعيد

•• ومنه معتقة يعلو الحباب متونها فتحسبه فيها نثير جمان

... من الحيين رحلة مديرها فطافت له من عسجد بيان

وأخذ ابن رشيق الادب عن أبى عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى النحوي وغيره من أهل القيروان •• رحمه الله تعالى

الجزء الاول من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ – ١٩٠٧ م

على نفقة

(السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد اسماعيل »

﴿ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه، وصلواته على صفوته من خلقه، محمد خيرته، وعلى آله وعترته، وسلم تسليما. (أما بعد) فإن أحق من جنى ثمر الألباب، واقتطف زهر الآداب، متنزهاً في عقول الحكماء، ممسكاً في أقاويل العلماء، بالغاً بهمته أعلى مراتب، حائزاً بنفسه أسنى المطالب، مستقراً في أرفع دروة، متمسكا بأوثق عروة من عرف معنى حقه وفضله، ورسخت به طرقه وسبله، وأكرم في الله مثواه ونزله، وخص بغرائب ذويه وأهله، فسوحب من جميل الذكر، وجزيل الذخر، ما هو زين في الدنيا ونور في الأخرى، كالسيد الأمجد، والفذ الأوحد، حسنة الدنيا، وعلم الدين، وزين المكارم، وآلي النطاق[1]، وجل الخطاب، وفارس الكتاب، أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب، زعيم الكرام، وواحد الفهم، الذي نال الرياسة، وحاز السياسة، وتفرد بالبسط والقبض، وتحكم في الإبرام والنقض، عن سعي مشكور، وفضل مشهور، وعلم بالمورد والمصدر، ونظر في الأوائل والأواخر، وتتبع لآثار من سلف، من أهل القدر[2] والشرف، وتقلب في مجالس الحكم، بين ذوي الأقدار والهمم، الى أن صار نسيج وحده، وقريع دهره، غير مدافع عن ذلك ولا منازع فيه، فالحمد لله الذي خصه بالجلالة، واستخلصه لشرف الحالة، وقدمه على المقدمين في الرتب، وأقام به سوق العلم والأدب، وجعل ذكره باقياً، وجده سمياً، وأيده من النصر والتوفيق، بما فيه رضى الخالق والمخلوق، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم، وانا أطال الله بقاء السيد محروس النعمة، مرهوب النقمة، موفق في دنياه ودينه، متمتعاً بظنه ويقينه، قليل الأنداد، كثير الحساد، وإن لم أعلق من العلم الا بحاشية، ولا

---

(١) ب وذاري مطاء (٢) ب الأخطار

أحدث منه الا في ناحية ، لسوء المكان، وقلة الامكان ، وزمانة الزمان ، وحدوث الحدثان ، قبل أن أعاق بحمل عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الادب ، وأحري أن تقبل شهادته ، وتمثل ارادته ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان من الشعر لحكما وروى لحكمة ، وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، و يستعطف بها اللئيم ، مع مالشعر من عظم المزية ، وشرف الابية ، وعز الانفة ، وسلطان القدرة، ووجدت الناس مختلفين فيه، متخلفين عن كثير منه ، يقدمون و يؤخرون ، و يقلون و يكثرون ، قد بوبوه أبوابا مبهمة ، ولقبوه ألقابا متهمة ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه، فجمعت أحسن ماقاله كل واحد منهم في كتابه ، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ان شاء الله تعالى، وعولت في أكثره على قريحة نفسى ونتيجة خاطري خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية فانه لا سبيل الى تغيير شئ من لفظه ولا معناه ليؤتى بالامر على وجهه فكل مالم أسنده الى رجل معروف باسمه ، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه فهو من ذلك الا أن يكون متداولا بين العلماء لايختص به واحد منهم دون الآخر وربما نحلته أحد العرب ، و بعض أهل الادب ، تسترا بينهم ، ووقوفا دونهم ، بعد أن قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع الى أصله ، و بينت للناشئ المبتدئ وجه الصواب فيه، وكشفت عنه لبس الارتياب به حتى أعرف باطله من حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أسم كتابي هذا باسم السيد راده الله تعالى سموا لا كون كجالب التمر الى هجر ومهدي الوشي الى عدن لكن تزينا باسمه الشريف وذكره الطيب واستسلاما بين يدى علمه الطائل ، وادبه الكامل

إن قصرت عن عرض رمية أو زل فكري أو نبا خاطرُ
لا نبي فيه على نيـة يخبر عن باطنها الظاهرُ

ولما عدلت بى الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعى الاحلال من مباسمة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقى الى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصى على تلك المشاهد

العظمة • وعلمت أن لا بد لي منه • ولا غنى لي عنه • الا ما حجر دونه آنفاً من خدمة مولانا حيث لله منكه ذ عمرنى من فضله وقيدني من احسانه

ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

فصت حرب صدري و تقدت كبر معرفتي • وأيقنت أن صورة الانسان • فضلة عن القسب والسن • وان استحقه للفضل • انما هو من جهة النطق والعقل • فمثلت له نفسي وأهديتها اليه • ومثلت حقيقتها بين يديه • اذ كانت الانفاس منوطة بالانفس • ولولاهم ما تقومت ملتي لاخير فيه ولانفع عنده وأيضاً فان النفس تفوت الحس وانما تدرك مكاناً للانظر • والسيد أدام الله عزه أعلم بمعذرتي • وأقوم بحجتي • من أن يعرض حرفي على جوهره • أو أقيس وتبلي بأمره • بل استقبله واستر بنده و يستعيبه و يستحده • ثم اني لا أظهر حرفاً من كتابي هذا الا عن أمره و بعد اذنه لا كون به أقوى ثقة • وله أشد مقة • فان وقع منه بموقع • وحل من قبوله في موضع سمت الارادات • ورجوت الزيادات

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

والا سترته ستر العورة • وطرحته طرح القلامة • لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أسأله حسن التوفيق والهداية • وأرغب اليه في العصمة والكفاية بمنه وقدرته ولطفه ورحمته

باب في فضل الشعر

العرب أفضل الامم • وحكمتها أشرف الحكم • كفضل اللسان على اليد والبعد عن امتهان الجسد • اذ خروج الحكمة عن الذات • بمشاركة الآلات • إذ لا بد للانسان من ان يكون تولى ذلك بنفسه • أو احتاج فيه الى آلة أو معين من جنسه • وكلام العرب نوعان منظوم ومنثور لكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة فاذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحداهما فضل على الاخرى كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة الا ترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس و به يشبه اذا كان منثورا لم

يؤمن عليه ولم يدفع به في الباب الذي له كسب . ومن أجله انتحب . وإن كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً فإذا نظم كان أصون له من الابتذال . وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال . وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع . وتدحرج عن الطباع . ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمله . والواحدة من الألف وعسى أن لا تكون أفضله . فإن كانت هي اليتيمة المعروفة . والفريدة الموصوفة . فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يعبأ به ولا ينظر إليه فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته . وازدوجت فرائده وبناته . واتخذه اللابس جمالا . والمدخر مالا . فصار قرطة الآذان وقلائد الأعناق . وأماني النفوس . وأكاليل الرؤس . يقلب بالألسن . ويخبأ في القلوب . مصوناً باللب . ممنوعاً من السرقة والغصب . وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً وإن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور .. وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها . وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة . وأوطانها النازحة . وفرسانها الأمجاد . وسمحائها الأجواد . لتهز أنفسها الى الكرم . وتدل أبناءها على حسن الشيم . فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به أي فطنوا .. وقيل ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره .. ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر الطاعنين على الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور وإن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقول الله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ويرى أنه قد أبلغ في الحجة . وبلغ في الحاجة . والذي عليه في ذلك أكثر مما له لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر الى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة على الخلق وإعجازاً للمتعاطين وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال الله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك

نحو الخطباء وليس بحفظة ومترسلين وليس بمترسل واعجاره الشعراء أشد مرهاناً ألا ترى كيف سوى ... صلى الله عليه وسلم في الشعر ... وبين غيرهم فقالوا هو شاعر في قومهم من هيبة الشعر وخدمته وأنه يقع منه مالا يلحق والمنثور ليس كذلك ... وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴿ أي لتقوم عليكم الحجة وتصح ... ويستشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال معناه ما الذي علمناه شعراً وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً ٠٠ وقال غيره أراد وما ينبغي له أن يبلغ عنا ... ليس هو ممن يفعل ذلك لأمانته ومشهور صدقه ٠٠ ولو أن كون النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة وهذا أظهر من أن يخفى على أحد ٠٠ ومن فضل الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ولانجد[1] كتاباً يخدم شاعراً وقد عمت عليهم الأسماء وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه مدل ... على الكاتب ولذلك فهو يطلب ما في أيديهما ويأخذه والكاتب بأي آلة يتصل[2] الشاعر فيرجو ما في يده وإنما صناعته فضلة عن صناعته على أن يكون كاتب بلاغة ٠٠ فأما كتاب الخدمة في القانون وما شاكله فصانع مستأجر مع أنه قد كان لأبي تمام والبحتري قهرمة وكتاب ٠ وكان من عمال الشعراء كتاب أربعة كشار وأبي على البصير وكان ابن الرومي من أكثر كتاب الدواوين فغلب عليه الشعر لأنه غلاب ٠٠ ولم نجد من يمدح السوقة في الشعراء فكذلك نجد للسوقة كتابا وللتجار الباعة في زمننا هذا وقبله ٠ ولم أهجم بهذا الردوأوردهذه الحجة لولا ان السيد أبقاه الله قد جمع النوعين وحاز الفضيلتين فهما نقطتان من بحره ووارثتان من زهره وسيرد في أضعاف هذا الكتاب من شعره ما يكون دليلا على صدق ما قلته ان شاء الله تعالى ٠٠ ومن فضل الشعر ان الشاعر يخاطب الملك باسمه وينسبه الى أمه ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقل السوقة فلا ينكر ذلك عليه بل يراه أوكد في المدح وأعظم اشتهاراً للممدوح كل ذلك حرص على الشعر ورغبة فيه ولبقائه على مر الدهور واختلاف العصور والكاتب لا يفعل ذلك الا ... يجعله مطويا غير منشور وهذه مزية ظاهرة وفضل بين ٠٠ ومن فضائله ان الكذب الذي جمع الناس على قبحه حسن فيه وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبحه

---

(١) ن خدمة (٢) ن يقصد

فقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخوه ويحك ان النبي صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خطل وابن صبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة ابن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر[1] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل من جاء تائبا والا فانج الى نجائك فانه والله قاتلك فضاقت به الارض فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يده صلى الله عليه وسلم ثم قال يارسول الله ان كعب بن زهير قد اتى مستأمنا تائبا أفتؤمنه فآتيك به قال هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك انا كعب بن زهير فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد كعب قصيدته التي أولها

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ ... متيَّم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله

أنبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلا هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ الـقرآنِ فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذني بأقوالِ الوشاةِ فلم ... أذنب ولو كثرت فيَّ الاقاويل

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله وما كان ليوعده على باطل بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم .. وقال العتبي[2] بعشرين ألفاً وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركا بها ..وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الابل قال وقال الاحوص يذكر عمرَ بن عبد العزيز عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقد توقف في عطاء الشعراء

وقبلك ما أعطى هُنَيْدَةَ حـلةً ... على الشعر كعباً من سَديسٍ وبازلِ

رسولُ الالهِ المستضاءُ بنوره ... عليه السلام بالضحي والاصائل

(١) ن فطر (٢) ن العتبي

و عتذر حسن بن ثابت من قوله فى الافك قوله عائشة رضى الله عنها فى أبيات مدحها بها

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

يقول فيها

فان كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطى الىّ أناملى

ثم يقول

وان الذى قد قيل ليس بلائط[1] ولكنه قول امرئ بى ماحل

واعتذر كثير منهم بعض فى شئ مما فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد وبعد ذلك قول امرئ ماحل أي مكايد ولم يعرف لما يرون من استحقاق كذب شعر رويه يحتج به ولا يحتج عنه ‥ وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال ماظنك بقوم لاقتصد محمود لا منهم ولكذب مذموم لا فيهم ‥ حكى أبو عبد الرحمن محمد بن حسين النيسابوري أن كعب الاحبار قال له عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر يا كعب هل تجد للشعر ذكراً فى التورة فقال كعب أجد فى التورة قوماً من ولد اسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة و يضربون الامثال لا نعلمهم الا العرب ‥ وقيل ليس لاحد من الناس أن يطرى نفسه و يمدحها فى غير منافرة الا أن يكون شاعراً فان ذلك جائز له فى الشعر غير معيب عليه ‥ وقال بعضهم وأظنه أبا العباس الناشئ العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات أعلى وهو علم ماغاب عن الحواس وأدرك بالعقل أو القياس ، وأوسط وهو علم الآداب النفيسة التى أظهرها العقل من الاشياء الطبيعية كالاعداد والمساحات وصنعة التنجيم وصناعة اللحون ، وأسفل وهو العلم بالاشياء الجزئية والاشخاص الجسمية فوجب اذا كانت العلوم أفضلها مالم يشاركه فيه الجسوم ان يكون أفضل الصناعات مالم تشاركه فيه الآلات ، واذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذى هو أحد قسمى الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة فكان أعظم من الذى هو اعظم أركان الفلسفة والفلسفة عندهم علم وعمل ، هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً ‥ وقيل فى الشعر انه سبب التكسب وأخذ الاعراض وماأشبه ذلك لم يلحقه من

(١) فى نسخة بقولى

ذلك الا ما يلحق المنثور . ومن فضائله أن اليونانيين انما كانت أشعارهم تقييد العلوم والاشياء النفيسة والطبيعة التي يخشي ذهابها فكيف ظنك بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم .. وزعم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذ كلها اللحن ونحن نعلم أن الاوزان قواعد الالحان والاشعار معايير الاوتار لامحالة مع أن صنعة صاحب الالحان واضعة من قدره مستخدمة له نازلة به مسقطة لمروءته . ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه بل تكسبه مهابة العلم وتكسوه جلالة الحكمة . وأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلأن هذا متشوّف اليه يجب استماع من بحضرته أجمعين بغير آلة ولا معين ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً وليدل على نفسه و يُعلم أنه المتكلم دون غيره وكذلك الخطيب وصاحب اللحون لا يمكنه القيام لما في حجره كرامة منه على القوم على أن منهم مَن كان يقوم بالدف والمزهر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما وقيل لحكمة فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم وجعل من الشعر حكما لان السحر يخيل للانسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة وقال رؤبة

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحراً راويةً مَراً ومَراً شاعرا

فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ويروي أيضاً لقد خشيت بسين مضمومة غير معجمة ونون والتاء مفتوحة

باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه وقد قال عليه الصلاة والسلام انما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب وقالت عائشة رضى الله عنها الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخذ الحسن واترك القبيح . ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشعر ميزان القول ورواه بعضهم الشعر ميزان القوم • وروى ابن عائشة يرفعه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن من بينها وأنشد ابن عائشة قول الأعشى ميمون بن قيس بن ثعلبة

قلدتك الشعر يا سلامة ذا الـ   ـتفضال والشيء حيث ما جعلا

والشعر يستنزل الكريم كما   ينزل رعد السحابة السبلا

وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت مر الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره فقال ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده • وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أرغاء كرغاء البكر • فقال حسان دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير علي ذلك فقال عمر صدقت • وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الأشعري مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب • وقال معاوية رحمه الله يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب • وقال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة

أبت لي همتي وأبى بلائي   وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإقحامي على المكروه نفسي   وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات   وأحمي بعد عن عرض صحيح

ويروى أن اعرابياً وقف على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ان لي اليك

حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك فان أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك فقال له علىّ خط حاجتك في الارض فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابى على الأرض انى فقير فقال علىّ ياقنبر ادفع اليه حلتى الملاية فلما أخذها مثل بين يديه فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ... فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال علىّ ياقنبر اعطه خمسين ديناراً أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلادبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم • وقيل لسعيد بن المسيب ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجمياً • وقال ابن سيرين الشعر كلام عقد بالقوافي فما حسن في الكلام حسن في الشعر وكذلك ماقبح منه • وسئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان وقد قال قوم انها تنقض الوضوء فقال

نبئت أن فتاة كنت أخطبها ... عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم قام فأمّ الناس وقيل بل أنشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزاً ... ولو رضيت رمح أسته لاستقرت

وقال الزبير بن بكار سمعت العمرى يقول روّوا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل • وسئل ابن عباس هل الشعر من رفث القول فأنشد

وهنّ يمشين بنا هميسا ... ان تصدق الطير ننك لميسا

وقال انما الرفث عند النساء ثم أحرم للصلاة • وكان ابن عباس يقول اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب • وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً • وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر يقال انها كانت تروى جميع شعر لبيد • وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لاتدع العرب الشعر حتي تدع الابل الحنين • وكان أبو السائب المخزومي

على شرفه وجلالته وفضله فى الدين والعلم يقول أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً ورحبة الموضع الذى تقام فيه الحدود يريد انه لا يستطيع صبراً عنه ويجدد فى كل يوم مراراً ولا يتركه وأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط وسوء تأويل لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شيء من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة • وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل • وقال لحسان بن ثابت اهجهم يعنى قريشاً فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام فى غلس الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس وألق أبا بكر يعلمك تلك الهنات • فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم وأما قوله عليه الصلاة والسلام لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً فهو الذي غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والشعر وغيره مما جرى هذه المجرى من شطرنج وغيره سواء وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين وسنذكر من ذلك طرفا يقتدى به فى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب فى أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالوا واسمه عبدالله بن عثمان ويقال عتيق لقب له • قال فى غزوة عبيدة بن الحارث رواه ابن اسحاق وغيره

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت أو أمر في العشيرة حادث

ترى من لؤي فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فكذبوا ... عليه وقالوا لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا ... وهروا هرير المحجرات اللواهث

وكم قد متتنا فيهم بقرابة ... وترك التقى شيء لهم غير كارث

فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث

ونحن أناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها في الفروع الاثائث

فأولى برب الراقصات عشية ... حراجيج تحدى في السريح الرثائث

كأدم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البئر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجلاً من ضلالهم ... ولست اذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ... ولا يرأف الكفار رأف ابن حارث

فأبلغ بني سهم لديك رسالة ... وكل كفور يبتغي الشر باحث

فان شعثوا عرضي على سوء رأيهم ... فاني من أعراضهم غير شاعث

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ويروى للأعور الشني

هون عليك فان الامو ... ر بكف الاله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس اليه وقد روى لورقة بن نوفل في أبيات

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سيبنْ د نجرى لريح له والجن ولا إنس فيما بها نرد
حوضٌ هنالك مورود بلا كذب لا بد من وِردِه يوماً كما وردوا

ومن شعره أيضاً رضى الله عنه

تمنّى رجالٌ أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
وما نفسي أفي لا ي نبي كنت ولانستُ أن أقولُ ما قال لي كعب

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه

غنى النفس يغني النفس حتى يكفّها وإن عضّها حتى يضرّ بها الفقرُ
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنةٍ إلا سيتبعها يسرُ

ومن شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان مجوّداً ما قاله وهو صفة بن يذكر همدان ونصرهم إياه

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنى نواصيها حمرَ النحور دَوامي
وأعرض نقعٌ في السماء كأنه عجاجةُ دَجنٍ ملبس بقتامِ
ونادى ابن هند ذا الكلاع وحميرا وكندةَ في لخمٍ وحيِّ جذامِ
تيممت همدان الذين همُ همُ اذا ناب دهرٌ جُنّتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصبة فوارسُ من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشرب مدامِ
فلو كنت بوّابا على باب جنةٍ لقلتُ لهمدانَ ادخلوا بسلام

وهو القائل بصفين أيضاً

لمن راية حمراء (١) يخفق ظلّها اذا قلتُ قدمْها حضين تقدما
فيوردها في الصف حتى يَردّها حياضَ المنايا تقطرُ الموت والدما

فهؤلاء الخلفاء الاربعة رضوان الله عليهم فامنهم الا من قال الشعر وخامسهم الحسن بن على رحمه الله وهو القائل وقد جرح على أصحابه مخمصا رواه المبرد

نسوّدُ أعلاها وتأبى أصولها فليت الذى يسود منها هو الأصل

ومن شعر معاوية بن أبى سفيان رحمة الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن عبدالرحمن

(١) ن سوداء

المدني قال لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول

ان تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رؤف عن مسيء ذنوبه كالتراب

وروى في غير موضع واحد

فقدت سفاهتي وأرحت غيي وفيّ على تحلمي اعتراض
على أني أجيب اذا دعتني الي حاجاتها الحدق المراض

ومن قوله أيضاً وهو لائق به دال على صحة ناقله

اذا لم أجد بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدي يؤمّل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم

وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فكثير شعرهم مشهور ومن شعر الحسين بن علي رضي الله عنهما وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله في امرأته

لعمرك إنني لأحب داراً تحلّ بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جلّ مالي وليس للائمي عندي عتاب

وليس من بني عبد المطلب رجالا ونساءً من لم يقل الشعر حاشى النبيّ صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً

عشيةَ ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبل
وقلنا لهم حبل الاله نصيرنا وما لكمُ الا الضلالة من حبل
فثار أبو جهل هنالك باغياً فخاب وردّ الله كيدَ أبي جهل
وما نحن الاّ في ثلاثين راكباً وهم مائتان بعد واحدةٍ فضل

وأما العباس فكان شاعراً مفلقاً حسن التهدي من ذلك قوله رحمه الله يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا هل أتى عرسي مكري ومونفي بوادي حنين والأسنة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنه

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد بها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل علي بظنه بي الخير إني للذي ظن شاكر

ومن شعر جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه قوله يوم مؤتة وفيه قتل رحمة الله عليه

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردٌ شرابها
والروم روم قد دنا عذابها علي إذ لاقيتها ضرابها

وشعر أبي سفيان بن الحارث مشهور في الجاهلية والاسلام فأما أبو طالب ومن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما القاضي أبو الفضل وهما

وأحور مخضوب البنان محجب دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها فلست مريداً ذاك طوعاً ولا كرها

وكانت فاطمة رضي الله عنها تقول الشعر رويت لها أشياء كثيرة ثم نرجع الى الخلفاء المرضيين قال عمر بن عبد العزيز رواه الاوزاعي عن محمد بن كعب

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرقت جفوناً لعينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغلُ فيما سوفَ تكره غِبَّهُ   كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

ومما أنشده حماد الرواية من شعره

إنهَ الفؤادَ عن الصبا   وعن انقيادهْ للهوى

فلعمر ربك إن في   شيب المفارق والحلى

لك واعظاً لو كنتَ تتـ   ـعظ أو تعاظَ دوي النهى

حتى متى لا ترعوى   والى متى والي متى

بَليَ الشبابُ وأنت ان   عمرتَ رهنٌ للبلي

وكفى بذلك زاجراً   للمرء عن غيٍّ كفى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسي في كتابه

ولولا الذي ثم النبي خشيةَ الردا   لعاصتْ في حبِّ الصبا كلَّ زاجرِ

صبا ما صبا فيما مضى ثم لا ترى   له صبوةٌ أخرى الليالى الغوابر

ومن قول عبدالله بن الزبير قوله وقد ولي الحرمين مدة ودعي بأمير المؤمنين ابتداء

الله حتى قتل رحمة الله عليه وقد روى لعبد الله بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء

لاأحسبُ الشرَّ جاراً لايفارقنى   ولا أحزّ على ما فاتنى الودجا

وما لقيتُ من المكروهِ منزلة   إلاَّ وثقتُ بأن ألقى لها فرجا

ومن قوله المشهور عنه

وكم من عدوٍّ قد أراد مَساءَتى   بغيبٍ ولو لاقيتُه لتندما

كثيرِ الخنا حتى اذا ما لقيتُه   أصرعلي اثم وان كان أقسما

وحسبك من القضاة شريح بنُ الحارث كان شاعراً مجوَّداً وقد استقضاه عمرُ بن

الخطاب رضي الله عنه كتب الي مؤدب ولده وقد وجده وقت الصلاة يلعب بحرو

كلب وأودع الأبياتِ رقعةً وأنفذَها مع ولده مختومةً الى المؤدب

تركَ الصلاةَ لأكلُبٍ يسعَى بها   طَلبَ الهراش مع الغُواةِ الرُّجسِ

وإذا مسكتَ بنذوة صحيفةٍ كتبتْ له كصحيفة المتلمسِ
وإذا جمعتَ عصيرهُ بقدرةٍ وإذا بلغتَ به ثلاثاً فاحبسِ
وعليه أنت مد بيتَ وفمه مع ما تجرعني أعز الأنفسِ

فهذ شريح وهم جرا الى حيث تمت ٠٠ ومن الفقهاء عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس ورغبوا فيها خاطبين

أحبكِ حباً لو علمت ببعضه لجدتِ ولم يصعب عليكِ شديدُ
وحبك يا أمّ الوليد مولهي شهيدي أبو بكر فنعم شهيدُ
ويعلم وجدي قسم بن محمدٍ وعروةُ ما أخفى لكم وسعيدُ
ويعلم ما أُخفي سليمانُ علمه وخارجة يُبدي بنا ويعيدُ
متى تسألي عما أقول بخبّري فلله عندي طارفٌ وتليدُ

هؤلاء الستة الذين ذكرهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ٠ وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ٠ وعروة بن الزبير بن العوام ٠ وسعيد بن المسيب ٠ وسليمان بن يسار ٠ وخارجة بن زيد بن ثابت ٠ وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم وهم فقهاء المدينة وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار ٠٠ وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ٠٠ والعلماء حلة الشعر إن لم يلبسها طويت ومحال أن يحرّم الشعرَ من محل العلماء به ٠٠ وأما محمد بن ادريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً في الشعر وهو القائل

ومتعب العيس مرتاحاً الى بلدٍ والموتُ يطلبهُ في ذلك البلدِ
وضاحك والمنايا فوقَ مفرقهِ لو كان يعلم غيباً مات من كمد
من كان لم يؤتَ علماً في بقاء غدٍ ماذا تفكره في رزق بعد غدِ

ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى

الجدُّ يدني كلَّ شيءٍ شاسعٍ والجدُّ يفتح كل بابٍ مغلقِ

فاذا سمعت بأن مجدوداً حوى عوداً فأورق في يديه فصدقِ
واذا سمعتَ بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فغاض فحققِ
وأحقُّ خلق الله بالهمّ امرؤ ذو همةٍ يبلى برزق ضيقِ
ولربما عرضت لنفسي فكرةٌ فأود منها أنني لم أخلقِ

وهذا باب لو تقصيته لاحتمل كتاباً مفرداً ولكني طبّقت المفصل وذكرت بعض المشاهير من الناس

باب من رفعه الشعر ومن وضعه

انما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل وأنه أسنى مروءة الدني وأدنى مروءة السري لامر ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل وظنه مثابة وهو منقبة وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مدح به مثل ما يضع من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر وقد كان أشرف بني ذبيان هذا وان امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم ٠٠ وكاشتهار عرابة الاوسي بشعر الشماخ بن ضرار وقد بذل له في سنة شديدة وسق بعير تمراً فقال

رأيتُ عرابةَ الاوسيَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرينِ
اذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجد تلقاها عرابةُ باليمينِ

حتى صار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً لا تبلى جدّته ولا تتغير بهجته وقدح ذلك في مروءة الشماخ وحط في قدره لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوي الاقدار ٠٠ فأما من صنع الشعر فصاحة ولسناً وافتخاراً بنفسه وحسبه وتخليداً لمآثر قومه ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ولا مدحاً ولا هجاءً كما قال واحد دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله اليه والينا فيه

وجدتُ طريقَ اليأسِ أسهلَ مسلكاً ... وأحرى بنجحٍ من طريقِ المطامعِ
ولست بمضطرٍّ ما حييت أخا ندى ... ولا أنا في عرض البخيل بواقع

فلا نقص عليه في ذلك بل هو زائد في أدبه ونباهته فضله كما نبه نباهته في ذكر الخامل ورفع قدر الساقط وإنما يضع امرؤ القيس وهو من هو لم يصنع نظمه وعلا بسجيته عن غير طمع ولا جزع .. وحكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معاً علمنا مَن السابق منهم وإذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا لرهبة فقيل ومن هو فقال الكندي قيل ولم قال لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة .. وقال علي بن الجهم في مدح المتوكل

وما الشعر مما أستظل بظله ... ولا زادني قدراً ولا حطَّ من قدري

ثم قال

ولكنَّ إحسانَ الخليفة جعفرٍ ... دعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعر

فقد كرر أنه لا يستظل بظل الشعر أي لا يتكسب به وأنه لم يزده قدراً لأنه كان نبيهاً قبل قوله الشعر ثم قال — ولا حط من قدري — فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر بقوله ليس الشعر صنعة في نفسه ولا صنعته فيمن دون الحاجة وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه مراء الخليفة بل مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتدياً .. وقال الطائي في هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات على ما كان فيه من الكبر والإعجاب وهو حينئذ وزير الأكبر

لقد زدتَ أوضاحي امتداداً ولم أكن ... بهيماً ولا أرضى من الأرض مجهلا
ولكن أيادٍ صادفتني جسامها ... أغرَّ فوافت بي أغرَّ محجلا

فطمح بنفسه إلى حيث ترى وجعل الغرة من كرمه وهي في الوجه مشهورة والتحجيل من زيادات الممدوح وهو في القوائم .. وقد سبق إلى هذا المعنى أبو نخيلة السعدي فقال يمدح مسلمة بن عبد الملك

وأحييتَ من ذكري وما كان خاملا ... ولكنَّ بعضَ الذكر أنبه من بعض

وقد حكي أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر وغفل أكثر الناس عن السبب وذلك أنه كان خليعاً متهتكاً تشبب بنساء أبيه وبدأ بهذا الشر العظيم واشتغل بالخمر والزنا

عن الملك بالرياسة فكان الله من أبيه ما كان إلا من جهة الشعر لكن من جهة العي والطائلة .. فهذه العلة وقد جارت كثيراً من الناس ومرت عليهم صلحاً .. وأما تفسير القول لآخر في المرء ولدى فاه اذا ملئت بالذي مسه وطمحت به همته الى أن يصنع الشعر الذي هو أحو الأدب وتجارة العرب يكافأ به الأيادي ويحل به صدر النادي ويرفع صوته على من فوقه ويريده في القدر على ما استحقه فقد صار سرياً على أنه العائش حان كان المقول له بذلك أعظم مرتبة وأشرف حظة ومنزلة واذا انحطت بالسري همه وقصرت مروءته الى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافأ به الأيادي دون غيره وهو يعلم أنه أبقى من المال وأمس ذخائر الرجال وانه ان خاطب به من فوقه فقد رضي بالمراعاة وان خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة وان خاطب به من دونه سقط جملة دلك على أن يكون شعره مرحا أو عتابا واما أن يكون هجاء فأنعي لحريه وأصل لسعيه وسأذكر ممن رفعه أو ممن وضعه ما قال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر الناس لئلا أخلي الكتاب من ذلك وإن كنت حريصا على الاختصار والاختصار

فممن رفعه ما قال من الشعراء الحارث بن حلزة اليشكري وكان أبرص فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته * آذنتنا ببينها أسماء *

وبينه وبينه سجفة فما زال يرفعها حجابا فحجابا لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ثم أدناه وقربه وأمر له كثير .. ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله لم يكن له مأثرة ولاسابقة في الجاهلية والاسلام الا شعره وقد بلغ من رضي الله عز وجل ورضى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .. ومن الفحول المتأخرين الاخطل واسمه غياث بن غوث وكان نصرانيا من تغلب بلغت به الحال في الشعر الى أن نادم عبد الملك بن مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخطفي وهو تقي مسلم وقيل أمره بذلك بسبب خمر جارية بين يديه وطول لسانه حتى قال مجاهرا لعنه الله بما لا يستتر في الطعن على الدين والاستخفاف بالمسلمين

ولست بصائمٍ رمضانَ طوعا ولست بآكلٍ لحم الأضاحي
ولست بزاجرٍ عنسا بكوراً الى بطحاء مكة للنجاح

وبت عدنا أنداً سلي كمثل العبرحي على الملاح
وبكى سأشربها شمولا وأسجد قبل مسلح الصباح

وهذه غاية عظمة ومنزلة غريبة جمات من المسامحة في الدين على مثل ما يسمع والملوك ملوك غيرهم .. ووجد الانصار ليزيد بن معاوية لما شبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عمته فاطمة بنت أبي سفيان وقيل بل بأخته هند بنت معاوية ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك ..وقد رد على جرير أفحج رد وتناول من أعراض المسلمين وأشرافهم ما لا يحوى مع مثله علوى فضلا عن نصراني .. ومن المحدثين أبو نواس كان نديما للامين محمد بن زبيدة طول خلافته .. ومسلم بن الوليد صريع الغواني اتصل بذي الرياستين وبنت على جرجان وكان تولاها على يديه والبحتري كان نديماً للمتوكل لا يكاد يفارقه وبحضره قتل المتوكل . وكثير ممن اكتفى بهؤلاء عن ذكره .. وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة الى كافور الاخشيدي فوعده بها وأحاله اليها ثم خافه لما رأى من تخامله وكبره واقتضاه أبو الطيب مراراً وعاتبه فما وجد عنده راحة .. فمن ذلك قوله يقتضيه

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً فجودك يكسوني وشغلك يسلب

.. وقوله يقتضيه أيضا ويعاتبه من قصيدة مشهورة

لنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتاب

ثم قال بعد أبيات

أرى لي بقربي منك عينا قريرةً وان كان قربا بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغي عليه ثواب
وما شئت الا أن أدل عوذلي على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفونى فشرّقوا   وغربت أنى قد ظفرت وخابوا

فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر فنالوا الرتب واتصلوا بالملوك وليس ذلك ببدع للشاعر ولا عجب منه •• وقد كنت صنعت بين يدى سيدنا عن أمره العالى زاده الله علواً

الشعر شيءٌ حسن   ليس به من حرج
أقلّ ما فيه دفا   ع الهم عن نفس الشجي
يحكم في لطافةٍ   حلّ عقود الحجج
كم نظرةٍ حسنها   فى وجهِ عذر سمج
وحرقـــةٍ بردها   عن قلب صب منضج
ورحمـــة أوقعها   فى قلب قاس حرج
وحاجـــة يسرها   عند غزال غنج
وشاعر مطرح   معلق باب الفرج
قـــرّبه لسانه   من ملك متوّج
فعلموا أولادكم   عقار طب المهج

وطائفةٌ أخرى نطقوا في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها وألقابا يدعون بها فلا ينكرونها ••منهم عائذ الكلب واسمه عبد الله بن مصعب كان والياً علي المدينة للرشيد لقب بذلك لقوله

مالى مرضتُ فلم يعدنى عائدٌ   منكم ويمرض كلبكم فأعود

•• والممزق واسمه شاس بن نهار لقب بقوله لعمرو بن هند

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلى   والا فأدركنى ولما أمزّق

وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فى رسالة كتب بها الى على بن أبى طالب رضى الله عنه •• ولقب مسكين الدارمى واسمه ربيعة من ولد عمرو بن عمر ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بقوله

أنا مسكينٌ لمن أبصرنى   ولمن حاورنى جد نطق

[illegible]

وشئت [illegible] وتابت لحاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

وإني امرؤ لا أسأل الناس مالهم بشعري ولا تعمى علي المكاسب

ومنهم من لقب لشعر من ألقاب العرب وسرقة ولوحه في آدابهم وتعلقه بأنفسهم .. ومنهم من سمي بلفظة من شعر لسماعها مثل النابغة الذبياني واسمه زياد بن عمرو وسمي النابغة لقوله

* فقد نبغت لنا منهم شئون *

والنابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله لأنه نبغ بالشعر بعد أربعين سنة فسمي النابغة .. ومنهم جران العود سمي بذلك لقوله

عمدت لعود فالتحيت جرانه وللكيس خير في الأمور وأنجح

خذا حذراً يا خلتي(1) فإنني رأيت جران العود قد كاد يصلح

يخاطب امرأتيه وقد كانتا نشزتا عليه فلزمه ذا الاسم وذهب اسمه كرهاً .. وكذلك أبو الغول لا يعرف له اسم غير هذا لقوله

[illegible] من الذل يطرح نفسه كل مطرح

[illegible] غدراً أو نصيب رعدة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة وليسوا من هذا الباب في شيء لأن هذه الأسماء عليهم ليست تشريفاً لهم ولا ضعة وإنما هي من جهة الشناعة فقط ولكن الكلام شجون .. ومن ههنا عظم الشعر وتهيب أهله خوفاً من بيت سائر يحدى به أو لفظة شاردة يضرب بها المثل وجاء في مثل ذلك فقد رفع كثيراً من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد الخمول والإضراع حتى افتخروا بما كانوا يعيرون به ووضع جماعة من أهل البيوتات والأقدار الشريفة حتى عيروا بما كانوا يفخرون به .. فممن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد الخمول المحلق وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له إن الأعشى قدم وهو رجل مفوه

(1) [illegible]

محدود في الشعر ماامدح أحداً الا رفعه ولاهجا أحداً الا وضعه وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه وكان في عصابة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرِّق   وما بي من سُقْم وما بي مَعشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله الى أن سمع

نفى الذم عن آل المحلق جفنة   كجابية الشيخ العراقي تفهقُ

ترى القوم فيها شارعين وبينهم   مع القوم ولدان من النسل دَرْدَقُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة   الى ضوء نارٍ باليفاعِ تحرّقُ

تشب لمقرورَين يصطليانها   وبات على النار الندَى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أم تحالفا   بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه   كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رونق

فما أتم القصيدة الا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .. وكذلك بنو أنف الناقة كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى أن الرجل منهم يسأل ممن هو فيقول من بني قريع فيتجاوز جعفراً أنف الناقة ابن قريع بن عوف بن مالك ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب الى أن نقل الحطيئة واسمه جرول بن أوس أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر الى ضيافته وأحسن اليه فقال

سيرى أمام فإن الأكثرين حصاً والأكرمين اذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة .. وإنما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قسم ناقة جزوراً ونسيه فبعثته أمه ولم يبق الا رأس الناقة فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يجره فسمي بذلك ..
ومثل هاتين القصتين قصة عرابةَ الاوسي مع الشماخ وقد تقدم ذكرها .. وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب فصيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب اذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بني نمير الى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي فسهر لها وطال ليله الى أن قال

فغضَّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

فأطفأ سراجه ونام وقال قد والله أخزيتهم آخر الدهر فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت حتى أن مولىً لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير ياجواذب باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له اذا نبزوك فقل لهم فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا .. ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال غمض والا جاءك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها ..
ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر
* فغض الطرف انك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا — وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدمّاغة تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر ابن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميرًا الى أبيه هربا من ذكر نمير وفرارًا مما وسم به من الفضيحة والوصمة.. والربيع بن زياد كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحدٌ ممن يفد على النعمان فرمي بلبيد وهو غلام مراهق ينافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته

فقام لبيد فقال مرتجلا

يا ربَّ هيجا هي خير من دِعه   نحن بنى أمّ البنين الأربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه   المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخضعه   مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان ، وله ، فقال — إن استه من برص ملمعه
فقال النعمان وما علينا من ذلك ، فقال — وانه يولج فيها أصبعه

يولجها حتى يوارى أشجعه   كأنما يطلب شيئاً أودعه

ويروى أطعمه ورفع النعمان يده عن الطعام وقال ماتقول يا ربيع فقال أبيتَ اللعن كذب الغلام فقال لبيد مره فليجب فقال النعمان أجبه يا ربيع فقال والله لما تسومنى أنت من الخسف أشدُّ عليّ مما عصهنى به الغلام فجفوه بعد ذلك وسقطت منزلته وأراد الاعتذار فقال النعمان

قد قيل ما قيل إنْ حقا وان كذبا   فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه فى تعجيل قرى الاضياف الى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال وما قال فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة   فعادى بنى العجلان رهطَ ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا انه قال

قبيِّلةٌ لا يغدرون بذمة   ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى من هؤلاء أوقال ليت آل الخطاب كذلك أوكلاماً يشبه هذا قالوا فانه قال

ولا يردون الماء الا عشيةً   اذا صدر الورّادُ عن كل منهلٍ

فقال عمر ذلك أقل للسكاك يعني الزحام قالوا فانه قال

تعاف الكلاب الضارياتُ لحومهم   وتأكل من كعب بن عوفٍ ونهشل

فقال عمر كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه قالوا فانه قال

وما سمي العجلان إلا لقولهم ** خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر كلنا عبد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال ما أسمع ذلك فقالوا فسل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي وقيل حده .. وهذه جملة كافية وبلغة مقنعة فيما قصدت به من هذا الباب

باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها

علونا السماء عفة وتكرماً ** وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أين المظهر يا أبا ليلى فقال الجنةُ بك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجل إن شاء الله فقضت له دعوةُ النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وسبب ذلك شعره .. وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث قوله

هجوت محمداً فأجبت عنه ** وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا حسان فلما قال

فإن أبي ووالده وعرضي ** لعرض محمد منكم وقاءُ

فقال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .. ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم بن قطبة بن سيار سنة لا يقضي لأحدهما على الآخر إلى أن قدم الأعشى وكانت له إلى عامر عنده يد فقال شعره

علقم ما أنت إلى عامر الـ ** ـناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم ** وعامر ساد بني عامر

حكمتموه فقضى بينكم ** أزهر مثل القمر الباهر

لايقبل الرشوةَ في حكمه ولا يبالي غبنَ الخاسر

فرواه الناس وافترقوا وقد مر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره وكان في رأي هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .. والى هذا يأشد ..نتار أبو تمام الطائي بقوله في صفة الشعر

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةٌ ويُقضَى بما يقضى به وهو ظالمُ

وكانت لرجل شهادة عند أبي دُلامةَ فدعاه الى تبليغها عند القاضي ابن أبي ليلى فقال له ان شهادتي لا تنفعك عنده فقال الرجل لابد من شهادتك فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول

اذا الناسُ غطوني تغطيت دونهم وان بحثوا عني ففيهم مباحثُ

فقطع القاضي على الخصم بشهادة أبي دُلامة وقبض المشهودُ له المال وغرم القاضي المشهود عليه بحرجاً من ظلمه .. وقال انما شهد لطيب خاطر ولده من علقمه وأمره أن يدعي على من شاء بألف درهم ففعل الطيب فشهد أبو دلامة وهذا أشبه بنحوه من الاول .

وذكر العتبي ان رجلا من أهل المدينة ادعي حقا على رجل فدعاه الى ابن حطب قاضي المدينة فقال من اشهد بما تقول فقل رقطه فدعا ولى قال القاضي ماشهادته له إلا كشهادته عليه فلما جا رُقطةُ القاضي قال له فداك أبي وأمي أحسنَ والله الشاعر حيث يقول

من الخفرات البيض الدين وجوههم دنانير مماسيحَ في أرض قيصرا

فأقبل القاضي على الكاتب فقال كبير ورب السماء ماأحسبه تشهد الا بالحق وأجز شهادته .. وخاصم جرير بن الخطفي الحماني الشاعر الى قاضي اليمامة فقال في أبيات رجزها

أعوذُ بالله العليِّ القهار من ظلم حماني وتحويل الدار

فقال الحماني مجيباً له

ما لكليبٍ من حمىً ولا دار عيرٌ مقام أتنٍ وأعيار

* قُبِّرّ البطونِ داميات الأطمار *

ويروى قصص تظهر دعابات لأظفار فقال جرير مقام أتي وأعياري لا أريد غيره وقد عترف به فذل قضى هي لجرير وقضى على الجملي بشعره الذي قال .. وكان فرزدق يجلس في لحسن البصري فجاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون في هذه البعوث وسبى فنصيب مرأة من العدو وهي ذات زوج فتحل لنا من قبل أن نطلقها روحها فقال الفرزدق قد قلت أنا مثل هذا في شعري فقال الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليل أنكحتنا رماحنا حلالاً لمن يبني بها لم تطلق

فقال لحسن صدق فحكم ظاهر قوله وما أظن الفرزدق والله أعلم أراد الجهاد في عدو يجب بالشريعة لكن أراد مذهب الجاهلية في السبايا كأنه يشير الى العزة ومنعة الناس .. وقال بن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير

فإن الحق مقطعه ثلاث أداء أو نفار أو جلاء

وسمي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت يقول لا يقطع الحق الا الاداء أو النفار وهو حكومة أو جلاء وهو الحذر لواضح ويروى يمين أو نفار وهذه الثلاث على حقيقة هي مقطع الحق كما قال على أنه جاهلي وقد وكدها الاسلام

باب شفاعات الشعراء وتحريضهم

قال عبد الكريم عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وقد كان قتل أباها فأنشدته

يا راكباً إن الأثيل مظنة من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ به ميتاً بأن قصيدة ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني اليه وعبرة مسفوحة جادت لمانحها وأخرى تخنق

فليسمعن النضر إن ناديته أم كيف يسمع ميت لا ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

قسراً يقاد الى المنية متعباً رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمد ها أنت نجل نجيبة من قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما من الفتى وهو المغيظ المحنق
والنضر أقرب من قتلت وسيلة وأحقهم إن كان عتق يعتق

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .. ولما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء وهو المنذر الأكبر وماء السماء أمه أسر جماعة من أصحابه وكان ممن أسر شاس بن عبدة في سبعين رجلا من بني تميم وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس وهو معروف بعلقمة الفحل فقصد الحارث ممتدحاً بقصيدته المشهورة التي أولها

طحا بك قلب بالحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فأنشده إياها حتى إذا بلغ الى قوله

الى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكلكلها والقصريين وجيب
اليك أبيت اللعن كان وجيفها بمشتبهات هولهن مهيب
هداني اليك الفرقدان ولاحب له فوق أعلام المتان علوب
فلا تحرمني نائلاً عن جنابة فإني امرؤ وسط القباب غريب
وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب

فقال الحارث نعم وأذنبة وأطلق له شاساً أخاه وجماعة أسرى بني تميم ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .. وكان لأمية بن حرثان ولد اسمه كلاب هاجر الى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه فقال أمية

سأستعدي على الفاروق رباً له عمد الحجيج الى ساق
إن الفاروق لم يردد كلاباً على شيخين هامهما زواقي

فكتب عمر الى أبي موسى الاشعري بإشخاص كلاب فما شعر أمية الا به يقرع الباب .. وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والامراء لاسائها وذوي قراباتها فيشفعون شفاعاتهم وينالون الرتب بهم .. ودخل العماني الشاعر وهو أبو العباس محمد

ـ ده ـ ه ـ مى على الرشيد قصيدة رحورة يقول فيها

فى الامه مقتدى بامه ماقاسم دون مدى ابن أمه

* فقد رضيناه فقم فسمه *

فقال الرشيد قد رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رحلي فقال له يا أمير المؤمنين ما أردت قيه حسيم سكن قد عزم ورأى الرشيد باحصار القاسم ولده ومراكعاتي في شده بهذر فه ـ الرشيد القاسم أما حرّرة هذا التمسح عليك وقد سألنا أن ... نعهد ... ... وقمع الخطب للوائق عند أبيه المعتصم فى أن يوليه العهد فقال

وشدد مهروس الخلافة انه سكن لوحشتها ودار قرار

فتى بنى العباس والقمر الذي حفته أنجم يعرب ونزار

كرم العمومة والخؤولة مجده سلفا قريش فيه والانصار

هو نور ... منكم وسعادة وسراج ليل فيكم ونهار

وقع شياطين المنافق عهده ترضي البرية هديه والباري

يسير في الادنى سيرة رأفة وله وقارها سكينة ووقار

ولصير مطوم بالدلس لى خطاب رومة ملك دمار

وعد عمت بأن ذلك معتصم ما كنت تتركه بغير سوار

واستعطف مالك بن طوق لقومه بني تغلب وكانوا أفسدوا في عمله الطرق فحاربوه واستعملوا ابن تمام فقال فى قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكا

ورأيت قومك والاساءة منهم جرحي بظفر للزمان وناب

هم صيروا تلك البروق صواعقاً فيهم وذاك العفو سوط عذاب

وقيل أسامة جرمها وصفح لها عنه وهب ما كان للوهاب

وذلك في يوم الكلاب وشققوا فيه المراد بجحفل كلاب

وهم بعين أبي رأسوا للوغي سهميك عند الحارث الحراب

وليالي الثرثار والحشاك قد جلبوا الجياد لواحق الأقراب

فمضت كهولهم ودبر أمرهم — أحداثهم تدبير غير صواب
لا رقة الحضر اللطيف غذتهم — وتباعدوا عن فطنة الأعراب
فاذا كشفتهم وجدت لديهم — كرم النفوس وقلة الآداب
لك في رسول الله أعظم إسوة — وأجلها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم — كرماً وردّ أخائذ الأحزاب

ذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجل موقع فأجزل ثوابه لها وقبل شفاعته ورد القوم الى رتبهم ومنزلتهم من بعد اليأس المستحكم والعداوة الشديدة .. وكان أبوقابوس الشاعر رجلا نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً الى البرامكة فما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبوقابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يتشفع عنده للفضل بن يحيي

أمين الله هب فضل بن يحيي — لنفسك أيها الملك الهمام
وما طلبي اليك العفو عنه — وقد قعد الوشاة به وقاموا
أرى سبب الرضى عنه قوياً — على الله الزيادة والتمام
نذرت عليَّ فيه صيام شهر — فان تم الرضي وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو — محاسن وجهه ريح قتام
أما والله لولا خوف واش — وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا — كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرت قبلك يا بن يحيي — حساماً قده السيف الحسام
عقاب خليفة الرحمن فخر — لمن بالسيف عاقبه الإمام

قد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه أحدهما لاشجع السلمى والآخر لسلمان أخي ضريع فالناس فيه مختلفون وهذه صحته .. فانظر الى مجاسرته على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرثاء .. واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبنى كلاب وقد أغار عليهم فغنم الاموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه

ترفق أيها المولى عليهم — فان الرفق بالجاني عتاب

ونهم عندك حيث كانوا ... اذا تدعو لنائبةٍ أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا ... بأول معشر خطئوا فتابوا
ونحن جناتهم عصت عليهم ... وهجر جناتهم لهم عقاب
وماجهلت أياديك البوادي ... ولكن ربما خفي الصواب
ولكن ربما تعد مولده دلالٌ ... وكم بعدٌ مولده اقتراب
وجرم جرّه سفهاء قوم ... وحلّ بغير جارمه العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور ٠٠ وقد افتخر به البحتري فقال في قصيدة له طويلة

ن أبق (١) او أهلك فقد نلت التي ... ملأت صدور أقاربي وعداتي
وعنت ندمان الخلائف نابهاً ... ذكري وناعمة بهم نشواتي
وشفعت في الامر الجليل اليهم ... بعد الجليل فأنجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم ... من رفد طلاب وفك عناة

وكان أبو عزة كثيراً ما يشعر المشركين ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأسر يوم بدر وجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكي اليه الفقر والعيال فرق له وخلى سبيله بعد أن عاهده الا يعين عليه بشعر فأمسك عنه مدة ثم عاد الى حاله الاولى فأسر يوم أحد فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الاول فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ثم قتله صبراً وقال لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ٠٠ وقال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة لان شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني وقال ابن حبى انما قتل ابن النعمان

نبئت أن بني حنيفة أدخلوا ... أبياتهم تامور نفس المنذر

ويروى أن بني سحيم فغزاهم النعمان وقتل فيهم وسبى وأحرق نخلهم ويقال انما أغرى بهم عمرو بن هند ٠٠ ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السفاح وعنده سليمان ابن هشام بن عبد الملك وابناه وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له وفي رواية ثالثة ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فأنشده سديف

(١) ن ان ابق

لا يغرنك ما ترى من أناس   إن بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتني يا شيخ قاتلك الله ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان وقتل من ساعته . . ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بني أمية وعنده منهم ثمانون رجلا

أقصهم أيها الخليفة واقطع   عنك بالسيف شأفة الارجاس
ذلها أظهر التودد منها   وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي   قربها من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها الله   ه بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد   وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى   ثاويا بين غربة وتناسي

فلما سمع بذلك تنكر وأمر بهم فقتلوا والقى عليهم البساط وجلس للغداء وان بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد حكى ذلك جماعة من المؤلفين واخلفوا في رواية الشعر وحده فأكثر الروايات موضع البيت الاول

لا تقيلن عبد شمس عثارا   واقطعن كل رقلة وأواس

و يروى وغراس و بعضها على مافي النسخة ولا أدرى كيف صحة ذلك وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة اللهم الا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور وأكثر الناس يروى هذه الابيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح غير أن في الرواية الاولي

نعم شبل الهراش مولاك شبل   لو نجا من حبائل الافلاس

وهو يشهد ما روى وحكى غيرهم قال دخل العبدي الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين وقد دعى به وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلا والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه قال العبدي فاستنشدني عبد الله بن علي فأنشدته قولي

وقف المتيم في رسوم ديار

وهو مصغ مطرق حتى نهضت الى قولي

أما الدعاة الى الجنان فهاشم	وبنو أميــة من دعاة النار
وبنو أمية دوحة (١) ملعونة	ولهاشم في الناس عود نضار
أأمية ما لك من قرار فالحقي	بالجن صاغرة بأرض وبار
وبنت رحمت امرحس دمعة	وكذا المقام ذلة وصغار

قال فرفع العمر رأســه إليّ وقال يا ابن الزانية ما دعاك الى هـذا وضرب عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الارض وكانت العلامة بينه وبين أهـل خراسان فوضعوا عليهم السيف حتى هلكوا وأمر بالعمر فضربت عنقه صبراً ‥ وكان ابن حزم أميراً على المدينة فتحامل على الاحوص الشاعر تحاملا شديداً فشخص الى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها فلما بلغ الى قوله كالذي يشتكي ابن حزم وظلمه

لا ترثين لحزمي ظفرت به	يوماً ولو أُلقيَ الحزميُّ في النار
الناخسين بمروان بذي خشب	والداخلين على عثمان في الدار

فقال له الوليد صدقت والله لقد عفلنا (٢) عن حزم وآل حزم ثم كتب عهداً لعثمان بن حيان المري على المدينة وعزل ابن حزم وأمر باستئصال أموالهم واسقاطهم جميعاً من الديوان ‥ ولما وثب ابراهيم بن المهدي على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينـار فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون منها قوله

تذكّرْ أميرَ المؤمنين قيامه	بأيمانه في الهزل منه وفي الجد
اذا هزّ أعوادَ المنابرِ باسته	تغنى بليلي أو بميّــة أو هند
ووالله ما من توبة نزعت به	اليك ولا ميل اليك ولا وُد
وكيف بمن قد بايع الناس والتقت	ببيعته الركبانُ غوراً الى نجد
ومَن صكّ تسليم الخلافة سمعه	ينادي بها بين السماطين عن بعد
وأيّ امرئ سمّى بها قط نفسه	ففارقها حتى يغيّبَ في اللحد

(١) ب دونه (٢) ب سعلنا

وعرضها علي ابراهيم وهو حينئذ حامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله كتمانها واستحلفه علي ذلك وأدي مال أبيه دون سائر التجار ومثل ذلك كثير لو تقصى لطال به الكتاب

باب احتماء القبائل لشعرائها

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم .. وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج .. فمن حمي قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل وأنا مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مُصحاً أراه في أديم الفرزدق

ولا تركوا عظما يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوا له من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتقي

فانا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يُلق في البحر يَغرق

فلما بلغته الابيات كف عما أراد وقال لا سبيل الي هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .. وهجا عبد الله بن الزبعرى السهمي بني قصي فرفعوه برمته الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلقاً شديد العارضة فدع الهجاء فلما وصل عبد الله اليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال

لعمرك ماجاءت بنكر عشيرتي ... وان صالحت اخوانَها لا ألومها

فودَّ جناة الشرّ أن سيوفنا ... بأيماننا مسلولةٌ لا نشيمها

فان قصيا أهلُ مجد وعزّة ... وأهلُ فَعَال لا يُرام قديمها

هُمُ منعوا يومَيْ عكاظ نساءنا ... كما منع الشول الهجانَ قرومُها

وكان [illegible] وهو [illegible] مكة [illegible] فقال

فلا يحسب [illegible] رجالنا ... بيات عزة حتى يموتوا
[illegible] أو ضلال ... [illegible] الحمت
[illegible] حتى ... طرت [illegible] العميت

[illegible] الفرزدق [illegible] قومه يعودون اليه فقال الفرزدق

[illegible] شعري ... فتشعر [illegible] حرام
[illegible] ... قلائد مثل أطوق الحمام

وهجا الاحوص بن محمد الانصاري رجلاً من الانصار يقال له ابن بشير وكان مكثراً فاشترى هدية وقدم بها على الفرزدق مستجيراً به فأحدره ثم قال أين أنت من الاحوص بن محمد فقال هو الذي اشكو فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال أليس الذي يقول

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما ... فقد هاج أحزاني وذكرني نعمي

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى ابن بشير أفضل من الهدية الاولى وقدم بها على جرير فاستجار به فأحدره ثم قال له ما قال ابن عمك الاحوص بن محمد قال هو صاحب الذي هجاني قال أليس القائل

تمشي بشتمي في أكاريس مالك ... تشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى أكثر من الهديتين وأهداها الى الاحوص وصالحه . . ولهذا ومثله قال جرير لقومه يعاتبهم في قصيدة خاطب فيها أباه وجده الخطفى ممتدحاً عنهم بنفسه

ألا [illegible] تحمل سيف بعد ما ... قطعت القوى من محمل كان باقيا
أ[illegible] تطعن القرن بعد ما ... نزعت سناناً من قناتك ماضيا
ألا لا تخافا [illegible] ملمة ... وخاف المنايا أن تفوتكما بيا
فقد كنت [illegible] تصطليها عدوكم ... وحرزاً لما ألجأتم من ورائيا
[illegible] حين [illegible] ... وقائص شر [illegible] عنكما شماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى سريع اذا لم أرض داري انتقاليا
جريء الجنان لا أهاب من الردى اذا ما جعلت السيف من عن شماليا
وليست لسوى في العظام بقية ولا الشيب أشوى وقعة من لسانيا

وهذا الباب أكثر من أن نستقصي ورغبتي في الاختصار وانما جئت منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد وتبلغ في ذلك حد الاجتهاد

باب من فأل الشعر وطيرته

تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مصغيات على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات يلطمهن بالخمر النساء

ورأيت من يستحسن تلطمهن من لطمت الحرة اذا نفضت عنها الرماد ٠٠ فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن الغبار عنها بخمرهن فقال قائل لله در حسان اذ يقول وأنشد الابيات وروي قوم أن الناس أمروا بالمسير الى كداء تفاؤلاً بهذا البيت ليصح وكان الامر كما قال ٠٠ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير ويحب الاسم الحسن وقال ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل له فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ ٠٠ ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكي محمد بن الجراح وذلك أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء فاغتم خالد لذلك وتطير منه فقال أبو الشمقمق

ما كان مندق اللواء لطيرة تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا العود أضعف متنه صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسير ى س حـ ـ و كـسـ صحب البريد بخبر ذلك لى المأمون فراده دينار رسعة وأعطى حـ ـ شـ تمق عشرة آلاف درهم ٠٠ وفي جماعة من الكتاب على موسى بن عبد الملك فأمر متوكل بحسه فى ورئيت في النوم قائلا يقول

شر فقد جاءت السعود أباد أعداءك المبد
ـ نصرو ـمدى أردو بل يفعل الله ما يريد

ووقف متوكل على أمر أوجب اتقاعه بهم وأمر باطلاقى واعادتى الى أشرف رتبة ولا بد من ذكر ما يتطير منه في غير هذا ٠٠ وقال قيس المجنون

قسه عيرى وأ بلانى بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

فما مات حتى برص ورئي فى منمه قائلا يقول له هذا ما تمنيت ٠٠ ويقال ان المؤمل ن أميل قال

شف المؤمل يوم حيرة النظر ليت المؤمل لم يخلق له نصر

ـ دت يلة صحيحاً فأصبح مكفوف البصر ٠٠ وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيي البرمكي ٠٠ فقال

أصبحت محتاجاً الى ضرب فى طلب العرف من الكلب
دا تشكي صب اليه الهوى قل له مالى وللصب
عى لقى نطس فى ديننا نشب معه حتى الصلب

فكان من أمر جعفر ما كان ٠٠ وكان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه حتى أن بعض اخوانه من الأمراء افتقده فاعلم محله فى الطيرة فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به فلم أحد أهبته للركوب قال للخادم انصرف الى مولاك فأنت ناقص ومنكوس اسمك لا نقا ٠٠ وابن الرومي القائل الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان وله فيه احتجاجات وشعر كثير

* — —

باب في منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الباب ولا بد مع ذلك أن آتي منه بنبذة تصحبها برسم الكتاب وحق التأليف وليست عليَّ مطالبة ولا قبلي حجة في ذكر مضاره بعد منافعه أو معها اذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليتزيد منه وتقبيح القبيح لينتهي عنه .. وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضي الله عنها وقول سواها من الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية من أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ويقبح فيه ما يقبح من الكلام وبقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره والله المتعال .. حكى أبو العباس المبرد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

أأترك ان قلّت دراهمُ خالدٍ   زيارتَهُ اني اذاً للئيم

فقال أو قد قلت دراهم خالد احملوا اليه مائتي ألف درهم فدعي خالد بعمارة فقال هذا مطر من سحابك ودفع اليه عشرين ألفاً . ووجد أبوجعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب فقال

ونحن الكاتبونَ وقد أسأنا   فهبنا للكرام الكاتبينا

فخلى سبيله اعجاباً ببديهته .. وحمل بعض العمال الى يزيد بن معاوية مالا جليلا فقطع عليه قسيم العنوي فأخذه وأمر يزيد بطلبه فلما حصل بين يديه قال ما حملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل الينا قال ادبك يا أمير المؤمنين أعزك الله قال ومتى أدبت لك قال حين قلت وأنا أسمعك

إعصِ العواذلَ وارمِ الليلَ عن عرضٍ   بذي سبيب يقاسى ليله خببا
كالسيدِ لم يقبِ البيطار سرّته   ولم يَدِجه ولم يقطع له لببا
حتى تصادِف مالا أو يقالَ فتى   لاقي التي تُشعبُ الفتيانَ فانشعبا

فعصيت عواذلي وأسهرت ليلي وأعملت جوادي فأصبت مالا قال قدسوغنا كه فلا تعد .. وكان جميل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيي بن خالد فوفد عليهما مرةً أبو

شمقمق وسمه مروان بن محمد فكنيه أبو دهمان وأسماء اليه جمل .. فقال

رأيت جمل لا ارقد عن أمه فذاك أبو دهمان أم جمل

وتحضر عند ذلك في منزل بين يدي يحيى بن خالد ويستعلي جميل على أبي دهمان في حفظ فقال له أبو دهمان احفظ الشعر الذي جمعه بينا أبو الشمقمق فضحك يحيى بن خالد حتى فحص الأرض برجله وترك ذلك الذي تشاجرا فيه .. وأتي مصعب بن الزبير بأسرى من أصحاب المختار فأمر بقتلهم بين يديه فقام اليه أسير منهم فقال أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول يا رب سل مصعباً فيم قتلني فاستحيى مصعب وأمر باطلاقه فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت من حياتي في خفض ودعة من العيش قال قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم قال قد أشهدك أيها الأمير بشطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات قال ولم ذلك قال لقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

فضحك مصعب وقال قبض ما أمرنا لك به ولابن قيس عندنا مثله فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال .. وحكى عن ابن شهاب الزهري قال دعاني يزيد بن عبد الملك وقد مضى شطر الليل فأتيته فزعاً وهو على سطح فقال لا بأس عليك اجلس فجلست وقد بعثت جاريته حبابة تغني

اذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبلى السرائر

قال لمن هذا الشعر فقلت للأحوص قال ما فعل الله به قلت محبوس بدهلك فكتب من ساعته باطلاقه وأمر له بأربعمائة دينار وقدم اليه فأحسن جائزته .. وممن ضره الشعر وكل من عند الله عز وجل وعشيته ومقدوره علي بن العباس بن جريج الرومي كان ملازماً لأبي الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب مخصوصاً به فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه فقال لولده أبي الحسين أحب أن أرى ابن روميك هذا لجمع بينهما فرأى رجلا لسانه أطول من عقله فأشار عليه بابعاده فقال أخافه قال لم أرد اقصاءه

ولكن بيت أبي حية النميري

فقلنا لها في السر نفديك[1] لا يرح صحيحاً وإلاَّ تقتلـه فالمنى

حدث أبو القاسم ابن فراس عما كان من أبيه وكان ابن فراس من أشد الناس عداوةً لابن الرومي فقال له أنا أكفيكه فسم له لوزينجة فمات وسبب ذلك كثرة هجائه وبذاءته .. ودعبل بن علي الخزاعي كان هجاءً للملوك جسوراً على أمير المؤمنين متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك وطار اسمه فيه فصنع على لسانه بكر بن حماد التاهرتي وقيل غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه

ملوكُ بني العباس في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ

كذلك أهلُ الكهف في الكهف سبعةٌ كرامٌ إذا عُدُّوا وثامنهم كلبُ

وقال قوم بل صنعها دعبل نفسه وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالمثمن أيضاً فبلغه ذلك فأمر بطلبه ففر منه الى بلد بالسودان ناحية المغرب وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب فمات بها وهنالك قبره والى جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله هكذا يروي أصحابنا .. وأما شعر البحتري فيشهد بخلاف هذا وذلك أنه رثى دعبلا وأبا تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجا فيها الخثعمي الشاعر

جدَثٌ على الأهواز يبعد دونَه مسرى النعيّ ورُمةٌ بالموصلِ

فالذي بالموصل أبو تمام حبيب لاشك لانه مات بها وهو يتولى البريد للحسن بن وهب وكان نعي به كثيراً والآخر دعبل ورأيت من يرويه

تشلو باعلى عقر قوفَ تلفه هوج الرياح ورمة بالموصل

والأول أعرف وأشبه بالصواب .. ووالبة بن الحباب ذكر أن الرشيد أو غيره سأل من القائل

ولها ولا ذنبَ لهـا حبٌّ كأطراف الرماح

في القلب يجرحُ دائباً فالقلبُ مكلومُ النواحْ

فقال له بعض من حضر من العلماء ذلك والبة بن الحباب يا أمير المؤمنين وأين تذهب

---

(١) ن سرا هدساك

عن معرفته وبيّنه «ت «رى منه شعراً ولا أصب درة ولا أكثر رواية ولا أجول
معرفه . . عرسه منه شعري منه لا تشعر قولي وهو

قت سقيت عى حسوة ادى كد رأيت من راسا
وبه عى وحدت ى سعة ى امرؤ نكح حلاسيا

نحب ن سكحه لا « ملك ق فعست نوى عرة من تدت الحياء .. ويريد بن أم
حكم سقوي عهد به حجج سى ورس . « . وقعه فقال له استدني وقدّر أ ه
تمدحه وأنشده

وفي ندى سب من كسري رية صدع يخفق كاعقب الطائر

وسعرد عهد منه وقى حجه د رده عملك فقال له «ورثت أولك مثل هذا فقال له
حجب ذلك فقال ريد قل حجج

ووثت جدي مجده وفعله وورثت جدك أعنزاً بالطائف

ومثل هذا نسب غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق وذلك أنه استنشده
ينشده فيه ووقى به فأنشده مفتخراً عليه

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترةً من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الريح[1] وهي تلفهم الى شعب الاكوار ذات[2] الحقائب
اذا ستوضحوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فتبين غضب سليمان وكان نصيب حاضراً فأنشده

أقول لركب قافلين رأيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال يا غلام أعط نصيباً خمسمئة دينار والحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق مغضباً
يقول وخير الشعر أكرمه[3] رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد

(١) د س (٢) ب ن كل حدب (٣) ب شرفه

••وممن ضره الشعر وأهلكه سديف فانه طعن في دولة بني العباس بقوله لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور في أبيات له

اما لنا أملُ أن ترتدَّ إلفتُنا ... بعد التباعدِ والتشحناء والاحن

وتنقضي دولةٌ أحكامُ قادتها ... فينا كأحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتكم ننهضْ بطاعتنا ... ان الخلافة فيكم يابني الحسن

وكتب المنصور الى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ففعل ويقال ان الابيات لعبد الله ابن مصعب نسبت الى سديف وحملت عليه فقتل بسببها وذلك أشد ••وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له فما للشاعر والتعرض للحروب وانما هو طالب فضل فلم يضيع رأس ماله لا سيما وانما هو رأسه وكل شيء محتمل الا الطعن في الدول فان دعت الى ذلك ضرورة محرجة فمنصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال لا كما فعل سديف ••وأبو الطيب لما فر ورأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني ... والطعنُ والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً فقتل وكان سبب ذلك هذا البيت ••وكان كافور الاخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاظمه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال ياقوم من ادعي النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعي المملكة مع كافور حسبكم •• وزعم أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي أن أبا الطيب انما سمي متنبئاً لفطنته وقال غيره بل قال أنا أول من تنبأ بالشعر وادعي النبوة في بني العصيص والاخبار في هذا النوع كثيرة جداً وانما جئت بأقربها عهداً وأشهرها في كتب المؤلفين مما يليق بالموضع ذكره

باب تعرض الشعراء

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالماً بالشعر قليل التعرض لاهله استعداه رهط تميم

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق أمرهم في حسان بن ثابت وغيره من شعراء الأنصار ، فكان حسان بعد عمر حكمه على الحاشي كالمقلد من جهة الصنعة ومن كان حسان في عهد شعر عمر بن عمر رضى الله عنه وجه الحكم في شعره ... ووقعت حكومة ... وكذلك صنع في هجو الحطيئة الزبرقان بن بدر حين حكم ثم قضى على حطيئة بسجن وقيل إن سجنه لموافقته إياه وقوله دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... فسجنه في حفرة من الارض ... ووصل بوعيد ... أي رجل ... فقال أنا لا أحكم بين شعراء لأحد فقيل له سبحان الله كيف هذا ما تبين لك فقال ما ممن لم يبين له هذا ... وقيل إن ... تحرشاً على شعرهم ... في العرب سخينة لحساء كانت تحسى في جاهلية ... قول

يا شدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من تمازح به ما كان بين معاوية بن أبي سفيان وبين الأحنف بن قيس التميمي حين قال له ما الشيء الملفف في البجاد فقال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

إذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بلحم(١) أو بتمر أو الشيء الملفف في البجاد

... يدور بين الناس وأراد الأحنف قول حسان بن زهير يا شدة ما شددنا البيت ... وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الأنصاري أترى الله نسي قولك يعني

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

وسير الشعر على الأفواه هو تسيير عيب الأشراف بمزاحة الشاعر حرف لفظة يسمع منه مزحاً فتعود جداً كما قال دعبل الخزاعي

لا تعرضن بمزح لامرئ طبن ما راضه قلبه أجراه في الشفة

ورب قافية بالمزح جارية في محفل(٢) لم يرد إظهارها [illegible]

(١) أو تمر أو سمن (٢) ... مسئمة

اني اذا قلت بيتاً ماتَ قائلهُ ومَن يقال له والبيتُ لم يمت

وقال رجل لابن الرومي يمازحه ما أنت والشعر لقد بات منه حظاً حسنا وأنت من العجم أراك غريباً في الأصل أو مدعياً في الشعر قال بل أنت دعيّ اذا كنت تنتسب عربياً ولم تحسن من ذلك شيئاً • وله يقول من أبيات

اياكَ يا ابنَ نُويبٍ أن تستثارَ نويبُ

قد يحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنتهُ العريبُ

وهذا مثل قول الصيني الشاعر لبعض الاعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً فقال له الاعرابي ممن الرجل فقيل من العجم قال مالعجم والشعر أظن عربياً نزى على أمك قال فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فانما نزى على أمه أعجمي فسكت الاعرابي • وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال

والشعراء ألسنةٌ حدادُ على العورات موفيةٌ دليله

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم وداراهم مداراةً جميله

اذا وضعوا مكاوبهم عليه وان كذبوا فليس لهن حيله

والابيات لابي الدهان ••ولأمر ماقال طرفة

رأيت القوافي يتّلجنَ موالجاً تضايقُ عنها أن تولجها الابر

وقال امرؤ القيس وجرح اللسان كجرح اليد ومع ذلك كله فلا ينبغي للشاعر أن يكون شرساً شديداً ولا جرحاً عريضاً لما يدل به من طول لسانه وتوقف الناس عن محاشنته فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه لم يكن في جملته أظرف منه نادرة ولا أغرب مدحاً ولاأسرع جواباً اجتاز بنسوة وهو على بغلة فغمزها فحبقت فضاحكن وكان غريماً فقال ما يضحككن وما حملتني أنثى قط الا وفعلت مثل هذا قالت احداهن فاصنعت التي حملتك تسعة أشهر فانصرف خجلا •• ومرّ به رجل فيه لين فقال له من أين أقبلت عمتنا فقال نفاها الأغر ابن عبد العزيز فكأن الفرزدق صب عليه الماء لانه عرض له بقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة

نفاكَ الأغرُّ بنُ عبد العزيز وحقّك تنفى من المسجد

و[illegible] وكانت [illegible] لا تستحي [illegible] فقالت إني أسرك أني
[illegible] وكان [illegible] حتى عض ريقه .. وزعم
[illegible] كثيرة .. و[illegible] مصر [illegible] وهو غلام حديث
[illegible] الشعر [illegible] فسمعه [illegible] بعد كلام طويل فيه تعريض
[illegible] نحت [illegible] مرة [illegible] مصر [illegible] فقال كلا ولكن أبي ورجع الى
[illegible] الفرزدق حكي ذلك شيخا [illegible] أراد الفرزدق [illegible] ان
[illegible] فقد وقعت عليهم [illegible] وقال [illegible] لي وقع على ملك .. ومثل
هذه [illegible] الفرزدق مع الحطيئة [illegible] الحطيئة قال [illegible] وقد سمعه ينشد شعراً أعجبه
أحدث [illegible] قال [illegible] ولطم ذلك [illegible] وعقه وادعى أنه صحيح فقال

كان الحطيئة [illegible] مرة   والله [illegible] ذاك الخائر
[illegible] على أوباش [illegible]   أشر [illegible] في جميع نزار
لا تعجبن [illegible] ومحمد   وأخر [illegible] كل يوم فخار

وكان يزعم أن الحطيئة [illegible] قارظة [illegible] ورودها فوقع عليها وزوجها أخوها
[illegible] الفرزدق وقد [illegible] فولدت الفرزدق على فراشه .. واحتذى هذا الحذو
[illegible] بعض مروان الاصغر بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة فقال يهجو
[illegible]

[illegible] الشعر   [illegible] على [illegible] يصنع الشعرا
ولكن أبي قد كان جار لأمه   فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا

والشاعر أولى من [illegible] وأول [illegible] للسان ما رزق من القدرة على الكلام
والعفو من القادر أحسن وبه أليق ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل
إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب
أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور

باب التكسب بالشعر والأنفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم(١) عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال وعقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات .. وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها كما قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بني تيم رهط المعلى

أقرّ حشا امرئ القيس بن حُجْرٍ بنو تيم مصابيحُ الظلام

لأن المعلى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بني أبيه الذين قتل بدير مرينا فقيل لبني تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لبيت امرئ القيس .. وقال أيضاً لسعد بن الضباب

سأجزيك الذي دافعتَ عني وما يجزيك عني غيرُ شكري

فأجزيه أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه(٢) من عطاء الملوك وتكسب زهير ابن أبي سُلمى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر ما يقول عند العرب واقتداءً بهم فيه على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استهجنه واستخف به لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب .. وأكثر العلماء يقولون انه أول من سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أسنُّ منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبح من مجاملة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وما أشبه ذلك وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل لم خضع النابغة للنعمان فقال رغب في عطائه وعصافيره وأما زهير فما بلغه الطائي قط معرفة باحتذاء من يمدحه ويدلك على ذلك ما قاله عمر بن

(١) ... (٢) ...

[illegible] فبعث جده هرم بن سنان التي [illegible]
[illegible] نحو وقال عمر رضي
الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان أنشدني بعض ما قال فيكم زهير فأنشده فقال لقد كان
يقول فيكم فيحسن فقال [illegible] إنا كنا نعطيه فنجزل فقال عمر ذهب ما أعطيتموه
وبقي ما أعطاكم [illegible] خصلة أكثر من [illegible] الشعر وحط الهمة والإلحاف
حتى مقت وذل [illegible] سائل وعده المسؤول

لا [illegible] منكرات يعتدى

[illegible] أحسن [illegible] سقاته .. وأما أكثر من [illegible] على
[illegible] لأنه [illegible] الشعر وقد [illegible] عرض [illegible] في أيدي [illegible] لا يرى
قدر المروءة [illegible] قال عمر رضي الله عنه نعم ما تعلمته
العرب الأبيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته .. ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما
بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل [illegible] ذهوب الصبا وقد أسن وأقل
وكان [illegible] فقال لابنته [illegible] هذا الرجل ولي لأحد يستحي
[illegible] لا [illegible] الشعر فقالت هذه الأبيات

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
أشم الأنف أصيد عبشميا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال الهضاب كأن ركبا عليها من بني حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيراً نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم له معاد وظني يا ابن أروى أن تعودا

وعرضتها عليه فقال قد أحسنت لولا أنك استعدت كراهية في قولها
* فعد إن الكريم له معاد * ويروى لولا أنك سألت .. وقالوا كان الشاعر في مبتدأ
الأمر أرفع منزلة من الخطيب لحاجتهم إلى الشعر في تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية
العشيرة وتهيبهم عند شاعر غيرهم من القبائل فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على
نفسه وقبيلته فلما تكسبوا به وجعلوه طعمة وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة

فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فشت فيهم الضراعة وتطعموا أموال الناس وخشعوا واطمأنت بهم دار الذلة الا من وقر نفسه ووقارها وعرف لها مقدارها حتى قضى نقيّ العرض مصونَ الوجه مالم يكن به اضطرار يحلّ به ما يحرم فأما من وجد البلغةَ والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر •• فقد حكي عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكامته التي يقول فيها

فوجدتَ حين لقيت أيمن طائر ووليتَ حين وليت بالاصلاح
وعفوتَ عن كسر الجناح ولم يكن للطير ناهضةٌ بغير جناح
قومٌ اذا خلبَ الشتاء النهم سمح الشتاء هناك بالارباح

وأتاه راعي ابله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه رقا وعزم على الرحلة فقال سبحان الله أأفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني وصرف وجهه عن قصده فلم يفد عليه هذا على أنه ساقة الشعراء فأنت ترى كبر نفسه وبعد همته على أن عبد الله بنَ عمر على جلالته والحسن البصري وعكرمةَ ومالكَ بنَ أنس المدني وجلة من أهل العلم غير هؤلاء كانوا يقبلون صلات الملوك •• وقد سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مال السلطان فقال لحمُ ظبيٍ ذكي •• والشعراء في قبولها مالَ الملوك أعذرُ من المتورعين وأصحاب الفتيا لما جرتْ به العادة قبل الاسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده الى أيام المنصور الذي أنف ابنُ ميادةَ أن يفد عليه وهكذا يروى عن جميل ابن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط الا ذويه وقرابته وأنه صحب الوليدَ بنَ عبد الملك في سفر فكلمه أن يرجز به وظن أنه يمدحه فأنشأ يقول

انا جميل في السنام من معد في الذروة العلياء والركن الاشد

فقال له الوليد اركب لاحملت ••وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله في شعره

أبا مروانَ أنتَ فتى قريشٍ وكهلهم اذا عُدّ الكهولُ
توليه العشيرة ما عناها فلا ضيق الذراع ولا بخيل

كلا ومنه معروف طائق وكل بالائه حسن جميل

وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة مخزومي وكان تشبه به من المولدين العباس بن الأحنف وهمين ... على مدح صرفاً وقال فيه مصعب الزبيري العباس عمر العراق يريد أنه لأهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لأهل الحجاز استرسالا في الكلام وأنفة عن المدح والهجاء وشهر بذلك فلم يكن يكفه به أحد من الملوك ولا الوزراء وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التغزل ولطف المقصد في التشبيب بالنساء .. وهذا باب قد احتذاه ... في زمن هذا لا القليل وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم في كتاب غير هذا ... الله .. وعلى كل حال فإن الأخذ من الملوك كفعل النابغة ومن الرؤساء الجلة كما فعل زهير بسهل وحده .. وأما الحطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته وقد كانت الشعراء ترى الأخذ ممن دون الملوك عارا فضلا عن العامة وأطراف الناس .. قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ويفتخر عليه بأنه لا يقبل الصلة إلا من الملك الأعظم وحده هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضاً

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن مقسمةً من هؤلا وأولائكا
وما نلتَ حتى شبتَ إلا عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره

وما كان مالي من تراث ورثته ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثمِ
ولكن عطاء الله من كل رحلة إلى كل محجوب السرادق خضرم

قال صاحب الكتاب [1] والذي أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب إلى مروان بن أبي حفصة

من مبلغ مروان عني رسالة معلعلة لا تنثني عن لمائكا
حباني أمير المؤمنين بنفحة ثمانين ألفاً طأطأت من حذائكا
ثمانين ألفاً نلتُ من صلب ماله ولم تك قسما من أولى وأولائكا

(١) بن أبو علي

فأجابه مروان عن ذلك فقال

أسلمَ بن عمرو قد تعاطيت خطةً تقصر عنها بعد طول عنائكا
وإني لسباق إذا الخيل كلفت مدى مائة أو غايةً فوق ذلكا
فدع سابقاً ان عاودتك عجاجة سنابكه أو هين منك سنابكا
رأيتَ امرأً نال السها فحسدته فلم يبق الا أن يموت بدائكا
طلبتَ من المهدي شطر حبائه فقال لك المهدي لست هنالكا
فما أعولتْ أم على ابن ولا بكي على يوسف يعقوبُ مثلَ بكائكا
عضضت على كفيكَ حتى كأنما رزئت الذي أعطيت من صلب مالكا
حسبتُ بأوقار البغال وإنما سرابُ الضحى ماتدعى من حبائكا
وما نلتَ حتى شبتَ الا عطية تقوم بها مصرورة في ردائكا
وما عشتَ من قَسْم الملوك لشاعر به حص عمواً من أولى وأولائكا
وأقسم لولا ابن الربيع ورِفدُهُ لما ابتلَّت الدلو التي في رشائكا

ومن قول مروان أيضاً

ولقد حبيتُ بألف ألف لم تكن الاَّ بكف خليفة ووزير
مازلت آنف أن أؤلف مدحة الاَّ لصاحب منبر وسرير
ما ضرني حسدُ اللئام ولم يزل ذوالفضل يحسده ذوو التقصير

وقال آخر فيما يناسب هذا وينشد كله ويشد على يد من تمذهب به أو اعتقده

وإذا لم يكن من الذل بدٌّ فالق بالذل ان لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد .. فقال

وإني لنهَّاض اليدين الى العلا قروعٌ لأبواب الهمام المنوح

ويروى ـ وإني لسوار اليدين ـ أي مرتفع

باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبيدة محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات وغيره من العلماء أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره أي رقته وخفته وقيل لاختلافه وقيل بل سمي بذلك لقوله

لما توقل في الكراع هجينهم   هلهلت أثأر جابراً أو صنبلا

ويروى لما توعر في الكلاب هجينهم . قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عني بقوله هجينهم امرأ القيس بن حمام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث يقول

عوجا على الطلل المحيل لعلنا   نبكي الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح وقد كان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلا ويروى لابن [illegible] وهي لغة في زعم بعض اللغويين والذي كنت أعرف [illegible] وكذلك أعرف ابن خذام بالذال معجمة كما روى الجاحظ وغيره ويروى حذام بالخاء والذال معجمتين وكان مهلهل أول من قصد القصائد .. قال الفرزدق بن غالب

* ومهلهل الشعراء ذاك الأول *

وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر وجد عمرو بن كلثوم الشاعر أبو أمه .. ومنهم المرقشان والأكبر منهما عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد واسم الأكبر عوف بن سعد وعمرو بن قميئة ابن أخيه ويقال إنه أخوه واسم الأصغر عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا أعرف .. ومنهم سعد بن مالك الذي يقول

يا بؤسَ للحرب التي   وضعت أراهطَ فاستراحوا

ولا أدري هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر والمرقش الأكبر أم لا .. وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزةَ والمتلمس وهو خال طرفة واسمه جرير بن عبد المسيح والأعشى واسمه ميمون بن قيس بن جندل وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير

٠٠ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سُلمى وابنه كعب لانهم ينسبون في عبد الله بن غطفان واسم أبي سلمى ربيعة ٠٠ ولبيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار وقيل بل اسمه يزيد وجزء أخوهما وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه وهجي قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

تعلم رسولَ الله أنَّا كأنَّنا أفأنا بأنمار ثعالب ذي غسل

تعلم رسولَ الله لم أر مثلهم أجرَّ على الادنى وأحرم للفضل

ومنهم خداش بن زهير ٠٠ ثم استقر الشعر في تميم ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فاخملاه وبقي شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع ٠٠ وكان الاصمعي يقول أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راويه أوس وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت رضي الله عنه من اشعر الناس فقال أرجلا أم حياً قيل بل حياً قال أشعر الناس حياً هذيل قال ابن سلام الجمحي وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ٠٠ وحكي الجمحي قال أخبرني عمر بن معاذ المعمري قال في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زوراً وكان اسمَ الشاعر بالسريانية فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن اسحق فأعجب منه وقال قد بلغني ذلك ٠٠ وقال الاصمعي قال أبو عمرو بن العلاء أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الازد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد ٠٠ وقال أبو عمرو أيضاً أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس وقال أبو زيد أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعني عجز هوازن قال ولست أقول قالت العرب الا ما سمعت منهم والا لم أقل قالت العرب ٠٠ وأهل العالية أهل المدينة ومَن حولها ومَن يليها ودنى منها ولغتهم ليست بتلك عنده ٠٠وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت وفي المولدين بالحسن بن هانيء وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعبل وكلهم من اليمن وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين حبيب والبحتري ويحتمون

شعر أبي طالب وهو جاهلي شعر لا محالة وكان ينسب في كندة وهي رواية ضعيفة وفي كندة بكوفة فيهم حكي بن حي ولا وكان عمص النسب فيقولون في شعر كندة يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون أبا الطيب .. وزعم بعض الناس أنه جعفي وقوم منهم تصحف بن عباد يقولون بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة ختم بهم كما بدئ بهم يريدون مهلهلا وأبا فراس .. وأشعر أهل المدر باجماع من الناس واتفاق حسان بن ثابت ..وقال أبو عمرو بن العلاء ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وقال انما هو كلام نجوده كلاماً أشعرهم والعجاج ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول لو كان في مكانه غيره لكان أجود وذكر أنه صنع أرجوزته ـ قد جبر الدين الاله فجبر ـ وبها نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة قال ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها .. وقال أبو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فاخر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكى على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرجاز كامرئ القيس في الشعراء ..وقال غيره أول من طول الرجز الأغلب العجلي وهو قديم وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ولا أظن ذلك صحيحاً لانه انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك .. وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامرئ القيس وختم بابن هرمة ولم أر أنقد من الذي قال أشعر الناس من أنت في شعره .. وأنشد مروان بن أبي حفصة يوماً جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد هذا أشعر الناس فلما كثر ذلك عليه قال الناس أشعر الناس

باب في القدماء والمحدثين

كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله وكان أبو عمرو

ابن العلاء يقول لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين . . قال الاصمعي جلست اليه ثماني[1] حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي . . وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحدا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع . . هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة . . فأما ابن قتيبة فقال لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوماً دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عصره . . ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام علي رضي الله عنه لولا أن الكلام يعاد لنفد فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد وانما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط نأتي بها فيما بعد من الكتاب ان شاء الله . . وقول عنترة ـ هل غادر الشعراء من متردم ـ يدل على انه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ولا نازعه اياه متأخر . . وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام وكان اماماً في هذه الصناعة غير مدافع

يقولُ مَن تقرع اسماعَه كم تركَ الأولُ للآخر

فنقض قولهم ما ترك الأول للآخر شيئاً وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ماقرت حياضُك منه في العصور الذواهبِ
ولكنه صوبُ العقول اذا انجلت سحائبُ منه أعقبتْ بسحائب

وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناءً فأحكمه وأتقنه ثم اتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن . . وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن احمد النحوي وقد سئل عن ذي الرمة وأبي تمام

(١) ن عشر حجج

وأن يكون بقرب معناه من فهم سامعه.. وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر شعر المولدين وما روى من عذوبة ألفاظهم ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها وتوسط المتأخرين بين المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات فلذلك رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع ما هم فيه من الأدب في هذا العصر وما قرب منه وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام وأن الخواص في معرفتها كالعوام فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان.. وقال الشعر الحوشي بمنزلة المغني الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وإنما يحمل معلماً للمطربات من القينات يتوهمن بحذقه ويستمعن بحلوقهن دون حلقه فيسلمن من الخطأ في صنعتهن ويطربن بحسن أصواتهن.. وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع إلا أن أوله من قول أبي نواس

صفةُ الطلولِ بلاغةُ القِدْمِ ... فاجعلْ صفاتكَ لابنةِ الكرمِ
لا تُخدعنَّ عن التي جُعلت ... سقمَ الصحيحِ وصحةَ السقمِ
تصفُ الطلولَ على السماعِ بها ... أفذو العيانِ كأنتَ في الحكمِ
وإذا وصفتَ الشيءَ متبعاً ... لم تخلُ من غلطٍ ومن وَهَمِ

ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل لأبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم قال والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره ويرتفع عن المولد[1] المنتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة

(١) ـ مؤنث

الحسنة .. قال صاحب الكتاب وأنا أرجو ان أكون باختيار هذا الفصل واتيانه ههنا داخلا في جملة المميزين ان شاء الله فليس من أبي بلفظ محصور تعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي اخطه سائر في كل أرض معروف بكل مكان وليس الجزالة والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سفسافاً ولا بارداً غثاً كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا اعرابياً جافاً ولكن حال بين حالين .. ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى الا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم اذهو طبع من طباعهم فالمولد المحدث على هذا اذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب مع ما أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة

باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى علوا على سائر من كان في أزمانهم ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له وقل ما تجتمع على واحد الا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار يعني شعراء الجاهلية والمشركين .. قال دعبل ابن علي الخزاعي ولا يقود قوماً الا أميرهم .. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس ابن المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر .. قال عبد الكريم خسف لهم من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف وقوله افتقر أي فتح وهو من الفقير وهو فم القناة وقوله عن معان عور يعني أن امرأ القيس من اليمن وان اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل لهم معاني عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر .. قال وامرؤ القيس يماني النسب نزاري الدار والمنشأ وفضله علي رضي الله عنه بأن قال رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وانه لم يقل لرغبة ولا لرهبة .. وقد قال العلماء بالشعر ان امرأ القيس لم

معاني شعره لا يكاد ... يقوى ... يكاد يسبق في شعره وتحسين الشعراء ومعرفة
فيه لا ... قال ... وصف ... ومستوفي على الطول ووصف ... والمها
... ويصف ... وشبه ... ومعنى وفرق ... ومن ... من قصيد وقرب
... القصيد ... لاستعارة و ... وروى الجمحي أن سائلا
سأل الفرزدق من أشعر ... قال ذو الرمة ... يقول ... حين قول

وقوم ... ولا تنقيق ... كان العقاب

و ... قدمه قوله في وصف عقاب

ويممن ... هوى ... خوطة ... ولا كهد لدى في الأرض مطلوب

وهذا ... شعر ... العرب ... وسئل لبيد من أشعر الناس قال الملك الضليل
قيل ثم من قال ... ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعني نفسه ... وكان
الحذاق يقولون الفحول في الجاهلية ثلاثة وفي الاسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق
والنابغة والأخطل والأعشى وجرير ... وكان خلف الأحمر يقول الاعشى أجمعهم ..
وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره .. وكان أبو
الخطاب الاخفش يقدمه جدا لا يقدم عليه أحدا .. وحكي الاصمعي عن ابن أبي طرفة
كفاك من الشعراء أربعة زهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والاعشى إذا طرب وعنترة
إذا كلب وزاد قوم وجرير إذا غضب .. وقيل لكثير أو لنصيب من أشعر العرب
فقال امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا شرب
..وكان أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعرا وأعذبهم بحرا وأبعدهم
قعرا .. وسئل الفرزدق مرة من أشعر العرب فقال بشر بن أبي خازم قيل له بماذا
قال بقوله

ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نأيا واغترابا

ثم سئل جرير فقال بشر بن أبي خازم قيل بماذا قال بقوله

رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فشقي الجيب وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى ..وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم

بجمهرة أشعار العرب أن أبا عبيدة قال أصحاب السبع التي تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة ٠٠ قال وقال المفضل من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لاحد غير هؤلاء فقد أبطل ٠٠ ٠أسقط من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حِلّزة وأثبت الاعشى والنابغة ٠٠ وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته ٠٠ وقال الجمحي في كتابه سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً من أشعر الناس قال أعن الجاهلية تسألني أم الاسلام قال ما أردت الا الاسلام فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها قال زهير شاعرهم قال قلت فالاسلام قال الفرزدق نبعة الشعر في يده قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعني فاني نحرت الشعر نحراً ٠٠ وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والاخطل أوصفهم ٠٠ وأما الحطيئة فسئل عن أشعر الناس فقال أبو دؤاد حيث يقول

لاأعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن فقدَ مَن قد رزئته الاعدام

وهو وان كان فحلا قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة ٠٠ وسأله ابن عباس مرة أخرى فقال الذي يقول

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عرضه يَفِرْه ومن لايتقِ الشتمَ يُشْتَمِ

والذي يقول

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمه على شَعَثٍ أيُّ الرجال المهذب

بدونه ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين وأما الباقون فلا شك أني أشعرهم قال ابن عباس كذلك أنت يا أبا مليكة ٠٠ وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابغة وطرفة

.. بيتين .. قال وقال مفضل سُئل الفرزدق فقال امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير
النابغة أشعر الناس وقال الأخطل الأعشى أشعر الناس وقال ابن أحمد زهير أشعر الناس
وقال ذو الرمة لبيد أشعر الناس وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس وهذا يدلك
على اختلاف الأهواء وقلة الاتفاق .. وكان ابن أبي اسحق وهو عالم ناقد ومتقدم
مشهور يقول أشعر الجاهلية مرقش وأشعر الاسلاميين كثير وهذا غلو مفرط غير أنهم
مجمعون على أنه أول من أطال المدح .. وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل من
أشعر الناس فقال العبد العجلاني يعني تميم بن مقبل قال بم ذاك قال وجدته في بطحاء الشعر
والشعراء على الحرف قال أعرف ذلك له كرهاً .. وقيل لنصيب مرة من أشعر العرب
فقال أخو تميم يعني علقمة بن أبي عبدة وقيل أوس بن حجر وليس لأحد من الشعراء
بعد امرئ القيس ما لزهير والنابغة والأعشى في النفوس .. والذي أتت به الرواية عن يونس
بن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس وان أهل الكوفة كانوا
يقدمون الأعشى وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة وكان أهل
البادية لا يعدلون بالنابغة أحداً كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً .. وروي ابن
سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشدني
لأشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين قال زهير قلت ولم كان كذلك قال كان
لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل الا بما فيه ثم قال ابن سلام
على عقب هذا الكلام قال أهل النظر كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخف
وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح .. قال صاحب
الكتاب واذا قوبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف أعني ابن
سلام لأن عمر انما وصفه بالحذق في صناعته والصدق في منطقه لانه لا يحسن في
صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الامر الى النقص والازراء
كما أخذ ذلك علي أبي الطيب وغيره آنفاً وقد فسد الوقت ومات أرباب الصناعة فما
ظنك والدنيا ناس والزمان زمان وسيرد عليك في مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله
وقد استحسن عمر الصدق لذاته وما فيه من مكارم الاخلاق والمبالغة بخلاف ما وصف
ويشهد قول عمر رضي الله عنه في زهير أنه لا يمدح الرجل الا بما فيه استحساناً لصدقه

ما جاء به الاثر أن رجلا قال لزهير اني سمعتك تقول لهرم

ولأنت أشجعُ من أسامةَ اذ دعيت نزال ولج في الذّعر

وأنت لا تكذب في شعرك فكيف جعلته أشجع من الاسد فقال إني رأيته فتح مدينة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط .. فقد خرج لنفسه طريقاً الى الصدق وعدل عن المبالغة.. والذي أعرف انا أن البيت المتقدم ذكره لأوس بن حجر والحكاية عنه ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سألته امرأتهُ كيف قلت

فهناك مجزأة بن ثور كان أشجعَ من أسامه

وصدر بيت زهير بن أبي سلمى

ولنعم حشوُ الدرع أنتَ اذا دعيت نزال ولج في الذُّعر

الا أن تكون الاخرى رواية فلا أبعدها لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس في كثير من شعره وهي رواية الجمحي لا أظن غير ذلك فأما بيت زهير في هذا المعنى فهو

ولانت أشجعُ حين تتجه الـ ابطالُ من ليث أبي أجرِ

..وأما النابغة فقال من يحتج له كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ومدحاً وهجاء وفخراً وصفة .. وقال بعض متقدمي العلماء الاعشي أشعر الاربعة قيل له فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت وذلك انه ما من حامل لواء الاعلى رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والأعشى الأمير ..وقالت طائفة من المتعقبين الشعراء ثلاثة جاهلي واسلامي ومولد فالجاهلي امرو القيس والاسلامي ذو الرمة والمولد ابن المعتز .. وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر .. وطائفة أخرى تقول بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .. وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف وهذا قول من يؤثر الأنفة وسهولة الكلام والقدرة على الصنعة والتجويد في فن واحد ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس لكن أبا العتاهية تصرف .. وليس في المولدين أشهر اسماً من

[illegible] حبيب والبحتري ويقال لهم أحلاي [illegible] شعراء كلهم
[illegible] [illegible] الرومي وابن المعتز طبقتهم ابن المعتز حتى صار كالجنس
[illegible] [illegible] في تقدمه من هؤلاء الثلاثة لا يكاد يحاكيهم أحد من
[illegible] [illegible] يتبع الناس .. ولا تقم [illegible] قدمه وحدود وقوة
[illegible] كان عصر [illegible] البحتري شاعر مصر [illegible] وكلثوم العتابي وأبي يعقوب
[illegible] [illegible] الرومي وابن [illegible] هؤلاء كلهم طبقة في سن شهرهم وشعرهم [illegible]
[illegible] وليس بعصابي على حسن [illegible] [illegible] وغيره من [illegible] .. ومن
طبقة [illegible] [illegible] في [illegible] ودلامة وزيد بن [illegible] الأعرابي وقال [illegible] الماء
[illegible] [illegible] ومتحركه [illegible] [illegible] الجميري [illegible] الخاسر وأبو
[illegible] [illegible] بهم شرح [illegible] منه .. ومن طبقته أبي [illegible] الناس بن
الأحنف ومسلم بن الوليد صريع الغواني [illegible] الرقاشي وأبان اللاحقي وأبو الشيص
وحسين بن الضحاك الخليع ودعبل ونظراء هؤلاء سبقهم دعبل ليس فيهم نظير أبي
[illegible] وطبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي وطبقة متداركة قد تلاحقوا
[illegible] [illegible] حتى [illegible] معهم [illegible] من أدرك أبا نواس كان المعدل وهو من
[illegible] [illegible] وصدورهم المعدودين عمره حيث ذكراً وشهاراً وكان [illegible] أدرك
[illegible] وهو البحتري [illegible] وكذلك [illegible] يقول أبو نواس

أسقني [illegible] من سلاف الزرجون

[illegible] وهو شاعر [illegible] يذكر مع أبي تمام لا محالة وهو أقدم منه وقد كان أبو
تمام أخذ عنه [illegible] من شعره يحتذي عليها فسرقها ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً
على تقدمه في السن والشهرة ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز إلا من
ذكر [illegible] في مكانة [illegible] وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس
وحده ولولا مكانه من السلطان لأخره وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه بالسن
ثم سقط عنه على أن الصنوبري سمي حبيباً الأصغر لجودة شعره ولقيه مرة بالمصيصة
[illegible] فقال له مهراً [illegible] صاحب بغداد يريد قصيدته

شر [illegible] في بغداد على تلك الميادين

لما فيها من المجون والخلاعة فقال له الصنوبري أنت صاحب الطرطبة يريد قصيدته

ما أنصف القومُ ضبه وأمّه الطرطبه

لما فيها من اللين والركاكة ولكل كلام وجه وتأويل ومن النمس عذاً وجده وقيل بل قال له أنت صاحب حاحا قال نعم قال أنت شاعر بلدك يريد قوله في صفة الوعل

ذاكَ أمْ أعْصَمُ كأن مِدْرَاهُ حينَ عاجا على القذالين حاحا

باب المقلين من الشعراء والمعلَّبين

ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ونبهت على بعض المعلبين منهم لما تدعو اليه حاجة التأليف وتقتضيه عادة التصنيف غير مفرّط ولا مفرط ان شاء الله ٠٠ فمن المقلين في الشعر طرفة بن العبد وعَبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة الفحل وعدي ابن زيد ٠٠ وطرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة * لخولة اطلال ببرقة ثهمد * وله سواها يسير لانه قتل صغيراً حول العشرين فيما روي وأصح ما في ذلك قول اخته ترثيه

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما

فجعنا به لما رجونا ايابه على خير حالٍ لا وليداً ولا قحما

انشده المبرد — والقحم — المتناهي في السن ٠٠ وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في ايدي الناس على قدم ذكره وعظم شهرته وطول عمره ويقال انه عاش ثلاثمائة سنة وكذلك أبو دؤاد وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين قتلت بنو أسد أباه حجراً

وافلتهن علباءُ جريضا ولو أدركنه صفر الوطابُ

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره

فلو أدركت علباءَ بن قيس قنعت من الغنيمة بالاياب

لأن امرأ القيس قد كان قال

وقد صوّتت في لآوق حتى رصيت من الغيمة بالإياب

وقال عنيد معن بن منذر جد يوسف وقال عمرو بن هند ٠٠ وعلقمة بن عبدة حاكم من قيس في شعره في مرأة شكت عليه علقمة فطلقها وتزوجها علقمة فسمي الفحل بذلك وقيل بل كان في قومه آخر سمي علقمة الخصي من ربيعة الجوع ٠٠ ولعلقمة الفحل ثلاثة قصائد مشهورات أحدهن

* ذهبت من الهجران في كل مذهب *

ويروي ـ في غير مذهب ـ وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرئ القيس ٠٠ والثانية قوله

* طحى بك قلب في الحسان طروب *

والثالثة قوله * هل ما علمت وما استودعت مكتوم *

وأما عدي بن زيد فقرنه من ريف وسكنه الحيرة في حجر النعمان بن المنذر لانت بعضه فحمل عليه كثير ولا هو مقل ومشهوراته أربع قوله

* أروح مودع أم بكور *

وقوله * أتعرف رسم الدار من أم معبد *

وقوله * ليس شيء على المنون بباق *

وقوله لم أر مثل الفتيان في غبر الـأيام يدرون ماعواقبها

وقال بعض العلماء أحسبه أن عمرو عدي في الشعراء مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها قليلة في أيدي الناس ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها ٠٠ ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المري والمتلمس والمسيب بن علس كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة ٠٠ ويروى عن أبي عبيدة أنه قال اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة المتلمس والمسيب بن علس وحصين ابن الحمام المري وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي وهو الحكم الصواب ومنهم عنترة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم من أصحاب المعلقات المشهورات وعمرو ابن معدي كرب صاحب * أمن ريحانة الداعي السميع *

والاشعر بن حمران الجعفي صاحب المقصورة

* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى *

وسهيل بن أبى كاهل صاحب

* سطت رائعة الجبل لنا *

والاسود بن يعفر صاحب

* نام الخلىّ فما أحسّ رقادي *

وله شعر كثير الا أنه لا ينتهى الى قصيدته هذه .. وكان امرؤ القيس مقلا كثير المعانى والتصرف لا يصح له الا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ولا نرى شاعراً يكاد يفلت من حبائله وهذه زيادة فى فضله وتقدمه .. وأما المغلبون فمنهم نابغة بنى جعدة ومعنى المغلب الذى لا يزال مغلوباً .. قال امرؤ القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلّب

يعنى أنه اذا قدر لم يبق فاذا قالوا غلب فلان فهو الغالب .. وقد غلب على الجعدى أوس بن مغراء القريعى وغلبت عليه ليلى الأخيلية قال الجمحي وقد غلب عليه من لم يكن اليه فى الشعر ولا قريباً منه عقال بن خويلد العقيلى وكان مفحماً عليه بكلام لا بشعر وهجاه سوار بن أوفى القشيرى وهاجاه وفاخره الأخطل وله يقول عبيد بن حصين الراعى يتوعده

فانى زعيمٌ أن أقولَ قصيدةً مبينةً كالنقب بين المخارم

جميعةَ اعجازِ المطيّ ثقيلة على قرنها نزالةً بالمواسم

وقد علم الكافة ما صنع جرير بالاخطل والراعي جميعاً وقيل ان موت الجعدي كان بسبب ليلى الاخيلية فر من بين يديها فمات فى الطريق مسافراً والاصح انها هى التى ماتت فى طلبه .. قال الجمحي كان النابغة الجعدى أقدم من الذبياني لانه أدرك المنذر ابن محرق ويشهد بذلك قوله

تذكرتُ والذكرى تهيج على الفتى ومن عادةِ المحزونِ أن يتذكرا

ندامای عند المنذرِ بنِ محرِّق وأصبحَ منهم ظاهرُ الأرضِ مقفرا

والذبيانى إنما أدرك النعمان .. وقال غيره ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث بن أبى

شيء مسلي حس قتل سدا في سري بي سدفتعمه وإياه عني علقمة بن عبدة بقوله

وفي كل حي قدخبطت بنعمة فحق لشاس من ندك ذنوب

قال جحي وكان الجعدي مخسف الشعر سئل عنه الفرزدق فقال مثله مثل صاحب الخلقان

يري عنده ثوب عصب وثوب خز والى جنبه شملة كساء وكان الأصمعي يمدحه بهذا

ويسميه في قبة تشكعب فيقول عنده خمار بواف ومطرف بآلاف ـ بواف ـ يعني

بدرهم وثلث ٠٠ ومن المغلبين الزبرقان غلبه عمرو بن الأهتم وغلبه المخبل السعدي وغلبه

الحطيئة وقد جذب الاثنين ولم يجب الحطيئة ٠٠ وقال يونس بن حبيب كان البعيث

مغلباً في الشعر غلاباً في الخطب ٠٠ ومنهم تميم بن أبي مقبل هجاه النجاشي فقهره وغلب

عليه حتى استعدي قومه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن من اشكاله في الشعر

فيقرن به وهجي الحطيئي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأفحمه ٠٠ وحدثنا

أبو عبد الله محمد بن جعفر قال هجي الأعور بن براء بني كعب ومدح قومه بني كلاب

فأتت بنو كعب تميم بن أبي مقبل ينتصرون عليه به فقال لا أهجوهم ولكني أقول

فيروا فقد جاءكم الشعر وقال

ولست وإن شاحنت بعض عشيرتي لاذكر ما الكهل الكلابي ذاكر

وكم لي من أم لعبت بثديها كلابية عادت عليها الأواصر

فأتت الأعور بن براء بنو كعب فعفوه ورجعوا عليه فقال

ولست بشاتم كعباً ولكن على كعب وشاعرها السلام

ولست بشاتم قوماً بقوم هم الأنف المقدّم والسنام

وكان في المعاشر من قبيل أخوهم فوقهم وهم كرام

متساكا وكان سبب ذلك إعطاء ابن مقبل وإعطاؤه المقادة هرباً من الهجاء وقوم يرون ذلك

منه أنفة ٠٠ ومن مغلبي المولدين على جلالته وتقدمه بشار بن برد فإن حماد عجرد وليس

من رجاله ولا أكفائه هجاه فأنكاه ومثّل به أشد تمثيل ٠٠ وعلي بن الجهم هاجا أبا السمط

مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضاً على أن علياً أقذع

منه لساناً وأسبق الى ما يريده من ذلك وأقدم سناً ٠٠ ومنهم حبيب هاجا السراج وعتبة

فما أبى بشيء وهجاه ابن المعذّل حين أراد وجهته فقال أماهذا فقد كفي ناحيته ولم يقدم عليه على أن حبيباً أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر والذي قال له

أنتَ بين اثنتين تبرز للنا ... س لكلتيهما بوجه مذال

لستَ تنفكّ طالباً لوصال ... من حبيب أوراغباً في نوال

أيُّ ماء لحر وجهك يبقي ... بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

ورأيت في شعر ابن المعذل في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند بعض بني هاشم فكتب في رقعة هذه الابيات المذكورة وألقاها اليه وهاجى دعبلا فاستطال عليه دعبل أيضاً

باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الاكفاء

منهم الزبرقان بن بدر لما هجاه المخبل السعدي جاوبه بعتاب لانه رآه أهلا لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه فلما هجاه الحطيئة لم يره مكافئاً للجواب على أنه ابن عمه وجاره في النسب لانهما جميعاً من مضر بل استعدى عليه عمر رضي الله عنه فأنصفه .. وسُحيم بن وُثيل يقول للأُحوص والابيرد ابني المعذر وهما شاعران مفلقان وقال عبدالكريم الابيرد بن ابي الاحوص

عذرتُ البزلَ إن هي خاطرتني ... فما بالي وبال ابني لبون

فأنت ترى هذا الاحتقار .. ومثل هذا وان لم يكن من هذا الباب بحتاً قول الفرزدق لعمر بن لجأ لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر وفطن له جرير فدهش عمر ولم يجد جواباً فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عزمه

وما أنتَ إن قرما تميمٍ تساميا ... أخاالتيم الا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولي العزّ أوفي ظلاله ... ظلمتَ ولكن لايدئ لك بالظلم

والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجا فيه بيوت بني سعد

وأمثال قصيرة أذنوت هل شبهت ... شوط الحطيئة بين الكسر والصدد
ولكن في .. شعر وشبهه ... شعر منه فدال الشعر من صدد
... صفة من ... صرى ... سقت لي ... شق ... لله

... دق ... مره واستحقره

... مهجوي لارتفعه ... عيلت دونه القصب

...عيلت دونه القصب ... رفعت عنه القصبة من قولهم علت الفرنصة ... ارتفعت
و ... القصبة لانه تقتصب .. وجرير هجاه بشار بن برد باشعار كثيرة فلم يجبه
... لاعبه ولكن ليحسي ... كون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر
... .. وهجا حماد عجرد بشار ... لمحه ... و حتقاراً ... أن قال فيه

... وليست صغيرة ... الى الاير من تحت الثياب تشير
... أن الحمير تنيكه ... وأن جميع العالمين حمير

... وهجاه .. قال الجاحظ ماكان يبغي لبشار أن يصاد حماد عجرد من جهة الشعر
لان حماداً في الحضيض و بشاراً في العيوق وليس مولد قروي يعد شعره في المحدث
لا و بشار أشعر منه ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس .. وهجا ابن الرومي
البحتري و ... الرومي من علمت وأهدى اليه تحت متاع وكيس دراهم وكتب اليه
يبريه ... هدية ليست تقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا الفقر
والحسد المفرط

... لا أهابه ... حتى كلابه ... أن من لا أعره ... لعرير حوابه

وأبو تمام هجاه دعبل وغيره من الاكفاء فجاوبهم وابتدأ بعضهم ولم يلتفت الى مخلد
بن بكار الموصلي حين قال فيه وكانت في حيث حبسة شديدة اذا تكلم

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها

أنظر اليه والى حشوه ... كيف تطايا وهو منشور

ويحك من دلاّك في نسبة قلبك منها الدهرَ مذعورُ
ان ذكرت طاءٌ على فرسخ أظلم في ناظرك النور

بل رآه دون المهاجاة والجواب ولو هجاه لشرفت حاله وانبه ذكره ٠٠ وكذلك فعل المتنبي حين بلي بمحاقات ابن حجاج البغدادي سكت عنه اطراحاً واحتقاراً ولو أجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر لانه ليس من أنداده ولا من طبقته ٠٠ ولما وصل أبو القاسم بن هانئ الى افريقية هجاه الشعراء فقال لا أجيب منهم أحداً الا ان يهجوني عليّ التونسي فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال أما اني لو كنت ألأم الناس ماهجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفءاً له ٠٠ ومن الشعراء من يترفع بالكبر ويظهر الانفة في الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه خوفاً من الزراية على نفسه بما وقع فيه كجماعة أعرفهم من أهل عصرنا وهم يتسرعون الى أعراض السوقة والباعة ويستفحلون على الصبيان ومَنْ ليس من أهل الصناعة ولو كانت لهم أنفة كما يزعمون الا عن الاكفاء لكانوا عمن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يعدُّ في الخاصة أشد تنزها ومنهم من لا يهجو كفءاً ولا غيره لما في الهجو من سوء الأثر وقبح السمعة كالذي يحكي عن العجاج أنه قيل له لم لا تهجو فقال ولم أهجو ان لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظلَمَ وأحلاماً تمنعنا من أن نَظلمَ وهل رأيتم بانياً لايحسن أن يهدم ثم قال أتعلمون اني أحسن أن أمدح قالوا نعم قال أفلا أُحسن أن أجعل مكان أصلحك الله قبحك الله ومكان حياك الله أخزاك الله وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن الهجاءَ أيضاً بناء وليس كل بان لضرب بانياً لغيره ٠٠ ورده الجاحظ أن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وان أجاد فيما غيره كما يوجد ذلك في كل صناعة ٠٠ ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد وان اختلف اللفظان والصواب ما قالا الا أن يعرف من الشاعر أنف عن قدرة لا تُدفع وبعد تجربة لا تُستراب فحينئذ ٠٠ وسئل نُصيب عن مثل ذلك فقال انما الناس أحد ثلاثة رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء ورجل سألته فحرمني فأنا بالهجاء أولي منه وهذا كلام عاقل منصف لو أخذ به الشعراءُ أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس ٠٠ وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب وهو أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم لم يهج أحداً قط ٠٠ ومن أناشيده في

كثيرة مشهورة مذكورة من شعره

فليت بني تغرى لهن منزل على ردهم أبكي وأبكي البواكيا

... كرم موسرون أتيتهم فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا

و... كرم معسرون عذرتهم وإن لم يكن عندهم ما كفانيا

... من كلام نصيب في المنثور الذي تقدم و... ذكرت هؤلاء لانهم يمدحون ولا ... يهجون ... من لا يمدح وأحرى أن لا يهجو أحداً على أن منهم من لم يقل قط لا هجوا ولا تشبيها كيحيى بن نوفل ذكره دعبل في طبقاته ويحدث له من أهل عصرنا طائفة عدة

باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع جاهلي قديم ومخضرم وهو الذى أدرك الجاهلية والاسلام واسلامي ومحدث ثم صار المحدثون طبقات أولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط في وقتنا هذا فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي وبين الاسلامي والمخضرم وان المحدث الاول فضلا عمن دونه دونهم في المنزلة على أنه أغمض مسلكا وأرق حاشية فاذا رأى أنه ساقة الساقة تحفظ على نفسه وعلم من أين يؤتي ولم تغرره حلاوة لفظه ولا رشاقة معناه ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة وسبق الى كل طلاوة ولباقة •• قال أبو الحسن الأخفش يقال ماء خضرم اذا تناهى في الكثرة والسعة فمنه سمي الرجل الذى شهد الجاهلية والاسلام مخضرماً كأنه استوفى الأمرين قال ويقال أذن مخضرمة اذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية الى الاسلام •• وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه قال أسلم قوم في الجاهلية على ابل قطعوا آذانها فسمي كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرماً وزعم أنه لا يكون مخضرماً حتى يكون اسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يسلم وهذا عندي خطأ لأن النابغة الجعدي ولبيداً قد وقع

عليهما هذا الاسم ٠٠ وأما علي بن الحسين كُرَاعٌ فقد حكى شاعر مخضرم بخاء غير معجمة مأخوذ من الخضرمة وهي الخلط لأنه خلط الجاهلية بالاسلام ٠٠ وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله

الشعراءُ فاعلمنَّ أربعه   وشاعرٌ لا يُرتجى لمنفعه

وشاعرٌ ينشد وَسط المجمعه   وشاعر آخر لا يجرى معه

وشاعرٌ يقــالُ خمرٌ في دعه

وهكذا رويتها عن أبي محمد عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله وبعض الناس يرويها علي خلاف هذا وقد قيل لا يزال المرء مستوراً وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً لأن شعره برهان علمه وتأليفه عنوان عقله ٠٠ وقال الجاحظ من صنع شعراً أو وضع كتابا فقد استهدف فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف ٠٠ قال حسان وما أدرك شاهو

وانَّ أشعرَ بيتٍ أنت قائله   بيتٌ يقال اذا أنشدته صدقا

وانما الشعرُ لب المرء يَعرِضه   على المجالس ان كَيساً وإن حمقا

٠٠ وقال محمد بن منادر وكان اماماً

لا تقلْ شعراً ولا تَهمُمْ به   واذا ما قلتَ شعراً فأجِد

٠٠ وقال شيطان الشعراء دعبل بن علي

سأقضي ببيتٍ يَحمدُ الناسُ أمره   ويَكثُرُ من أهل الرّوايات حامِلهْ

يموتُ رديءُ الشعر من قبل أهله   وجيــده يبقي وان مات قائله

وقالوا الشعراء أربعة شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيـد من شعر غيره وسئل رؤبة عن الفحولة قال هم الرواة ٠٠ وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له الا أنه مجوّد كالخنذيذ في شعره ٠٠ وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة ٠٠ وشُعرُورٌ وهو لا شيء ٠٠ قال بعض الشعراء لآخر هجاه

يارابع الشعراء كيف هجوتني   وزعمتَ أني مُفحَمٌ لا أنطقُ

وقيل بل هم شاعر مفلق وشاعر مطلق وشويعر وشعرور والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية . . قال الأصمعي والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر وهو الذي يقول

فبت بأرضي وأدركت ثؤرتي ... إذا ما تناسى ذحله كل عيهب

وهو عند بعض أصحاب الأثر يروى بعضهم معجمة وبعضهم غير معجمة . . قال الجاحظ والشويعر أيضاً صفة عبد بن ليث من بني سعد بن ليث وقيل اسمه ربيعة بن عثمان وهو القائل

وأفلت أبو ليلى طفيل ... صحيح جاهر من أثر السلاح

وقال بعضهم شاعر وشويعر وشعرور . . وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة ثم من بني حميس

ألا تنهى سراة بني حميس ... شويعرها فويلية الأفاعي

سماه شويعراً وجعله فويلية الأفاعي والفويلية دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضاً تحقيراً له . . وزعم الحاتمي أن النابغة سئل من أشعر الناس فقال من استجيد جيده وأضحك رديه وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة لأنه إذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء الا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة . . وقال الحطيئة

الشعر صعب وطويل سلّمه ... والشعر لا يستطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه ... زلت به الى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر له غيره فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى الى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له الا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير

وأتى رجل آخر فقال له إن الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماص بظر امه فأيهم أنت قال أما أنا فشويعر وخصمي أنت وامرأ القيس في الباقي . . وقال بعضهم الشعر شعران جيد

محكاك ورديء مضحك ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور

عدمتك يا بن أبي الطاهر ... وأطعمت ثكلك من شاعر

فما أنت سخن ولا بارد ... وما بين ذين سوى الفاتر

وأنت كذاك تعنتى النفو ... س عن غثية الفاتر الحائر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكي عنه الخاسي من الرديء المضحك الى هذا النحو .. وقيل عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر ويقال ان الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات وكيف وان قاربوهم أو كانوا منهم بسبب .. وقد كان أبو عمرو ابن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الاحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها واجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى انه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته .. وحكى ان رجلا قال لخلف الاحمر ما أبالي اذا سمعت شعراً استحسنه ما قلت أنت وأصحابك فيه فقال له اذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي انه رديء هل ينفعك استحسانك إياه .. وقيل للمفضل الضبي لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي به هو الذي يمنعني من قوله .. وأنشد

وقد يقرض الشعرَ البكي لسانه ... وتعيي القوافي المرء وهو لبيب

والشعر مزلة العقول وذلك ان أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً وانما ذلك لسروره به واكباره إياه وهذه زيادة في فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه من كل نفس .. وقال الاصمعي على تقدمه في الرواية وتمييزه بالشعر

أبى الشعر الا أن يفيء رديه ... علي ويأبى منه ما كان محكما

فياليتني اذ لم أجد حوكه وشيه ... ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وقال عبد الكريم الشعر أصناف فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بخير وما أشبه ذلك . وشعر هو ظرف كله وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب . وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر الى أعراض الناس . وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتي اليه من جهة فهمه . وذكر الجمحي في الشعراء المقحم والسيىء قال . والمقحم الذي يقتحم سنا فى أخرى وليس بقارب ولا مستحكم وأنشد لأوس بن حجر

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً ... من الشعراء كل عوذ ومقحم

قال والسيء وهو الحرو أنشد لأوس بن معن

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا الى الناس وقفوا

قال غيره الثنيان الذي يلي الرئيس بل هو دونه وأنشدوا لنابغة بني ذبيان يخاطب يزيد بن الصعق

يصد الشاعر الثنيان عنى ... صدود البكر عن قرم هجان

قال الجمحي وللشعر صنعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات فمنها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يرد كل صنف منها الى بلده الذي خرج منه وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيدة النهود ظريفة اللسان واردة الشعر فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ولكن لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر جيد الحافر فتي السن نقي العيون فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها وتكون أخرى بمائتي

ديار وأكثر تكون هذه صفتها ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه لمديد الحلق حسن الصوت طويل النفس مصيب اللحن ويوصف الآخر والآخر بهذه الصفة وبينهما بون بعيد تعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاستماع بلا صفة ينتهي اليها ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارسة للشيء لُتعين على العلم به وكذلك الشعر تعرفه أهل العلم به وسمعت بعض الحذاق يقول ليس للجودة في الشعر صفة انما هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه وهذا راجع الى قول الجمحي بل هو نفسه وانما فيه فضل الاختصار

باب حد الشعر وبنيته

البنيةُ من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر لعدم الصنعة والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم نطلق عليه أنه شعر والمتزن ماعرض على الوزن فقبله فكأن الفعل صار له وبهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة هذا هو الصحيح وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لافاعل لهما نحو شويت اللحم فهو منشو ومشتو وبنيت الحائط فهو منبن ووزنت الدينار فهو متزن وهذا محال لا يصح مثله في العقول وهو يؤدي الى مالاحاجة لنا به ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك الا المجاز والاتساع والا فليس هذا مما نغلط فيه مَن رق ذهنه وصفا خاطره وانما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على مَن زعم أن المتزن غير داخل في الوزن واذا لم تعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن وكيف يقع عليه هذا الاسم ٠٠وقال بعض العلماء بهذا الشأن بني الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء٠ وقالوا قواعد الشعر أربع الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب

وجعة .. وقد ... رد ... ـ ... ذكر مجري عده عرض الشعر خمسة النسب

... ... والمدح ... والهجو والوصف ... سه ولا ... رة في ... الوصف وقال

... ... الرمة ... شبهة نقول شعر لنوم فقال والله ما طرب ولا أغضب

ولا ... ولا ... وما يجيء الشعر عند هذين .. قال أبو علي البصير

مدحت الامير فتح ... عرفة وهل ... د قائل وهو راغب

ففي ... الشعر وهي كثيرة وما ... آثاره والمناقب

... عيه الامير ... .. وقال عبد الكريم يجمع صنوف الشعر أربعة المديح

... الحكمة و ... من كل صنف من ذلك فنون فيكون في المديح المراثي

والافتخار والشكر ... يكون من الهجاء الذم والعتب والاستبطاء ومن الحكمة الامثال

والتزهيد والمواعظ ويكون من اللهو الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور .. وقال قوم

الشعر كله نوعان مدح وهجاء فالى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما تعلق بذلك

من محمود الوصف كصفات الطلول والآثار والتشبيهات الحسان وكذلك تحسين الاخلاق

كالامثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والقناعة والهجاء ضد ذلك كله غير أن

العتاب حال بين حالين فهو طرف لكل واحد منها وكذلك الاغراء ليس بمدح ولا

هجاء لانك لا تغري ... فتقول انه حقير ولا ذليل لان كان عليك وعلى المغرى

... ولا تقصد نصاً بمدحه الشيء عليه فيكون ذلك على وجهه والبيت من الشعر كالبيت

من الابنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى ولا

خير في بيت غير مسكون وصارت الاعاريض والقوافي كالموازين والامثلة للابنية

أو كالاواخي والاوتاد للاخبية فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فانما هو زينة مستأنفة

ولو لم تكن لاستغني عنها .. قال القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب

الوساطة الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة

مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز

وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان وقال ولست أفضل في هذه القضية بين

القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابي والمولد الا أني أرى حاجة المحدث الى

الرواية أمس وأحدهُ الى كثرة الحفظ أفقر واذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذي لا يمكنه تناول ألفاظ العربي الاّ رِوايةً ولا طريق الى الرواية الاّ السمع وملاك السمع الحفظ .. قال دِعبل في كتابه مَن أراد المديح فبالرغبة ومن أراد الهجاء فبالبغضاء ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء فقسّم الشعر كما ترى هذه الاقسام الأربعة وكان الرثاء عنده من باب المدح على ماقدمت الاّ أنه جعل العتاب بدلا منه وقال غير واحد من العلماء الشعر ما شمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وماسوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي قلت لاعرابي من أشعر الناس قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا تكلم أسمع واذا مدح رفع واذا هجا وضع ..وسُئل بعض أهل الأدب مَن أشعر الناس فقال من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وَصمة وخلاف للشهوة وهذا قول أبي الطيب أولا

واسمعُ من ألفاظه اللغةَ التي يلذّ بها سمعي ولوضُمّنتْ شتمي

أخذه من قول أبي تمام

فان أنا لم يمدحكَ عني صاغراً عدوُّك فاعلم انني غير حامد

واتبعه البحتري في ذلك فقال

ليواصلنك ركب شعري سائراً يرويه فيك لحسنه الاعداءُ

وقال عبد الصمد بن المعذَّل الشعر كله في ثلاث لفظات وليس كل انسان يحسن بألفها فاذا مدحت قلت أنت واذا هجوت قلت لست واذا رثيت قلت كنتَ .وقال بعض النقاد أصعب الشعر الرثاء لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .. قال ابن قتيبة قال احمد بن يوسف الكاتب لابي يعقوب الخريمي أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكه أشعر منك في مراثيك له فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن نعمل اليوم على الوفاء .

قال صاحب الكتاب ومن هذا المنثور والله أعلم سرق النصيبي بيته المتقدم في الفتح بن خاقان

وقيل لبعضهم ما أحسنُ الشعرِ فقال ما أعطى القياد وبلغ المراد وقال أبو عبد الله

و ... في حيز شعره فيه العامة ورصيفه الخاصة • وسمعت بعض الشيوخ يقول قل حد ... وكانت ... في التصويل ما سبق اليه أبو نواس والبحترى • وقال بعض ... من المتقدمين أشعر ... من تخلص في مدح امرأة ورثاها • • وقال ابن المعتز ... أحسن الشعر قال منه لحدة عن القلب شيء

⁕

باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ... المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة فى السمع كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء فى رأي العين الا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانا لا نجد روحاً فى غير جسم البتة ثم الناس فيما بعد ... ومذهب منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده وهم فرق قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو قطرتْ دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبرٍ صلى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى الا القليلَ النادرَ كأبى القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه فانه يقولُ أولَ مدحته

أصاخت فقالت وقعُ أجرد شيظمٍ وشامت فقالت لمعُ أبيضَ مخذم

وما ذعرت الألحَ رس جاءها ولا رمقت الأ رىً في مخدم

وليس تحت هذا كله الا الفساد وخلاف المراد ما الذي يعدونا أن تكون هذه المنسوب بها لبست حليها فتوهمته بعد الاضاحة والرمق وقع فرس أو لمع سيف غير انها معروفة في دارها أو جاهلة بما حملته من زينتها ولم يخف عنا مراده انها كانت تفرقه فما هذا كله ٠٠ وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة فاذا أخذ في الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلى سجيته أشبه الناس ودخل في جملة الفضلاء واذا تكلف الفخامة وسلك طريق الصنعة أضر بنفسه وأتعب سامع شعره ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الاحايين أشياء جيدة كقوله في المطبوع يصف شجعاناً

لا يأكل السرحان شلو عقيرهم مما عليه من القنى المتكسر

ـ العقير ـ ههنا منهم أي لم يمت لشجاعته حتى تحطّم عليه من الرماح ما لا يصل معه الذئب اليه كثرة ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان البيت هجواً لانه كان يصفهم بالضعف والتكاثر على واحد ٠٠ وقوله في المصنوع

وجيلم ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الاخضر

فهذا كله جيد بديع وقد زاد فيه على قول البحتري

حملت حمائله القديمة بقلةً من عهد عاد غضة لم تذبل

ويروى ـ من عهد تبع ـ ومنهم من ذهب الى سهولة اللفظ فعني بها واغتُفر له فيها الركاكة واللين المفرط كابي العتاهية وعباس بن الاحنف ومن تابعهما وهم يرون الغاية قول أبي العتاهية

يا اخوتي ان الهوي قاتلي فيسروا الاكفان من عاجل

ولا تلوموا في اتباع الهوى فانني في شغل شاغل

عيني على عتبة منهلّة بدمعها المنسكب السائل

يامن رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل

بسطت كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على السائل

ـ ـه ـــوه فقـوو ـه قـولا جمـلا ادن امائل

وكم عد شي عسرة مـــه ثمــوه لي قـــل

وقد رأيت أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحاك جميعاً اجتمعوا يوما فقال أبو نواس لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسلموا له وقالوا من لا ينشد بعده وقالوا له أمع سهولة هذه الألفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئاً وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يعصيه غيره .. ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون فأما المصنوعون فسيرد ذكرهم إن شاء الله تعالى .. وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى سمعت بعض الحذاق يقول قال العلماء اللفظ أعلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الإقدام بالأسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر .. وقال بعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى الصورة واللفظ الكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها .. وقال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتأليفه الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل وإنما حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه الجاحظ .. ومن كلام عبد الكريم قال بعض الحذاق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته .. ومنه قول العباس بن الحسن العلوي في صفة بليغ معانيه قوالب لألفاظه هكذا حكى عبد الكريم وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ثم حكى في موضع آخر فقال ألفاظه قوالب لمعانيه وقوافيه معدة لمبانيه والسجع يشهد بهذه الرواية لا الأخرى وهي التي أعرف .. والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه

الأواني ويعمل به الفأس والآجر وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به اللوالك وتصلح عليه الأخفاف ويكون مثالاً كالذي تحذى عليه النعال وتفصل عليه القلانس فلهذا تحمل الثقاف أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة .. وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها كما ان الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها الى سواه الا أن يريد شاعر أن يتطرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة كما فعل الأعشى قديماً وأبو نواس حديثاً فلا بأس بذلك والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكئاً واستراحة وانما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه .. ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي قال المليح من نحوك الكلام على حسب الأماني وتخط الالفاظ على قدود المعاني .. وقال غيره الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار .. وقال أبو عبادة البحتري

وكأنها والسمع معقود بها وجه الحبيب بدا لعين محبه

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو الاصل الذي وضع أولا وعليه المدار والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفا من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدّوا من

فحصل صنعة حسنة حسن سبقه كلامه نصه على نص في قوله

ولا وأبيك ما ظلمت قريع   بأن يبنوا المكارم حيث شاؤوا

ولا وأبيك ما ظلمت قريع   ولا برموا بذاك ولا أساؤوا

بعثرة جارهم أن ينعشوها   فيغبر بعدها نعم وشاء

فيبني مجدها ويقيم فيها   ويمشي إن أريد به المشاء

وإن الجار مثل الضيف يغدو   لوجهته وإن طال الثواء

وإني قد علقت بحبل قوم   أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب في صفة حمر الوحش والصائد

فوردن والعيوق مقعد رابئ الـ   ـضرباء خلف النجم لا يتتلع

فشرعن في حجرات عذب بارد   حصب البطاح تغيب فيه الأكرع

فشربن ثم سمعن حساً دونه   شرف الحجاب وريب قرع يقرع

فنكرنه فنفرن وامترست له   هوجاء هادية وهاد جرشع

فرمى فأنفذ من نحوص عائط   سهماً فخر وريشه متصمع

فبدا له أقراب هاد رائغاً   عنه فعيّث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعدياً مطحراً   بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

فأبدهن حتوفهن فهارب   بذمائه أو بارك متجعجع

فأنت ترى هذا النسق كيف اطرد له ولم يتحلل عقده ولا اختل بناؤه ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لم تتمكن له هذا التمكن واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره فأما إذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وإيثار الكلفة وليس يتجه البتة أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد كالذي يأتي من أشعار حبيب والبحتري وغيرهما وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها . . فأما حبيب

فذهب الي حزونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرهاً يأتي للاشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة .. وأما البحتري فكان أملح صنعة وأحسن مذهباً في الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة .. وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز فان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر وهو عندي ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافي وأوزاناً ولا أرى وراءه غاية لطالبها في هذا الباب غير انا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمتبعهما ولأنهما طرّقا الى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلة وأكثرا منها في أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس وجسرهم عليها علي أن مسلما أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً وهو أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وكثر منها .. ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع إلا النبذ اليسيرة وهو زهير المولدين كان يبطئ في صنعته ويجيدها .. وقالوا أول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هرمة وهو ساقة العرب وآخر من يستشهد بشعره .. ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء حبيب الطائي والوليد البحتري وعبد الله بن المعتز فانتهى علم البديع والصنعة اليه وخُتم به .. وشبه قوم أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة وحسن الديباجة والمعرفة بمدح الملوك .. وأما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ومن كلامهم بشار أبو المحدثين .. وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول انما سمي الأعشى صناجة العرب لأنه أول من ذكر الصنجَ في شعره .. قال ويقال بل سمي صناجة لقوة طبعه وحلية شعره يُخيل لك اذا أنشدته أن آخر ينشد معك .. ومثله من المولدين بشار بن برد تجد أقصر شعره عروضاً وأليه كلاماً فتجد له في نفسك هزّة وحلاوة من قوة الطبع وقد أشبهه تصرفاً وصرناً في الشعر وكثرة عروض مدحاً وهجاء وافتخاراً وتطويلا .. انقضى كلام أبي عبد الله ورجعنا الى القول في الطبع والتصنيع .. ولسنا ندفع أن البيت اذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه

كلمة ولا ... كل الصور ... لا ... وكثيراً لم يجر
... يكن ... في ذلك ... وسبيل الحذق بهذه الصناعة
... لا يسعه ... وقيل إذا كان الشاعر
... وقد كان الطبع
... قريب كالبحتري ... كله ..
وقد ... في بعض ... بن أبي حكيم الشعر ... عليه
قوله في ... من قصيدة ... بن صقر

تشبيهه سود ... وحور ... ومن صنع

... قول ... بحر ... وعصب ...

... ... بالحروف وحروف النقص ونحوهما
تشرف في اللفظ من الحروف لا جرم لأن ... عنده كل ... المعنى ولا يبالي باللفظ
حتى ... المعنى ... لأبي ... ابن الرومي ... وغيره مما
... به ورجوع ... غير ... أقول ولست راداً عليه ولا
معترضاً بين يديه أن المعنى الذي ... من جهة ... هو معنى الصنعة
كالتطبيق والتجنيس وما أشبههما لا معنى الكلام الذي هو روحه وأن اللفظ الذي
ذكر أنه لا يبالي به ... هو فصيح الكلام ومستعمله ويدلك على صحة ما ادعيته على
ابن الرومي قوله ... الحروف ... ونقص تشرف في اللفظ من الحروف لا جرم
فكلامه ... غير ... وإن كان في الظاهر على خلافه لساغ
ذلك لأن أكثر الناس على ... قال ... هذا معرض للكلام لا محالة .. وقال الجاحظ
كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا ساقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً
إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرابياً فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من
الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي قال وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه فقال والله
ما هو بغريب ولكنكم في الأدب غرباء .. وعن غيره أن رجلاً قال لأعرابي في مجلس
... تكلمه ... إلا ... من السعر ... فقال له وأنت لم لا تفهم

من الشعر مايقال فصحه .. و روي أن هذه الحكاية كانت مع أبي العميل وصاحب له خاطباه فأجابهما وقال بعض من نظر بين أبي تمام وأبي الطيب انما حبيب كالقاضي العدل يضع اللفظة موضعها و يعطي المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى في كلامه و يتحرج خوفاً على دينه وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجرئ يهجم على ما يريده لا يبالي ما لقي ولا حيث وقع .. وكان الاصمعي يقول زهير والنابغة من عبيد الشعر يريد أنهما يتكلفان اصلاحه و يشغلان به حواسهما وخواطرهما ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي .. وقد قيل ان زهيراً روى له وكان يسمي محبراً الحسن شعره ومنهم الحطيئة والنمر بن تولب وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيس .. وكان بعض الحذاق بالكلام يقول قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه وهذا هو معنى قول الاصمعي وسأحلي هذا الباب من كلام السيد أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة واختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة لاوفى بذلك بعض ما ضمنت وأقضي به حق ماشرطت ان شاء الله فمن ذلك قوله يتاهرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق الى أهله

ولي كبدٌ مكلومةٌ من فراقكم أطامنها صبراً على ما أجنّتِ
يمتّكم شوقاً اليكم وصبوةً عسى الله أن يدني لها ما تمنّتِ
وعين جفاها النوم واعتادها البكا اذا عنّ ذكرٌ القيروان استهلّت

فلو أن اعرابياً تذكر نجداً يحن به الى الوطن أو يتشوق فيه الى بعض السكن ماحسنته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر وما أحظ بهذا التمييز في هواي ولا أتملّقُ بهذا القول عند مولاي ولا الخديعة مما نظن به ولا نيه ولكن رأيت وجه الحق فعرفته والحق لا يتلثم وما هو في بلاغته وإبحاره الا كما قال الأحمر السعدي في وصيته

من القولِ مايكفي المصيبَ قليلهُ ومنه الذي لايكتفي الدهرَ قائله
يصد عن المعنى فيترك ما يحى ويذهبُ في التقصير منه يطاوله
فلا تك مكثاراً تريدُ على الذي عنيتَ به في خطب أمرٍ تزاوله

باب في الأوزان

الوزن أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة إلا أن تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن وقد لا يكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان وأسمائها وعللها لنبو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره والضعيف الطبع محتاج الي معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن .. وللناس في ذلك كتب مشهورة وتواليف معروفة وبينهم فيه خلاف وليس كتابي هذا مما يحتمل شرح ذلك ولا هو من شرطه لما فيه من التكرار والتطويل ولكني ذاكر منه صدراً مما يحتاج اليه ويكتفي به من نظر من المتعلمين في هذا الكتاب إن شاء الله .. فأول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد فوضع فيها كتاباً سماه العروض استحقاقاً والعروض آخر جزء من القسم الأول من البيت وهي مؤنثة وتجمع الا أن يكون لهذا الجنس من العلم والضرب آخر جزء من البيت من أي وزن كان .. ثم ألف الناس بعده واختلفوا في مقادير استنباطهم حتى وصل الأمر الى أبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري فبين الأشياء وأوضحها في اختصار والى مذهبه يذهب حذاق أهل الوقت وأرباب الصنعة فأول ما خالف فيه أن جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية منها اثنان خماسيان وهما فعولن وفاعلن وستة سباعية وهي مفاعيلن وفاعلاتن ومستفعلن ومفاعلتن ومتفاعلن ومفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على أنه منقول من مستفعلن مفروق الوتد أي مقدم النون على اللام لانه زعم لو كان جزءاً صحيحاً لتركب من مفرده بحر كما تركب من سائر الاجزاء يريد أنه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا تكرر في قسم منه وعد الخليل أجناس الاوزان فجعلها خمسة عشر جنساً على أنه لم يذكر المتدارك وهي عنده الطويل والمديد والبسيط في دائرة ثم الوافر والكامل في دائرة ثم الهزج والرجز والرمل في دائرة ثم السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث في دائرة ثم المتقارب وحده في دائرة .. وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر يحكي عن

الخليل شيئاً أحدثه اختصاراً وتقليداً لانه أول من وضع علم العروض وفتحه للناس وغادر ما سوى ذلك من قول ابى اسحاق الزجاج وغيره لاعلى أن فيه تقصيراً ٠٠ ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبى حاتم عن الاخفش قال سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لم سميت الطويل طويلا قال لانه طال بتمام أجزائه قلت فالبسيط قال لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن قلت فالمديد قال لتمدد سباعيه حول خماسيه قلت فالوافر قال لوفور أجزائه وتداً بوتدٍ قلت فالكامل قال لان فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر قلت فالهزج قال لانه يضطرب شبه هزج الصوت قلت فالرجز قال لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام قلت فالرمل قال لانه شُبه برمل الحصير لضم بعضه الى بعض قلت فالسريع قال لانه يسرع على اللسان قلت فالمنسرح قال لانسراحه وسهولته قلت فالخفيف قال لانه أخف السباعيات قلت فالمقتضب قال لانه اقتُضب من السريع قلت فالمضارع قال لانه ضارع المقتضب قلت فالمجتث قال لانه اجتُثَّ أي قطع من طويل دائرته قلت فالمتقارب قال لتقارب أجزائه لانها خماسية كلها تشبه بعضها بعضاً ٠٠ وجعل الجوهرى هذه الاجناس اثنى عشر باباً على أن فيها المتدارك سبعةٌ منها مفردات وخمسةٌ مركبات قال فأولها المتقارب ثم الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة ٠٠ وزعم أن الخليل انما أراد بكثرة الالقاب الشرح والتقريب قال والا فالسريع هو من البسيط والمنسرح والمقتضب من الرجز والمجتث من الخفيف لان كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر وكل بيت ركب من مستفعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر وعلى هذا قياس سائر المفردات والمركبات عنده ٠٠ والمتدارك الذي ذكره الجوهرى مقلوب من دائرة المتقارب وذلك أن فعولن يجعله فاعلن ويجعل فصيرُ فعلن وشعر عمرو الجنى منه وهو الذى يسميه الناس اليوم الخبب ٠٠ وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الاجزاء وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط فيقابل الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك ويظهر حرف التضعيف وتسقط ألف الوصل ولام

ويعرف ذلك من نظر في شرح الكتاب وثبتت النون بدلاً من التنوين وعند الوصل يرد وحرفين بعده هو الأصل الحقيقي لأن الأوزان إنما وقعت على الكلام والكلام لا يحتاج في حال الأمر صورة هو أنه لا مستقر له ولأن المضاعف يحمل حرفاً واحداً ولأن النون تسكن حتى وليس في جميع الأوزان ما كان في حشويات لا في عروض .. فأما ما رواه الجوهري أنشد وأنشده المبرد قبله

ومن قصص وكان التقاص فرضاً وحتماً على المسلمين

فإن الجوهري كأنه نوى الوقوف على جزء ولا يجمع بين ساكنين لم أسمع به في حشويات .. قال صاحب الكتاب لأن سيبويه قد أنشد

كأنه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

بسكون حرف الهاء في هذا وسيبين قبلهم كذلك .. وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء سبب ووتد وفاصلة .. فالسبب نوعان خفيف وهو متحرك بعده ساكن نحو هل وبل ومن وثقيل وهو متحركان نحو لِمَ وبِمَ إذا سألت وقد أنكره بعض المحدثين .. والوتد أيضاً نوعان مجموع وهو متحركان بعدهما ساكن نحو رمى وسعى ومفروق وهو ساكن بين متحركين نحو قال وباع .. والفاصلة فاصلتان صغرى وهي ثلاث متحركات بعدها ساكن نحو فعلت وما أشبه ذلك وكبرى وهي أربع متحركات بعدها ساكن نحو فعلتن وما أشبه ذلك وهي تأتي في جزء من الشعر بعينه وهو فعلتن ولا تأتي البتة .. جمع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين في آخر جزء ومثلهما في أول جزء آخر يليه ولا تجتمع في الشعر خمس متحركات البتة .. ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضها على بعض فتترك الفواصل منها .. وبعض المتعقبين أطلق اللقب بالجار فسمى الفاصلتين وتداً ثلاثياً ووتداً رباعياً والسبب عنده نوعان منفصل نحو من ومتصل نحو لمن فاللام عنده وحدها سبب متصل والميم والنون سبب هو منفصل لما كان لحركة الميم نهاية وهي النون ساكنة ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .. وأما الزحاف فهو ما يلحق أي جزء كان من الأجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيره أو تسكينه ولا يكاد يسلم منه شعر .. ومن الزحاف ما هو أخف من

التمام وأحسن كالذي نستحسن في الجارية من التماف القد واعتدال القامة مثال ذلك مفاعلن في عروض الطويل التام تصير مفاعلن في جميع أبياته وهذا هو القبض وكل ما ذهب خامسه الساكن فهو مقبوض ٠٠ وفاعلن في عروض البسيط التام وضربه يصير فعلن وذلك هو الخبن وكل ما ذهب ثانيه الساكن فهو مخبون ٠٠ ومفاعلتن في عروض الوافر التام وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مفاعل فخامسه فعولن وهذا هو القطف ٠٠ وليس في الشعر مقطوف غيره ٠٠ ويخف على المطبوع أبداً أن يحمل مكان مستفعلن في المنسرح مفاعلن نظهر له أحسن ٠٠ ومنه أعني الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره كالقبض في السير والملح والتمر مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب

لعلك إما أمُّ عمرٍو تبدلت سواك خليلا شاتمي تستخيرها

فقبض ساكناً بعد كاف سواك وهو نون فعولن وهذا هو القبض ومن رواه خليلا سواك قبض الياء من مفاعلن وهو أشد قليلاً ٠٠ ومنه ما يحتمل على كره كالقدع والوكع والكزم في بعض الحسان ومثاله في الشعر كثير وكذلك قول امرئ القيس بن حجر

ويعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ونائلَ ذا اذا صحى واذا سكر

وبهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ما عمل في معناه مثله الا أنه على ما تراه من الزحاف المستكره حكى ذلك أبو عبيدة ٠٠ ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه كقبح الخلق واختلاف الاعضاء في الناس وسوء التركيب مثاله قصيدة عبيدٍ المشهورة

* أقفرَ من أهلهِ ملحوبُ *

فانها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها حتى قال بعض الناس انها خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرُها ٠٠ وقال الاصمعي الزِحاف في الشعر كالرخصة في الفقه لا يقدمُ عليها الا فقيهٌ ويبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها وان يستحلي الضروب ويأتي بألطفها موقعاً وأخفها مستمعاً وأن يجتنب عويصها ومستكرهها فان العويص مما يشغله ويمسك من عنانه ويوهن قواه ويبث في عضده ويخرجه عن مقصده

...وقد [illegible] حرفه كثير وهو ذهاب [illegible] حركة [illegible] لأول من البيت وأكثر [illegible] لا [illegible] وقد [illegible] أول عجز البيت ولا يكون أبداً إلا في وتد [illegible] ذكره [illegible] وأنشد الجوهري

قدمت رحلا [illegible] قدمت لأخرى [illegible]

وأنشد أبو [illegible] العسكري لامرئ القيس

[illegible] العسكري [illegible] [illegible] حمص [illegible]

هكذا روايته [illegible] ولأن [illegible] حرم [illegible] والقص على [illegible] فذلك هو [illegible] وهو قبيح .. وهذا [illegible] من ذلك التسمية فيهما على قبحهما لأن [illegible] في [illegible] كانت العرب [illegible] لأن أحدهم يتكلم بالكلام على [illegible] شعر [illegible] ثم [illegible] إلى جهة الشعر [illegible] حتمل [illegible] وقبح على غيرهم .. ألا ترى أن بعض [illegible] عبد الله بن طاهر [illegible] ذلك على أبي تمام في قوله

* هن عوادي يوسف وصواحبه *

[illegible] العرب .. ويأتون بالحرم [illegible] معجمة وهو ضد الخرم [illegible] معجمة [illegible] نقطة والزائد [illegible] نقطة وليس الخرم عندهم [illegible] لأن أحدهم [illegible] بحرف زائداً في أول الوزن [illegible] سقط لم يفسد المعنى ولا أخل به ولا [illegible] الحرفين والثلاثة ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه

أشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا

[illegible] أشدد [illegible] للمعنى لأنه هو المراد [illegible] قال كعب بن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد عجبت لقوم أسلموا بعد عزهم إمامهم للمنكرات والغدر

[illegible] على الوزن هكذا أنشدوه .. وأنشد الزجاج وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته

نحن قتلنا سيدَ الخز رج سعدَ بن عبادهْ

رميناه بسهمـ ين فلم نخطِ فؤادهْ

وزاد على الوزن نحن وأنشد الزجاج أيضاً

* بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا *

فزاد بل وأنشد أيضاً

يا مطرَ بن ناجيةَ بن سامةَ انني أجفى وتغلقُ دوني الابواب

وانما الوزن مطر بن ناجية والياء والألف زائدة .. ومما جاء فيه الخرم في أول عجز البيت وأول صدره وهو شاذ جداً قول طرفة

هل تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدماً عدمه

فزاد في أول صدر البيت هل وزاد في أول العجز اذ والبيت من قصيدته المشهورة

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممُهْ

وقال حريثةُ[1] بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الانصاري

لقد طال إيضاعي المخدَّم لا أرى في الناس مثلي من معد يخطب

حتى تأوبت البيوت عشيةً فوضعت عنه كورة تتثاءب

فاللام في لقد زائدة وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم وقالت الخنساء

أقذى بعينك أم بالعين عُوّارُ أم أوحشت اذ خلت من أهلها الدار

فزادت ألف الاستفهام ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً وروي ان أبا الحسن ابن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس

كأنَّ ثبيراً في عرانين وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول وكأنَّ ذُرَى رأس المجيمر غدوةً

وكأنَّ السباع فيه غرقى عشيةً

(١) بن حريثة وأخرى حريثه

معهود هكذا يكون كأنه سقط بعضه عن بعض .. وقال عبد الكريم بن إبراهيم
... في خرم ... كان ست تتعلق به مدة وصلوه تلك الزيادة بحروف العطف
... عطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة .. وأحد الخرم من
... ومن ... صوت يجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول
ست .. وقد قال غيره ... كأنهم يتوهمون ... في السكتة فلذلك جعلوه في
وتد مجموع لأن ... وسقطوا حركته لأول لقي أوله ساكن ولا يبتدأ بساكن
وسقط ... والسكتة لا تحتمل عندهم إلا حرفاً واحداً وهذا اعتلال مليح بين جداً
.. ومن ... في الوسط الإقعاد وهو أن تذهب مثلاً ... أو ...
في عروض ... من الكامل وسكن اللام فيصير عروضه كضربه فعلاتن أو
... قال ... وهذا هو القطع عند صاحب القوافي

أفبعد مقتل مالك بن زهير يرجو النساء عواقب الأطهار

فجاء هذا على معنى التصريع وليس به فهو عيب وأقبح منه قول الآخر

... كثرت ... كل كبير ... عليّ ويقصر

لأنه أتى بعروض دون الضرب بحرف لا تتوهم تصريع ولا إشكال وإنما نذكر مثل
هذا ليجتنب إذا عرف قبحه .. وجاء منه في الطويل قول النابغة الذبياني

جزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

أنشده النحاس .. وقول ... بن ... بن عوف الخطلي

لعمري لقد كرّ الصباب ... و... السنين ... وسعال

هكذا رويته بالحاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه ... معجمة ..
وزعم ... أن الإقعاد لا يجوز لمولد وقد أتى به البحتري في عروض الخفيف فقال
يهجو شاعراً

ليس يبعث ... مصروعاً ... ومادحاً مصفوعا

قياساً على قول الحارث بن حلزة اليشكري

أسد في اللقاء ذو أشبال ... وربيع إن شنّعت غبراء

وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف اقواء وسأذكره في أبواب القوافي ان شاء الله تعالى.

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء.. ابتداء وهو ما كان في أول البيت مما لا يجوز مثله في الحشو كالثلم في الطويل والعصب في الوافر والخرم في الهزج.. وفصل وهو ما كان ملتزماً في نصف البيت الذي يسمى عروضاً مثل مفاعلن في عروض الطويل وفاعلن في عروض المديد وما جرى مجراهما هذا هو الحقيقة.. وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مرد ذكرها آنفا.. واعتماد وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء الذي قبل الضرب كقول امرئ القيس

أعني على برق أراه وميض ... يضيء حبياً في شماريخ بيض

فأثبت ياء شماريخ وهي مكان النون من فعولن وكان الأجود أن يسقطها بالقبض لمكان الاعتماد لأن السبب قد اعتمد على وتدين أحدهما قبله والآخر بعده فقوي قوة ليست لغيره من الاسباب فحسن الزحاف فيه والاعتماد في المتقارب سلامة الجزء من الزحاف.. وغاية وهو ما كان في الضرب الذي هو جزء القافية ملتزما مخالفا للحشو كالمقطوع والمقصور والمكشوف والمقطوف وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت.. قالوا وأكثر الغايات معتل لأن الغاية اذا كانت فاعلاتن أو فعولن أو مفاعلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكن أسبابها لأن آخر البيت لا يكون متحركا هذه حقيقة ما ذكر وأما المجاز والاتساع فكثير.. ويتصل بالغايات أنواع أخر فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين الذي هو الرِّدف مما لا يلزمه ذلك أجمع حذّاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتم بنائه حرف متحرك عوض حرف المد واللين من ذلك الحرف فلم يجيء الا مردفاً بواو أو ياء أو ألف.. ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف مثل مفعلن في الخفيف.. ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن فهو لا يوجب الردف فان ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك لم يلزمه الردف واذا التقي ساكنان ألزموه الردف.. فمما سقط فألزم حرف المد فعولن المحذوف في الطويل لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت

لأنه فعل .. ومن المديد فاعلان مقصور .. ومن البسيط فعلن مقطوع .. والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد وهو حذف أحد ساكني الوتد المجموع وإسكان ما قبله ملاصقة .. والردف قد يكون عوضاً مما حذف لأنه قد .. ومن الكامل فعلاتن مقطوع ومن الرجز مفعولن مقطوع ومن الرمل فاعلان مقصور ومن المتقارب فعول مقصور .. ويلتقي فيه ساكنان ولزومه للردف مستفعلان في البسيط وفيه خلاف .. ومنهم من لزومه الردف والالتقاء الساكنين قوم ... منهم مقام الحركة .. ومنهم من لم يلزمه الردف ولأنه قدم ويدل على تمامه .. والأرداف قد يأتي عوضاً من النقص لا من الزيادة .. وفي الكامل متفاعلان المذيل وفي الرجز قد أنشده أبو زهرة النحوي في كتب العروض وهو

كأنني فوق أقب سهوق جأب إذا عشر صاتٍ الزرب

وفي الرمل فاعلان وحدها والقول فيها كالقول في مستفعلان المذيل في البسيط وفاعلات في السريع وهو مذيل من البسيط عند الجوهري وأما على ما عند من سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية أي ساقطة الواو ومفعولات في مشطور السريع أيضاً .. وفي مفعولات المنسرح يلزم حرف اللين فعلى هذا جميع الحذاق لأن سيبويه وغيره رخص فيه لمراقبة النون مردفاً وغير مردف وأنشد قول امرئ القيس

وقد رحلتُ العيس ثم زجرتها وهناً وقلت عليك خيرَ معدّ

وقول الراجز ... إن تمنع اليوم نساءُ تمنعِ

بسكان العين والنون .. وكان الجرمي والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله كان قد والأكثر يحكي ولا يعمل به إلا أن أبا نواس في قوله

لا تبكِ ليلى ولا تطربْ إلى هند

أخذ بقول سيبويه وهو قليل .. والقياس الأول حسن مطرد وهو المختار .. ومن أهم أمور القافيات معرفة ما يستند من الشعر مطلقاً ومقيداً .. قال أبو القاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي الشعر ثلاثة وستون ضرباً لا يجوز اطلاق مقيد منها إلا الكثير الشعر ما خلا ثلاثة أضرب أحدها في الكامل

أبىّ لا نظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير

وهذا هو الضرب السابع يسمى مذالا وإن شئت قلت ـ ولا الكبيرا ـ فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفل ٠٠ والضرب الثانى فى الرمل وهو قول زيد الخيل

يا بنى الصيداء رُدّوا فرسى إنما يفعل هذا بالذّليل

وهو الضرب الثانى منه فإن أطلقته صار أول ضرب منه ٠٠ والضرب الثالث فى المتقارب أنشد الأصمعي وأبو عبيدة

كأنى ورحلى إذا رُعتها على جَمَزَى جازئٍ بالرمال

غير أن سيبويه أنشده فيما يجوز تقييده وإطلاقه

صفية قومى ولا تعجزى وبكّي النساء على حمزه

وهو من المتقارب إن أطلق كان محذوفا وإن قيد كان أبتر ٠٠ وقد أنشد أبو زيد سعيد ابن أوس بن ثابت الأنصارى لعمرو بن شاس قال والشعر مقيد

وما ظبية بات الظليم يجمها إلى جوّ جوٍ خاف غثاء محلال

بأحسن منها يوم بطن قُراقرٍ بحوض به بطن القطاة وقد سال

لطيفة طى الكشح مضمرة الحشى هضيم العناق هونة غير محبال

تميل على مثل الكثيب كأنها نقيّ كلما حرّكتَ جانبه مال

هذا شئ لم يذكره العروضيون وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء كما حمل قول امرئ القيس

أحنظل لو حاميتم وصبرتم لأثنيت خيراً صالحاً ولأرضان

ثياب بنى عوف طهارَي نقية وأوجههم عند المشاهد غران

عوَيرٌ ومن مثل العوَير ورهطه وأسعدَ فى ليل البلابل صفوان

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبرّ بأيمان وأوفى بجيران

إلاّ الأخفش والجرمى فإنهما يرويان هذا الشعر موقوفا ولا يريان فيه إقواء وهذا عند

سيبويه لا بأس . . وقد صوب بعض قول الخليل في مجمعة هذا المذهب وأنشد بعض المتفقهين أبيات الزيدي من المزوجي

سادتي لك لا يدوم كنت حدهلا   وثبت لأحد رمس له ترويد

بالسعد على أنه من الضرب محذوف معتمد قول لأنه يدخله عند بعث حرف اللين وهو كثير جداً وليس لا تبدأ ومصل ولا عميد ونعاية نعل ولكنها مواضع العلل فأقيم المضاف اليه مقام المضاف . . وأما زحاف الحشو ثم أعمه معرفة المعاقبة والمراقبة فأما المعاقبة فهي أن يتقابل سببان في جزأين فهو يعقبان السقوط فسقط ساكن أحدهما لثبوت ساكن الآخر ويثبتان جميعاً ولا يسقطان جميعاً والمعاقبة بين سببي جزأين من جميع الاوزان في أربعة أنواع المديد والرمل والخفيف والمجتث وهو عند الجوهري ضرب من الخفيف واذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله وتدخله الزحاف فهو بريء من المعاقبة اذ ليس قبله ما يعاقبه ولأن الوتد لا يعاقب السبب واذا زحف ثاني الجزء للمعاقبة ما بعده فهو عجز وان زحف أوله للمعاقبة ما قبله وآخره للمعاقبة ما بعده فهو طرفان وياء مفاعيلن في الطويل والهزج تعاقب نونها وكذلك سين مستفعلن في الكامل تعاقب فاءها . . والمراقبة أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ولا يسقطان جميعاً البتة وكذلك لا يثبتان جميعاً وهي من جميع الاوزان في المضارع والمقتضب والجوهري يعد المقتضب من الرجز كما قدمت فهي من المضارع في سببي مفاعيلن أعني الياء والنون اما ان يأتي مفاعيلن مقبوضاً أو مفاعيل مكفوفاً ومن المقتضب في سببي مفعولات أعني الفاء والواو اما أن تخبن فتصير معاعيل واما أن تطوى فتصير فاعلات ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذي قبله أعني المضارع سالماً البتة . . والفرق بين المعاقبة والمراقبة أن سببي المعاقبة يثبتان معا وان سببي المراقبة لا يثبتان معا وان المعاقبة في جزأين الا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج ومستفعلن في الكامل وان المراقبة في جزء واحد . . وسأورد لباقي الزحاف بابا أذكره فيه مع المشطور ان شاء الله تعالى ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف الا ما خف منه وحلي ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند

الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا اليه •• ولسنا نري الزحاف الظاهر في شعر محدث الا القليل لمن لا يتهم كالبحتري وما أظنه كان يتعمد ذلك بل على سجيته لانه كان بدويًا من قري منبج ولذلك أعجب الناس به وكثر الغناء في شعره استظرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة •• وذكر ابن الجراح انه من أهل قنسرين والعواصم وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم ان شاء غير متكلف به شعراً الا ما ساعده عليه الطبع وصح له فيه الذوق لاني وجدت تكلف العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق الا في الشعر خاصة فان عمله بالطبع دون العروض أجود لما في العروض من المسامحة في الزحاف وهو مما يهجن الشعر ويذهب بروبقه

باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمي شعراً حتي يكون له وزن وقافية هذا علي مَن رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدل بأن المصرّع أدخل في الشعر وأقوى من غيره •• وأما ما قدأراه فقد قدمته في باب الأوزان واختلف الناس في القافية ماهي فقال الخليل القافية من آخر حرف في البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعضَ كلمة ومرةً كلمةً ومرةً كلمتين كقول امرئ القيس

* كجُلمود صخر حطه السيل من عل *

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروى في اللفظ الى نون من مع حركة الميم وهاتان كلمتان •• وعلي وزن هذه القافية قوله

* اذا جاش فيه حَميه غليُ مِرْجلِ *

فالقافيةُ مرجل وهي كلمة وعلى وزنها قوله

* ويلوي بأثواب العنيف المثقَّلِ *

والقافية من شاء في آخر البيت وهذا نصف كلمة .. وقاسه على هذا أبو عمر الجرمي وأصحابه وهو قول مضبوط محقق تشير إليه .. وقال الأخفش القافية آخر كلمة من البيت واستدل على صحة ذلك بأنه لو قال لك قائل اكتب لي قوافي قصيدة لكتبت له كلمات نحو كتاب وعتاب وركاب وصحاب وما أشبه ذلك وهو المتعارف بين الناس اليوم على قول الأخفش وكل كلمة من قوله كمل وقوله مرحل وقوله المتقل في شعر امرئ القيس قافية عند الأخفش وعلى هذين القولين مدار الحذاق في معرفة القافية .. ورأي الخليل عندي أصوب وميزانه أرجح لأن الأخفش إن كان إنما فر من جعل القافية بعض الكلمة دون بعض فقد يجد من القوافي ما يكون فيها حرف الروي وحده قافية على رأيه هو وإن بعضه فيه وقد يقع مثله كلمة من الكلمات التي عدها قوافي كان قد شرك القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها وإذا جاز أن تشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة مثل ذلك منها كان قول أبي الطيب

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

والقافية في البيت الأول على قوله الكذب لولا أن الألف فيه ألف وصل ثبتت عنها اللام لمن هو قال القافية في البيت الثاني يشرق بي رجع ضرورة إلى مذهب الخليل وأصحابه لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل وهي ياء ضمير المتكلم إلى شين يشرق مع حركة الياء التي قبلها في أول الكلمة وإن جعل القافية الباء الخفض التي في موضع الروي والياء الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول من جعل القافية حرف الروي وهو خلاف مذهبه وليس بشيء لأنه لو كان صحيحاً لجاز في قصيدةٍ واحدة خمر وخير وفجر وخور ومحمر وافتخار ومعمر ومتعجر ومحجور وهذا لا يكون أبداً إلا أن الفراء يحيى بن زياد قد نص في كتاب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروي وتبعه على ذلك أكثر الكوفيين منهم محمد بن كيسان وغيره وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض فقال القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت .. وهذا كلام مختصر مليح الظاهر إلا أنه إذا تدبرته كلام الخليل بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان

.. ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت .. قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت وحكى أنهم سألوا اعرابياً وقد أنشد

* بات وطاء على خد الليل *

ما القافية فقال خد الليل .. ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا لأن خد الليل كلمتان وليستا حرفين إلا اتساعاً وإنما هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ولو قال قائل ان الاعرابي انما أراد الياء واللام من الليل على مذهب من يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائغاً لأن الاعرابي لا يعرف حروف الهجاء فيقول القافية الياء واللام من الليل فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .. ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت وقال لا يسمى بيتاً من الشعر ما دام قسيماً أول .. ومنهم من قال البيت كله هو القافية لأنك لا تبني بيتاً على أنه من الطويل ثم تخرج منه الى البسيط ولا الى غيره من الأوزان .. ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها وذلك اتساع ومجاز .. وسميت القافية قافية لأنها تقفو إثر كل بيت .. وقال قوم لأنها تقفو أخواتها والأول عندي هو الوجه لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمى آخر البيت الأول قافية لأنه لم يقف شيئاً وعلى أنه يقفو اثر البيت يصح جداً .. وقال أبو موسى الحامض هي قافية بمعنى مقفوة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية بمعنى مرضية وكأن الشاعر يقفوها أي يتبعها وهذا قول سائغ متجه .. وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات ما لا غنى عن ذكره في هذا الموضع مجملاً مختصر البيان والايضاح ان شاء الله تعالى .. فأقول إن الشعر كله مطلق ومقيد فالمقيد ما كان حرف الروي فيه ساكناً وحرف الروي الذي يقع عليه الاعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الاعراب لسكونه وليس اختلاف اعرابه عيباً كما هو في المطلق اقواء وحركة ما قبل الروي في المقيد خاصة دون المطلق على رأي الزجاج وأصحابه توجيه .. وقال غيره في المطلق والمقيد جميعاً يسمى التوجيه ما لم يكن الشعر مردفاً ويجوز في التوجيه التغيير فيكون سناداً عند بعض العلماء وكان الخليل يجيزه على كره من جهة الفتحة فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء في الردف والفتحة كالألف وأنشدوا

* [illegible] عمرو [illegible] *

وفي قصيدة * وكندة حولي جمعاً [illegible] *

وقد * تحرقت الأرض [illegible] *

وحسب توجيه [illegible] وقد سمي ابن قتيبة وأبو عبيدة وغيرهما هذا [illegible] لأن [illegible] اختلاف حركة [illegible] الروي فيه كان وصلها هاء [illegible] ساكنة [illegible]

حمد [illegible] الذي [illegible]

في [illegible] لا يستطيعون [illegible]

[illegible] في من [illegible] لأن [illegible]

فبيت من أصبح في [illegible] حتى [illegible] حكمه مله

[illegible] كنت ومن [illegible] الذي [illegible] له كله

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً صنع ذلك في قصيدته القافية في السوداء وفي مطولته * أبين ضلوعي جمرة تتوقد *
قال الشيخ أبو عبد الله الاجارة بالراي معجمة اختلاف حركات ما قبل الروي وهو مأخوذ من اجارة الحبل وهو [illegible] قواه بعضها على بعض فكأن هذا اختلفت قوى حركاته .. وقد حكي ابن قتيبة عن ابن الاعرابي مثل قول أبي عبد الله وقال هو مأخوذ من اجارة الحبل و [illegible] .. والمطلق [illegible] أحدهما ما تبع حرف رويه وصل فقط .. والوصل أحد أربعة أحرف الياء والواو والالف والهاء يفرد كل واحد منها بالقصيدة حتى تكمل فما وصله ياء قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فبعد اللام ياء في اللفظ لا يقوم الوزن الا بها وما وصله واو

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

فبعد الميم في اللفظ واو كذلك وما وصله ألف أيتها النفس أجملي جزعا

فبعد العين ألف ثابتة في الخط والهاء [illegible] دون الياء والواو لخفة [illegible] وكونها [illegible]

من السو س مرة وبما وصله هاء أتنحاكَ الرَّبع أو قِدَمهُ

وكل وصل سا كن ما خلا الهاء فانها تكون ساكنةَ ومتحركةَ وسيرد عليك د كرها ان شاء الله تعالى ٠٠ واذا كان ماقبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن الا حرف روى لاعير لان الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً ولعلة أن المقيد لاوصل له فأما الألف ولا يكون ما قبلها ساكنا لانها أخف من ذلك واذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا الا رويا عندسيبويه واذا انكسر ما قبلها أو انضم كنت فيهما بالخيار وكذلك الألف اذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار ٠٠ وأما الياء المتشددة المكسور ماقبلها مع الياء المتشددة المفتوح ماقبلها فرأيُ القاضي أبي الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ماقبلها ردفا ويكون المفتوح ما قبلها اما ردفا لما بقي فيها من المد واما غير ردف لذهاب أكثر المد منها فيكون على المذهب الاول مثل قصيا مع رضيا وهذا شاذ وعلى المذهب الثاني مثل ارداف بيت وترك ارداف الآخر كقول حسان بن ثابت ـ ولا نوصه ـ في بيت ثم قال في الآخر ـ ولا نعصه ـ وهذا أيضا شاذ ٠٠ وله رأي ثالث وهو أن تكون الياآن لما أدغمت احداهما في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد وصار التزام التشديد اختيـاراً من الشاعر والاً فترك التشديد جائز له ٠٠ وهذا قول الخليل والاخفش جميعا وقد أنكره الجرمي وأبو سـعيد السيرافي ٠٠ وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة الا أن تكون من نفس الـكلمة فانك تكون فيها بالخيار وان شئت جعلتها رويا وان شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ماقبلها فجعلته رويا ٠٠ وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع قال أبو الطيب

أما بالوشاة اذا ذكرتكَ أشبهٌ تأتي الندى ويذاع عنك فتكره

واذا رأيتكَ دون عرض عارضا أيقنتُ أن الله يبغي نصره

فغلط في التصريع لانه التزم فيه الهاء ولولا ذلك لـكان البيتان رائيين وسمح بهاء تكره فصيرها صلة وان كانت من نفس الـكلمة ٠٠ وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال

أفنى المداةَ إمامٌ ماله شبـه ولا نرى مثـله يوما ولم نره

صدر د تصوّ لحرّه محـ . مستور لا يـ حتى مسه

ه محسن قصرت يهل عرضه كما تسمع ام مفتوح له

وقال آخر يصف كلاب صيد في أرجوزة

ان خرجت من قيدها الرها لا بد نشأت من اصيدها

مسكه عض ولا يدمى ه عزيرة مهن او تعقها

ووقع شاعر من تردعى تقدمه عنهم في مثل ذلك فقال

لله صورها وصيرها لاقتت او دمع ترها

نصاً عسيت لا ترى حسنا لا دكرت كذه شم

ولا شيء أن أحداً من مهد سمح في مثل هذا ان هو عندهم عيب كالا كفاء وروى بيت شاعر برها دموع وروى جمع برهة ولا عيب فيه على هذا .. وهاء حمزة وطلحة لا تكون الا صلة وقد تحركت هاء التأنيث كنت فيه بالخيار ان شئت اسرمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجرى وان شئت لم ترمها فكانت على حقها رويا .. وعند رأيهم في كاف مختلط مع التأنيس د نفؤ جعوه رويا ثم يلتزم ما قبلها وان شاؤ جعوها مقام الصلة والتزموا ما قبلها مجرى وهو لا يجود لاختيار الشعراء اياه قديما على اسماعهم في تركه .. قال القاضي أو المقصد من زعم أن التاء والكاف يكونان وصلا وانما حمله على ذلك انه رأى بعض الشعراء قد لزم في بعض شعره حرفا لم يلزمه فظن ذلك الحرف رويا .. وانما لم يجز عنده كونهما صلة لانهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما في الهاء .. وقول من جعل التاء صلة كالهاء انها تجيء للتأنيث مثلها وتكون اسما كما تكون الهاء اسما وتردكما تراد الهاء وان الهاء تقلب تاء في درج الكلام وتشبه الكاف بالهاء لانها حرف ضمير مثلها وانها تكون اسما المجرور والمنصوب كالهاء .. والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصله خروج ولا يكون ذلك الوصل الا هاء متحركة نحو قول الشاعر

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

فالسين حرف الروى وحركتها مجرى وان شئت اطلاق كلاهما يقال والهاء وصل[1] وحركتها نفاذ و بعدها في اللفظ ياء هي الخروج ولو كانت الهاء مضمومة كان الخروج واواً أو مفتوحة كان الخروج ألفاً ٠٠ولا يكون حرف الروي الا في أحد ثلاثة مواضع امامتأخرا كقول طرفة لخولة أطلالٌ ببرقة ثهمد

فالدال روى واما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم

ألا هُبي بصحنكِ فاصبحيا

فالنون حرف الروي أو قبل المتأخر بحرف كقول لبيد

عفتِ الديارُ محلها فمقامها

فالميم حرف الروى ٠٠وهذه المواضع المذكورة انما هي في اللفظ لا في الخط ٠٠ولا يكون حرف الروى اذا كان بعده شئ الا متحركا لأن المقيد لا شئ بعده وأنشد بعضهم

قتلت يدا فاريةٍ فرَبها

على أن التاء حرف روى فرد ذلك العلماء بالعلة التي ذكرها وقالوا انما التزم الباء والراء قبلها استاعا والا فالهاء هي الروى ٠٠وكل شعر فلا بد أن يكون مطلقا أو مقيداً ثم لا بد أن يكون مردفاً أو مؤسساً أو معرّي منها مجرداً ٠٠فالمردف نوعان تشترك الياء والواو في أحدهما نحو قول علقمة الفحل

طحي بك قلبٌ في الحسان طروبُ بُعيدَ الشباب عصرَحانَ مشيب

فالياء في مشيب مقام الواو في طروب وتنفرد الالف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس

ألا عِمْ صباحاً أيها الطللُ البالى

لا تشركها غيرها والحركة التي قبل الردف ياء كانت أو واواً أو ألفاً تسمي الحذْو وقد تجزئ الضمة واواً في اللفظ والكسرة ياء وذلك مع هاء الضمير فتكون ردفا وان لم تثبت في الخط نحو قول ابن المعتز

ضمخوا عارضها بالمسك في خدٍّ أسيلِ

(١) ن والهاء وصل حركتها نفاذ

محت صدعس سســـرٰ ى وحه جميلِ
سدى التوق انه والتمسى عده لى

ومن المردف ما تكون حركة الحذو فيه محرمة للردف فيحمل شعراً على جهته دون دخل مع عير كان سداً وذلك مثل هولُ وسلِ يكونان في قصيدة ولا يكون معهما سول وقبل ٠٠وقيس المردف في الوصل والخروج وعير ذلك من حروف الروي وحركته جار على ما تقدم في المجرد من الردف لا الحذو والتوجيه من المقيد يختص بالتوجيه وهو الروي والمردف مختص بالحذو وهو حركة ما قبل الردف وإن كان المردف مقيداً أسقط التوجيه وبقى الحذو لأن الردف قد سد موضع التوجيه٠٠وقد يلتبس بالمردف ما ليس بردف فيحسبه الشعر مثل فيهم مع منهم وهو جائز لأن هذه ليست روياً فتكون الياء ردفاً والروي ميم ومختلفون مسكوم مع منهم وذلك جائز لا عيب فيه لما قدمت آنفاً ٠٠وكان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يلزمه في القافية حتى انه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعاً فيه٠٠والاجود أن يكون الردف والروي جميعاً في كلمة واحدة وإذا كانا في كلمتين فلا بأس ٠٠ والمؤسس من الشعر ما كانت فيه ألف بينها وبين حرف الروي حرف يجوز تغييره فذلك الحرف يسمى الدخيل وحركته تسمي الاشباع ويجوز تغييرها عند الخليل ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء

مهوى حنيطَ ون أقما بعدهم ن المقيم مكلفٌ بالسائر
ن المطي بما يحدْن صحى غدٍ واليوم يومٌ لبانةٍ وبزاورِ

وهو جائز غير معيب٠٠وأما القاضي أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل ما دامت اشباعاً جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع وإذا قيد الشعر وصار موضع الاشباع التوجيه لم يجز الفتح مع واحد منهما واعتل في ذلك بمجال المطلق غير المؤسس ان ما قبل رويه جائز تغييره وإذا قيد لم يجز الفتح فيه الا وحده فهو شاذ وتشارك الضم والكسر وهذا قول واضح البيان ظاهر البرهان والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى ان بعضهم لم يسمه لتغييره واضطرابه لكن عده فيما لا يلزم القافية فسكت عنه٠٠وأما الاشباع فالقول

فيه ماقدمت واذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروي في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً بعدها الا أن يكون حرف الروي مع مضمر متصل أو منفصل فان الشاعر بالخيار ان شاء جعل الالف تأسيساً وان شاء لم يجعلها تأسيساً فالتي لا تكون عندهم تأسيساً قول عنترة

* والنادرين اذا لم القهما دمي *

لما كان الاسم ظاهراً .. وقد أنشد بعضهم في أبيات اللغز والمعاياة

أقول لعمرو حين حوّد زاله وبحن بوادي عبد شمس وهاشم

وهي من الوهي وشم من التشيم للبرق ..وقول الآخر

أقول لعبدِ الله لمـا لقيته ونحن بوادي الروم فوق القناطر

فلقنا جمع قناة وطر أمر من طار يطير وفحص فيه لما انكسرت حركة دخيله على متعارف الشعر وهو كلام حسن الظاهر الا أنه خلاف لما قال العلماء والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمر قول الشاعر

تريدحسي الـكأس السمة سماحةً وتترك أخلاقَ الـكريم كما هيا

.. وقول جرير

فرُدّي جمال الحيّ ثم تحملي فما لك فيهم من مقام ولالنا

فهذا ضمير متصل والذي قبله ضمير منفصل ..ومما جاءت الالف فيه غير تأسيس مع المضمر قول الشاعر وهو من شواهد أبي الفتح عثمان بن جني النحوي

أية جاراتك تلك الموصيه قائلةً لا تسـقيا نحليه

لو كنتُ حبلاً لسقيتها بيه أو قاصراً وصلتهُ بثوبيه

والألف في سقيتها غير تأسيس فاذا كانت الهاء والكاف التي للمخاطب دخيلا لم يخلط الشعراء بها غيرها اتساعاً والافهو جائز .. وأنشد الحرمي لعوف بن عطية بن الخرع

فان شئتما ألقحتما ونتجتما وان شئتما عيبا بعـين كما هما

وان كان عقلا فاعقلا لاخيكما بنات المخاض والفصال المقاحما

ومن مؤسس ومردف . بيتين من شعري فلا تمره لا عن كلمة وبعد فترة
قد وجدت منه فيكون عندي لا تستنبطه ويحمل عنه ان شاء الله تعالى .. فمن ذلك
مما قيل في سكون الكاف في قافية وسبقه الالف وبعد وقد التزمه بعد
ان وقد كانت موضع الكاف هاء صار شعراً مردفاً موصولاً ولم يحتج تعبير مقابل
هذا لانه وغيره سكنت فيه فير حرف روي مثل ذلك قول كثير وغيره

رعت لو شئت البين رأن حمالك ولو شئت ما فحعتني بالمحالك

وتبرم اللام في القصيدة كلها وفي اكثره سعاً ووعير كا فعل ذو رمة في قوله

فمستحسنة عندك لا محالة بجمهور حزوي او بجرعة مالك
احت روية كل رذو هب وكنز رسم كي احتى المنازل

لم يكن عيباً لان الكاف روي وصنتها اسماء التي بعدها في اللفظ ولدخيل راء المنازل
ولام مالك وقد التزمه كثير كأن القافية عنده لامية مردفة والكاف مقام الهاء صلة
على نحو لا على الحقيقة .. وقول كثير في الردف

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها

فلام روى والألف التي قبلها ردف والهاء صلة والألف التي بعدها خروج ولا يجوز
أن يقال هذه القافية مؤسسة لان الهاء اذا تحرك ما قبلها وليست من نفس الكلمة لم
تكن الا صلة واذا كانت الهاء صلة لم تكن اللام الا روياً ولا يجوز غيرها .. وجميع
ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات فالأحرف الروي
والردف والتأسيس والوصل والخروج والدخيل والحركات الاطلاق والحذو والرس
والتوجيه والنفاذ والاشباع والذي يجتمع منها في قافية واحدة خمسة أحرف وهي التأسيس
والروي والصلة والخروج والدخيل وكلها يتكرر بعينه لا الدخيل وأربع حركات
وهي الرس والاشباع والاطلاق والنفاذ وذلك مثل قول الشاعر

يوشك من فر من منيته في بعض غراته يوافقها

ولا يجتمع في قافية الحذو والرس كما لا يجتمع الردف والتأسيس وكذلك لا يجتمع أيضاً

التوجيه والاشباع فسقط التوجيه اذا كان المؤسس مطلقا وسقط الاشباع اذا كان المؤسس مقيداً .. وقد أنكر الجرمي والاخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس وقالوا لامعنى لذكر هذه الفتحة لان الألف لايكون ما قبلها لا مفتوحاً وانما احتيج الى ذكر الحذو قبل الردف لان الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياءومرةضمة قبل واو..ومما يجب أن يراعي في هذا الباب الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين فانها من عيوب الشعر .. فأما الاقواء والاكفاء فاختلف العلماء فيهما وفي اشتقاقهما .. وأما السناد والايطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهماوعند أكثر العلماء اختلاف اعراب القوافي اقواء وهو غير جائز لمولد وانما يكون في الضم والكسر ولا يكون فيه فتح هذا قول الخامص ..وقال ابن جني والفتح فيه قبيح جداً الا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاءً والاقواء عندهم ذهاب حرف أومايقوم مقامه من عروض البيت نحو قول الشاعر وهو بجير بن زهير ابن أبي سلمي

كانت عُلالَةَ يومِ بطنِ حُنينٍ وغداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرقِ

واشتقاقه عندهم فيما روى النحاس من أقوت الدار اذا خلت كأن البيت خلا من هذا الحرف..وقال غيره انما هو من أقوى الفاتلُ حبله اذا خالف بين قواه فجعل احداهن قوية والاخرى ضعيفة أو مُمرّةً والاخرى سحيلةً أو بيضاء والاخرى سوداء أوغليظة والاخرى دقيقة أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع وهذا يسميه الخليل المقعد وهو من باب الوزن لامن باب القافية والجمهور الاول من العلماءعلى خلاف رأي أبي عبيدة في الاقواء..وأما الاكفاء فهو الاقواء بعينه عند جلة العلماء كابي عمرو بن العلاءوالخليل بن احمد ويونس بن حبيب وهو قول احمد بن يحيي ثعلب وأصله من أكفأت الاناء اذا قلبته كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهي ضدها وقيل من مخالفة الكفوة صرحيها وهي النسيجة من سائح الخباء تكون في مؤخره ويقال بيت مكفأ تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن اذ كان متشبهاً به في كل أحواله .. قال الاخفش البصري الاكفاء القلب وقال الزجاجي وابن دريد كفأت الاناء اذا قلبته وأكفأته اذا أملته كان الشاعر أمال فمه بالضمة فصيرها كسرة الاان دريد رواهما أيضاً بمعنى قلبته شاذا وقيل بل من المخالفة

في شيء ولكلام بقل ... كما ... في ذ ... في ... وأ كف الرجل في كلامه دا
حرف ... وأفسده ... دو برمة

ودوّية قفر يرى وجه ركبه ... ماعوهما مكفأ غير ...

وقال ... ليس ... الإكفاء اختلاف الحروف في الروي وهو قول محمد بن يزيد المبرد وأنشد

فأسمحت من ... عة ومن صُدُغ ... كأنها كُثبية صب في صقع

وأي ... مع ... و ... عنده من المماثلة بين الشيئين كقولك فلان كفء فلان أي مثله قال ومنه كفأت الرجل كأن الشاعر جعل حرفاً مكان حرف والناس اليوم في الإكفاء على رأي ... وهو عيب لا يجوز ... لمحدث ولا يكون الا فيما تقارب من الحروف ولا فهو غلط ... هذا رأي الاخفش سعيد بن مسعدة والخليل يسمى هذا النوع الاجازة .. قال الفراء الاجازة في قول الخليل أن تكون القافية طاء والاخرى دالاً وقال أبو اسحاق الحربي الاجازة بالزاي لا غير وهي من الجوار وهو نوع قال ابن السكيت وهو نداء لكثير وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام — ولولا الله جاز بهم الجوار — قال المهلبي ورأيته بخط الطوسي والسكري بالراء وهو قول الكوفيين وأما البصريون فيقولون الاجازة بالزاي حكي ذلك ابن دريد . وقال بعض شيوخنا الاجازة في القوافي مشتقة من الجوار في السكني والذمام ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في ذمامه وقال قوم بل هي من الجور كأن القافية جارت أي جاءت القصد وأجارها الشاعر أي صيرها كذلك وعلى هذا يصح قول الحربي فاذا تأملت أقاويل العلماء وجدت الاجازة بالزاي اختلاف التوجيه وهو حركة والاجازة بالراء اختلاف الروي وهو حرف وليس هذا من هذا في شيء فكأن العلماء لم يجتمعوا حينئذ لان التسمية اختلفت باختلاف المسمى .. ومثل الاجازة لا صرف حكاه شيخنا أبو عبد الله قال وهو أن تكون القافية دالاً والاخرى طاء والقصيدة مصرفة ولذلك قال الشاعر

مقومة قوافيها وليست ... بمصرفة الروي ولا ساد

وأما السناد وأنواع كثيرة منها وهو المشهور أن يختلف الحذو وهو حركة ما قبل الردف
فيدخل شرط الالف وهي الفتحة على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللهبي

* وأملأ وحيث الجمل حموشا *

ثم قال * وما سمت قريش قرشا *

وهو كثير للعرب غير جائز للمولدين ومنها اختلاف الاشباع كقول النابغة

- بررن ألا لا سيرهن التدافع -

والقصيدة كلها اشباع ومنها ارداف قافية وتجريد أخري كقول حسان بن ثابت في قافية

فارسل حكيما ولا توصه

وقال في أخري وشاور لبيباً ولاتعصه

ومنها تأسيس قافية دون اخواتها كقول العجاج -تخندف هامة هذا العالم- وأول هذه
الارجوزة * يادار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي *
وكلها غير مؤسسة الا هذا البيت وحده ويقال ان لغته الهمز فاذا همز لم يكن تأسيساً
..ومنها اختلاف التوجيه نحو قول امرئ القيس بن حجر

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني أفر

ثم قال تميم بن مر واشياعها وكندة حولي جميعاً صبر

اداركوا الخيل واستلأموا تحرّقت الارض واليوم قر

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور وفي الثاني مضموم وفي الثالث مفتوح وليس هذا
بعيب شديد عندهم .. قال الزجاجي السناد كل عيب يلحق القافيــة ما خلا الاقواء
والاكفاء والايطاء وهذا قول فيه بيان واختصار ..وقال علي بن عيسى الرماني السناد
اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف بحركة كان أو
بحرف .. وقال ابن جني السناد كل عيب يحدث قبل الروي .. واشتقاق السناد من
من ساند القوم اذا جاؤا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد وقيل بل هو من قولهم ناقة سناد
اذا كانت قوية صلبة لان الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة .. وقالوا بل

... قصيدة ... كان ... الشروط في حروف .. ومنه الإيطاء وهو
أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد كما قال امرؤ القيس في قافية شرح مرقب
وفي قافية أخرى فوق مرقب وليس بينهما غير بيت واحد .. وكلما تباعد الإيطاء
كان أخف وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم أو من نسيب إلى هجاء
ألا ترى أن قولهم ذاع ذا وقد عيب ذا فكأن الشاعر في شعر آخر وأقبح من هذا
الإيطاء قول تميم بن أبي مقبل

أو كاهتزاز رديني تداوله ... أيدي التجار فزادوا متنه لينا

وأتى بالقافية ثم قال في القصيدة غير بعيد

زعمت أنهم ليس يعقصهم ... من الأحاديث حتى زدنني لينا

فكرر القافية ومعناها مع أكثر لفظ القسيم وأشد من ذلك قول أبي ذؤيب في سنة

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم ... فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة ثور وكلاب

فصرعنه تحت الغبار بجنبه ... متترب ولكل جنب مصرع

فكرر البيت .. وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء عند
أحد من العلماء إلا عند الخليل وحده فإن يزيد عنده بمعنى الاسم ويزيد بمعنى الفعل
إيطاء وكذلك جون للأبيض والأسود وجلل للكبير والصغير وإذا كان أحد الاسمين
نكرة والآخر معرفة لم يكن إيطاء وكذلك ضرب للواحد وضربا للاثنين ولم تضرب
للمذكر ولم تضرب للمؤنث ومن علامة ومن علامي مضافا كل هذا ليس بإيطاء .. وأما
اختلاف الحروف على الاسم كقولك لزيد ويزيد وعلى الفعل كقولك اضرب ونضرب
وتضرب في مخاطبة المذكر والحكاية عن مؤنث فكل ذلك إيطاء .. والإيطاء جائز
للمولدين إلا عند الجمحي وحده فإنه قال قد علموا أنه عيب .. وقال الفراء إنما يواطئ
الشاعر من عي وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيباً نحو قول
امرئ القيس ... خليليّ مرا بي على أم جندب

ثم قال في البيت الثاني ـ لدي أم جندب ـ واشتقاقه من الموافقة قال الله عز وجل
﴿ ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا ٠٠ وقال قوم بل الايطاء من الوطء كأن
الشاعر أوطأ القافية عقب أختها كما قال توبة يخاطب بعل ليلى الاخيلية

لعلك يا تيساً نزى في مريرة ... معاقب ليلي أن تراني أزورها

على دماء البدن ان كان بعلها ... يرى لي ذنباً غير أني أزورها

والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة الذبياني

وهم وردوا الجفار على تميم ... وهم أصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواطن صالحات ... وثقت لهم بحسن الظن مني

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين
ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير

ديار التي بتت حبالي وصرمت ... وكنت اذا ما الحبل من خلة صرم

فزعت الى وجناء حرف كأنما ... بأقرابها قار اذا جلدها استحم

وأخف من هذا قول ابراهيم بن هرمة

إما تريني شاحباً متبذلا ... كالسيف يخلق جفنه فيضيع

فلرب لذة ليلة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط الشاعر
في المعاني ولا يضره ذلك اذا أجاد ٠٠ وتجمع القوافي كلها خمسة ألقاب ٠ المتكاوس وهو
أربع حركات بين ساكنين وله جزء واحد وهو فعلتن والفراء لا يعده لانه عنده من
المتدارك لان فعلتن انما هي مستفعلن مزاحف السببين ٠ والمتراكب وهو ثلاث متحركات

ساكنين وهو حرفان متحركان بعدهما ساكن نحو مفاعلن وفعلن ٠٠ والمتدارك وهو حرف متحرك بين ساكنين وهو نحو مفاعيل ومفاعلن ومستفعلن وفاعلن ٠٠ والمتواتر وهو ما ولي فيه متحرك بين ساكنين نحو مفاعيل وفاعلان ومفاعلان ومفعولن ٠٠ والمترادف وهو ما اجتمع في آخره ساكنان نحو فاعلان ومتفاعلان ومستفعلان وما أشبه ذلك ٠٠ ولا يجتمع نوعان من هذه الانواع في قصيدة لا يحسن من سريع ولا متواتر يجتمع فيه مع غيره كما إذا كان الشعر مقيداً

كقول مرقش في بيت * وأطراف الأكف عنم *

وفي بيت آخر * قد قلت فيه غير ما تعلم *

باب التقفية والتصريع

هذا باب يشكل على كثير من الناس علمه ويلحقه عيب سماه قدامة التجميع كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ورأيت من يقول التجميع بالخاء كأنه من جمع في الرحال وسأذكره في موضعه ان شاء الله تعالى ٠٠ فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته نحو قول امرئ القيس في الزيادة

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

وهي في سائر القصيدة مفاعلن وقال في النقصان

لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يماني

فالضرب فعولن والعروض مثله لمكان التصريع وهي في سائر القصيدة مفاعلن كالأولى فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرع ٠٠ والتقفية أن يتساوى الجزآن من غير نقص ولا زيادة فلا يتبع العروض الضرب في شيء الا في السجع خاصة مثال ذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فهما جميعاً مفاعلن الا أن العروض مقفى مثل الضرب فكل مالم يختلف عروض بيته

الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة الا في السجع فقط فهو مقفى ٠٠ واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها وقيل بل هو من الصرعين وهما طرفا النهار ٠٠ قال أبواسحاق الزجاج الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها ٠٠ قال شيخنا أبو عبد الله وهما العصران ٠٠ وقال قوم الصرع المثل وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليُعلم في أول وَهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور ولذلك وقع فى أول الشعر وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك اذا خرج من قصة الى قصة أو من وصف شيء الى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع اخباراً بذلك وتنبيهاً عليه وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرعوا فى غير موضع تصريع وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة الا أنه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف الا من المتقدمين ٠٠ قال امرؤ القيس

تروح من الحيّ أم تبتكر وماذا عليك بأن تنتظرْ
أمرخ خيامهم أم عُشر أم القلب فى إثرهم مُنحدر
وشاقكَ بين الخليط الشَّطُرْ وفيمن أقام من الحى هِرْ

فوالى بين ثلاثة أبيات مصرعة فى القصيدة وقد يجعلون أولها

أحارِ بنَ عمروٍ كأني خمِر ويعدو على المرء ما يأتمر

وقال عنترة العبسى

أعياكَ رسمُ الدارِ لم يتكلم حتى تكلم كالأصمِّ الاعجمِ

ثم قال بعد بيت واحد

هل غادرَ الشعراءُ من متردَّم أم هل عرفتَ الدار بعد توهم
يادارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمي وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

فصرع البيت الأول والثالث والرابع ٠٠ وقولنا فى شعر امرئ القيس وعنترة وغيرهما مما يستأنف مصرّعاً انما هو مجاز وجرى على عادة الناس لئلا يخرج عن المتعارف والا

فقد يأتي ذلك أولاً .. ومن الناس من لا يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر
ثم يصرع بعد ذلك كما صنع الأخطل إذ يقول أول قصيدة

حلت صبيرة أمواه العداد وقد   كانت تحل وأدنى دارها ثكد

وأقفر اليوم ممن حلها ثمد   فالشعبتان فذاك الأبلق الفرد

فصرع البيت الثاني دون الأول .. وقال ذو الرمة أول قصيدة

دار لحزوى هجت للعين عبرة   فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ثم قال بعد عدة أبيات

أمن مية اعتاد الخيال المؤرق   نعم إنها مما على النأي تطرق

وكان الفرزدق قليلا ما يصرع أو يبتني إلا الشعر كقوله

ألم ترني يوم جو سويقة   بكيت فنادتني هنيدة ما بيا

فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصروعة .. وكذلك قوله يرد على جرير

تكاثر يربوع عندك ومالك   على آل يربوع فمالك مسرح

وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرع الأول وهو مذهب كثير من الفحول وإن لم تعد
فيهم لقلة تصرفه إلا أنهم جعلوا التصريع في مبتدآت القصائد فيما يتأهبون له من الشعر
فدل ذلك على فضل التصريع .. وقد قال أبو تمام وهو قدوة

وتقفو إلي الجدوى بجدوى وإنما   يروقك بيت الشعر حين يصرع

فضرب به المثل كما ترى .. والتصريع يقع فيه من الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد
والتضمين ما يقع في القافية .. فمن الإقواء ما أنشده الزجاجي وهو قول بعضهم

ما بال عينك منها الماء مهراق   سحاً فلا عازب منها ولا راقي

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت أنشده الجاحظ

ولست بخير من أبيك وخالكا   ولست بخير من معاظلة الكلب

ومن الإيطاء قول عبد الله بن المعتز

يا سائلاً كيف حالي   أنت العليم بحالي

ومن السناد قول اسماعيل بن القاسم أبي العتاهية

ويلي على الاظعان ولّوا عنى بعتبةَ واستقلوا

ومن التضمين قول البحتري

عذيري فيك من لاحٍ اذا ما شكوتُ الحبّ قطعني ملاما

ومن ابتداء القصائد التجميع وهو أن يكون القسم الأول مهيئاً للتصريع بقافية مافيأتي تمام البيت بقافية على خلافها كقول جميل

يا بنَ ابنك قدملكت فاسجحي وخذي بحظك من كريم واصل

فهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام •• ومثله قول حميد بن ثور الهلالي

سل الربع أنّى يممت أمُّ سالم وهل عادةٌ للربع أن يتكلما

فهيأت له قافية مؤسسة لو شاء ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ويروي أم أسلما فخرج عن التجميع •• ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني

جزى الله عبسا عبسَ آل بغيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقدفعل

واما التجميع فيما شانه الاطلاق أو قارب ذلك كقول جميل فيما تقدم وقول حميد وهو كالاكفاء والسناد في القوافي الا انه دونهما في الكراهية جداً •• واذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب •• والمداخل من الأبيات ما كان قسيمه متصلا بالآخر غير منفصل منه قد جمعتهما كلمة واحدة وهو المدمجْ أيضاً وأكثر ما يقع ذلك في عروض الخفيف وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة الاّ أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين وقد يستخفونه في الأعاريض القصار كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك •• ومن الشعر غير المصرع مالايجوز أن يظن مجمعاً وذلك نحو قول ذي الرمة واسمه غيلانُ بن عقبةَ

أأن ترسمت من خرقاءمنزلةً ماءُ الصبابةِ من عينيكَ مسجومُ

لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ولا مستعمل مثلها وان كان استعمالها جائزاً لو وقع ••ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي تشبيهاً بقواديس السانية لارتفاع

بعض قوافيه في [illegible] [illegible] لا تحري [illegible] رأيته [illegible] طلحة بن [illegible] [illegible] وهي من قصيدة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وذمعي هطال

وهو مربوع رجز تعمد فيه لأقوى [illegible] قصداً كما فعل في البيتين الاولين من هذه . ومن الشعر جنس كالمصرع لانه مختلف الانواع سنذكرها عليها إن شاء الله تعالى . ثم ذات الشعر المسمط وهو أن يبتدئ الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته ثم يعيد قسيماً واحداً من جنس ما ابتدأ به هكذا الى آخر القصيدة مثل ذلك قول امرئ القيس وقيل انه منحولة

توهمت من هند معالم أطلال عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

مرابع من هند خلت ومصايف يصيح بمغناها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف وكل مسف ثم آخر رادف

* بأسحم من نوء السماكين هطال *

وهكذا يأتي بأربعة أقسمة على أي قافية شاء ثم يكرر قسيماً على قافية اللام وربما كان المسمط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم

خيال هاج لي شجناً فبت مكابداً حزناً

عميد القلب مرتهناً بذكر اللهو والطرب

سبتني ظبية عطل كأن رضابها عسل

ينوء بخصرها كفل بنيل روادف الحقب

وربما جعلوا أوله بيتاً خمسة على شرطهم في الاقسمة وهو مشطور أو أربعة ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة كما قال خالد القناص أنشده الزجاجي أبو القاسم

لقد نكرت عيني منازل جيران ... كأسطار رق ناهج خلق فاني
توهمتها من بعد عشرين حجة ... فما استبين الدار الا بعرفان
فقلت لها حييت يا دار جيرتي ... أبيني لنا الى تبدد اخواني
وأي بلاد بعد ربعك حالفوا ... فان فؤادي عند ظبية جيراني

فجاء بأربعة أبيات كما ترى ثم قال بعدها

وما نطقت واستعجمت حين كلمت ... وما رجعت قولا وما ان ترمرمت
وكان شفائي عندها لو تكلمت ... الي ولو كانت أشارت وسلمت

* ولكنها صمت علي بشيان *

وهكذا الى آخرها وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسمة مرة واحدة ولم يعاودها ولو عاودها لم نصره وكذلك لو نقص الا أن الاعتدال أحسن .. والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة واشتقاقه من السمط وهو أن يجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ثم تنظم كل سلك منها على حدته باللؤلؤ يسيراً ثم يجمع السلوك كلها في زبرجدة أو يشب أو نحو ذلك ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته ويصنع به كما صنعت أولا الى تمام السمط هذا هو المعارف عند أهل الوقت .. وقال أبو القاسم الزجاجي انما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي متعقباً بقافية تضمه وترده الى البيت الأول الذي بنيت عليه القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء متفرقة .. ونوع آخر يسمى مخمساً وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك الى أن يفرغ من القصيدة هذا هو الاصل وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط وهو المزدوج الا أن وزنه كله واحد وان اختلفت القوافي كذات الأمثال وذات الحلل وما شاكلهما ولا يكون أقل من مصراعين وكل مشطور أو منهوك فهو بيت وان قيل مصرع فعلى المجاز وما سوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصاريع ليس بيت ولم أحدهم يستعملون في هذه المخمسات الا الرجز خاصة لأنه وطيء سهل المراجعة .. وأما المسمطات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما

قدمت ٠٠ ووقع من رجز وهو مشطور ومنهوك فأما المشطور فمبني على شطر بيت نحو قول الشاعر

لحمد لله الوهوب المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل

وأما المنهوك فهو ما بني على ثلث بيت وهو ما ذهب ثلثاه أي أضعف وهذا مثل قول أبي نواس

وبلدة فيها زور صعراء تخطى في صعر

وأشبه منه مشطور السريع ومنهوك المنسرح وسيأتيان فيما بعد ان شاء الله تعالى
وأنشد الزجاجي وزناً مشطراً مخير الفصول لا أشك أنه مولد محدث وهو

سقي ظلا بحزوى هزيم الودق أحوي
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنود ولا فيها صدود
لها طرف صيود ومبتسم برود
بان شط المزار بها ودنت ديار
فقلبي مستطار وليس له قرار
ستدنيها ذمول كجعجعة دلول
اذا عرضت هجول تقصر ما يطول

وهذا وزن ملتبس يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً ذكره الجوهري ٠٠ وأنشد لبعض المحدثين

أشاقك طيف مامه بمكة أم حمامه

أشاقك مفاعل وحقه في أصل الوزن مفاعيلن ٠٠ وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت اليه وما أصححها له وبشار بن برد قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر

و بشر بن المعتمر وقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح وقصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذا الطريق لما تقتضيه الالفاظ المختلفة الضرورية ولمراده من التوسع في الكلام والتملح بأنواع السجع .. وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والامير تميم بن المعز ومن ناسب طبعيهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة لها قافية واحدة يحملونها معاياة ويتلاقفها العروضيون كالأبيات التي تروى لابن دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ان شاء الله تعالى

*

باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما وباسم القصيد ماطالت أبياته وليس كذلك لان الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع .. فاما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطبيب

باكرني بسحرةٍ عواذلي   وعذلهنّ خبلٌ من الخبلْ

يلمنني في حاجةٍ ذكرتها   في عصر أزمانٍ ودهرٍ قد نسل

والنوع الثاني نحو قول الآخر

القلب منها مستريحٌ سالمٌ   والقلبُ مني جاهد مجهود

والنوع الثالث قول الآخر

قد هاج قلبي منزل   من أم عمرو مُقفِرُ

فهذه داخلة في القصيد وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت أبياته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة لان اشتقاق القصيد من قصدت الى الشيء كأن الشاعر قصد الى عملها على تلك الهيئة والرجز مقصود أيضاً الى عمله كذلك ومن المقصّد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته وذلك هو مشطور السريع نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن ابراهيم الآمدي

[illegible] لأعرابي

[illegible] على ذي مور [illegible] ريح ومور

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] لابن المعتز

ومقلة قد بات يبكيها فيض يجمع من مآقيها

وكبد طول عهدهم يحمي للبلابل يرعيها

ومهجة قد كاد يعييها طول سقام بات يضنيها

وبرؤها في كف مالكها تلاه فهو يشفيها

ليس لها من حبها نصر من رد على الأحباب [illegible]

وهذا عند الجوهري من المنسرح والذي أنشده وعبد الله على قول الجوهري هو من الرجز جعل جزءه الآخر مستفعلن مفروق فيه الوتد فسكن اللام لأن آخر البيت لا يكون متحركا شبهه بمفعولات .. وأما منهوك المنسرح — صبرا بني عبد الدار — فهو عند الجوهري من الرجز ومثله — ويل سعد سعد — لأنه أقصد منه فعلى كل حال يسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته فالقصيد يطلق على كل الرجز وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .. قال الحسن القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز يكون مشتقاً من قرض الشيء أي قطعه كأنه قطع جنساً وقال أبو إسحاق وهو مشتق من القرض أي القطع والمعرفة من الأشياء كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزأين نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

حتى صنع بعض المعة بن أطه عليّ بن يحى أو يحي بن علي المنحم أرجوزة على حرف واحد وهي

طعف أام ندى سد بعد المسم بطوي الأ ؟
حاد بهم وملتب ـ ه فيه هصم اذ بعم

ويقال أن أول من ابتدع ذلك سد الحامر يقول في قصيدة يمدح بها موسى الهادي

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر ألوى المرر
كم اعتسر ثم ايتسر وكم قدر ثم غفر
عدل السير باقي الأثر خير وشر نفع وضر
خير البشر فرع مضر بدر بدر والمفتخر
لمن غبر

والجوهري يسمي هذا النوع المقطع .. وقد رأى قوم أن المشطور الرجز ليس بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

بكسر التاء ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها وليس هذا دليلا وانما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية لانه لم يقصد به الشعر ولا نواه فلذلك لا يعد شعراً وان كان كلاما موزوناً والا فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف الناس الا أن البيت روي أنهم لما ردوا على الخليل قوله ان المشطور ليس بشعر قال لا احتج عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا قال فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته .. وقد رواه قوم دميت باسكان الياء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذ موزوناً .. والراجز قل ما يقصد فان جمعهما كان نهاية نحو أبي النجم فانه كان يقصد وأما غيلان فانه كان راجزا ثم صار الى التقصيد .. وسئل عن ذلك فقال رأيتني لا أقع مع هذين الرجلين على شيء يعني العجاج وابنه رؤبة وكان جرير والفرزدق يرجزان وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مقصداً .. ومثله حميد الأرقط والعماني أيضاً وأقلهم رجزا الفرزدق . وليس يمتنع الرجز

من المقصدين مستغنياً بالقصيد عن الرجز لا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز ومن
يذهب عنه بعض الصعوبة وليس كل راجز يستطيع أن يقصد وإنما الشاعر من
يقصد ويرجز فإنه المقصد الحق وإنه وقع العمل له تدبر ولذلك رجز كثير من
الشعراء كالعجاج ومن نحا نحوه ذلك

باب في القطع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى قال قيل لأبي
عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل فقال نعم ليسمع منها قيل فهل كانت توجز
قال نعم ليحفظ عنها .. قال وقال الخليل بن أحمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز
ويختصر ليحفظ ويستحب الإطالة عند الإعذار والإنذار والترهيب والترغيب والإصلاح
بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة ومن شاكلهما وإلا فالقطع أطير في بعض
المواضع والطول للمواقف المشهورات .. ويحكى أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير
ما وقع وحكم بينهما قال بعض الحكام الفرزدق أشعر لأنه أقواهما أسر كلام وأجراهما
في أساليب الشعر وأقدرهما على الطويل وأحسنهما قطعاً فقدم بالقطع كما ترى .. وقال
بعض العلماء يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطول بل هو عند المحاضرات والمنازعات
والتمثيل والملح أحوج إليها منه إلى الطول .. وقال أحد المحدثين وهو محمد بن حازم
الباهلي

أبى لي أن أطيل المدح قصدي إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصر قصير حذفت به الطويل من الجواب

وقيل لابن الزبعري إنك تقصر أشعارك فقال لأن القصار أولج في المسامع وأجول في
المحافل وقال مرة أخرى يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة .. وقيل للجماز لم
لا تطيل الشعر فقال لحذقي بالفصول وقال له بعض المحدثين وقد أنشده بيتين ما تزيد
على البيت والبيتين فقال أردت أن أنشدك مدارعة وهو القائل

أقول بيتاً واحداً أكتفي بذكره من دون أبيات

وقيل مثل ذلك لعقيل بن علّفة فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .. وقال الجاحظ قيل لأبي المهوس لم لا تطيل الهجاء فقال لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً .. ووهب محمد ابن عبد الملك الزيات احمد بن أبي دؤاد سبعين بيتاً فقال ابن أبي دؤاد يخاطبه

أحسن من سبعين بيتاً سدى جمعك معناهن في بيت

ما أحوج الملك الى مطرة تغسل عنه وضر الزيت

غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وان أجاد على أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ولكن اذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل ان حاوله بتة سوّى بينهما لفضل غير المجهود على المجهود فانا لا نشك أن المطول ان شاء جرد من قصيده قطعة أبيات جيدة ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدةً .. ولام قوم الكميت على الاطالة فقال انا على القصار أقدر هكذا جاءت الرواية ولا تكاد ترى مقطعاً الا عاجزاً عن التطويل والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار ولكن الغالب والاكثر أن يكون قادراً على ما حاوله من ذلك وبالعجز رمي الكميت .. وكان عبد الكريم بهذه الصفة لا يكاد يصنع مقطوعاً ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد .. والمشهورون بجودة القطع من المولدين بشار بن برد وعباس بن الأحنف والحسن بن الضحاك وأبو نواس وأبو علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذل والجماز وابن المعتز وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه وهو قريب من عصرنا هذا إياكم ومنصوراً اذا رمح بالزوج وكان ربما هجا بالبيت الواحد .. ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ولو قال مقاطع بلا ياء قلنا صدقت ولم نخالفه وقيل اذا بلغت الابيات سبعة فهي قصيدة ولهذا كان الايطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد .. ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة وإلقاء البال بالشعر وزعم

[illegible] وقصة [illegible] قصد على عهد [illegible] عبد [illegible]
[illegible] مجيء الاسلام مائة وبيف
[illegible] وغيره [illegible] وأول من طوّل رجزه وجعله كالقصيد الاغلب
[illegible] فاقتدى [illegible]
[illegible] في الرجز كما جرى امرؤ القيس ومهلهل في القصيد والشعر اذ قطع
[illegible] وقد جمع [illegible] الفرزدق ومن المحدثين [illegible] وكان
[illegible] وفضل [illegible] حسن [illegible] شرف [illegible]
[illegible]

[illegible] فقد [illegible]
[illegible] عند [illegible] أهل [illegible]

في البديهة والارتجال

[illegible] هذه الصناعة في [illegible] ومن أهل عصرنا [illegible]
[illegible] البديهة فيها ملكة والتأييد والارتجال [illegible] وتدفقاً
[illegible] كالذي صنع الفرزدق وقد دفع اليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من
[illegible] سيفاً كهاماً فما [illegible] ضرب به فضحك سليمان
[illegible] الفرزدق [illegible] ذلك [illegible] بني عبس [illegible] ورقاء بن
زهير عن [illegible] خالد بن جعفر

فإن يك سيف خان أو قدر أتى ... لتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها ... ويَقطعن أحياناً مناطَ القلائد
ولو شئت قط السيف ما بين عنقه ... الى عَلَقٍ دون الشراسيفِ جامدِ

م جلس وهو يقول

ولا تقلُ الأسري ولكن ءكهم د أعل لاعد حسل مْم م

وكالذى يروى عن أبى الحطاب عمر بن عمر السعدى المعروف بى لاسد وة ... موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه

ياخيرَ من عقدت كفاه حُجزته وخير من قاده أمره مضر

فقال له موسي إلاَّ من يائس فقال واصلا كلامه ولم قطعه

الاَّ النبيَّ رسولَ الله ان له فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر

فعطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك ونظروا في الصحيفة فيم يجدوه فيه عجب صلته وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمرو بن هند فيقال أنى بها كالخطبة وكذلك قصيدة عبد بن الابرص وقيل أفضل البديهة بديهة أمن وردت فى موضع خوف فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة .. وكان أبو نواس قوى البديهة والارتجال لايكاد ينقطع ولا يُرَوِّى الافلة .. روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع فى الشعر ولكنك لا تحسن فيه من فوره يقول مرتجلا

منحتكم ياأهل مصر نصيحتي ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رمى الله أمير المؤمنين بحية أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خصيب

ثم التفت اليه وقال والله لا يأتى بمثلها حطب مصقع فكيف رأيت فسدر اليه وجهه إن كنتُ الامازحاً وسمعت جماعة من العلماء يقولون كان مسلم بن الوليد يطير فى نواس ويفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء الا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال مع نقص كان في مسلم واظهار توقر وتصنع وكان صاحب روية وفكرة لابديهة ولا ارتجال وكان أبو العتاهية فيما يقال أقدر الناس على ارتجال و بديهة لقرب مأخذه وسهوله لفظه احتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس فشرب أحدهم ماء ثم قال أجيزوا

* . . د . . وص * فكلهم تعذر حتى طلع أبو عتاهية فقال فيه أتم واستدوه فقال
وه . روى . ه حسن . . سر * فلم يقسم . لا . بها صاحبه وذلك سوندي
أحوال القوم لاول الكلام .. وصحب رفقة فسمع . لحوت فقال رفيقه
. هل رأيت صبح لاح * قال ثم قال * وسمعت لحديث صاح * قال ثم قال
. . . كى الـ . . و . * وسقط رفقه بالكلام انه شعر وروه . .
حرى هذا المجرى فهو بحال وأما البديهة فقد أمكن الشاعر سير ويكتب سرعا
انحصرت أنه لا . غير بطيء ولا مزاح ولا خاطر حتى يفرط أو قوم من محاسنه لم
أمد بديهته .. وقالوا جمع الشعراء باب الرشيد فأذن لهم فقال من يجيز هذا القسم وله
حكمة فهو ومن هو . أمير المؤمنين قال . ثبت لله وحده
.. فقال خارج والخليفة بعده
والمحب اذا ما حبيبه بت بعده
فقال أحسنت وأتيت على ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف درهم .. ومن عجيب ما روي
في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن
سحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب

قدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الكندي ما صنعت شيئاً شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك
العرب ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيراً وقال

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة وان أعجب ما كان البديهة من أبي تمام لانه رجل متصنع
لا يحب أن يكون هذا في طبعه .. وقد قيل ان الكندي لما خرج أبو تمام قال هذا
الفتى قليل العمر لانه ينحت من قلبه وسيموت قريباً فكان كذلك .. وقد كان أبو الطيب

كثير البديهة والارتجال الا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً وهو لعمرى فى سعة من العذر اذ كانت البديهة كما قال فيها ابن الرومي

نار الروية نارٌ جِدُّ منضجةٍ وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها لكنه عاجل يمضى مع الريح

وقال عبد الله بن المعتز

والقولُ بعد الفكر يؤمن زيغهُ شتان بين رويةٍ وبديهه

ومن الشعراء من شعره فى رويته وبديهته سواء عند الأمن والخوف بقدرته وسكون جأشه وقوة غريزته كهدبة بن خشرم العذرى وطرفةَ بن العبد البكرى ومرة بن محكان السعدى اذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بقتله

بنى أسد أن تقتلونى تحاربوا تميما اذا الحرب العوان اشمأَزتِ

ولستُ وان كانت الى حبيبةً بباكٍ على الدنيا اذا ما تولتِ

وهذا شعر لو روّي فيه صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .. وكذلك عبد يغوث بن صلاءة اذ يقول فى كلمة طويلة

أقول وقد شدُّوا لسانى بنسعةٍ أمعشرَ تيم أطلقوا من لسانيا

فيا راكباً إما عرضتَ فبلغنْ ندامايَ من نجرانَ أن لاتلاقيا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء فعاهدهم فأطلقوه ينوح على نفسه فصنع هذه القصيدة وعرض عليهم فى فدائه ألف ناقة فأبوا الاّ قتله فقال

فان تقتلونى تقتلونى بخيركم وان تطلقونى تحربونى بماليا

وهذه شهامة عظيمة وشدة .. ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ولم أعطكم فى الطوع مالى ولا عرضى

أبا منذر أفنيتَ فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهونُ من بعض

وأين هؤلاء من عبيد بن الابرص وهو شيخ الصناعة ومقدم فى السن على الجماعة إذ يقول له النعمان يوم بؤسه أنشدنى فقال حالَ الجريضُ دونَ القريض قال أنشدنى قولك

فقر من أهله وب   وقطعت ولدوب

فهلا وكن فقر من أهله عسد   ويوم لا يدي ولا عمد

ومما جاء في مثل هذا ما قال علي بن الجهم في طريقة لطيفة ... ومن جميل ما قيل عند حضرة الموت ما قاله تميم بن جميل فقد كان بين يدي المعتصم وقد قدم للسيف فصنع عنه

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً   يلاحظني من حيث ما أتلفت

وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي   وأي امرئ مما قضى الله يفلت

وأي امرئ يدلي بعذر وحجة   وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على الأوس بن تغلب موقف   يسل علي السيف فيه وأسكت

وما جزعي أني أموت وإنني   لأعلم أن الموت شيء موقت

ولكن خلفي صبية قد تركتهم   وأكبادهم من حسرة تتفتت

كأني أراهم حين أنعى إليهم   وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة   أذود الردى عنهم وإن مت موتوا

فكم قائل لا يبعد الله داره   وآخر جذلان يسر ويشمت

فعفا عنه المعتصم وأحسن إليه وقلده عملا .. وعلي بن الجهم هو القائل وقد صلب عريانا

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الـ   إثنين مغمولا ولا مجهولا

نصبوا بحمد الله ملء عيونهم   حسناً وملء قلوبهم تبجيلا

ما ضره أن بز عنه لباسه   فالسيف أهول ما يرى مسلولا

وهذا من جزل الكلام لا سيما في مثل ذلك المقام وكان علي من الفضلاء علما بالشعر وصناعة له .. حكي عن علي بن يحيى أنه قال كنت عند المتوكل اذ أتاه رسول برأس إسحاق بن إسماعيل فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول

أهلا وسهلا بك من رسول   جئت بما يشفي من الغليل

وأس اسحق بن سمعل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ٠٠ والشاعر الحاذق لمرتر اذا صنع البديهة قدمه بالمعوالين والعرر التافه لما فيها من المشقة وهو في الارتجال أعذر ٠٠ واشتقاق البديهة من بدَه بمعنى بدأ أبدلت الهمزة هاءَ كما أبدلت في أشياء كثيرة عرفت منها فقد قالوا مدَحَ ومدَه ولهَّك تفعل كذا بمعنى لأنك ومثل ذلك كثير ٠٠ والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ومنه قيل شعر رجلٌ اذا كان سبطاً مسترسلاً غير جعد وقيل هو من ارتجال الشئ وهو أن تنفرد برحالك من غير حل

باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل حسن الاخلاق طلق الوجه بعيد الغور مأمون الجانب سهل الناحية وطئ الأكناف فان ذلك مما يحببه الى الناس ويزينه في عيونهم ويقربه من قلوبهم وليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس عزوف الهمة نظيف البزة أنفاً لتهابه العامة ويدخل في جملة الخاصة ولا تمجه أبصارهم سمح اليدين والا فهو كما قال ابن أبي قيسَ واسمه احمد

وان أحقَّ الناسِ باللوم شاعر ... يلوم على البخل الرجالَ ويبخل

والى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله

أألوم مَن بخلت يداه واعتدى ... للبخل ِتِرباً ساء ذلك صنيعا

والشاعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل من نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة واحتياج أكثر هذه العلوم الى شهادته وهو مكتف بذاته مستغن عما سواه ولانه قيد للاخبار وتجديد للآثار ٠٠ وصاحبه الذي يذم ويحمد ويهجو ويمدح ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه فهو على نفسه شاهد وبحجته مأخوذ ٠٠ وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الامثال وليعلق بنفسه بعض

نفسه ويقوى ضعفه بقوة طبعه فقد وجد الشاعر من المحدثين ومن المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة لمن فوقه من الشعراء فيقولون فلان شاعر راوية يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد وسهل عليه مأخذ الكلام ولم يضق به المذهب وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا يستطيعه لآلة .. وقد قيل لرؤبة بن العجاج على المحل من الشعر فقال هو راوية يريد أنه ذا رأي مستفحل .. قال يونس بن حبيب وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة وقال رؤبة في صفة شاعر

قد خشيت أن يكون ساحرا راوية مراً ومراً شاعرا

فاستعظم ذلك حتى قرنه بالسحر .. وقال الأصمعي لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله والنحو ليصلح به لسانه ويقيم به إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .. وقد كان الفرزدق على فضله في هذه الصناعة يروي للحطيئة كثيراً وكان الحطيئة راوية زهير وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوي جميعاً وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي مع فضل بصيرة وقوة غريزة ولا بد بعد ذلك أن يتمرن به في شعره ويتوكأ عليه كثيراً وقد نزل أعشى بني قيس بن ثعلبة بين يدي النابغة الذبياني بسوق عكاظ وأنشده فقدمه وأنشده حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة فما عابهم ذلك ولا غض منهم وكان كثير راوية جميل ومفضلاً له إذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ثم أنشد ما يرد منه ولم يكن دون جرير والفرزدق بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز وكان أبو حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع وهو من أحسن الناس شعراً وأظرفهم كلاماً مؤتماً بالفرزدق آخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه .. ولا يستغني المولد عن تصفح أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ وإشارات الملح ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل وإن كانوا هم فتحوا بابه وفتقوا

جله ، وللمتعقب زيادات وافتنان لا على أن تكون عمدة الشاعر مطابقة ماذكرته آخر كلامي هذا دون ماقدمته فانه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع جادته واذا أعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض وعسى أن يكون أرشق سهماً وأحسن موقعاً ممن توغل عليه من المحدثين فقصر عنه ووقع دونه ويجعل طلبه أولا للسلامة فاذا صحت له طلب التجويد حينئذ وليرغب في الحلاوة والطلاوة رغبته في الجزالة والفخامة وتجنب السوقي القريب والحوشي الغريب حتى يكون شعره حالا بين حالين كما قال بعض الشعراء

عليك بأوساط الأمور فانها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وأول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية حسن التأني والسياسة وعلم مقاصد القول فان نسب ذل وخضع وان مدح أطرى وأسمع وان هجا أخل[(١)] وأوجع وان فخر خب ووضع وان عاتب خفض ورفع وان استعطف حن ورجع ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل اليه من بابه ويداخله في ثيابه فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا .. وقد قيل لكل مقام مقال وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته من مزح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السلاطين يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه وما لم يتكلف له ولا ألقى به بالا ولا يقبل منه في هذه الا ما كان محككا معاوداً فيه النظر جيداً لاغث فيه ولا ساقط ولا قلق وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الانواع .. وسيأتي هذا في موضعه من هذا الكتاب مفصلا ان شاء الله تعالى ..

والمتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره اذا أجاد كما لا ينفع المتقدم تقدمه اذا قصر وان كان له فضل السبق فعليه درك التقصير كما أن للمتأخر فضل الاجادة أو الزيادة ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديه ويثبت جيده ويكون سمحاً بالركيك منه مطرحاً له راغباً عنه فان بيتاً جيداً يقاوم ألفي رديء

(١) ن أذل

... امرؤ القيس وهو ... زعموا أنه ... له وعيد به أنه يكون أفضل الشعراء

...

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام جرى جوادا

فلما كثرن وعنّينه تخير منهن شتى جيادا

فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا

هكذا في كتاب ... وفي بعضها جرى ... بالجيم مكسورة غير معجمة ... وشتى جياداً بالشين معجمة غير منونة ... فإن كان شعر الشعراء يصح هذا وتحكيه عن نفسه فكيف ... ويزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن ... بن معاوية الكندي وروى ... في موضع جرى ... والسمه والجمع ... وبه رجع ... ويزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي ويقال إن أبا نواس كان يعمل هذا الفعل فيبقى ... ويبقى الجيد ... وليلتمس به من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يعرف بدياً وقد قال بعض المتقدمين شر الشعر ما سئل عن معناه وكان الحطيئة يقول خير الشعر الحولي المحكك ... أحد في ذلك مذهب زهير وأوس وطفيل .. ولا يجوز للشاعر كما يجوز غيره أن يكون مصححاً نفسه مثنياً على شعره وإن كان جيداً في ذاته حسناً عند سامعه فكيف ... دون ذلك كقوم أفردوا لذلك أنفسهم وأفنوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل وقد قال الله عز وجل ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثني على نفسه ويذكر فضل قصيدته فقد جعلوه مجازاً مسامحاً فيه كالذي يعرض الكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم على أن أبا تمام يقول

وسيئ بالإحسان ظناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون

ومن كان أوصف الناس لقصيده وأكثرهم ولوعاً بذلك وهذا ما دام شعراً كان محمولا على ... ومن المكروه المعيب أن يكون ذلك منثوراً أو تأليفاً مسطوراً كالذي فعل ... أبو العميثل في شيء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر ... وفضلها على أشعار الفحول مثل جرير وغيره منها قول جرير

إن العيون التي في طرفها مرض ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به ... وهن أضعف خلق الله إنسانا

وزعم بعد اقامة ما حسبه برهاناً أن قوله

لا شيء أعجب من عينيك إنهما ... لا يضعفان القوى لا بل تضعفه

خير منه وأسلم من الاعتراض وأكثر اختصاراً .. ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ويعرف حق من فوقه من الشعر فإن امرأ القيس وكان شديد الضنة في شعره كثير المنازعة لأهله مدلاً فيه بنفسه واثقاً بقدرته لقي التوءم اليشكري واسمه الحرث ابن قتادة فقال له إن كنت شاعراً كما تقول فملط لي أنصاف ما أقول فأجزها قال نعم

فقال امرؤ القيس ... أحار ترى بريقاً هب وهنا

فقال التوءم ... كنار مجوس تستعر استعارا

فقال امرؤ القيس ... أرقت له ونام أبو شريح

فقال التوءم ... إذا ما قلت قد هدأ استطارا

فقال امرؤ القيس ... كأن هزيمه بوراء غيب

فقال التوءم ... عشار وله لاقت عشارا

فقال امرؤ القيس ... فلما أن علا كنفي أضاخ

فقال التوءم ... وهت أعجاز ريقه فحارا

فقال امرؤ القيس ... فلم يترك بذات السر ظبياً

فقال التوءم ... ولم يترك بجلهتها حمارا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتنه ولم يكن في ذلك العصر أي العصر من يماتنه آلى أن لا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر روى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو ابن العلاء ولو نظر بين الكلامين لوجد التوءم أشعر في شعرهما هذا لأن امرأ القيس مبتدئ ما شاء هو في فسحة مما أراد والتوءم محكوم عليه بأول البيت مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ومن ههنا والله أعلم عرف له امرؤ القيس من حق المماتنة ما عرف ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان .. وأما جرير فهجاه

شاعر ... به ... ردحت ... قيل له ابردحت فقال وما معنى ابردحت
... لا ... معنى ... وسأله ... وهو ... على
تطاول الشعر وسكن تقاعس الفحول .. وأنا عقبة بن رؤبة بن العجاج وبه اشتد
... محضرة ... أرجوزة فقال كيف ترى ... ان معاذ ... انتر ... كم ...
... وأحسن الاستحسان ... عرف به عقبة حقه ولا شكر له فقال له هذا سر ...
لا يحسنه فقال له ... الكلام ... أرجوزة ... وأبيك ومن
حدث ثم عد على عقبة من شعر أرجوزته التي أولها

يضلّ الحيّ بذات الصمد   لله حبر كيف كنتَ بعدي

فصح ... من رؤبة بفصحة ... كان عيناً عليه .. وكان في البحتري عجب شديد
... يقول ... لا ... يسمعون ... فأنشد المتوكل يوماً قصيدته
التي أولها

عن أي ثغر تبتسم   وبأي طرف تحتكم

... الصيمري ... فلما رأى إعجابه قام حذاءه فقال

عن أي سلح تلتقم   وبأي كف تلتطم
دقن الوليد البحتري   أبي عبادة في الرحم

فولى البحتري وهو غضبان فقال   وعلمت أنك تنهزم

فضحك المتوكل حتى فحص برجله وأعطى الصيمري جائزة سنية

باب عمل الشعر وشحذ القريحة له

لا بد للشاعر وإن كان فحلاً حاذقاً مبرزاً مقدماً من فترة تعرض له في بعض
الأوقات إما لشغل يسير أو موت قريحة أو سوء طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين
وقد كان الفرزدق وهو فحل مضر في زمانه يقول تأتي على الساعة وقلع ضرس من أضراسي

أهون عليَّ من عمل بيت من الشعر ... وذا يعادي ذلك على الشاعر قيل أصفى وأفصى كما يقال أفصت الدجاجة وأصفت الدجاجة إذ انقطع بيضها وكذلك يقال له أحفل كما يقال لحافر البئر إذا بلغ حلاً تحت الأرض لا يعمل فيه شيء أحفى ومثل أجبل أكدى إلا أنهم خصوا به العطاء وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يريد شيئاً على ما حفر ويقال أفحم الشاعر على أفعل قالوا وهو من فحم الصبي إذا انقطع صوته من شدة البكاء فإن ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له أهتر فهو مهتر .. وقد قيل في لبيد أنه إنما كان شعره لطيفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ومات عن قرب ولم يهتر .. وأكثر ما جاء الإهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه .. وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يدل على أنه بهذا سمي نابغة كما عند أكثر الناس لا لقوله

* فقد نبغت لنا منهم شؤون *

كما تقدم من قول بعضهم .. ويقال أحلى الشاعر كما يقال أحلى الرامي إذا لم يصب معنى .. حكي عن البحتري أنه قال أنشدت ابن الجهم عيباً في الشعر وذكر أشجع السلمي فقال إنه كان يخلي فلم أفهمها عنه وأنفت أن أسأله عنها فلما انصرفت فكرت فيها ونظرت في شعر أشجع فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع .. ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر فيشحذ القريحة وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عادته وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى .. قال بكر بن النطاح الحنفي الشعر مثل عين الماء إن تركتها اندفنت وإن استهتنها هتنت وليس مراد بكر أن تستهتن بالعمل وحده لا يأخذ الشاعر تكلل قريحته مع كثرة العمل مراراً وينزف مادته ويبعد معانيه فإذا أجم طبعه أياماً وربما زماناً طويلاً ثم صنع الشعر جاء بكل آبدة وانهمر في كل قافية شاردة وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه من قبل لاستغلق عليه وأبهم دونه لكن بالمذاكرة مرة فإنها تقدح زناد الخاطر وتفجر عيون المعاني وتوقظ أبصار الفطنة ومطالعة الأشعار كرة فإنها تميت الحسد وتولد الشهوة .. وسئل ذو الرمة كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر فقال كيف ينقفل دوني وعندي

بديهته ... لأجل ... لأنه عتيق وبحري
... ... مرة ... ووضع رحله في بركات على
أن ... فقد كان كثير مديح وهجاء ... كان وصف طلال ووصف أظعان وهو
الذي أخرجه من صفة ... وقيل لكثير كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر
قال أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة فيسهل علي أرصنه ويسرع إلي أحسنه ..
وقال الأصمعي ما استدعي شارد بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي
وقال ... وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهدية وقد مررنا بموضع
لم نعرف ... هو شرفه ... قال حيث هذا الموضع مرة وابن عبد الكريم
في ... إنك قد كشفت ... فقلت يا محمد قال نعم قلت ما تصنع ههنا قال
أنجح خاطري وأجلو ناظري قلت فهل أنتجت شيئاً قال ما تقر به عيني وعينك إن شاء
الله تعالى وأنشدني شعراً يحل مسامّ القلوب رقة فلت ... حركته قال
إلى رأي الأصمعي .. وقد كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً يشعل سراجه
ويعتزل وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه يحكي أنه
صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بني نمير وقد تقدم ذكرها .. وروي أن الفرزدق
كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال
وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده وقد حكي ذلك عن
نفسه في قصيدته الفائية

عزفتَ بأعشاش وما كدتَ تعزفُ

وذكر أن فتى من الأنصار ... كثير ... حسان بن ثابت

لما ... العر... صحى ... فما يقطر من مخدة دم

فخاطره ... ولم يصنع شيئاً فلما كان قرب الصباح أتى حسان
... يقول له ... صاحبكم ووسد ذراع
... وقد ... القصيدة ... وقد عجزت الشعراء ...
طولاً وحسناً وجودة .. وقيل لأبي نواس كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر قال
أشرب ... أطيب ... أكون ... بين الصاحي والسكران صنعت وقد

د على النشاط وهزة الأريحية.. وقال ابن قتيبة وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير وهذه العلل تختلف شعر الشاعر ورسائل المترسل .. وحكي عن أبي تمام وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر قريباً من هذا لا أحفظه نصاً ولا أثبت أن ابن قتيبة به اقتدى وإن كان قد رواه... وقد تجمع الفكرة من طريق الفلسفة استلقاء الرجل على ظهره وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند الهبوب من النوم لكون النفس مجتمعة لم تفترق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعنيها وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ولأن السحر ألطف هواء وأرق نسيماً وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار وإنما لم يكن العشي كالسحر وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بعكس دخول الضياء في السحر على الظلمة ولأن النفس فيه كالة مريضة من تعب النهار وتصرفها فيه ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه والسحر أحسن لمن أراد أن يصنع وأما من أراد الحفظ والدراسة ومن أشبه ذلك فالليل قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا﴾ وهذا الكلام الذي لا طعن فيه ولا اعتراض عليه وعلى قراءة من قرأ وطاء يكون معناه أثقل على فاعله وإذا كان كذلك كان أكثر أجراً فهذا يشهد أن العمل أول الليل يصعب لأن النوم يغلب والجسم يكل .. وكان أبو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره. حكى ذلك عنه بعض أصحابه قال استأذنت عليه وكان لا يستتر عني فأذن لي فدخلت في بيت مصهرج قد غسل بالماء يتقلب يميناً وشمالاً فقلت لقد بلغ بك الحر مبلغاً شديداً قال لا ولكن غيره ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال فقال الآن أردت ثم استمد وكتب شيئاً لا أعرفه ثم قال أتدري ما كنت فيه منذ الآن قلت كلا قال قول أبي نواس

كالدهر فيه شراسة وليان

أردت معناه فشمس عليّ حتى أمكن الله منه فصنعت

فمرت بي سنة من قبل أن [illegible] فأنت لا تدرك [illegible] السؤال والجـ[illegible]
[illegible] وسكت عنه حتى [illegible] هذه [illegible] لأن الحكمة فيه
[illegible] مثل حكاية [illegible] وأنشد منها قد [illegible] من لا [illegible]
فهو جرير صنع الفرزدق شعراً يقول فيه

فإني أنا الموت الذي هو ذاهب بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول أنا أبو حزرة حتى قال

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام يصنع القافية للبيت ليعلق الأعجاز بالصدور وذلك هو التصدير في الشعر ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته غير أني لا أجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه بل أصنع القسم الأول على ما أريده ثم ألتمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك فأبني عليه القسم الثاني أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ولم أر ذلك بمخل علي ولا يزيحني عن مرادي ولا يغير علي شيئاً من لفظ القسم الأول إلا في الندرة التي لا يعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره فقال كيف تقول الشعر قال أنظر في ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم يكن أعد شيئاً فأنشد أبياتاً منها

خبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل قومه أثمان العباء فقال

تجالد الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل السور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

فمضى إلى أن يقول فيها للنبي صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال وإياك فثبت الله يا بن رواحة .. ومن الشعراء من يسبق إليه بيت وبيتان وخاطره في غيرهما يحب أن يكونا بعد ذلك بيت أو قبله أبيات وذلك لقوة طبعه واتساع مادته ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثائية أو زائية ونحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع لا يحل عنه نظم أبياته وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين لأنه أعني الشاعر يصير محصوراً على شيء واحد بعينه مضيقاً عليه وداخلاً تحت حكم القافية وكانوا يقولون ليكن الشعر تحت حكمك ولا تكن تحت حكمه .. ومنهم من إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ثم أخذ مستعملها وشريفها وما ساعد معانيه وما وافقها وأطرح ما سوى ذلك إلا أنه لا بد أن يجمعها يكرر فيها نظره ويعيد عليها تخيره في حين العمل هذا الذي عليه حذاق القوم ومن الشعراء من إذا جاءه البيت عفواً أثبته ثم رجع إليه فنقحه وصفاه من كدره وذلك أسرع له وأخف عليه وأصح لنظره وأرخى لباله .. وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه وتثقيفه من جميع جهاته وذلك أشرف للهمة وأدل على القدرة وأظهر للكلفة وأبعد من السرقة .. وسألت شيخاً من شيوخ هذه الصناعة فقلت ما يعين على الشعر فقال زهرة البستان وراحة الحمام وقيل إن الطعام الطيب والشراب الطيب وسماع الغناء مما يرق الطبع ويصفي المزاج ويعين على الشعر ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم .. فلما سمعوا قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ويا سماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقُضيَ الأمرُ واستوتْ على الجوديِّ وقيلَ بعداً للقومِ الظالمين ﴾ يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق وقيل مقود الشعر الغناء به وذكر عن أبي الطيب أن مشرفاً أشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها * جللاً كما بي فليك التبريح *

وهو يتغنى ويصنع فإذا توقف بعض التوقف رجع بالإنشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها وقال بعضهم من أراد أن يقول الشعر فليعشق فإنه يرق وليرو فإنه يدل وليطمع فإنه يصنع .. وقالوا الحيلة لكلال القريحة انتظار الجمام وترصد ساعات النشاط وهذا عندي أصح الأقوال وبه أقول وإليه أذهب .. وقال بكر بن عبد الله المزني لا تكدوا

[illegible] ولا [illegible] كان في [illegible] ومن أكره [illegible] على [illegible] و
[illegible] ولا [illegible] صنعة الحكمة [illegible] الاستغلاق [illegible]
[illegible] وقف الجميع من أبيات شعره [illegible] وحدة فليس شاعر
[illegible] قط
[illegible] في هذا الموضع صحيفة [illegible] بشر بن المعتمر ذكر فيها البلاغة ودل
على مواضع الكلام ومصادره يقول فيها خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها
إياك فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً وأحسن في الأسماع وأحلى
في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى
بديع واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة
وبالتكلف والمعاودة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً وخفيفاً على اللسان
سهلاً كما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى
التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراغ معنى كريماً
فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما
عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوأ حالاً منك من قبل أن تلتمس إظهارهما
وترتهن نفسك في ملابستهما وقضاء حقهما وكن في إحدى ثلاث منازل فإن أولى
الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلاً ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً
إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس
يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة
وإنما مدار الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة ومع موافقة الحال ومع ما يجب لكل مقام
من مقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة
قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها
الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام
فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك في أول
تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة
لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة

عن موضعه فلا أكرهها على اغتصاب مكانها والنزول في غير وطنها . وذلك إذا لم تتعاط
قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فإن
أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك ولك عابك من
أنت أقل منه عيباً ورأى من هو دونك أنه فوقك .. فإن أنت تنبهت أن تتكلف
القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك
أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت
هناك طبيعة أو جريت في الصناعة على عرق فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث
شغل ومن غير طول إهمال فالمرة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات
إليك وأخفها عليك فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب والشيء لا يحن إلا
إلى ما شاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها
مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة .. وقال بعض
أهل الأدب حسب الشاعر عوناً على صنعته أن يجمع خاطره بعد أن يخلي نفسه من
فضول الاشغال ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ثم يأخذ فيما يريده .. وأفضل
ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فضل طمع .. والمقرّبة الشعر وإنما ذلك لأن الشاعر
إذا صنع القصيدة وهو في سعة تأتى وأمر القطر منها على مهل فإذا كان مع ذلك
طمع غني قوي انبعاثها من ينبوعها وجاءت رغبة بها في نظم محكمة وإذا كان فقيراً
مضطراً رضي بعفو كلامه وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ولم يتسع في جميع مراده فلا
نوع محمود لله لما يحضره من الحاجة والضرورة فيقصر دون عادته في سائر شعره وإنه
قصر عمن هو دونه بكثير ومنهم من يحمى خاصة خاطره وتنبعث قريحته فيجود إذا
أوسع أنف وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلاً عن الكثيرة المعدودة في بعض
الاشياء فعل عظيم وهي طبيعة حامية كما قيل فيه

باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع . . فقال بعضهم هي الفصول والوصول . فالمقاطع أواخر الفصول والمطالع أوائل الوصول وهذا القول هو الظاهر من نحو الكلام والفصل آخر جزء من القسيم الأول كما قدمت وهي العروض أيضاً والوصل أول جزء يليه من القسيم الثاني . . وقال غيرهم المقاطع منقطع الأبيات وهي القوافي والمطالع أوائل الأبيات . . وقال قدامة بن جعفر في بعض تآليفه وقد ذكر الترصيع هو أن يتوخى تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى . . وقال ومن الشعر المرصع ما يكون سجعه في غير مقاطع الأجزاء نحو قول أم معدان الأعرابية في مرثية لها

فعل الجميل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد

والسجع في هذا البيت اللام المطردة في ثلاثة أمكنة منه وأواخر الأجزاء التي هي مقاطعه على شريطة قدامة في قافن اللام للهم لأن محل السجع هو الياء الملتزمة فحينئذ يتبين أن لا بد من حرف السجع يكون لا متأخراً في مثل هذا المكان ومثل هذا في أنواع الأعاريض كثير . . ومن الناس من يزعم أن المطالع والمقاطع أول القصيدة وآخرها وليس ذلك بشيء لأنا نجد في كلام الجهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا حسنة المقاطع جيدة المطالع ولا يقولون حسنة المقطع والمطلع وفي هذا دليل واضح لأن القصيدة إنما لها أول واحد وآخر واحد ولا يكون لها أوائل وأواخر إلا على ما قدمت من ذكر الأبيات والأقسمة وانتهائها . . وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين عنها فقال المقاطع أواخر الأبيات والمطالع أوائلها قال ومعنى قولهم حسن المقاطع جيد المطالع أن يكون مقطع البيت وهو القافية متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره فهذا هو حسنه والمطلع وهو أول البيت جودته أن يكون دالاً على ما بعده كالتصدير وما شاكله . . وروى الجاحظ أن شبيب بن شيبة كان يقول الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وإن كانت

كلمة واحدة أرفع من خط سائر البيت والقصيدة وحكاية الخط هذه تدل على أن القطع آخر البيت أو القصيدة وهو بليت ألنق الذكر خط القافية .. وحكى نصاً عن صديق له أنه قال للعتابي ما البلاغة فقال كل ذى كلام أفهمك حاجته من غير عادة ولاحبسة ولااستعانة فهو بليغ قلت قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة قال أما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هناه استمع مني واستمع الي وافهم وألست تفهم هذا كله عيّ وفساد .. قال صاحب الكتاب وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم[1] والله انك لتصغي لحديثي وتقف عند مقاطع كلامي واذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين واذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة وهو مسموع على غير قياس

باب المبدأ والخروج والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر لقد طار اسمك واشتهر فقال لأني أقللت الحز وطبقت المفصل وأصبت مقاتل[2] الكلام وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج الى المدح والهجاء .. وقد صدق لان حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ولطافة الخروج الى المديح سبب ارتياح الممدوح وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها فان حسنت حسن وان قبحت قبح والأعمال بخواتيمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فان الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره فانه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليجتنب ألا وخليليّ وقد فلا يستكثر منها في ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان إلاَّ للقدماء الذين جروا على عرق وعملوا على شاكلة وليجعله حلواً سهلا وفخماً جزلاً فقد اختار الناس كثيراً من الابتداآت أذكر منها ههنا ما أمكن ليستدل به نحو قول امرئ القيس

(١) ب مسلم (٢) ب مقاصد

قد ...ب من ذكري حبيب ومنزل

وهو ...عندهم أفضل مبتدأ صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وقوله

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

ومنه قول القطامي واسمه عمير بن شتيم التغلبي

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

وكقول النابغة

كليني لهمٍ يا أميمة ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب

•• وقوله

كتمتكَ ليلاً بالجمومَين ساهرا وهمَّين همّاً مستكناً وظاهرا

هذا بعض ما اختير للقدماء •• ومما اختير لهم في المرثاة قول أوس بن حجر

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ومما اختير للمحدثين قول بشار بن برد

أبى طلل بالجزع أن يتكلما

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث وقول أبي نواس

لمن دمنٌ تزدادُ طيبَ نسيمِ على طول ما أقوتْ وحسن رُسومِ

•• وقوله

رسمُ الكرى بين الجفون محيلُ عفى عليه بكاً عليك طويلُ

وقوله أعطتك ريحانها العقارُ وحانَ من ليلنا انسفارُ

•• وقوله

دع عنك لومي فان اللومَ إغراءُ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

وما أشبه ذلك مما لو تقصيته لطال وكثر •• وليبعد عن التعقيد في الابتداء فانه أول العي

ودليل الفهاهة فقد حكى أن دعبلا بن علي الخزعي ورد حمص فقصد ديك الجن عبد السلام ابن رغبان ديك الجن فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومشارته فقال له ليستتر وهو أشعر الجن والانس أليس هو الذي يقول

بها غير معذول فداو خمارها ... وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونل من عظيم الردف كل عظيمة ... اذا ذكرت خاف الحفيظ نوارها

فظهر اليه واعتذر له وأحسن نزله ثم تناشدا وأنشد ديك الجن ابتداء قصيدة

كأنها ما كأنه خلل الخـ ... ـلة وقف الهلوك اذ بغما

فقال له دعبل أمسك فوالله ما ظننتك تتم البيت الا وقد غشى عليك أو اشتكيت فكيك وكأنك في جسم حاطب الرماية وقد تخبطك الشيطان من مس وانما أراد بذلك أن يهول عليه ويقرع سمعه عسى أن يروعه ويردعه فيسمع منه ما يكره أن يسمعه ولعمري ما ظلمه دعبل ولقد أبعد مسافة الكلام وخالف العادة وهذا بيت قبيح من جهات منها اضمار ما لم يذكر قبل ولا جرت العادة بمثله فيعذر ولا كثر استعماله فيسهل مع جهالة المشبه على المشبه وثقل تجانسه الذي هو حشو فارغ ولو طرح من البيت لكان أجزم واستدعى قافيته لا لشيء الا لفساد المعنى واستحالة التشبيه الذي يريد به في تشبيهه الوقف وهو السوار ولم كان وقف الهلوك خاصة ومعنى البيت أن عشيقته كأنها في جيدها وعينها الغزال الذي كأنه بين نبات الخلة سوار الجارية الحسنة المتثني المتهالكة فيه وقبل الهلوك البغي الفاجرة فما هذا كله وأي شيء تحته ٠٠ ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن بن سهل

كأنها حين تنائى خطوها ... أخنس مطوي الشوى يرعى القلل

والعيب الاول في مخالفة العادة لازم له ومع ذلك قوله حين تنائى خطوها فقصر بها وهو يقدر ان يقول حين تدانى خطوها وخالف جميع الشعراء بذلك لانهم انما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الكلال غلواً في الوصف ومبالغة هذا هو الجيد وان لم يفعلوا لم يذكروا انها بذلت جهدها واستفرغت جميع ما عندها بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ثم قال يرعى القلل والثور لا يرعى قلل الجبال وانما ذلك الوعل فانه لا يسهل

وشوق السهوب والدمن وموضع الزمن لأن يريد قبل تمت نعمه قرنه أن تكون على سبيل منه وبمكان فقد يمكن وقد سمعت منهم .. ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول إذا ابتدأ شعراً وكثيراً ما يقع ذلك في النسيب كأنه يدل بذلك على وجد وشدة حزن تكون في النفس

هلا بكيت في دمنة تدرج ... أعهد لوعة لاعج الشجن

فهذا عند من اعتذر له ووقف مثل هذا في البيت وأبعد ممن يوجب موضعه أيضاً وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة ويحترس مما يناله فيه ذرة أو يقع عليه مطعن ومن أشنع ما امتدح به الممادح مخاطرة من كان يكرهه ويدفع يستعذ قصيدته المشهورة

* على مثلها من أربع وملاعب *

وكانت فيه حسنة شديدة فقال أجل مثل الله والملائكة والناس أجمعين فدهش أو بدء حتى تبين ذلك عليه على أنه غير أجود ما قيل ولا هو مما لم يدخل عليه عيباً ولا يرونه دليلاً على الحقيقة لأن الجودة والتحفظ من حالة النادرة أفضل وأطيب واتعرّط أرذل وأحذق .. ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه .. ومن هذه الجهة عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول ما أنشده مبتدئاً وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا أن يكن أمانيا

والعيب من باب التأدب للملوك وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء لا سيما وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي الطيب وأشرف مآثر شعره إذا ذكر الشعر .. ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته ... ما بال عينك منها الماء ينسكب

وكانت عين عبد الملك ريشة وهي تدمع أبداً فتوهم أنه خاطبه أو عرّض به فقال وما

سؤالك عن هذا ياجاهل فقفه وأمر بأخراجه .. وكذلك فعل به هشام بن عبد الملك في النجم وقد أنشده في أرجوزة

والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول فأمر به فحجب عنه مدة وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويسامره .. وإنما يؤتى الشاعر في هذه لأشياء اما من غفلة في الطبع وغلظ أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب والفطن الحاذق يختار الأوقات ما تتاكلها ويطير في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميل الى شهواتهم وان خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره .. ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك وقال كلاماً نحو هذا فقال الملك إن الموت حق وان لنا منه نصيباً غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشتها ويبغض لذتها ولا سيما شئ مما تكره ذكره .. ومن المتوارث أن النعمان بن المنذر رأى شجرة ظليلة متفرقة الأغصان في مرج حسن كثير الشقائق وكان معجباً بها واليه أضيفت شقائق النعمان فنزل وأمر بالطعام والشراب فأحضر وجلس للذته فقال له عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة فقال وما تقول قال تقول

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عطف الدهر عليهم فتولوا وكذاك الدهر حال بعد حال

من رآنا فليوطن نفسه انما الدنيا على قرن زوال

كأنه قصد موعظته فتنغص عليه ما كان فيه وأمر بالطعام والشراب فرفع من بين يديه وارتحل من فوره ولم يتمتع بنفسه بقية يومه وليلته وكانا جميعاً نصرانيين فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .. ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر حتى بلغوا بهم مالا يمكن فقالوا عش أبداً واسلم مدى الدهر وابق بقاء الزمان ودم مدة الايام واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ماينتحل كل واحد منهم في قول أبي نواس للأمين

من تعشق ... على لايه ورمى

ت سي ومد ... نفس مكن

في كثير من مدحه وشعره ... الكلام على حد لا يمكن ... يرد به نوع الغاية لا غير ذلك .. ومن قدح به وقع لأبي نواس مدى ... وجد فيه مذهبه أن ... في ... سمعه ... محموده ... فصنع أبو نواس في ذلك الحين وقريب منه قصيدة مدحه ... يقول فيها

... الخشوع ... عشت ولي ... ودي

وختم ... قوله

سلام على ... وقد ... بي ... من رمحين وعدي

... البرمكي ... حتى كثر ... عليه ثم قال بعثت اليه ... أبو نواس ... لا مدينة حتى وقع ... الرشيد وصحت الطيرة .. وزعم قوم أن ... نواس قصد ... في نفسه من جعفر ولا أظن ذلك صحيحاً لان هذه القصيدة من جيد شعره الذي لا ... يحتمل له الهم الا أن يصنع ذلك حيلة ... على ما قصد اليه بذلك .. والشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بسبب لما فيه من عطف القلوب واستدعاء القبول بحسب ما في الطبع من حب الغزل والميل الى اللهو والنساء وأن ذلك ستدرج الى ما بعده .. وقصد الناس تختلف فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والاشفاق منه وصفة الطلول والحمول والتشوق بحنين الابل ولمع البروق ومر النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحلون بها من خزامى وأقحوان وبهار وحوذان وظيان وعرار وما شبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب ونبتة الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ولا يعدون النساء ... تغزلوا ... وما وقع مثل قول طرفة

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وما هو كناية بالغزل عن المرأة .. وأهل الحضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود والهجران والواشين والرقباء ومنعة الحرس والأبواب وفي ذكر الشراب والنداماء والورد

والسرس والبيوور ومن شاكل ذلك من النور ... ة وليس حسن الاستعارة وفي تشبيه الماح والتحية به ودس الكتب ومن شاكل ذلك منهم به معردون .. وقد ذكرو العمان تصريحاً ويذكرون النساء أيضاً منهم من سدث في ذلك من الشعراء قدماء مهم وتماع لما أنعته طابع الرس معهم كما يذكر حسهم لاس وصف مغورعلى العادة المعتادة ولعله لم يركب حملاً قط ولا رأى ماء ورد حدة ومنهم من يكون قوله في الشيء اعتقاداً منه وان ذكر مجرياً على عادة المحدثين وسلوكاً طريقهم الا يخرج عن سنن أصحابه ويدخل في غير سلكه ومنه وكناية تستحص عن التحصن لرقته أو حب رشاقته .. وهذا مما لا نطال عليه شاهد لكثرته لأبي أتمه في هذا المكان قول أبي نواس

علي عين وأذن من مذكرة موصولة بهوى للوطي والغزل
كلاهما يحـ ـوّها سام مهمته على حتلاوة في موضع العمل

والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من مغاور وما مضي من ركاب ومن تجشم من هول الليل وسهره وطول النهار وهجيره وقلة الماء وغووره ثم يخرج الى مدح المقصود ليوجب عليه حق القصد وذمام القصد ويستحق منه المكافأة .. وكانوا قديماً أصحاب خيم ينتقلون من موضع الى آخر فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار و ... ديارهم وليست كأبنية الحاضرة فلا معنى لذكر لحضري الديار لا مجازاً لان الحضرة لا تنسفها الرياح ولا يمحوها المطر الا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل وأحسن ما استعمله المولدون المحدثون ما ناسب قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني بأعلاه قصريّ لدير رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت واقمت حمراً وسلّح عنقي

وكانت دوابهم الابل لكثرتها وعدم غيرها ولصبرها على المشقة ... والعلف فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ألا ترى أن امرأ القيس لما كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والفرانق يعني البريد على أنه لم يستغن عن ذكر الابل للعادة التي جرت على ألسنتهم

فمن عمد رحله في قصر ... ك ...

. قت روحه ... ف ... على ... وهي لا ... أمر

... كل مقصوص ... يريد السرى ... من حمل ...

د رعته من ... كأنها مشي الهيذبى في دفه ثم فرفر (١)

... كسرحان ... ممعضر ترى ... من أعطافه قد تحدر

وكانت حمل العربية تهب ... كانه لمدحل مدحهم في خدمة البريد ...

ثم ... وقال الفرزدق

رحت ... العال ... عتمة ... وفرة لا ... المربع

... الذي راحت به العال أميراً يذكر رحلة وقد عزل .. وقال ... في

بن هبيرة ... أميراً أيضاً

... به معتجراً ببرده سفواء تردى ... وحده

فقدح قيس كلها برده

لا أن ... من ... هذا كله فوصف أنه قصد الممدوح راحلا ... أصدق

... على ... ورحلة .. قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد

... أن الناس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرمي الملسن

قلائص لم تعرف حنيناً على طلى ولم تدر ما قرع الفنيق ولا الهنا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها اليه نعالهم فأخرجه كما ترى مخرج اللغز واتبعه أبو

الطيب فقال

لا ناقتي تحمل الرديف ولا بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكها كورها ومشفرها زمامها والشسوع مقودها

(١) هكذا في الأصول وفي ... ج ٦ ص ٣٥٩ في مادة ...

... من ... كأنها مشى ... في ... ثم ...

... وروي ... والهيذبى ... سير ...

وقال مرة أخرى فى مثل ذلك يشكي

وحيثُ من حوض الركاب بأسود ... من دارش فغدوت أمشي راكبا

وقال أيضاً يتصعلك و يتفقر

ومهمهٍ جبته على قدمي ... تعجز عنه العرامس الذُّلُلُ

بصارمي مرتدٍ بمخبرتي ... مجتزئٌ بالظلام مشتمل

ولو شاء قائل أن يقول إن أبا نواس لم يرد ما ذهب اليه أبو الطيب لكن أراد أنه معه فى بلدة واحدة قصده فى حاجته مجتدياً عليه لكان ذلك أظهر وجهاً ما لم يكن الحضرمي من الحلول مخصوصاً به المسافر دون الحاضر وظاهر الكلام أن مقصد الشاعر من واحد ٠٠ وقد ذكر أبو الطيب الخيل أيضاً في كثير من شعره وكان يوثرها على الابل لما يقوم فى نفسه من الهرب بذكر الخيل وبناها على الشجاعة فقال يذكر قدومه الى مصر على خوف من سيف الدولة

ويوم كليل العاشقين كمنته ... أراقب فيه الشمس أيان تغربُ

وعيني الى أذني أغرَّ كأنه ... من الليل باقٍ بين عينيه كوكبُ

له فضلة عن جسمه فى إهابه ... تجيُّ على صدرٍ رحيب وتذهبُ

شققت به الظلماء أدني عنانه ... فيطغي وأُرخيه مراراً فيلعبُ

وأصرع أي الوحش قفّيته به ... وأنزل عنه مثله حين أركبُ

وما الخيل الاّ كالصديق قليلة ... وان كثرت فى عين من لا يجربُ

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها ... وأعضائها فالحسن عنك مغيَّبُ

وليس فى زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيءٌ من هذا كله الا ما نعد قلة فلواجب اجتنابه الا ما كان حقيقة لاسيما اذا كان المدح من سكان بلد الممدوح يراه فى أكثر أوقاته فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ ٠٠ وقد قلت أنا وان لم أدخل فى جملة من تقدم ولا بلغت حطته من قصيدة اعتذرت بها الى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة عنه عن الديوان

لئن يخص سحر فعن كأنه ... دموعه حيش أى الدر رجف
ويمت حتف لحيح كل مسفة ... بريث له كف طوى السائف
من الموحدات اللائي تقدمن خطى ... وترمي بهن مهمه لمقذف
طير للعدو خمد عنه كأنه ... من القطن أو تيح الشتاء بدائف
وقد رعت فصل الرمم ابن سكة ... هو السيف لا خلصته لمترف
وكيف يرى نوعت على العى ... لمجد وبى للعى لمتارف
وقد قرب الله المسافة بين ... وأمجري لوعد لوماك المسوف
ولولا شقتى لا أعب عنك سمحة ... ولا رام صرفى عن حمالك صارف
وكبى أحطأت رتندى وأصب ... وقد يخطئ الرشد الفتى وهو عارف

فذكرت قرب المسافة بين وبينه حوطة واحتارا أن حوص الحر وحوب الفلاة من صفة عيرى من القصد والعرباء والمتحمين من الامصار .. ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولى اليه أدام الله عزه عن قتراح بعض شعراء وقتا هذ

وذيال به رحل طحون ... لما زلت به ويده زحوج
يطير بأربع لاعيب فيها ... لطيران الصفا منه عجيج
خرجت به عن لاوهام سبقاً ... وقل له عن الوهم الخروج
الى الملك المعز أبى تميم ... أمرّ ثمن سواه فلا أعيج

ومن أخرى فى معنى التقفر والرحلة

وماء بعيد العهد كالنجم فى الدجى ... وردت طروقاً أو وردت مهجرا
على قدم أخت الجناح وأخمص ... يجل حصى المعزاء جمراً مسعرا
فريداً من الاصحاب سلاً من الكسى ... كما أسلم الغمد الحسام المذكرا

ومن الشعراء من لايجعل لكلامه بسطاً من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة وذلك عندهم هو الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب كل ذلك

يقال .. والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء وهي التي لا يبدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب .. قال أبو الطيب

اذا كان مدح فالنسيب المقدم — أكل فصيح قال شعراً متيم

فذكر النسيب وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى أبو نواس بقوله

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند — واشرب على الورد من حمراء كالورد

وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين

صفة الطلول بلاغة القُدُم — فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمر وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال

أعرشعرك الاطلالَ والمنزلَ القفرا — فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ — تضيق ذراعي ان أرد له أمرا

فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة — وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فجاهر بأن وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام والا فهو عنده فراغ وجهل وكان شعوبي اللسان فما أدري ما وراء ذلك وان في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء لشاهداً عدلا لا ترد شهادته .. وقد قال أبو تمام

* لسان المرء من خدم الفؤاد *

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلا كما يصنع بعض أهل زماننا هذا وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح ان شاء الله تعالى .. ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فعلا لذلك البحتري كان يصنع الابتداء سهلا ويأتي به عفواً وكلما تمادى قوي كلامه وله من جيد الابتداآت كثير لكثرة شعره والغالب عليه ما قدمت غير أن القاضي الجرجاني فضله بجودة الاستهلال وهو الابتداء على أبي تمام وأبي الطيب وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ولست أرى لذلك وجهاً الا كثرة شعره كما قدمت فانه لو حاسبهما ابتداء جيداً بابتداء ما

لا يرى عسهم وقصر عن عذره ٠٠ فمن ذلك في الابتداء ما نعص من أبي عبادة نقصاً شديداً ويحور عنه حوراً بيناً لا يقبل منه ولا يسلم به ٠٠ وكان أبو تمام لا تدعه روعة وسه نهة كقوله

حق نيح والسوف حور خذر من نشد ورين حذار

٠٠ وقوله

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقوله صعي لى اليس معتراً فلا حرما

وقوله ارتع لو رعوا على من هموم

واللعب عليه تحت اللفظ وجزرة لا بد ٠٠٠ وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي يفضل ابتداءات البحتري جداً وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ووجه فيه البحتري أعظم تمويه ٠٠ ومن جيد ابتداءاته قوله

عرصا أصلا فقفا لو ترب حتى أصاب الأخوان الا تسلب

٠٠ وقوله

ما على الركب من وقوف الركاب في معانى الصبا ورسم التصابى

وقوله صمن على عهدك أني لا أسلو

٠٠ وقوله

ترى عنده غير التحوى وأدمعي وأني متى أسمع بذكراه أجزع

وأما الخروج فهو عندهم سبيله الاستطراد وليس به لأن الخروج إنما هو أن يخرج من سيب الى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تمادى فيما خرج اليه ٠٠ كقول حبيب فى المدح

صب الفراق علينا صب من كثب عليه اسحق يوم الروع منتقما

سيف الامام الذى سمته همته لما تحرم أهل الارض محترما

ثم تمادى فى المدح الى آخر القصيدة ٠٠ وكقول أبى عبادة البحتري

سقيت زنادك كل ... حلي   من ... حقاً ذا معلوما

ولو أني أعطيت فيهن منى   سقيتهن ... كف ...

وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب فإنه لم يكد يخلو له ولا تندعه حتى ربما قبح سقوطه فيه نحو قوله

فانظري أو فظني بي ترى حرقاً   من لم يذق طرفاً منها فقد وألا

علّ الأمير يرى ذلي فيشفع لي   إلى التي تركتني في الهوى مثلا

فعد منى أن يكون له الأمير قواداً وليس هذا من قول أبي نواس

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد   هواك لعل الفضل يجمع بيننا

في شيء لأن أبا نواس قال يجمع بيننا ثم تبع ذلك ذكر المال والسخاء به فقال

أمير رأيت المال في نعماته   مهيناً ذليل النفس بالضيم موقنا

فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالحاجة يفضل عليه ويجزل عطيته فيتزوجها أو يتسرى بها وأبو الطيب قال استمع والسماعة رغبة وسؤال ثم اتبع بيته بما هو مفهوم معناه في القصيدة فقال

أيقنت أن سعيداً طالب بدمي   لما بصرت به بالرمح معتقلا

فدل على أنه يشفع فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك وإلا رجع إلى القهر .. والذي يشاكل قول أبي نواس قوله

أحب التي في البدر منها مشابه   وأشكو إلى من لا يصاب له شكل

ولفظة — الشكوى — تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس .. ومما سقط فيه وإن كان مليح الظاهر قوله يخاطب امرأة نسب بها

لو أن فنا خسر صبحكم   وبرزت وحدك عاقه الغزل

وتفرقت عنه كتائبه   إن الملاح خوادع قتل

ما كنت فاعلة وضيفكم   ملك الملوك وشأنك البخل

أتمنعين قرى فتفتضحي   أم تبذلين له الذي يسل

بل لا يحل بحيث حل به   بخل ولا جور ولا وجل

ثم مضى قد حسرو ... عرف بعوثه وإن ... ثم تفرق عنه وجعله يسأل هذه المرأة وسكت عن ... ثم وجب أن يخرج لا لحل بحيث حل موقعه تحت ... وعلى هذا كان خروجاً من قد حسرو ولا يجب أن يقال من ... هو سأل الأمير أن يستمع ... فيستمع الأمير منه .. والاستطراد أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية وجاء بها ... وسيرد عليك في بابه إن شاء الله تعالى .. ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوصلا وينشدون لأبي تمام

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه ... فليس به بأس وإن كان من جرم
ولو أن جرماً أطعموا شحم جفرة ... لظلوا بطاناً يضرطون من التخم

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره ثم رجع إلى ما كان فيه .. كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر

فكفكفت مني عبرة فرددتها ... إلى النحر منها مستهل ودامع
على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال

ولكن هماً دون ذلك شاغل ... مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع
يسهد في ليل التمام سليمها ... لحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طوراً وطوراً تراجع

ووصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه مبتدئاً ثم تخلص الى الاعتذار الذي كان فيه فقال

أتاني أبيتَ اللعن أنك لمتني ... وتلك التي تستك منها المسامع

ويروى — وخبرت خير الناس أنك لمتني — ثم اطرد له ما شاء من تخلص الى تخلص حتى انقضت القصيدة وهو مع ما ذكرت فيه غير خارج عما ابتدأه على .. وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من يريد الشاعر مدحه بتلك القصيدة ثم يعود بعد ذلك الى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع الى المدح كما فعل أبو تمام وان أتى بمدحه الذي تمادى فيه مقتضباً وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة

صمك طالعة الثريا طوم ... واطم من ذي قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا ... منها طلول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم أن النوى ... أجل وأن أبا الحسين كريم

ما زلت عن سنن الوداد ولا غدت ... نفسي على إلف سواك تحوم

ثم قال بعد ذلك

لمحمد بن الهيثم بن شبانة ... مجد الى جنب السماك مقيم

ويسمى هذا النوع الإلمام .. وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج الى المدح بل يقولون عند فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله دع ذا وعد عن ذا ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأنّ المشددة ابتداءً للكلام الذي يقصدونه فاذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلاً بما قبله ولا منفصلاً بقوله دع ذا وعد عن ذا ونحو ذلك سمي طفراً وانقطاعاً .. وكان البحتري كثيراً ما يأتي به نحو قوله

لولا الرجاء لمت من ألم الهوى ... لكن قلبي بالرجاء موكل

ان الرعية لم تزل في سيرة ... عمرية مذ ساسها المتوكل

وربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة الى فلان قصدتُ وحتى نزلت بفناء فلان وما شاكل ذلك .. وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه واذا كان أول الشعر مفتاحاً

ه ءحب ن كوں لآحرهالاء ه وقد ري ٠و الطيب على كل شعر في حودة فصول
هـ ـب ـلا لا له رة عقد و ال لاشعار بعة معسه وعو اً على الدس كقوله
ون قصدته

ووؤ ك كر يع تشداه طسمه ان سعد والدمع أشفاه ساحمه

ون هد يحتح الاصمعي ب ن يمسر معده ويقع له في حروح مه كان بركه أولى به
وشعر ه وند دحله فيه حب لاعرب في دب اوسد حتى حاء بالمعت البارد والشع
نسكف محو قوله

أحدث ويقوو حرمل ثيراً ومن برهم رنعا

فهـ من ست حة واشناعة محت لاهي على أحد وما أطه سرق هدا المعى الشريف
لا من كـ ه كم وانمس الصيمري عن سان رحل رعم أ ه قل رأيت رحلا ىم
ويمد عمرة لحره ثمل لا ه دراسح وند حمل أو الطيب مكان الرحل حلا وان علما
لاعرق في مر ده ومعه ٠٠ وقال

أعر كان في نس سرج سابح وحير حليس في الزمان كتاب
وبحر أو سك الحصم الذي ه على كل بحر رحرة وعباب

تريد وحير بحر أبو المسك وهـذه عاية التصنع والتكلف ٠٠ ومن العرب من يختم
القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها رعبة مشتهية ويبقى الكلام مبتوراً كأنه لم
يعمد حعله حاتمة كل دلك رعبة في أحد العفو واسقاط الكلفة ألا ترى معلقة امرىء
القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر

كأن السباع فيه عرقي عشيةً بأرحائه القصوى أنابيش عنصل

ولم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها ٠٠وقد كره الحداق
من الشعراء حتم القصيدة بالدعاء لانه من عمل أهل الضعف الا للملوك فهم يشتهون
دلك كما قدمت ، لم يكن من حاسن قول أبي الطيب يدكر الخيل لسيف الدولة

(١) لـ أبو مسلس

فلا هجمت بها الا على ظفر ولا وصلت بها الا الى أمل

ومن هذا تشبه ما ذكر عن بعض كان نصيح الامير فيقول لاصبح الله الامير بعافية ويسكت ثم يقول الا ومسه واكثر منهم ونسبه فيقول لامسى الله الامير بنعمة ويسكت سكتة ثم يقول الا وصبحه باثم منها أو نحو هذا فلا يدعو له حتى يدعو عليه ومثل هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب

باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال له إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته ٠٠ وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال في اللسان يريد البيان ٠٠ وقال أصحاب المنطق حد الانسان الحي الناطق فمن كان في المنطق أعلى رتبة كان بالانسانية أولى ٠٠ وقالوا الروح عماد الجسم والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم ٠٠ وسئل بعض البلغاء ما البلاغة فقال قليل يفهم وكثير لا يسأم ٠٠ وقال آخر البلاغة اجاعة اللفظ واتساع المعنى ٠٠ وسئل آخر فقال معان كثيرة في ألفاظ قليلة ٠٠ وقيل لاحدهم ما البلاغة فقال اصابة المعنى وحسن الايجاز ٠٠ وسئل بعض الاعراب من أبلغ الناس فقال أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة ٠٠ وسأل الحجاج ابن القبعثري ما أوجز الكلام فقال ألا تبطئ ولا تخطئ وكذلك قال صُحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان ٠٠ وقال خلف الاحمر البلاغة لمحة دالة ٠٠ وقال الخليل بن احمد البلاغة كلمة تكشف عن البقية ٠٠ وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي ما البلاغة عندكم فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل ٠٠ وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الى عمرو بن مسعدة اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجار تقصيراً واذا كان الايجار كافياً كان الاكثار عياً ٠ وأنشد المبرد في صفة خطيب

طبيب بداء فنون الكلا م لم يعي يوماً ولم يهذر

و هو ضب في حطــة قصى للمطيـل على لمرر
و هو أوحر في حطــة قصي للمقل على المكثر

قال أبو حسن على بن عيسى لرمانى أصل البلاغة الطبع وله مع ذلك آلات تعين عليه وتوصل القوة فيه وتكون ميزاناً لها وفصلة بينها وبين غيرها وهي ثمانية أضرب الايجاز والاستعارة والتشبيه والبيان والنظم والتصرف والمشاكلة والمثل وسيرد كل واحد منها مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ٠٠ وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال من اقتصر على الايجاز وتنكب الفضول ٠٠ وسئل ابن المقفع ما البلاغة فقال اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة ٠٠ قال صاحب الكتاب فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الايجاز ٠٠ وقال بعض الكلبيين

وعن ذاك من السكوت إجابة ومن التكلم ما يكون خبالا

وقلت أنا في مثل ذلك

وأحرق أكال لحم صديقه وليس لجاري ريقه بمسيغ
سكت له صفحاً بعرضى فلم أجب ورب جواب في السكوت بليغ

وقلت أيضاً ولم أذكر بلاغة

أيها الموحي البسا بنثة الصل الصموت
ماسكتنا عنك عياً رب نطق في السكوت
لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوت
إن بهن وهناً فهو حبلنا سكين وقوت

وقيل لبعضهم ماالبلاغة فقال ابلاغ المتكلم حاجته بحسن افهام السامع ولذلك سميت

بلاغة ٠٠ وقال آخر البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك ٠٠ وقال آخر البلاغة معرفة الفصل من الوصل ٠٠ وقيل للبلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة ٠٠ وقيل البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره وآخره يرتبط بأوله ٠٠ وقيل البلاغة القوة على البيان مع حسن النظام ٠٠ ومن قول السيد أبي الحسن أيده الله عز وعلا في صفة كاتب بالبلاغة وحسن الخط

وفاق الأنام بفضل علم واسع ... وعلا مقالهم بفضل منطق

وحكى لنا وشي الرياض وقد وشت ... أقلامه بالنقش بطن المهرق

فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف ٠٠ ونحو ذلك قوله أيضاً

اذا مشقت يمناك في الطرس أسطرا ... حكيت بها وشي الملاء المعضد

بروق بتجويد الخط حسن حروفها ... ويعجب منها بالمقال المسدد

وهذا الشعر كالأول في الحسن واصابة المفصل وأن أبا الحسن لكما قال فيه أبو الطيب خاتم الشعراء

عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبا

بل كما قال ولي نعمته وشاكر منته

اني لأعجب كيف يحسن عنده ... شعر من الاشعار مع احسانه

ما ذاك الا أنه در المعني ... يعبر التجار به على دهقانه

أستغفر الله لا أجحد أبا الطيب حقه ولا أنكر فضله ٠٠ وقد قال

ملك منشد القريض لديه ... يضع الثوب في يدي بزاز

ثم نرجع الى وصف البلاغة بعد ما أقصينا ووشحنا هذا الباب من ذكر السيد فنقول ٠٠ وقالوا البلاغة ضد العي والعي العجز عن البيان ٠٠ وقيل لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ٠٠ وسأل عامر بن الظرب العدواني حممة بن رافع الدوسي بين يدي بعض ملوك حمير فقال من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزير باللفظ الوجيز وطبق المفصل

قبل التحرير . . وقيل لارسطوطاليس ما البلاغة قال حسن الاستعارة . . وقال الخليل البلاغة ما قرب طرفاه وبعد منتهاه . . وقيل لخالد بن صفوان ما البلاغة قال اصابة المعنى والقصد الى الحجة . . وقيل لابراهيم الامام ما البلاغة قال الجزالة والاطالة وهذا مذهب جماعة من المترسلين وبه كان ابن العميد يقول في منثوره . . وقيل لبعض جلة ما البلاغة فقال تقصير الطويل وتطويل القصير يعني بذلك القدرة على الكلام . . وقال أبو العيناء من أجزأ بالقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء وبعد القريب وأخفى الظاهر وأظهر الخفي . . وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ويصف بلاغته

ومعان لو فصلتها القوافي   هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا   وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن   به غاية المراد البعيد

والبيت الاول من هذه القطعة تشهد بفضل الشعر على النثر . . وحكى الجاحظ عن الامام ابراهيم بن محمد قوله يكفي من حظ البلاغة الا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ثم قال الجاحظ أنا استحسن هذا القول جداً . . ومن كلام ابن المعتز البلاغة بلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام . . وقال ابن الاعرابي البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير . . وقال بعض المحدثين البلاغة اهداء المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . . ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن اسمعيل الثعالبي قال قال بعضهم البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة . . وقال خير الكلام ما قل ودل وجل ولم يمل . . وقال أبلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه . . قال وقيل البليغ من يجتني من الالفاظ نوره ومن المعاني ثماره وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبي الطيب في قوله لابن العميد

قَطَفَ الرجالُ القول قبل نباته   وقطفت أنت القول لما نوّرا

وكان يمكنه أن يقول لما أثمر لكن ذهب الى ما قدمت وانما اقتدى بقول أبي تمام

ويجف نُوَّار الكلام وقلما   يلقى بقاء الغرس بعد نمائه

وكان بعضهم يقول تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق في غير أهل

البادية نقص وخروج عما يعليه الكلام سهو .. وقال اليوناني فهم الكلام بعقل
وزينته الصواب وحليته الإعراب ورائضه اللسان وجسمه القريحة وروحه المعاني ..
وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بمناحت البلاغة فهم والإفهام وكشف المعنى
بالكلام ومعرفة الإعراب والاتساع في اللفظ والسداد في النظم والمعرفة بالقصد والبيان
في الأداء وصواب الإشارة وإيضاح الدلالة والمعرفة بالقول والاكتفاء بالاختصار عن
الإكثار وإمضاء العزم على حكومة الاختيار قال وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى
بعض كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض لا غنى بخصلة أحدها عن الآخر فمن أحاط
معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ومن شذ منه بعضها لم يبعد من النقص :
اجتمع فيه منها قال والبلاغة تخير اللفظ في حسن إفهام .. وسئل الكندي عن البلاغة
فقال تركها البسط وهو على ثلاثة أنواع فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ونوع تعرفه
وتتكلم به ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها .. ومن كتب عبد الكريم قالوا حسن
البلاغة أن تصور الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق قال وسمع من يعيب
ذلك المعنى ويعده إسهابا وآخر يعده بيانا .. قال ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله
ابن عامر بنهر أم عبد الله الذي اشتق البصرة فقال عبد الله بن عامر ما أصلح هذا
النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير يتعلم فيه العوم صبيانهم
ويكون لسقياهم ومسيل مياههم وتأتيهم ميرتهم قال ثم مر غيلان يسير زيادا على ذلك
النهر وقد كان عادى ابن عامر فقال له ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان
أجل والله أيها الأمير تندى منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم
وكره الناس من البيان مثل هذا فقضى كلام عبد الكريم .. والذي أراه أن هذا
النوع من البيان غير معيب لأنه نفق لأنه لم يجعل الباطل حقا على حقيقة ولا حق
باطلا وإنما وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى كما فعل عمرو
ابن الأهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الزبرقان بن بدر
فأثنى خيرا فقال مانع لحوزته مطاع في أدنيه فلم يرض الزبرقان بذلك
وقال أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكن حسدني لشرفي وفي رواية أخرى حسدني
مكاني منك فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه عمرو شرا وقال أما إني قلت ما

من عمته حسن تصدر من مروءة أحمق لأب سم خال حديث العهد ثم قال والله
يا رسول الله ما كذبت عليه في الأولى ولقد صدقت في الآخرة ولكني رضاني فقلت
...ي وأسخطني فسبت ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحراً
... قال أبو عبيد القاسم بن سلام وكأن المعنى والله أعلم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الانسان
فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى
قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك .. وقال الجاحظ العربي يعاف الشيء ويهجو
به غيره فإن ابتلى به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه .. ودخل
أبو العيناء على المتوكل فقال له ما تقول في البذاء قال إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه
والمسيء بإساءته فقد زكى الله وذم فقال ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ وقال ﴿هماز مشاء بنميم
مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ فذمه حتى قذفه وأما أن أكون
كالعقرب التي تلسع النبي والذمي فقد أعاذك الله من ذلك وقد قال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ... ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما

قال الجاحظ قال ثمامة بن أشرس قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون اللفظ يحيط
بمعناك ويجلي عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بد منه
أن يكون سليما من التكلف بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل قال
الجاحظ وهذا هو تأويل قول الأصمعي البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر قال
أبو عبيدة البليغ البلغ الفصيح الفم ... وقال غيره البالغ الذي يبلغ ما يريد من قول وفعل والبليغ
الذي لا يبالي من قال فيما قيل فيه كذلك قال أبو زيد وحكى ابن دريد كلام بلغ وبليغ
وقال ابن الأعرابي يقال بلغ وبلغ ولا شك أن ابن الأعرابي قال إنما هو في الأهوج
الذي لا يبالي حيث وقع من القول وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف
عي ولا عجزه لكن غمرت ذلك لاختلاف العبارات ومدار هذا الباب كله على أن
البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز مع حسن العبارة ومن جيد ما حفظته
قول بعضهم البلاغة تبيد الكلام معانيه وإن قصر وحسن التأليف وإن طال

باب الايجاز

الايجاز عند الرمانى على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقولك سل أهل القرية ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل ﴿ واسأل القرية ﴾ وعبر عن الايجاز بأن قال هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ونعم ما قال الا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية يسميه أهل هذه الصناعة .. وأما الضرب الأول مما ذكره فلحسنه سموه مساواة ومن بعض ما أنشدوا فى ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي غير شيمته ... إن التخلق يأتى دونه الخلق

ولا تؤ تك فيما بات من حدث ... لا أخو ثقة فانظر بمن تثق

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ولا معناه على لفظه شيئاً .. ومثله قول أبى العتاهية ورواه بعضهم للحطيئة وهذا شرف عظيم لابى العتاهية ان كان الشعر له ولا أشك فيه

الحمد لله الذى فى حوار فتى ... حامى الحقيقة نفاع وضرار

لا يرفع الطرف الا عند مكرمة ... من الحياء ولا يغضى على عار

وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن

انما الذلفاءُ همي ... فليدعنى من يلوم

أحسن الناس جميعاً ... حين تمشي وتقوم

أصل الحبل لترضى ... وهى للحبل صروم

ثم قال عبدهم أنه ليس فى هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .. والضرب الثانى مما ذكر الرماني وهو قول الله عز وجل ﴿واسأل القرية﴾ يسمونه الاكتفاء وهو داخل فى باب المجاز وفى الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقى على الذاهب .. من ذلك قول الله عز وجل ﴿ ولوْ أنَّ قرآناً سُيرت به الجبالُ أو قطعت به الأرضُ

وكأنه قال موتى كأنه قال لكن هذا عراك ٠٠ ومنه قولهم تورثت غيا بين الصفين أي رأيت أمراً عظيما وان كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصوراً ٠٠ وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

كأنه قال هان الأمر ولكنها نفس تموت موتات ونحو هذا ٠٠ ومن الحذف قول الله عز وجل ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ٠٠ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين وقد شكروا عنده الانصار أليس قد عرفتم ذلك لهم قالوا بلى قال فان ذلك يريد فان ذلك مكافأة لهم ٠٠ وروى أبو عبيدة عن سفيان الثوري قال جاء رجل من قريش الى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له فجعل يمت بقرابته فقال عمر فان ذلك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذلك ٠٠ وقال الطرماح يوماً للفرزدق يا أبا فراس أنت القائل

ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أعز ممّاذا وأطول ممّاذا وأذن المؤذن فقال له الفرزدق يا لكع ألا تسمع ما يقول المؤذن الله أكبر أكبر ممّاذا أعظم ممّاذا فقطع الطرماح انقطاعاً فاحشاً ٠٠ وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عزيز طويل ولكنه بناه على أفعل مثل أبيض وأحمر وما أشبههما كلهما فحسن لازماً نا في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى ٠٠ ومن الايجاز قول الاعرابي في صفة الذئب

أطلس يخفي شخصه غباره في شدقه شفرته وناره

فقوله — في الشفرة والنار — ايجاز مليح ٠٠ وقال آخر في صفة سهم صارد

* غادر داء ونجا صحيحا *

وقال آخر في صفة ناقة * حرقاء الا أنها صناع *

وقال أبو نواس يصف حنين ناقة محدجا * ميت الدنا حي التسعر *

وقال ابن المعتز يصف ثرياً * مبارك اذا رأى فقد رزق *

ومن الايجاز البديع قول الله عز وجل ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ وقوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير وهي على ما ترى من الاحكام والايجاز ومثل ذلك قوله تعالى ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ وقوله تعالى ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ وقوله ﴿إن يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس﴾ ..وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال كفى بالسلامة داء ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالايجاز وقد قال أعطيت جوامع الكلم فأما قوله عليه الصلاة والسلام كفى بالسيف شا يريد شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبد الكريم ولدى أرى أن هذا ليس مما ذكروا في شيء لان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكما ودليل ذلك أنه قال ولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران فهذا وجه الكلمة والله أعلم لا كما قال علقمة بن عبدة

كان ابريقهم ظبي على شرف   مفدم بسبا الكتان ملثوم

يريد بسبائب الكتان فحذف اضطراراً لان الوزن لا يستقيم له الا بعد الحذف وكذلك قول لبيد   * درس المنا بمتالع فأبان *

يريد المنازل فحذف للضرورة أيضاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر .. فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير لحب الاستخفاف وتارة للضرورة وسيرد عليك في باب الرخص ان شاء الله تعالى

باب البيان

قال أبو الحسن الرماني في البيان هو احضار المعنى للنفس بسرعة ادراك وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة لانها احضار المعنى للنفس وان كان بابطاء .. وقال البيان الكشف عن المعنى

حتى تدرك بعض من غير عقلة وثم قال ذلك لأنه قد بلغني انه يعتقد في الكلام لذي بيان ولا يستحق اسم بيان .. قال صاحب الكتاب وقد مر في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله ماء ودماء وهو من حد البيان عندهم وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحراً ومن مثل ذلك للعلاء بن الحضرمي وقد سأله هل تروي من الشعر شيئاً فأنشده

حيِّ ذَوِي الأضغان تسب عقولَهم تحيّتَك الحسنى وقد يرقع النعل

فإن دحسوا بالكره فاعف تكرماً وإن خنسوا عنك[1] الحديث فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منه سماعه وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وروي لحكمة .. ومن البيان الموجز الذي لا يقرن به شيء من الكلام قول الله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله في الاعراب عن صفته ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فبين تعالى أنه واحد لا ثاني معه وأنه صمد لا جوف له وقيل الصمد السيد الذي يصمد اليه في الأمور كلها ولا يعدل عنه وقيل العالي المرتفع وأنه غير والد ولا مولود وأنه لا شبه له ولا مثل وقيل ان الكفو هو الصاحبة تعالى الله وانما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو سألتموني أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك فلما هو كذلك فهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة .. ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه فهذا الكلام في نهاية البيان والايجاز .. وقال أبو بكر رضي الله عنه في بعض مقاماته وليت أموركم ولست بخيركم أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم فقد بلغ بهذه الالفاظ الموجزة غاية البيان .. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض خطبه أيها الناس

(١) ن خنسوا عنك

إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه روى ذلك المبرد عن الأصمعي وذكر الاخفش عن علي بن سليمان هذه الخطبة فقال الصحيح عندي انها لابي بكر .. ومن كلام عمر رضي الله عنه كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه .. وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الامر بي قدره وطمع في من لا يدفع عن نفسه

فإن كنتُ مأكولاً فكن أنت آكلي   وإلاَّ فأدركني ولما أمزق

البيت الذي تضمنته الرسالة من شعر لممزق العبدي يقوله لعمرو بن هند في قصيدة مشهورة وبه سمي الممزق واسمه شاس بن نهار وخطب عثمان يوماً فانه وهو مطرق فقال له ما بالك لاتقول فقال علي ان قلت لم أقل لا ما تكره وليس لك عندي الا ما تحب قال المبرد تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي فلذعك عتبي وعقدي الا أفعل وان كنت عاتباً لا ما تحب .. وهذا قليل من كثير يستدل به عليه ولو تقصيت ماوقع من ألفاظ التابعين ومن تقدمت به شعراء الجاهلية والاسلام لافنيت العمر دون ذلك وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد وصنع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلا ثم ما ادعى احاطة بهذا الفن لكثرته وان كلام الناس لايحيط به الا الله عز وجل

باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ أجود الشعر مارأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكا واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان واذا كان الكلام على هذا الاسلوب الذي ذكره الجاحظ لذ سماعه وخف محتمله وقرب

وبهمه وعدت ينطق به وحي في فم ـ معه واذا كان مد وراً متنابياً عسر حفظه وثقل على ـ ن ـ دق به ومحمه مسمع ولم يستقرفيها منه شيء . . وأنشد الجاحظ قال أنشدني أبو العصى قال أنشدني حمف

ومص قريص لقوم ـ اعلة يكد ـ ـ الناطق المحفظ

وأنشد عنه عن ى سد ء الرياحي

وشعر كبعر الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض دخيل

واستحسن أن يكون البيت بأسره كانه لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة كأنها حرف وحد وأنشد قول الثقفي

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه اذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

والناس مختلفو الرأي في مروحة الالفاظ منهم من يحمل الكلمة وأختها وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب وبه كان يقول البحتري في أكثر أشعاره . . من ذلك قوله

تطيب عسرها البلاد اذا سرت فسيم ريحها ويصفو نسيمها

في القسيم الآخر تناسب ظاهر . . وكذلك قوله

ضاق صدري بما أحـ ـن وقلبي بما أجد

وقوله أيضاً في مدح المتوكل

لقد اصطفى رب السما ء له الخلائق والشيم

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة تكلف . . فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه أين من سعي واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد فاسع كل لفظة ما يشاكلها وقرنها بما يشبهها . . ومن الفرق المتصل قول امرئ القيس

كأني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمتحذلق لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه وظهر على صحته بحجة توضحه فأنشد يوماً هذين البيتين فقال قد حيف فيهما وأفسد توفيقهما

كأني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله فذكر الجواد والسكر في بيت وذكر النساء والخمر في بيت والتبس الأمر بين يدي سيف الدولة وسطوته.. قال فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي الله أصدق منك حيث يقول ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فأتى بالجوع مع العري ولم يأت به مع الظمأ فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة.. قال صاحب الكتاب قول امرئ القيس أصوب ومعناه أعز وأغرب لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد هكذا قال العلماء ثم حكي عن شبابه وغشيانه النساء فجمع في البيت معنيين ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان وكذلك البيت الثاني لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه لأن الزق لا يسبأ إلا للذة فجعل الفتوة كما جعلها في تقدم الصيد فلما في ذكر الزق الروي كفاية ولكن امرؤ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالملك والرفاهة.. وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة وفيه مع ذلك تناسب لأن العادة أن يقال جائع عريان ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن وقوله تعالى تظمأ وتضحى متناسب لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس والظمأ من شأن من كانت هذه حاله.. وقال الجاحظ في القرآن معان لا تكاد تفترق من مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس والسمع والبصر.. ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه ويكون كلامه ظاهراً غير مشكل وسهلاً غير متكلف ومنهم من يقدم ويؤخر إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ويقدر على تغييره

وهذا هو مي عب- وكذلك ستعرب عرب و تشدود التي يقل مثلها في الكلام فقد
عب شي من لا نحو ه مهمة نحو قول الفرزدق

عى ح ة تو ن في نحر حدنا   عى حوده ه حد ماء حاتم

خفض حاتماً على البدل من هاء التي في جوده حتى رأي قوم من العلماء ان لا قواء في
هذا موضع خير من سلامة لاعرب مع الحكمة ٠٠وكذلك قوله

عتق هماً لم تلله أكم   نأسيافنا هام الملوك القماقم

أراد عتق بأسيافنا هام الملوك ابرهم ثم مه وقرر فقال هماً لم تلله أكما يريد أي قوم
لم تسكهم وقهرهم وهذه عند الصدور المذكور من اليم تكاد وتعمل لا تعرفه العرب
مطبوعون وكذلك

ن الفرزدق صخرة عدية   طالت فليس تنالها الاوعلا

صب لاوعل ط ت و بروى عرت٠٠وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة ومما
لا دس به قول حسا ء

فعم الفتى في غداةٍ هاجٍ   اذا ما الرماحُ مجيعاً رويت

فقدمت مجيعاً على رويت مبادرة للخبر بالرى من أي شيء هو وكذلك قول أبى السمح
نكير بن معدان اليربوعي

مهبه عنكَ في يهبهُ   بالسيفِ الأحلدت وحاع

أراد مهبته عنك بالسيف أو أراد في يهبه لاحداث وحاع بالسيف وكلاهما فيه تقديم
وتأخير ٠٠ ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ولا يقضي له بالعلم الا
أن يكون في شعره التقديم والتأخير وأنا أستقل ذلك من جهة ما قدمت وأكثر ما
نجده في أشعار النحويين ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تكرر فتثقل علي اللسان نحو
قول ابن نشر

لم نصرها والحمدُ لله شيئاً   وانثنت نحو عرف نفسٍ ذهول

فان القسيم الآخر من هذا البيت تقل بقرب الحاء من العين وقرب الزاي من السين

.. وقال آخر

وقبر حرب في مكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فتكررت الالفاظ وترددت الحروف حتى صار انشاده يصعب ولا يقدر احد ان ينشده ثلاث مرات الا عثر لسانه فيه وغلط .. وقال كعب بن زهير

تخلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

فجمع بين الصاد والدال والطاء وهي متقاربة متشاكلة .. ومن حسن اللفظ ان يكون الكلام غير مسجع والسجع حسن من المعاطاة يرد في بعض ان شاء الله تعالى .. ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض وانا استحسن ان يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج الى ماقبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير الا في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها فان بناء اللفظ على اللفظ اجود هنالك من جهة السرد ولم استحسن الاول على ان فيه بعداً ولا نكرة الا انه ان كان كذلك فهو الذي كرهت من السجع

باب المخترع والبديع

المخترع من الشعر هو ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل احد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نام أهلها ... سموَّ حباب الماء حالا على حال

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد إياه وقوله

كان قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع وهو أول الناس اختراعاً في الشعر وأكثرهم توليداً .. ومن الاختراع قول طرفة

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذةِ الفتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عوّدي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة   كميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكري إذا نادى المضاف محنباً   كسيد الغضا ذي الضحة المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب   ببهكنة تحت الطراف المعمد

وقوله يصف سفينة في حرم

يشق حباب الماء حيزومها بها   كما قسم الترب المفائل باليد

وله أيضاً مخترعات كثيرة من هذه القصيدة . وقال نابغة بني ذبيان

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه   فتناولته واتقتنا باليد

وقوله أيضاً من المخترعات

لو أنها عرضت لأشمط راهب   عبد الإله صرورة متعبد

لرنا لرؤيتها وحسن حديثها   ولخاله رشداً وإن لم يرشد

وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا ويولد غير أن ذلك قليل في الوقت . والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ولا يقال له أيضاً سرقة إذا كان ليس آخذاً على وجهه مثل ذلك قول امرئ القيس

سموت إليها بعد ما نام أهلها   سمو حباب الماء حالا على حال

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وقيل وضاح اليمن

فسقط علينا كسقوط الندى   ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه أو ينحو نحوه إلا في المحصول وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية .. وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل

يخرجن من مستطير النقع دامية   كأن آذانها أطراف أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال

تزجي أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

وولد مد دكر القلم صاحبه مد د للدوة ع فتصه المعى بد كل امرىء اسود .. وقال
العباني الراحر بين يدي الرشيد يصف الفرس

محال ُ أدنه اد لتوّو   قادمة أو قلماً محرفاً

وولد دكر التحريف في القلم وهو زيادة صفة .. ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت
يمدح عبد الله بن جدعان

لكل قبيلة سبخ وصب   وأنت الرأس أول كل هاد

وقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز

وأنتَ رأس قريش وابنُ سيدها   والرأس فيه يكون السمعُ والبصر

وولد هذا الشرح وان كان محملا في قول أمية بن أبي الصلت .. ثم أتى علي بن جبلة
فقال يمدح حميد بن عبد الحميد

والناس جسمٌ وامام الهدى   رأسٌ وأنتَ العينُ في الرأس

فوقع دكر العين على متشابه معين ولم يفعل نصيب كذلك لكن أتى بالسمع والبصر
على جهة التعظيم لان من ولد عمر ول عهد ففي قول على بن جبلة زيادة .. وجاء ابن
الرومي فقال

عينُ الأمير هي انور بر   وأنت ناظرها البصير

فزاد أيضاً ترتيباً فيه زيادة فهذا مجرى القول في التوليد .. وأكثر المولدين اختراعاً
وتوليداً فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي .. والفرق بين الاختراع والابداع وان
كان معناهما في العربية واحداً أن الاختراع خلق المعاني التي لم يسبق اليها والاتيان
بما لم يكن منها قط والابداع اتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله
ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع
للفظ فاذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمر وحاز
قصب السبق .. واشتقاق الاختراع من التليين يقال بيت خرع اذا كان ليناً والخروع
فعول منه فكان الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه .. وأما البديع فهو

حسنه ووضعه في مكانه ووجدت أن يمثل لحال حيناً ليس من قوى حال فقصت ثم
ست فلا آخر .. ولا يقدر للشيخ من ضرر

أصر عقيقه عمته سلا وزمج دمع ذي قطر بدع

وللتجنيس ضروب كثيرة وأنواع مختلفة قد ذكرتها موسعة في القراضة وساعدت فيه
فكرة ابن المعتز رحمه الله على أن ابن المعتز وغيره ممن جمع البديع وألف فيه كتاباً إذ
عده لأجناسه أبواب الاستعارة أولها ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الأعجاز على الصدور
ثم المذهب الكلامي وعدها سوى هذه خمسة أنواع محاسن وأباح أن يسميها من
شاء ذلك بديعاً وخالفه من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاحتجاج فيها حيثما وقعت
من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها فإنه دليل الفصاحة ورأس
البلاغة وبه بانت لغتها عن سائر اللغات .. ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه وهو مصدر
جزت مجازاً كما تقول قمت مقاماً وقلت مقالا حكى ذلك الحاتمي ومن كلام عبدالله بن
مسلم بن قتيبة في المجاز قال لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلا لأنا نقول
نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وأقام الجبل ورخص السعر وتقول كان هذا
الفعل منك في وقت كذا والفعل لم يكن وإنما يكون وتقول كان الله وكان بمعنى حدث
والله قبل كل شيء وقال في قول الله عز وجل ﴿ فوجدا فيها جِداراً يرِيدُ أن يَنقضَّ
فأقامه ﴾ لو قلنا للمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار لم تجد بداً من أن
يقول يهم أن ينقض أو يكاد أو يقارب فإن فعل فقد جعله فاعلا ولا أحسبه نصل إلى
هذا المعنى في شيء من ألسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .. والمجاز في كثير من الكلام
أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ
ثم لم يكن محالا محضاً فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما

من محاسن الكلام د حلة تحت المجاز لأنه حصول معنى من المجاز ... ومعنى ذلك أن يسمى الشيء باسم ما قرب منه أو كان منه بسبب كما قال جرير بن عطية

د سقطَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناه وإن كانوا غضاباً

أراد المطر لقربه من السماء ويجوز أن يريد بالسماء السحاب لأن كل ما أظلك فهو سماء وقال سقط يريد سقوط المطر الذي فيه وقال رعيناه والمطر لا يرعى ولكن أراد النبت الذي يكون عنه فهذا كله مجاز .. وكذلك قول الحطيئة

يا ليلة لي بحوّارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

فجعل الليلة ساهرة على المجاز وإنما يسهر فيها وجعل للعصافير كلاماً ولا كلام لها على الحقيقة .. ومثله قول الله عز وجل إخباراً عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه ﴿ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ﴾ وإنما النطق للإنس والجن والملائكة فأما الطير فلا ولكنه مجاز مستحسن سائغ .. وهذا أكثر من أن نحصره أحد .. ومثله في كتاب الله عز وجل كثير من ذلك قوله تعالى ﴿ واسأل القرية ﴾ ومثله ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجلَ بكفرهم ﴾ يعني حبه ومنه ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً وقوله ﴿ والله خير الماكرين ﴾ وإنما سمى ذلك مكراً لكونه مجازاة عن مكر وكذلك قوله ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ والعذاب لا يبشر به وإنما هو إنابة مكان البشارة .. ومن أشد هذا الباب قول الفرزدق

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانبيه نهار

وقال يعقوب بن السكيت العرب تقول نأرض بني فلان تنحر الصبح ... وأنشد للعجاج

* كالكرم إذ نادى من الكافور *

قال ابن قتيبة لما تبين التنحر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صاح لأن الصائح يدل على نفسه بصوته .. وأنشد غيره قول سويد بن كراع في نحو هذا

رعى غير مذعور بهن وراقه أباغ ... ... لدكادك وعد

يقال نبات واعد اذا أقبل كأنه قد وعد بتمام وكذلك اذا نور أيضاً قيل قد ... ..

ومن المجاز عندهم قول الشاعر وعيره بنات الدهر ويرمين عن ولدان غلام ومن أشبه ذلك وهو يريد مصيبة من الزمن ولا أرى ذلك مستقيما بل الصواب عندي ومن الاستعارة أن يبني الكلام على مجراه مجازا لا يجد في هذا الموضع ولا يتسع فيه هذا التأويل كقول مضرس

سألتني عن أناس هلكوا ... شرب الدهر عليهم وأكل

فليس معناه شربت وأكلت عليهم لانه عني بعد العهد لا السلو وقلة الوفاء .. وقال أبو الطيب

أتت موذن الأسى عنده ... ومشى عليها الدهر وهو مقيد

وما أراد الدهر حقيقة .. وقال الصنوبري

كان عيشي بهم أنيقاً وقد ... ورماني فيهم غلاماً فتحا

وليس مراده كنت فيهم غلاماً فتحت ولكل موضع ما يليق به من الكلام ويصح فيه من المعنى .. وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الاشياء انما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة وهذا يبين في بابه ان شاء الله تعالى .. وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل اخباراً عن عيسى ومريم عليهما السلام ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كناية عما يكون عنه من حاجة الانسان وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما ﴿فلما تغشاها﴾ كناية عن الجماع وقول النبي صلى الله عليه وسلم العيبة الستة وقوله لحاد كان يحدو به ذلك وقوارير كناية عن النساء لضعف عزائمهن الى أكثر من هذا

باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها والناس مختلفون فيها .. منهم

من يستعير للشيء ما ليس منه ولا اليه كقول لبيد

وغداة ريح قد وزعت وقرة   اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للريح الشمال يداً وللغداة زماماً وجعل زمام الغداة بيد الشمال اذ كانت الغالبة عليها وليست اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة بقريبين من تحريج يحرجان التشبيه كما قال دو الرمة

أقامت به حتى ذوى العود والتوى   وساق الثريا في ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه . وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لاحد مثل هذه العبارة ويقول ألا ترى كيف صير له ملاءة ولا ملاءة له وانما استعار له هذه اللفظة وبعض المتعقبين يرى أن ما كان من نوع بيت ذي الرمة فليس لاستعارة فيه كان محمولاً على التشبيه ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد وهذا عندي خطأ لانهم انما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك مضى حذاق العلماء وأهل النصوص منهم واذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى من أن يستعار له ما بعد منه وكان البعيد أحسن استعارة من القريب لما سمج قول أبي نواس

بح صوت المال مما   منك يشكو ويصيح

فأي شيء أبعد استعارة من صوت المال وكيف حتى بح من الشكوى والصياح وقد جعل له صوتاً حين نون أو نوصع ولم يرده أبو نواس فيما قدر لان معناه لا يتركب على بعضه لا بعيداً وكذلك قول بشار

وجدت رقاب الوصل أسياف هجرها   وقدت لرجل البين نعلين من خدي

فما أقبح رجل البين وأقبح منه نعليها ولو كانت استعمله ... رقاب الوصل ولا مثل قول ابن المعتز وهو نقد المقاد

* كل وقت يبول زب السحاب *

وهذا أردى من كل ردي وأمقت من كل مقيت . فاما ... في الاستعارة فانا نكتفي فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيره ومثلا كما

قرب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .. وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع خير الاستعارة ما بعد وقع في أول وهلة أنه مستعار فلم يحتج الى كشف وعيب على أبي الطيب قوله

وقدمتُ الخيل العتاقَ عيونها الى وقت تبديل الركاب من النعل

اذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ورجح عليه قول أبي تمام

ساس الأمور سياسة ابن تجارب رمقته عينُ الملك وهو جنين

اذ كان الملك لا عين له في الحقيقة .. وقال أبو الفتح عثمان بن جني الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة ولا فهي حقيقة قاله في شرح بيت أبي الطيب

فتى يملأ الافعالَ رأياً وحكمة ونادرةَ أحيانَ يرضى ويغضب

وكلام ابن جني أيضاً حسن في موضعه لان الشيء اذا أعطي وصف نفسه لم يسم استعارة واذا أعطي وصف غيره سمي استعارة الآ أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ولكن خير الامور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق

وقد لبست لبسَ الهلوك ثيابها وأبدت لك الدنيا بكفٍّ ومعصم

وتومض أحياناً بعين مريضةٍ وتبسم عن مثل الجمان المنظم

وحسبك أنه وصف العين التي استعارها بالمرض وشبه المبسم بالجمان وهذا افراط غير جيد ههنا .. قال أبو الحسن الرماني الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة وذكر قول الحجاج اني أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها .. وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ويستحسنونها ويعافون أمثالها طرفاً ولطافة وان لم تكن فاسدة ولا مستحيلة .. فمنها قول امرئ القيس

وهرٌّ تصيد قلوبَ الرجال وأفلت منها ابن عمرو حُجُر

فكان امطلة هر واستعارة الصيد منها مضحكة عجيبة ولو أن أباه حجراً من درات بيته

ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وأن هذه لاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح

ليث بعثّرَ يصطاد الرجال اذا ما كذّب الليث عن أقرانه صدقا

لاعلى ان امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ولكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين •• ولعل معترضاً يقول العرب لا تعرف الا الحقائق ولا تلتفت الى كلام السفلة فقد قدمت هذا في أول كلامي وعرفت أنه لا يلزم ولكن نرغب عنه في الواجب ألا ترى أن بعض الوزراء وقيل بل هو المأمون غير المسبحة واستقبحها لما فيها فقال قولوا المصلحة وليس ذلك لعلة الا موافقة كلام السفلة •• وقال بعضهم في الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة كقول امرئ القيس قيد الأوابد واستبرد قول بعض المولدين

اسعري لي القلب يا ناصرة الشمس

أن قال أرسطاطاليس أن الصفرة لا تكون الا حسنة والافي وجه لا خسارة هذه الاستعارة •• ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبح قول مسلم بن الوليد

وليلةٍ خُلست للعين من سِنة هتكت فيها الصباح عن بيضة الحجل

فاستعار للحجل يعني الكلل بيضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر •• في قوله

* وبيضةِ خدرٍ لا يرامُ خباؤها *

وكلاهما يعني المرأة فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها وهي لعمري حسنة المنظر كما عرفت •• وقال في موضع آخر

رمتُ السلوَّ وناجاني الضمير به فاستعطفتني على عصيانها الحجل

فما الذي أعجبه من هذه الاستعارة قبحها الله ولو قال الكلل تخلص وأبدع مكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة •• وقال حبيب على بصره بهذا النوع

* والله مفتاح باب المعقل الأشب *

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً وأي طائل في هذه الاستعارة مع ما فيها من البشاعة والشناعة

و [illegible] أمر الله وقضاه .. واعترض بعض الناس على قول أبي تمام

يحوذه [illegible] في لا [illegible] قد كنت مفتاحاً لذلك الباب

مخصرة بعض أصحابه وقال أبي أن ممدوحه جعله مفتاحاً فهلا قال كما قال ابن الرومي

فسل أدمعه فيبس أناملا لكنهن مفاتح الأرزاق

فقال له الآخر عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل [illegible] كذلك وأنشد

أبيات لمتقدم [illegible] .. وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويمنعه أخرى لمن يعطيه

فإذا ما أردتَ كنتَ رشاءً وإذا ما أردتَ كنتَ قليباً

جعله مرة حبلاً ومرة بئراً .. وقول الآخر هو أبو تمام

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله محرور

فعبه الله على المحرات هب ما أقبحه وأركه وأين هذا كله من قوله المليح البديع

أو ما رأت بردي من نسج الصبا ورأت خضابَ الله وهو خضابي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل ﴿ صبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة ﴾

ولو [illegible] أخذ [illegible] المطرة .. والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً

ودالة ليس ضرورة لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك في لغة أحد من

الأمم غيرهم فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً .. ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهم

يستعيرون له مع ذلك على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة نحو

العين التي تكون جارحة وتكون الماء وتكون الميزان وتكون المطر الدائم الغزير

وتكون نفس الشيء وذاته وتكون الدينار ومما أشبه ذلك كثير وليس هذا من ضيق

اللفظ عليهم ولكنه من الرغبة في الاختصار والثقة منهم بفهم بعضهم عن بعض .. ألا ترى

أن كل واحد من هذه التي ذكرناها له اسم غير العين أو أسماء كثيرة .. ومما اختاره ابن

الأعرابي وغيره قول أرطاة بن سهية

فقلتُ لها يا أمَّ بيضاء[1] إنني هريق شبابي واستشن أديمي

(١) [illegible]

[illegible] ثم قال [illegible]
[illegible] بعد [illegible] كل [illegible] وصحت
به الاستعارة من كل وجه [illegible]
جماعة ممن قال [illegible] وقول [illegible]

فوضعت رحلي فوق [illegible] يقتات شحم سنامها الرحل

فجعل شحم سنامها قوتا للرحل [illegible] تشكيم وقربه
.. وقد تداولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو العتابي في قصيدة يعتذر فيها إلى الرشيد

ومن فوق أكوار المهارى [illegible] أحل لها أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعول على [illegible] ورد [illegible] فقال

وقد أكلوا منها الغوارب [illegible] فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يستحسن لذي الرمة كثيرا [illegible] يحسن الاستعارة والتشبيه لا سيما قوله

ولما رأيت الليل والشمس حية حياة الذي يقضي حشاشة نازع

لأن قوله والشمس حية من بديع الكلام والاستعارة [illegible] أبيات من غير
الشذة ..ووجدت الحاتمي في باب الاستعارة في وصف [illegible] لابن ميادة [illegible]
الرماح بن أبرد من بني مرة وميادة أمه

إذا ما بعض النزع قد مات قلبه [illegible] حتى يعيش [illegible]

ورواه قوم لأبي كبير وابن ميادة أولى به وأشبه ..والاستعارة كثيرة في كتاب الله
عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى ﴿ لما طغى الماء ﴾ وقوله
﴿ ولما سكت عن موسى الغضب ﴾ وقرأ [illegible] وهي تكاد تميز
من الغيظ ﴾ والتميز والغيظ استعارتان وقوله تعالى ﴿ يا أرض ابلعي ماءك ﴾ وكثير من
هذا لو تقصى لطال جدا ..وقول النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] خضرة وقوله [illegible]
[illegible] داعي [illegible] في [illegible] وقوله [illegible] الأرض [illegible]

(١) [illegible]

كثيرة .. وقال أبو عبد [illegible] من حقهم ومن بعد [illegible] وهي بعد الموت كما هي

فقوله [illegible] وغسل [illegible] حوتي بغسل الحوت استعارة مليحة .. ومن أحسن

هذا [illegible] وهو [illegible] وكيع [illegible] استعارة وقعت في موقعها قول امرئ القيس يصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فاستعار لليل سدولاً يرخيها وصلباً يتمطى به وأعجازاً يردفها وكلكلاً ينوء

به .. وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

فالاستعارة قوله عنوان السجود به وقد أخذه من قول الله تعالى ﴿سيماهم في وجوههم

من أثر السجود﴾ .. وقال جميل العذري

كأنما كان حياً لا تلائمهم ... ولا يرون أن تشتاق من جزع

عشية يهوى منهم فقد جعلت ... من الفرق حبة القلب تنصدع

البديع حبة القلب .. ومن كلام المولدين قول أبي نواس

يصحو جديداً لم يغض بآرائه ... ولم تخصه أعين الناس

البديع كل البديع عجز البيت .. وقال أيضاً

وقد بدت فاقتادت محاسنه ... قسراً إليه أعنة الحدق

البديع أعنة الحدق وقوله اقتادت .. وقال أبو الطيب

ضممت جناحيهم على القلب ضمة ... تموت الخوافي تحتها والقوادم

أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته وبالقلب موضع الملك وبالخوافي والقوادم السيوف

والرماح وهذا الصنيع بديع كله حسن الاستعارات .. وقال

صدمتهم بخميس أنت غرته ... وسمهريته في وجهه غمم

وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلي

تشق جيوب الورد في شجراته   نسيمٌ متى يخطر على الماء يبرد

والبديع قوله متى يخطر

باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل وهو المماثلة عند بعضهم وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه اشارة نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ولم يأت أملح منه

وما ذرفت عيناكِ الا لتقدحي   بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ

فمثّل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّى وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثّل بهما عينيها ومثّل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .. وقال حريث بن زيد الخيل

أفأنا قتلنا من القوم عصبةً   كراماً ولم نأكل بهم حشفَ النخلِ

فمثّل خساس الناس بحشف النخل ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حقيقة أو تجارة .. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة

لقد جارى أبو ليلى بقحمٍ   ومنتكثٍ عن التقريب وانِ

اذا هبط الخبار كبا لفيه   وخرَّ على الجحافل والجرانِ

فانما عيّره بالكبر وانما هو تشبيه حديث السن .. وقال بعض الرواة [illegible] فرسين وهو غلط عند الحذاق .. ومن التمثيل أيضاً قوله

فنحن أخ لم تلق في الناس مثله   أخاً حين شاب الدهر وابيضّ حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا .. وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسوراً

فليس كعهدِ الدار يا أمَّ مالكٍ   ولكن أحاطت بالرقابِ السلاسلُ

يقول ليس من بعد الإسلام في مثل [illegible] ولا [illegible] قول الله عز وجل [illegible] في [illegible] [illegible] ولا [illegible] التي كانت عليهم ... [illegible] [illegible] على [illegible] وسلم [illegible] ذلك [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... ومن جيد تمثيله قول [illegible] قرط في روحه هند [illegible] المغيرة المخزومي

[illegible]

[illegible] وفي [illegible]

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في مثل قوله [illegible] ... وقوله [illegible] ... [illegible] في الدنيا [illegible] ... ومن المديح المتنبي في [illegible] قوله [illegible]

[illegible] ولا [illegible] على [illegible]

فقوله فقد [illegible] [illegible] ... وقوله ولا [illegible] على [illegible] في [illegible] وهذا النوع يسمى [illegible] وبعضهم يسميه التلميح [illegible] من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ... ومن [illegible] قول [illegible]

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا استقل يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وكانت [illegible] في الحسن والجمال وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان غاية في القبح [illegible] بينهما وبين [illegible] لا [illegible] ما يجمع [illegible] لا [illegible] فلا [illegible] قسح ولا دميم ولا أدري هل هذا الرأي موفق [illegible] أم لا [illegible] أن الشاعر لم يكن [illegible] ... وقال [illegible] [illegible]

وفرحت [illegible] [illegible]

ووصف [illegible] وشو [illegible]

[illegible] مثلت [illegible]

وقال [illegible]

وكم [illegible]

[illegible] قطعها [illegible] وقص [illegible] خلالها [illegible]

[illegible] لا [illegible]

في [illegible] ثوقال [illegible]

[illegible] لا [illegible] ويتحيرت لأحد [illegible]

رجع [illegible] كان [illegible]

من [illegible] حرت [illegible] مثل [illegible] لا [illegible]

[illegible] والطير وقيس [illegible] لأنه مثل [illegible]

[illegible] المثل [illegible] أي [illegible] قيل

[illegible] مثل فهو [illegible] وقال محمد في قول الله عز وجل ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ هي [illegible] قال [illegible] وقالوا [illegible]

المثل [illegible]

بعضهم في المثل ثلاث خلال [illegible] وإصابة المعنى وحسن [illegible] وقد يكون المثل

[illegible] الصفة [illegible] ذلك قول الله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة

وقوله ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي [illegible]

الله وقوله تعالى ﴿ذلك مثلهم في التوراة [illegible] الإنجيل كزرع أخرج [illegible]﴾

أي صفتهم

باب المثل السائر

المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه

فقولهم مثل شرود وشارد أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد ... قولهم شرود ... يكن ... كثير ... قول أبي تمام وكان ... صفة ...

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فإنه استشهد بقوله الأول لأن مثل عمرو وحاتم مضروب قديماً وليس ذلك لا نظير له كم ... الآخر ... وقد تأتي الأمثال الطوال المحكمة ... ولا ... من ذلك ما كان منه في القرآن فقد ضمن الإعجاز قال الله عز وجل ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ وقال ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ وقال ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ فهذه من قصار ... وقال ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ ومن الأمثال الطوال قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط﴾ الآية ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ الآية ﴿ومريم ابنت عمران﴾ الآية وقال ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب﴾ الآية وقال ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾ الآية ثم قال ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ الآية .. ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله كل الصيد في جوف الفرا قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم وقوله مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح مرة هكذا ومرة هكذا ومثل المنافق مثل الأرزة المجذية على الأرض حتى يكون انجعافها مرة وقوله حين ذكر الدنيا ... إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم وقوله وإياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء .. ولا ... في هذا الباب كثيرة فمنها ما فيه مثل واحد ومنها ما فيه مثلان ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ومنها ما فيه أربعة أمثال وهو قليل جداً وكل نوع من هذه الأنواع إذا احتيج إلى استعمال المثل ... في الشعر يكون أشرد له وأحب للنطق به فمتى لم يتزن كان الإتيان به

قريباً من نوعه .. وقد حكي عن حماد أنه لا أدري كيف وجهه وزعم أن جملة
الرواية مثل أي شيء فضل النابغة فقال لأن النابغة لو تمثلت ببيت من شعره لكفت
به مثال قوله

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

قال لو تمثلت بمصراع بيت من شعره لكفت به وهو قوله ـ وليس وراء الله للمرء مذهب ـ
قال لو تمثلت بربع بيت من شعره لكفت به وهو قوله ـ أي الرجال المهذب ـ ولا
أعرف كيف يحمل حماد هذا ربع بيت وفيه زيادة سبب وهي أربعة أحرف إلا أن
يريد التقريب وهذا هو من الاحتجاج الذي ذكرته لأنه لا يتمثل به على الشعر إلا
احتاج إلى ما قبله واستعمل معه غيره ألا ترى لو قال ـ وليس مستحق حقاً لا تلمه ـ
أنه يكون مثلاً كافياً ثم لا يتعلق قوله على شمت لشيء من مثل الذي وقع في موروث
فإذا رده على الصدر تعلق به وبقي المثل فيه مكسوراً .. ومما قول القطامي وسمعه عمير
ابن شاتم المعاني

والناس من يلق خيراً قائلون له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل

فقوله ـ ولأم المخطئ الهبل ـ مثل لأنه غير محتاج إليه حتى يتم قوله ما يشتهي
وذلك من تمام المثل الأول الذي في صدر البيت وهذا كله حسن .. ومما لا حشو فيه
قول امرئ القيس

الله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

ففي كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه غير محتاج إلى صاحبه .. وكذلك قول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

.. وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

.. ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسي

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

[illegible] ودونه

[illegible] فحرز وكل حب مقصر

[illegible] تقسيم في كل [illegible] شطر [illegible] في [illegible]

[illegible] في بيت شعره كقول الأول

[illegible]

وقول أبي نواس

[illegible] تكتمت [illegible] عدو في ثياب [illegible]

[illegible] فيه ثلاثة أمثال قول زهير

[illegible] وفي الصدق منجاة من الشر وصادق

[illegible] كل مثل في ربع بيت ثم جعل الربع الآخر زيادة في شرح معنى ما قبله ..

وكذلك قول النابغة الذبياني

[illegible] في رفق تلاق نجاح

وهذه ثلاثة أمثال [illegible] سلامة [illegible] من كلام زهير .. وقول [illegible]

عبد القدوس

[illegible] والهم والحزن فضل

وفي ثلاثة أمثال [illegible] وكذلك قول صفي [illegible] الحرب

وفي الشباب [illegible] وفي [illegible] قوة ويخطئ في الحدس الفتى ويصيب

أحسن تعديلاً في القسمة لأن شطره الأول مشتمل على مثلين وشطره الثاني مشتمل

على مثل قائم بنفسه .. وقال عبد الله بن المعتز

[illegible] مستكره ومنى ضلال

[illegible] والقناعة [illegible] الظلال

وفي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال لا احتياج

منها على حدوم أني به صنيّ ولم يبنا فيه زعة أمن كل واحد منهم قائم بنفسه إلا قلالا . أنشد الأصمعي

ولهم فصال وطول العيش مقطع وزرق ت وروح منه منتظر

وقال أبو الطيب وحكم عليه نوى نصف

والمرء يأمل والحياة شهية والشاب أوقر والشيبة نزق

ذي مثلين في كل قسيم .. وصنعت :

كلٌّ الى أجل والدهر دو دول والحرص محنة والرزق مقسوم

وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتاً وحداً للقرار الساط في سط قصيدة مدح بها الامير عمر بن معد .. وهو قوله

حاطر تعد ورتد مجد وكرم سدد وتقد تقد وصعر مد لا كبر

وأما فيه ستة فأني صنعت

حد العفو وأب الضيم واحتنب الادى وعص بسد والرفق تنل وسح تحمد

ومن الامثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر كقولهم سمع بالمعيدي خير من أن تره يضرب مثلا للذي رؤيته دون السماع به وفي كل ماجرى عند المجرى .. وكذلك قولهم على أهلها جنت براقش تضرب مثلا للرجل يهلك قومه بنفسه .. ومن قولهم في تفسير ما يقع في الشعر من حسن قول الحطيئة

* شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب *

هو مثل فأما ذلك مجاز أرادوا التمثيل .. وهذه الأشياء في الشعراء هي مما يستحسن وينكت تستظرف مع القلة وفي الندرة وأما اذا كثرت فهي دالة على الكلفة ولا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لا كثره من ذلك وما نص عليه العلماء في كتبهم .. وكذلك لا يجب أن يكون استعارة و بديعاً كشعر أبي تمام فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز وكيف قال فيه ابن قتيبة وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الآمدي وغيرهم.

و ما هو من الحذق عن هذه لا تشاهد تدعو اليه من التكلف لاسيما ان كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف ٠٠ وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج اليه من شدة العقل و قضاء العيان ٠٠ ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً حالياً معسولاً من هذه الحلى ورعاً كثير من شعر أشجع واشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبي نواس في الخمر وأبي تمام في التصنع والبحتري في الطيف وابن المعتز في التشبيه وديك الجن في المراثي والصنوبري في ذكر النور والطير وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله ٠٠ وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار يقال أهجى من ابن الرومي ومن أكثر من شيء عرف به وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير

باب التشبيه

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان اياه ألا ترى أن قولهم خد كالورد انما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه وكذلك قولهم فلان كالبحر وكالليث انما يريدون كالبحر سماحة وعلماً وكالليث شجاعة وقرماً وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ولا شتامة الليث وزهومته فوقوع التشبيه انما هو أبداً على الاعراض لا على الجواهر لان الجواهر في الاصل كلها واحد اختلفت أنواعها أو اتفقت فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه كقولهم عين كعين المهاة وجيد كجيد الريم واسم العين واقع على هذه الجارحة من الانسان والمهاة واسم الجيد واقع على هذا العضو من الانسان والريم والكاف للمقاربة وانما يريدون أن هذه العين

لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كعين المهاة وأن هذا الحيد لاتصاء وطوله كجيد الريم ألا ترى أن الأصمعي سئل عن الحور فقال أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر وليس في الحور ولا في الانس عند أحد قول الأصمعي في الحور ويدلك على أن التشبيه انما هو مقاربة كما قال ... وتشبيه ولا استعارة جميعاً يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه وهو عنده في باب الاختصار .. قال واعلم أن التشبيه على ضربين تشبيه حسن وتشبيه قبيح فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض الى الاوضح فيفيد بياناً والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك قال وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة والمشاهد أوضح من الغائب والاول في العقل أوضح من الثاني والبديهي أوضح من الروية وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره والقريب أوضح من البعيد في الجملة وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ثم عاب على بعض شعراء عصره

صدغه صدحده مثل ما الوعد د م عثرت صدغ لوعد

من قبل أنه شبه الأوضح بالاغمض وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه .. وكذلك قوله

وله غرة كأول وصال ... وقفا طرة كأول صدود

وقال في موضع آخر التشبيه على ضربين والاصل واحد أحدهما التقدير والآخر التحقيق والذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الاطلاق وهو التشبيه بالنفس مثل تشبيه الغراب بالغراب وحجر الذهب بحجر الذهب اذا كان مثله سواء وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .. قال صاحب الكتاب أما ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع الا أنه قد جاء من ذلك ما أخذ عليه اذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دون ما يقوم عليه في الحقيقة كأنه أراد المبالغة ولعله يقول أو يقول المحتج له معرفة النفس والمعقول أعظم من ادراك الحاسة لا سيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح قال الله عز وجل ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ فقال قوم ان شجرة الزقوم وهي أيضاً الاستن لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤوس الشياطين .. وقال قوم

الشياطين لحدات في غيرهذا المكان ولا حود الا عرف أنه شبه لا شك أنه منكر قبيح لما جعل الله عز وجل في قلوب الناس من بشاعة صور الجن والشياطين وإن لم يروها عياناً فخوفها بني على تعاقد العقوبة وشبهه بما يخاف أن يراه •• وقال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه نصل النبل بأنياب الاغوال لما في النفس منها •• وعلى هذا التأويل قول أبي تمام وفيه عكس

وأحسن من نَوْرٍ يفتحه الندى[1] بياضُ العطايا في سوادِ المطالب

•• وقال اعرابي قديم

يرمون حديث الصعن بينهم والصعن أسود أو في وجهه كلف

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس كأنه يقول لو كان صورة لكان هكذا •• وقال بعض المولدين

وتدير عيناً في صفيحة فضة كسواد يأسٍ في بياض رجاء

واليأس على الحقيقة غير أسود لأنه لا يدرك بالعيان لكن صورته في النفس مهول وجعله كذلك مجازاً ولرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض •• وقد يقول المحتج لأول ان هذا داخل في باب الاستطراد كأن الشاعر لم يقصد الاخبار عن الغرة والطرة وشبههما لكن عن الوصال والصدود وعكس التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة •• فأما قول ابن المعتز يصف شرب حماء

وأقبل يحو الماء يستل صفوه كما أغمدت أيدي الصياقل منصلا

فانه بديع يشبه فيه انسياب الماء في شدقيه الى حلقه بنصل يغمد فهذا مما يدرك بالحس ويتمثل في المعقول وكرر هذا التشبيه فقال يذكر ابل سفر

وأغمدن في الأعناق أسياف لجة مصقلة تفريــــه بهن المفاوز

وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتركا في الصفات أكثر من

(١) ن نعمة نصب

[illegible] حتى يدلى [illegible] لاحد [illegible] في ذلك وهو [illegible]

له أطلا [illegible] وسوق [illegible]   [illegible] تقريب [illegible]

وهذا [illegible] هي [illegible]

[illegible] مختلف كما قدمت ولا مركز في قرب [illegible]

كبير حينئذ لا [illegible] بعض الشيء [illegible]

حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى يصير [illegible] كقول الشاعر

كان أزرار الكبير [illegible]   [illegible] في محب [illegible]

وشبه صرع العمر [illegible] كبير وصوت [illegible] يقرب بين [illegible]

[illegible] ولو كان الوجه ما قال قدامة [illegible] يشبه [illegible] صرع

بصرع غرة أو حلف [illegible] لأنه [illegible] ذكره وكثرة [illegible] وكان [illegible]

ذكر الكبير وأزره الذي دل به على عظم [illegible] يكون من [illegible] لصرع وكثرة [illegible]

وسبيل التشبيه [illegible] هي تقريب [illegible]

أن يشبه الأدون الأعلى [illegible] يشبه [illegible]

في المدح [illegible] كالمسك [illegible] وشبه ذلك [illegible]

كالمسك أو [illegible] وياقوت [illegible] وكالحصى لأن [illegible]

تقريب الصفة وإفهام السامعين كان [illegible] الشيء [illegible] تشبيه [illegible]

المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت [illegible] وأصل التشبيه [illegible] الكاف ومثل وكأن

و [illegible] كلها تشبيه الشيء في بيت واحد [illegible] امرئ القيس في صفة عقاب

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها [illegible]

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد [illegible] في ذلك [illegible]

وجلا السيول عن الطلول كأنها   [illegible] أقلامها

فشبه الطلول [illegible] والسيول بالأقلام [illegible] جلاء هذه [illegible]

لذلك [illegible] وحكى عن [illegible] أنه قال [illegible] سمعت [illegible]

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   [illegible]

كأن مثارَ النقعِ فوق رؤسهم وأسيافنا ليل تهوي كواكبه

فإن كان مراده الترتيب فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته وان كان المراد تشبيهين في بيت فقد قال الطرماح في صفة ثور وحشي

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يسلُّ ويغمد

وهذه نهاية في الجودة ٠٠ وأما قول من قال في بيت الحارث بن حلزة

وحسبتُ وقعَ سيوفنا برؤسهم وقعَ السحابة بالطراف المشرج

ان فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس فمحتمل الا ان الشاعر لم يصرح الا بالوقع خاصة يريد بذلك الحس وحده في ظاهر الامر ولذلك خص الطراف لكونه من الأدم فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت ٠٠ وقال بشار أيضاً

خلقنا سماءً فوقهم بنجومها سيوفاً ونقعاً يقبض الطرف أقتما

وقال فشبه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد

من كل مشتهرٍ في كف مشتهرٍ كأن غرته والسيفَ نجمان

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي

فهن كالحللِ الموشيِّ ظاهرها أو كالكتابِ الذي قد مسه البللُ

وربما شبهوا ثلاثة أشياء كما قال البحتري

كأنما يبسم عن لؤلؤ منظم أو بردِ أو إقاح

فقول الشاعر أو زيادة تشبيه وان لم يصح من جميع المشبه بها الا شئ واحد من جهة الحكم في أو ٠٠ ومن الناس من يرويه

كأنما يبسم عن لؤلؤ أو فضةٍ أو برد أو إقاح

وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب فيكون حينئذ الثغر مشبهاً بأربعة أشياء ٠٠ وقد تقدمه أبو نواس فقال

وثناياك إنها إغريض ولآل توم وبرق وميض

فشبهها ثلاثة أشياء حقيقة لأن حكمه وغير حكمه أولا سبيل وقد يأتي التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها فجاء كأنه بحث وتحقيق .. وكثرت بينهم تشبيه شيئين بشيئين حتى لم يصرحا وقد جاؤا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد بكاف وبغير كاف .. فقال مرقش

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

وقال ابن الرومي

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت فالغصن ماد وإن رنت فلريم

وقال ابن المعتز

بدر وليل وغصن * وجه وشعر وقد خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وقال صاحب الكتاب

كأن ثناياه اقاح وخده شقيق وعينيه بقية نرجس

وقال أيضاً على جهة التفسير

بكؤس حكين من شف قلبي شفة لم تذق وثغراً وريقاً

يريد حافة الكاس والحباب والخمر .. ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة بالكاف أيضاً وبغير كاف .. فقال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فجاء بتشبيه اضافة كما ترى حتى جعله تحقيقاً لولا مفهوم الخطاب وقال أبو الطيب

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فجاء بالتشبيه على اسقاط الكاف .. وقال أيضا

يرو لي بعين الظبي مجهشة ويمسح الطل فوق الورد بالعنم

شبه في القسم الأول عينه بعين الظبي وشبه في القسم الآخر ثلاثة بثلاثة .. وقد نقله أبو نواس فقال

يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

وهذا مليح جداً .. مثال ابن مدرمن أشعر الناس فقال الذي يقول

بشرا أبصرت في مأتم يندب شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

هذا أشعر الجن والانس . وقد جاء الشعر على سجيته أعني أبا نواس وشاهد ذلك الشعر في لفظه والا فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى يتناسب الكلام لكنه لم يكن يؤثر التصنع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة .. ومن الناس من يرويه كذلك ومنهم من يرويه — فيذري الدر من جفنه — ومما شبه فيه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حجب وهو عبد العزيز وزير القادر بالله أبي العباس النعمان (١)

ثغر وخد ونهد واختضاب يد كالطلع والورد والرمان والبلح

وقال صاحب الكتاب

فرع ووجه وقد وردف كليل وبدر وغصن وحقف

ومما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواواء وأتى به بغير آلة تشبيه

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة

قد شابهتني في لون وفي قصف(٢) وفي احتراق وفي دمع وفي سهر

فقوله — قد شابهتني — أظهر مقدرة من المجيء بالكاف لانهم انما استضعفوا ذلك مع الكاف وأحوالهم من جهة ضيق الكلام بها فهذا لذي أتى به البستي أشد ضيقا ألا ترى انه

(١) في قول ابن حجب النعمان (٢) في قصب

وقول كأنها أنا الكان هو الصوت ريكون ورتى كتب وصميرين عنده فصلا عن الكاف • ومنهم من يأتي التشبيه أو حذ غير كاف كقول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

•• وقوله أيضاً

اذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

يريد كسمو حباب الماء وكتعرض أثناء الوشاح • وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكرى

دافعتها فتدافعت مشي القطاة الى الغدير

وانما براعته عندهم لما لم يكن قبله فعل من لفظه •• ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي

ولطعن شمشعة والضرب هيمنة ضرب المعوّل تحت الديمة العضد

وللقسيّ أزاميل وغمغمة حس الجنوب تسوق الماء والبرد

فالاول من نوع بيتي امرئ القيس والثاني من نوع بيت المنخل وقد استحسن هذين البيتين جداً وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك العسل في حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته • قال أبو الحسن الرماني وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلاّ بتقييد وتفسير ومن هذا النوع الذى ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر

لئن جحدتك معروفاً مننت به اني في اللؤم أحظى منك في الكرم

وكذلك قول أبى نواس

أصبح الحسن منك يا أحسن الاـ مة يحكي سماجة ابن حبش

يريد ان هذا غاية كما ان ذاك غاية • قال الجرجاني التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة وأخرى بالحالة والطريقة اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

به برد وقرواً حرجاً عن متعرف •• وأنشد

ربيب أمدّ من عين الغا شق طولا قطعه فتحاب

فهذا والله هو النقد العجيب الذي غفل الناس عنه بل عموا وصموا •• والذي نحمد الله عليه مما ترينا وترى لماني الموسوس •• ومثله قول أبي تمام

ومسوفة كسلافة الهجر ارتقى في صدر باقي الحب والبرحاء

وأنشد برماني لذي الرمة

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوّم في سواد الليل منقضب

يقول قد جمع الثور والكوكب في السرعة الا أن انقضاض الكوكب أسرع واستدل بهذا على جودة التشبيه • وأنا أرى ان فيه دركاً على الشاعر وعدلاً من التشبيح المعبر وذلك ان الثور مطلوب والكوكب طالب فتشبهه به في السرعة والانقضاض ولو شبهه العفريت وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح لكنه لم تمكن له المعنى الذي أراده من قوت الثور الذي سبق به واحسنه • وأما ما أعمله التشبيح في شاعر انما رغب في تشبيه الثور بالكوكب وأحتمل عكس التشبيه بان جعل المطلوب طالباً لقناصه فان الثور لحق لا محالة وأما السرعة التي زعم فان العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لم يكن مقصراً ولا متوسطاً بل فوق ذلك • ومن التشبيهات عقم لم يسبق أصحابها اليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها واشتقاقها فيما ذكر من الريح العقيم وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة نحو قول عنترة العبسي يصف ذباب الروض

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

وقوله أيضاً في صفة الغراب

حرق الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هش مولع

وقال الحطيئة يصف لغام ناقته

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت لغاماً كبيت العنكبوت الممدد

وقال الشماخ يصف آثار رماش نعامة

كأنما منتى أقاع ما وطت (١)   من العفاء لنسهم الثآليل

وقول عدي بن الرقاع يصف قرن ظبي

يزجي أغن كأن إبرة روقه   قلم أصاب من الدواة مدادها

وقول الراعي يصف جعد الرأس

جدلا أسك كأن فروة رأسه   بذرت فأنبت جانباها فلفلا

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الارطى وقد كشفها ثور

يثير ويبدي عن عروق كأنها   أعنة خراز تحط وتنشر

وقول الطرماح في صفة الظليم

مجتاب شملة برجد لسراته   قدرا وأسلم ما سواه البرجد

وقول ذي الرمة في صفة الليل

وليل كجلباب العروس قطعته (٢)   بأربعة والشخص في العين واحد

وقول مضرس بن ربعي في صفة رأس النعامة

سكاء عارية الاخادع رأسها   مثل المدق وأنفها كالمبرد

وقال النابغة في صفة النسور

تراهن خلف القوم خزرا عيونها   جلوس الشيوخ في ثياب المرانب

وهذا التشبيه عندهم عقيم لأني أقول انه من قول طرفة يصف عقابا

وعجزا دفت بالجناح كأنها   مع الصبح شيخ في بجاد مقنع

وينظر أيضا الى قول امرئ القيس قبله

كأن ثبيرا في عرانين وبله   كبير أناس في بجاد مزمل

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في تشبيه رأس القطاة

(١) ن كأنما مسمي أقاع ما مطرت (٢) ن سرعته

تقب الاصبع رشأ كأنه يتيمة حورا عبرها المكاسر

وفي الشعر من هذا صدر جيد وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ وقوله ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ وقوله ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . وقوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وكثير من هذا يطول تقصيه . وقد أتت القدماء بتشابهات رغب المولدون الا القليل عن مثلها استبشاعاً لها وان كانت بديعة في بابها . مثل قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك أسحل

والشبه لا محالة تامة بالأساريع وهي دودة تكون في الرمل وتسمى جماعتها بنات النقا وإياها عنى ذو الرمة بقوله

خراعيب أمثال كأن بنانها بنات النقي تخفى مراراً وتظهر

وهي كأحسن البنان لينا ولونا وطولا واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد أصابه الحناء وربما كان رأسها أسود إلا أن نفس الحضري المولد اذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكاس

تعاطيكها كف كأن بنانها اذا اعترضتها العين صف مداري

أو قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني بأعلاه قصري الدلال رصافي

أشار بقضبان من الدر قمعت يواقيت حمراً فاستباح عفافي

أو قول عبد الله بن المعتز

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

كان ذلك أحب اليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس وان كان تشبيهه أشد اصابة .. وفي قول الطائي أبي تمام

نسطت اليك بنانة أسروعا تصف الفراق ومقلة يدوعا

وقرب هذا عنده وهو مدح من قول حسن في الهجو

وأمك سوداء نوبية كأن أناملها الحنصب

اذا كان جمعاً من حشاش الأرض • وأما قول امرئ القيس أو مساويك أسحل فجار مجرى غيره من تشبيهاتهم لأنهم نصفونها بالنعم والأقلام وما أشبه ذلك والبنان قريبة الشبه من اعواد المساويك في القدر والاستواء والاملاس لأن الأول على كراهته أشبه بها ولا سحل شجر المحيط • وقد استشنع قوم قول الآخر نصف روضاً

كأن شقائق النعمان فيه ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيهاً مصيباً فان فيه شناعة ذكر الدماء ولو قال من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب الى الأنس وكذلك صفتهم احمرار في حمامها نساح الشجاع وما جرى هذا المجري من تشبيه فيه وان كان مصيباً لعين التشبيه فانه غير طيب في النفس ولا مستقر على القلب • ومن ذلك قول أبي عون الكاتب

تلاعبها كف المزاج محبة لها ويحري ذات بينهما الأنس

فتربد من تيه عليها كأنها عزيرة خدر قد تخبطها المس

فلوان في هذا كل بداع لكان مقيتاً بشعاً ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس • • وكأني أري بعض من لا يحسن لأن الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا المذهب وقال رد على امرئ القيس ولم أفعل ولكني بينت ان طرق العرب القدماء في كثير من الشعر قد حوصت الى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله • وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقصها نظر السقيم الى وجوه العوّد

على انه تشبيه لا يلحق ولا يشق غبار صاحبه ولم يجد فيه المطعن الا بذكر السقيم فانه رغب عن تشبيه المحبوبة به وفضل عليه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها وسط النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسن قصده الدمن فرقت ... فى عسه سنة وليس بنائم

وأحرى الدس هذا تحري قول صريع الغوانى على انه لم يقع لأحد مثله وهو

فعطت بأيديها ثمار نحورها ... كأيدي الاسارى أثقلتها الجوامع

فهذا تشبيه مصيب جداً لأن أنهم عانوه بما بيت وانما أشار الى قول النابغة

يخطط بالعيدان في كل منزل ... ويخبأن رمان الثدي النواهد

ومثله قول أبي محجن الثقفي فى وصف قينة

ترفع الصوت أحيانا وتخفضه ... كما يطن ذباب الروضة الغرد

فأى قينة تحب أن تشبه بالذباب وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده

باب الاشارة

والاشارة من غرائب الشعر وملحه و بلاغة عجيبة تدل على بعد المرمي وفرط المقدرة وليس يأتى بها إلاّ الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ٠فمن ذلك قول زهير

فانى لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء[1]

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه هذا عند قدامة أفضل بيت في الاشارة ٠٠ وقول الآخر

جعلت يدىّ وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذا النوع من الشعر هو الوحى عندهم ٠٠ وأنشد الحاتمى عن عليّ بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحق بن ابراهيم الموصلى

جعلنا السيفَ بين الجيد منه ... وبين سوادِ لمته عذارا

---

(١) ب لكان منيته لقاء

فأشار الى هيئة الضربة التى أصابه بها دون ذكرها تارة لطعنة دلت على كيفيته وقد
وصف انهم ضربوا عنقه وبروى بن لحد .. ومثله قول الآخر

ويوم يبل النساء الدماء جعلت رداءك فيه خمارا

يريد بالرداء الحسام كما قال متمم بن نويرة

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

وقوله انه جعله خماراً أى قنعت به الفرسان وأشار بقوله يبل النساء الدماء الى وضع
الحوامل من شدة الفزع .. ومما جاء من الاشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف
لبناً ممذوقاً جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط فهذه اشارة الى تشبيه لونه لان الماء
غلب عليه فصار كلون الذئب .. ومن أنواع الاشارة التفخيم والايماء فأما التفخيم
فكقول الله تعالى ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وقد قال كعب بن سعد الغنوى

أخى ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

وأما الايماء فكقول الله عز وجل ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ فأومأ اليه وترك التفسير
معه .. وقال كثير

تجافيت عنى حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

فقوله وخلفت ما خلفت ايماء مليح .. ومثله قول ابن دريج

أقول اذا نفسى من الوجد أصعدت بها زفرة تعتادنى هي ما هيا

ومن أنواعها التعريض كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبى بكر رضى الله عنهما وقيل برسول الله صلى الله
عليه وسلم تعريض مدح ثم قال

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب اذا عرد السود التنابيل

فقيل انه عرض فى هذا البيت بالأنصار فغضبت الانصار وقال المهاجرون لم تمدحنا اذ

ومنهم حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها

مَن سره كرمُ الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الانصار

ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الاسدى لبشر بن مروان يمدحه ويعرض كيف كان يوجه أخيه عبد العزيز حين نفاه من مصر على يدى نصيب الشاعر مولاه

كأن التاجَ تاجَ بنى هرقل ... جلوه لأعظم الأعياد عيدا

يصافح خدَّه بشر حين يمسى ... اذا الظلماءُ باشرت الخدودا

فهذا من خفي التعريض لانه أوهم السامع انه انما أراد المبالغة بذكر الظلماء لا سيما وقد قال حين يمسى وانما أراد الكلف هكذا حكت الرواة .. ومن أفضل التعريض مما يحل عن جميع الكلام قول الله عز وجل ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ أي الذى كان يقال له هذا أو يقوله وهو أبو جهل لانه قال ـ ما بين جبليها (يعنى مكة) أعز منى ولا أكرم ـ وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به .. ومن أنواعها التلويح كقول المجنون قيس بن معاذ العامرى

لقد كتمتُ أعلوحب ليلى فلم يزل ... بى النقص والابرامُ حتي علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً واياه قصد أبو الطيب بعد ان قلبه ظهراً لبطن فقال

كتمتُ حبك حتى منك تكرمة ... ثم استوى فيك اسراري واعلاني

لانه زاد حتى فاض عن جسدي ... فصار سقمي به فى جسم كتماني

الا انه أحياه وعقده كما ترى حتى صار أحجية يتلاقاها الناس . ومن أجود ما وقع فى هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل

تقاعس حتي قلتُ ليس بمنقضٍ ... وليس الذى يرعي النجوم بآيب

ـ الذى يرعي النجوم ـ يريد به الصبح أقامه مقام الراعي الذى يغدو فيذهب بالابل والماشية فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة .. وأما من قال ان الذى يرعى

النجوم انما هو الشاعر الذى تشكي باسمه رصوان بامل فاس على شيء٠٠وزعم قوم ان لآيب لا يكون إلاَّ بالابل خاصة ذكره عبد الكريم ٠٠ ومن أنواع الاشارات الكناية والتمثيل كما قال ابن مقبل وكان جافياً في الدين يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم فقيل له مرة في ذلك فقال

وما لى لا أبكي الديار وأهلها وقد زارها زوّار عكّ وحمير

وجاء قطا الأحباب من كل جانب فوقّع فى أعطاننا ثم طير

فكنى عما أحدثه الاسلام ومثل كما ترى ٠٠ ومن أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت

عقلت لها من زوجها عدد الحصى مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

يريد انى لم أعطها عقلا ولا قوداً بزوجها إلا الهم الذي يدعوها الى عد الحصى وأصله من قول امرئ القيس

ظللت ردائي فوق رأسي قاعداً أعد الحصى ما تنقضي عبراتي

ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما زرّت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس

يقول ان حد الخمر من صور هذه الفوارس التي فى الكؤوس الى التراقي والنحور وزيد الماء فيها مزاجاً فانتهى الى فوق رؤوسها ويجوز أن يكون انتهاء الحباب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والأول أملح وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس وأرى والله أعلم انه محلق على المعنى من قول امرئ القيس

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه ووفى بماء غير طرق ولا كدر

ويروى ـ ووفوا ـ وإياه أردت ويروى ـ استطلوا ـ من الظل مكان استطابوا جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب فنساق الحسن عليه وأخفاه عما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكؤوس إلاَّ انها سرقة طريفة مليحة ولم يكن أبو نواس

ترضى أن يعفى من دون مرئي الحس وصحته •• وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ثم استعمل حتى صار الإشارة •• وقال الفراء الرمز بالشفتين خاصة ومن الإشارات اللمحة كقول أبي نواس يصف وما مطيّاً

وشمسة حرة مخدرة ليس لها في سمائها نور

فقوله حرة يدل على ما أراد في الخمر إذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء ولذلك جعلها مخدرة وشأن القيان ومملوكات التبذل والتبرج وأما زعم من زعم أن قوله حرة يريد خلوصها كما تقول هذا العلق من حر المتاع خطأ لأن الشاعر قد قال ليس لها في سمائها نور فأي خلوص هناك وكذلك قول حسان ويكون أيضاً لمعاً

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر غير بدو أصحاب رحلة وانتجاع •• ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب كقول ذي الرمة يصف عين الإنسان

وأصغر من قعب الوليد ترى به بيوتاً مبناة وأودية قفرا

والباء في به للإلصاق كما تقول لمسته بيدي أي ألصقتها به وجعلتها آلة اللمس والسامع يتوهمها بمعنى في وذلك ممتنع لا يكون والأول حسن غير ممتنع •• ومثله قول أبي مقدام

وغلام رأيته صار كلباً ثم من بعد ذاك صار غزالا

فقوله صار إنما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل ﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ﴾ ومستقبله يصور وقد قيل يصير وهي لغة قليلة وليس صار التي هي من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها تستقر بعد تحول •• واشتق اللغز من لغز اليربوع والغز إذا حفر أسفله مستقيماً ثم أخذ يمنة ويسرة يوري بذلك ويعمي على طالبه •• ومن الإشارات اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه وإن كان على غير وجهه قال الله تعالى ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ وإلى هذا ذهب الحذاق في تفسير قول الشاعر

منطق صائب وتلحن أحيا نا وخير الحديث ما كان لحنا

ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجاة لدلالة الحجا عليه •• وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه

حطوا على الناقة الحمراء أرحلكم وا رب لأصهب لمعقول وصدعو
ان الذئاب قد حضرت برنبهب وناس كلهم كر د شعوا
أراد بالناقة الحمراء بالدهناء والجمل الأصهب الصمان والذئاب الأعداء يقول
قد احضرت أقدامهم من المشي في الكلأ والخصب والناس كلهم قد شبعوا طمعوا
لغزو فصاروا عدواً لكم كأن لم يكن بينكم عداوة ٠٠ ومثل ذلك قول من لم أعدره
عداه وقد كثرت سنه وسبق عندهم ما يكون من الغارات وطلب الثارات وأراد تنبيه
فان أوصيكما أن تروا عني بيت شعر قالا وما هو قال
من مبلغ الحسين بن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما
فما زعم أنه مات قال لهم هل أوصي بشيء قالا نعم وأنشد البيت المتقدم فقالت ابنته
عليكم بالعبدين فإنما قال أبي
من مبلغ الحيين بن مهلهلا أمسى قتيلا بالفلاة مجدلا
لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا
فستقروا العبدين فأقرا أنهما قتلاه وروينا هذه الحكاية لمرقش ٠٠ ويسأل المحاجاة ان
تكون كالتعريض والكناية وكل أمر داخل في الأحاجي وقد حاجى شيخ أبو عبد الله
بعض تلامذته فقال له
أحاجيك عبد كريب في الورى ولم يؤت الا من حميم وصاحب
فأجابه التلميذ بأن قال
سأكتم حتى يلحس مسمعي فهل منه من دموع سواكب
فكان معكوس قول أبي عبد الله عبد كريب في الورى سرت دمع فقال الآخر
سأكتم فأجابه على الظاهر اجابة حسنة ومعكوس سأكتم منك ابلت فكانه
قال له قول الشيخ ولم يؤت الا من صديق وصاحب وهذا كله مليح ٠٠ ومنها
التعمية وهذا مَثَلٌ للطير وما شاكله وكقول أبي نواس

* وسم عليه حسن الصفا *

في شعره وهو معنى مشهور .. ومن الاشارات مصحوبة وهى عند أكثرهم معيبة كانها حشو واستعانة على الكلام نحو قول أبى نواس

قال ابرهيم بالشمال كذا غرباً وشرقا

وقد يأتى بها أبو نواس حشواً ولكن شطارة وعبثاً بالكلام وان شئت قلت بيانا وتبقية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص وكيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابع يديه ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلاما منه من حشو وتكلف .. وقالوا مبلغ الاشارة أبلغ من مبلغ الصوت فهذا باب تتقدم الاشارة فيه الصوت وقيل حسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان جاء بذلك الرمانى نصا وقاله الجاحظ من قبل وأخذ على بعض الشعراء فى قوله

أشارت بطرف العين خيفة أهلها اشارةَ مذعور ولم تتكلم

فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

اذ كان هذا كله مما لا تحمله اشارة خائف مذعور .. ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى الكلاع فقال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان مات فهذا وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى السيف ثم قال

معاوية الخليفة لا نمارى فان يهلك فسائسنا يزيد

فمن غلب الشقاءُ عليه جهلا تحكّم فى مفارقه الحديد

وقد جاء أبو نواس باشارات أخر لم تجر العادة بمثلها .. وذلك أن الامين بن زبيدة قال له مرة هل تصنع شعراً لا قافية له قال نعم وصنع من فوره ارتجالا

ولقد قلت للمليحة قولى من بعيد لمن يحبك اشارة قبلة

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولى اشارة لا لا

فتنفست ساعة ثم انى قلت للبغل عند ذلك اشارة امش

فعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تنبهه وعطاه لاميين صنة شريفة .. ومن الاشارات الحذف كقول عمر بن أوس يخاطب مرئه

ان شئت أشرفنا جميعاً فدعا الله كل جهده فاسمعا

بالخير خيراً وان شراً فا ولا أريد الشر الا أن تا

كذا رواه أبو زيد الانصاري وساعده من متأخرين علي بن سليمان الاخفش وقال لان الزجر يدل عليه الا أن رواية النحويين وان شراً فشر ولا يريد الشر الا أن تشاء فلو يريد وان شرا فشر والا أن تشائي .. وتنشد

نادوهم أن ألجموا ألا تا قالوا جميعاً كلهم ألا فا

وأنشد الفراء * قلت لها قفي فقالت قاف *

يريد قد قفت .. ومن أنواعها التورية كقول علية بنت المهدي في طل خادمها

أيا سرحة البستان طال تشوقي فهل لي الى ظل اليك سبيل

متى يشتفي من ليس يرجى خروجه وليس لمن يهوى اليه دخول

فورت بطل عن ظل وقد كانت بحضرته ممنعة الرشيد من دخول القصر ونهاها عن ذكره فسمعها مرة تقرأ ﴿ فان لم يصبها وابل ﴾ فما نهى عنه أمير المؤمنين ﴿ أي فطل ﴾ فقال ولا كل هذا .. وأما التورية في أشعار العرب فانما هي كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو ناقة أو مهرة أو ماشا كل ذلك كقول المسيب بن علس

دعي شجر الأرض داعيهم ينصره السدر والاثب

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون في الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر اذا جاء بجيش عظيم .. وكان عمر رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء قد حظر على الشعراء ذكر النساء فقال حميد بن ثور الهلالي

تحرم أهلوها لان كنت مشعراً جنوناً بها يا طول هذا التجرم

ومالي من ذنب اليهم علمته سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي

ىى وسى ثم سى نمت سي ـ تلاب نحيت و ن لم تـكـي

•• وقـ عـد في متار دلك

ي ـ لا ـ ـ سرحة مالك ـ على كل فد العصاه بروق

ف ضب ر يه وي برد طا ـ د حل من شمس النهار شروق

فهل انا رعمت عسى سرحة ـ من السرح مسدود على الطريق

حمي ظلم شكس الخلقة خائف ـ عليها عرام الطا ميين شفيق

بريد بدلك نعتها وذا محرمه

ولا الظل من برد الضحى ستطيعه ـ ولا الفيء منهـا في العشي تذوق

•• وقال عمرة الم سي

يا شاة ما قنص لمن حلت له ـ حرمت على وليتهـا لم تحرم

و عما ذكر مرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها على نفسه ••

وكذلك قوله ـ * والشاة ممكنة لمن هو مرتمي *

والعرب تحمل لمهاة شاة لانها عندهم ضائنة الظباء ولذلك تسموها نعجة وعلى هـذا

لمعارف في الـكناية جاء قول الله عز وجل في اخباره عن خصم داود عليه السلام ••

﴿ إِنَّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ﴾ كناية بالنعجة عن المرأة وقال

امرؤ القيس

و بيضة خدر لا يرام خباؤها ـ تمتعت من لهو بها غير معجل

كناية بالبيضة عن المرأة •• وروي ابن قتيبة أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

ألا أبلغ أبا حفص رسـولا ـ فدي لك من أخي ثقة ازاري

قلائصـنا هـداك الله انا ـ شغلنا عنكم زمن الحصار

فما قلص وجدن معقلات ـ قفا سلع بمختلف التجار

بعقابيل حمى تصحى ولبس مثل لدود صؤر

وانما كني بالقاص وهي الوق الثوب ... وعرض برجل تقلبه حمدة كان يخاف الى المعمات من النساء فهم عمر ان يرد وجد حمدة وهذه .. ومن الكناية اشتقاق الكنية لانك تكنى عن رجل لابوة فتقول ابو فلان ... وما يعرف في مثله أوما اختار لنفسه لعظم له وتقول ذلك ... ان يعيش ويكون له ولد .. قال المبرد وغيره الكناية على ثلاثة أوجه هذا الذي ذكرته أحدها والثاني التعمية والتغطية التي تقدم شرحها والثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس كقول الله عز وجل ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ ... كناية عن الفروج ومثله في القرآن وفي كلام الفصحاء كثير

باب التتبيع

ومن أنواع الاشارة التتبيع وقوم يسمونه التجاوز وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه وأول من ابتدر ذلك امرؤ القيس يصف امرأة

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله يضحي فتيت المسك تتبيع وقوله نؤوم الضحى تتبيع ثان وقوله لم تنتطق عن تفضل تتبيع ثالث وانما أراد أن يصفها بالترفه والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة وانها شريفة مكفية المؤنة فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الاخطل يصف نساء

لا يصطلين دخان النار شاتية الا بعود يلنجوج على فحم

فذكر انهن ذوات ملك وشرف حال .. وأبين من هذا قول النابغة في معناه وقصده

ليست من السود اعقاباً اذا انصرفت ولا تبيع بجنبي نخلة البرما

كأنهم لم يشكوا سواد الغمس في ذلك لانهم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة .. وقال الرمة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقة فيها فذكر القرط اذ كان مما يتبع وصف العنق ولم يسبقه الى ذلك أحد من الشعراء

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاتها ومن يتعلق حيث علق يفرق

فجعل رعاتها يخاف ويفرق وعذره بعد مسقطه فتناول هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة فأوضحه بقوله

بعيدة مهوى القرطِ اما لنوفل أبوها واما عبد شمس وهاشم

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله

والقرط في حرة الذفرى معلقة تباعد الحبل منه فهو يضطرب

وقال طفيل الغنوي يصف فرساً ويروى لغيره

هَرِيت قصير عذر اللجام أسيل طويل عذار الرسن

فلو ترك الهرت والاسالة لكان من هذا الباب لكنه الآن لم يقصد التتبيع وانما جاء به كالتوكيد لما قبله هذه رواية ابن قتيبة فأما رواية النحاس عن شيوخه عن الاصمعي فانها

وأحوي قصير عذار اللجام وهوّ طويل عذار الرسن

وهذا تتبيع لاشك فيه .. وأما قول الاخطل

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها فجار وأما الحجل منها فما يجري

ففيه التتبيع في ثلاثة مواضع وهي صفة الخد بالسهولة وصفة الخصر بالرقة والساق بالغلظ .. ومثله قول الاعشى

صفر الوشاح وملءُ الدرع خرعبة [1] اذا تأتى يكاد الخصر ينخزل

فقوله ـ صفر الوشاح ـ دال على رقة الخصر ـ وملء الدرع ـ دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة وكل ما وقع من قولهم طويل النجاد وكثير الرماد وما أشبه كلها فهو من هذا الباب .. وقالت ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله وسطَ البيوت من الحياء سقيما

(١) ن بهكنة

أرادت أنه يحدث ويعلق به الحدث خمده وسؤدده وكثرة الناس حوله وقيل ـ ذلك لعظم ما كه وهم يحمدون ذلك ٠٠ ومن عجب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر

حتى يلفّ نخيلهم وبيوتهم ... حرب كصفق الحصى لا تنقر

أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة هكذا رويه الصحيحة وبهذا تفسير فسره جلة العلماء وهم الأكثر وقال آخرون بل تفرد حرق النخل والبيوت فعل ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب ٠٠ ومن التجاوز قول رؤبة يصف المسحاج يصف حوافر الخيل

يسوي مساحيهن تقطيط الحقق

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها نفسها مساحي يريد العظم ٠٠ ومثله قول ابن دريد

يدير إعليطين في ملمومة ... إلى موجين بخظ بلا بلي

أراد أن يشبه أذن الفرس بالاعليط وهو وعاء ثمر المرخ فجعل الأذن نفسها إعليطاً كما فعل رؤبة في المساحي ومثله كثير ٠٠ ومما يدخل في باب التجاوز قول النابغة

نقد السلوقي المضاعف نسجه ... ويوقد بالصفاح نار الحباحب

وإنما أراد السلوقي مع ما فيه من جسد وما تحت لابسه زعموا من السرج والفرس فعد عن الجمع وجاء بما يعمه ويستغني به عن ذكره إذا كانت لا تقد السلوقي إلا أن تقد ما فيه ولا تنهي إلى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بدلته الا بعد أن تأتي على السرج والفرس على أن من الناس من رد وقدمن على خيل ٠٠ وإلى مثل هذا الافراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذي شبه به نفسه فقال

تظل تحفر عنه ان ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهادي

وروى الحذاق ـ القيمين والهادي ـ وهو أصح في المعنى ومن التتبع قول زهير

وملجمنا ما أن ينال قذاله ... ولا قدماه الأرض إلا أنامله

فأشار إلى طول عنقه وقوائمه بذكر بطول الجمع إشارة عجيبة وتبعه ابن مقبل فقال

تحطمت أحامـه للحم فـدنى وشحصي سامى شحصه وهوط له

و . ـول رهير هدا لمعنى من أبى دؤاد الايدي و يروى لعبد بن ثعلبة لأسدي حت يقول

لا يكاد الطويل يبلغ مـه حت يدى على لمعص العداء

وأنا أقول ان بيت الدبانى في الرعت مأحود من قول عبد بن لا برص

ماطوا الرعات بمهد لو يرنّ به لا بدق دون بلاقي للة القرط

.. وقال ابن دريد وأتى ببديع ملمح

قريب مابين القـطاة والمطا بعيدُ ما بين القدال والصلا

فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق .. وقال بعض الشعراء فملح وطرف

فمـايك فيّ من عيبٍ فانى حبانُ الـكلب مهزولُ الفصيل

أشار الى كثرة غشيان الضيوف حتى أن الـكلب قد أنس حتى أن يسبح فصلا عما سوى ذلك وهزال فصيله دال على أن الالبان مبذولة للضيفان فقل ما يبقى له منها

.. وقد قال امرؤ القيس * سمان الـكلاب عجاف الفصال *

فعجف الفصال للعلة التي قدمت وسمن الـكلاب لكثرة ما يحرون و يذبحون .. ومن أعجب التتبع قوله

أمرحٌ حيامهم أم عُشَر أم القلبُ فى إثرهم محدر

يقول انزلوا بحداً الذى من نباته المرح أم الغور الدى من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامهم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الدى ينزلون به هكذا شرح العلماء هدا البيت المتقدم ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها وانما يتعاورون ذكر الوتد الثمام الا أن تكون الاعمدة وماشاكلها تنتحب وتحمل وانما المطرح ما حمل فوقها وسد به خصاصها فدفع الحر والبرد فقط ولا أشك أن هدا هو الصحيح يدل عليه قول جرير يذكر منزلا

فلا عهد الا أن تذكر أوترى ثماماً حوالى منصب الخيم باليا

وقد كان ذلك مطرحاً .. وقال أبو دواد

عهدت لها منزلا دائراً وآلا على الماء يحملن آلا

والآل الاول أعمدة الاخبية والآل الثاني السراب يحملن الذي ترتفع عنه الشمس فتبدو خرقة كأنه

فسروه بهم قد مة ولذلك قال طرفة يعني أعمدة تحمل أعمدة منها ذكر بوحشة

وقوله على الماء يعني على الماء الذي هو يحضره ويرجعون اليه بعد تمامهم بقصر منه لهم

وقد أحرك الشاعر على القول الاول فهو يحملن أعمدة الاخبية وسوت .. ومن

أحسن ما وقع في هذا الباب من التتبيع قول حسان بن ثابت

أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقوله حول قبر أبيهم تتبيع يصح قدرهم بأنهم ملوك مقيمون لا يحدثون فينتقلون

من مكان الى مكان وانهم في مستقر عز وأرض خصب لا يحدث أحد التنقل سبب

ذلك دأبهم من القدم فهم حول قبر أبيهم وهذا كما قال ابن مقبل

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا لا نستجير ومن يحلل بنا يجر

ومن هذا الباب أيضاً قول عنترة بن شداد العبسي

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوءم

أراد أنه ملك لان نعال السبت لا يحتذيها عندهم الا كل شريف يدلك على ذلك

قول عيينة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم

في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس ويشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله

ابن جعفر رضي الله عنهم

الى معشر لا يخصفون نعالهم ولا يلبسون السبت مما تحصرا

.. ومن التتبيع قول الحطيئة

لعمرك ما قراد بنى كليب اذا نزع القراد بمستطاع

وذلك أن الفحل اذا منع الخطام نزعوا من قرادانه شيئاً فيسكن لذلك وسكن اليه ولان

لصاحبه حتى يلقي الخطام في رأسه فزعم الحطيئة أن هؤلاء لايخدعون عن عزهم وإنهم

فقدر عليهم ٠٠ وقد قول ذي الأصبع العدواني و اسمه حرثان بن الحرث

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي   أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

ويجوز أن يكون أراد ضربت على الرأس الذي يصيح منه هامة سقوني على زعم الأعراب فيكون من هذا الباب ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا توجد سأرك وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير   * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم *
فيخرج عن هذا الباب ٠٠ وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله

فيا بن الطاعنين بكل لدن   مواضع يشتكي البطل السعالا

أراد الصدر أو النحر ٠٠ وبيت البحتري في صفة الذئب ويروى لعمارة بن عقيل

فأوجرته أخرى فأضللت ريشها   بحيث يكون اللب والرعب والحقد

خير من بيت أبي الطيب وأجمع للصفة وقوله أضللت بمعنى صيرت ويروى أصلدت

باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى نحو قول زياد الأعجم وقيل الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

فانع المغيرةَ للمغيرةِ إذ بدت   شعواء مشعلة كنبح النابح

فالمغيرة الأولى رجل والمغيرة الثانية الفرس وهي ثانية الخيل التي تغير ٠٠ وقال صاحب الكتاب قال الله تعالى ﴿ وأسلمت مع سليمان ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله وإن كان من غير هذا الباب ٠٠ وأنشد سيبويه

أنخت فألقت بلدة فوق بلدة   قليل بها الأصوات إلا بغامها

البلدة الأولى صدر الناقة والثانية المكان من الأرض ٠٠ ومثله أنشد ثعلب

وتنسه حوره مسة حرف مرصوتني أدهم

ـوالثية ـ لاولى عقة والثانية ققـو ى لادهمـ اص سعر ههد لاسم٠٠وروي
ـحدب أدهم ـ ومثله شـد وعمرو بن العلاء عود على عود على عود حق ٠وقال
لأول التسبيح والثانى جمل مسـو ت صرق قوم قد د كثرة وطء عيه٠٠
ويجري هذ مجرى قول لاودى

وقطع هوجل مسة سا موحش عير ة عطموس

أنشده قدامة على انه طرق وسـ تراد س مجموه فى هد مذهب وقد حـ زد لاحفش
على بن سليمان عنه فى ذلك و كاره على رأى حسن ولا صمعي فى كتب حية محاضرة
للحاتمي ٠٠ وعلى القول الأول قال أبو نواس فى بن ربيع

عباس عباس اذ احتدم الوغى والفضل فضل و ربيع ربيع

٠٠ وقال أبو تمام

ليالي رقيب وأهلا سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

ـ والعهد ـ الأول المسقى هو الوقت ـ والعهد ـ الذى هو حفظ من قولهم فلان ذو عهد
ـ والعهد ـ الثالث الوصية من قولهم عهد فلان الى فلان وعهدت اليه أى وصيته ووصيته
ـ والعهد ـ الرابع المطر وجمعه عهاد وقيل أراد مطراً بعد مطر بعد مطر وفسر ذلك قوله

سحاب متى يسحب على النبت ذيله فلا رجل يسو عيبه ولا حمد

واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم ٠٠ ومن مليح هذا النوع قول ابن رومى

للسود في السود آثار تركن بها لمعاً من البيض يثني أعين البيض

ـ فالسود ـ الأول الليالي ـ والسود ـ الآخر شعرات الرأس واللحية ـ والبيض ـ الأول
الشيبات ـ والبيض ـ الآخر النساء ٠٠ وزعم الحاتمي ان أفضل تجنيس وقع لمحدث قول
عبد الله بن طاهر

واني للثغر المخيف لكالئ وللثغر يجرى ظلمه لرشوف

فهذا وما شاكله التجنيس المحقق والحرجانى يسميه المستوفى ٠٠ ويقرب منه وليس محضاً
قول ابن الرومي

يُدني لماراً لِطابٍ طِلابٍ ومرتادَ مرتادٍ وحطبَ حاطبِ

أدخل الترديد والتطريد نوع من المجانسة يفرد له باب ان شاء الله تعالى •• والتجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع الى الاشتقاق أو لم يرجع نحو قول أحد بني عبس

وذلكم أن ذُلَّ الجار حالفكم وأن أنفكم لا تعرف الأنفا

فاتفقت الأنف في الأنف في جميع حروفها دون البناء ورجعا الى أصل واحد فهذا عند قدامة أفضل التجنيس •• ووقع مثله في الاشتقاق قول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق قال وهو أشهر أوصافه

وما زال معقولاً عقالٌ عن الندى وما زال محبوساً عن الخير حابس

وقال جرير أيضاً وفيه المضارعة والمماثلة والاشتقاق وأنشده ابن المعتز

تقاعس حتى فاته المجد فقعسٌ وأعيا بنو أعيا وضلَّ المضالل

وقال خلف بن خليفة الأقطع

فان يشغلونا عن أذانٍ فانما شغلنا وليداً عن غناء الولائد

يعني الوليد بن يزيد بن عبد الملك •• وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق

بحوافر حفرٍ وصلبٍ صلَّبٍ وأشاعر شعرٍ وخلقٍ أخلقِ

فجنس ثلاث لفظات •• ومثله قول البحتري

صدق الغراب لقد رأيت شموسهم بالامس تغرب عن جوانب غرَّب

ويقرب من هذا النوع قول ذي الرمة * واسترجعت هامها الهيم التساخيم * فالهيم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق وربما جعلها بعض الناس من أصل واحد وكذلك قوله

كأن البرى والعاج عيجت متونها على عُشَرٍ نهَّى به السيلَ أبطح

قال ابن المعتز نهي به السيل أي بلغ نهايته فهو أنعم له وأكثر لدونة وأنا أقول معناه

برك به السل مه وهو امير وثلث ثم ثأر س معتر نهم لا أن يكون معه
حعل نهايته هدث وه ثم وأحود ي ، نحد مصرة وذم ٠٠وقال البحترى

ودكر ىك ولد كرى عد مة ه مد سة شكول
سم تروص في رح شمر وصوب مزن في رح شمول

٠٠ وقال أبو تمام

ملتك الأحساب أي حدة وحد رمه وحية ود

ويقرب من هذا النوع نوع سموه مضارعة وهو على ضروب كثيرة ٠٠ منها أن
تزيد الحروف وتنقص نحو قول أبي تمام وخرج لي سميه التجنيس الناقص

* يمدون من أيد عواص عواصم *

وهما سواء لولا الميم الزائدة ٠٠وكذلك قوله قواض قواضب سواء لولا الباء ومعروف أن
الباء والميم أختان ٠٠ ومثله قول البحترى

فيالك من حزم وعزم طواهما حديد البلى تحت الصفا والصفائح

٠٠ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول الطائي

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

فقوله الصفائح لا سود الصحائف هو الذي أردت ٠٠ وقال البحترى

شواجر أرماح تقطع بينهم شواجر أرحام ملوم قطوعها

ومثله قول أبى الطيب

ممنعة منعمة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا

وحكى ابن دريد أن اعرابياً شم رجلا فقال نبح أمه فقدمه الى السلطان فقال قد قلت
ملج أمه فدرأ عنه ٠٠ قال أبو بكر نحها أتاها ومنحها رضعها وأصل المضارعة أن
تقارب مخارج الحروف وفى كلام العرب منه كثير غير متكلف والمحدثون يتكلفونه
فمن المعجز قول الله عز وجل ﴿ وهمْ يَنهونَ عنه ويَنأون عنه ﴾٠٠وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار وقيل بل سأله عن نسبه فقال

ى حرو حـيرى حس تسلى لامن ربيعة آباى ولا مصر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله ألام خدك وضرع لحدك وأفل لحدك وأقل لعدك وأبعد لك عن الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام نعوذ بالله من اللائمة والعيمة والعيمة والكرم والقرم ـ اللائمة ـ الحوص للنساء ـ والعيمة ـ شهوة اللبن ـ والعيمة ـ العطش ـ والكرم ـ قصر الأذن حقة أومن بحل ويقال الكرم شدة لأكل ـ والقرم ـ شهوة اللحم وهذا النوع تسميه الرمانى المشاكلة وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ خاصة وأما المشاكلة في المعنى فسنبه عليها في أماكنها ان شاء الله تعالى ٠٠ وقال ابن هرمة

وأطعن للقرن يوم الوعي وأطعم في الزمن الماحل

٠٠ وقال أبو تمام

رب حفض تحت الثرى وعناء من عناء ونضرة من شحوب

وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤية الهذلى

رأى شخص مسعود بن بشر بكفه حديد حديث بالوقيعة معتد

و بين المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم

فإن حلوا فليس لهم مقر وان رحلوا فليس لهم معر

٠٠ وقال البحترى يمدح المعتز بالله

ولم يكن المعتز بالله ان سرى يعجز والمعتز بالله طالبه

فجاء بتصحيف مستوف ٠٠ وقال

ما نعيـبى هذا الغزال الغرير من فتون مستجلب من فتور

٠٠ وقال غيره وأظنه قابوس بن وشمكير

ان المكارم في المكا رهوالغنائم في المغارم

وقال بعض العلماء ربما اسفر السفر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر ٠٠ وقال آخر خلف الوعد خلق الوغد ٠٠ وقال ابن المعتز

لئن زهت سمعك عن كلامي ... فقد زهت في حديثك طرفي

له وجهٌ به أصبي ويُصبى ... ومبتسم به أشقى وأشفي

وقال آخر أيضاً في مثل ذلك وفيه غير كثير مصحف

فمن دعج ومن زجج ... ومن مطر ومن مطرق

وكل خشع الطرف ... به خضع منطق

أعني بغير صاد خضع ليست مصحفة شين خشع فلان ضحك و .. المصحف

فما تدسس من الخط ومن هذا قوله دعج وزج بعد ما سمع في اللفظ وفيه ... ومن

الاسقاط الذي لا يظهر الا في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ومن يسر فوق الارض طاغية ... من خير سري فوق جمجمة النسر

ومن يختلف في العالمين بحزمه ... من بعده يجري على بحر

فوصل في النسر حسبت ٥ بسرى وجمرة سوى كسرة هاء من جمجمه كاسوس

في الهاء وكذلك صلة بحر حسبت به بحري وقد صرت بين الخط زالت مجانسة وقد

أحدث المولدون تجانساً منفصلا تظهر أيضاً في الخط كقول أبي ...

رفدوك في يوم الكلاب وشققوا ... فيه المرد بمحمل كالالاب

الكاف للتشبيه والالاب جمع لابة وهي الحرة ذات الحجارة السود .. هذا أصح

الروايتين وأما قوله بمحمل كالالاب أي كان به كلباً فليس شيئ و ذا القول مقدمه

وليس تجانس صحيح على ماشرطه المتقدمون ولكنه مستطرف وأدخل في هذا الباب

عمداً .. وأكثر من يستعمله المكالي وقابوس وأبو الفتح البستي وأصحابهم فمن ذلك قوله

عرصاه ما حي عرصاه ... أودعاني أمت بما أودعاني

فقوله ـ أودعاني ـ هي أو التي للعطف نسق بها دعاني وهو أمر بين من دع على قوله

عرصاه الذي في أول البيت وقوله ـ أودعاني ـ الذي في آخره فعل ماض من قول من

يقول في الواحد أودع يودع من الوديعة .. وقال أيضاً

وان أقرّ على رقٍّ أناملهُ ... أقرّ بالرقّ كتاب الأنام له

ور بما صنعوا مثل هذا في القوافي وأتى كالإيطاء وليس بإيطاء الا في اللفظ مجازاً ولا تجنيس لا كذلك .. قال عمر بن علي المطوعي

أميرٌ كله كرمٌ سعدنا ۝ بأخذ المجد منه واقتباسه
يحاكي النيلَ حين يسام نيْلا ۝ ويحكي باسلاً في وقت باسه

يناسب هذه القافيتان كما ترى في اللفظ وليس بينهما في الخط الا مجاورة الحروف وهذا أسهل معنى لمن حاوله وأقرب شيء ممن تناوله من أبواب الفراغ وقلة الفائدة وهو مما لا يشك في تكلفه وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نثرهم ونظمهم حتي بردوا لمن تدبر كوا وأين هذا العمل من قول القائل وهو أبو فراس

سكرتُ من لحظه لامن مدامته ۝ ومالَ بالنوم عن عيني تمايله
وما السلافُ دهتني بل سوالفه ۝ ولا الشمولُ دهتني بل شمائله
ألوي بصبري أصداغٌ لوين له ۝ وغلَّ صدريَ ما تحوى غلائله

فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه .. وقد يجيء التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي ترد فيما بعد

مابين الساقي كشمس طلعت ۝ تحمل المريخ في برج الحمل

فهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه اذ كان برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ومظهراً لخفي محاسنه وحصل التجنيس فضلة على المعنى لأنه لو قال في وزن موضع الحمل أو النطح أو الكبش لكان كلاماً مستقيما وهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً اليه مأخوذاً منه ما سامحت فيه القريحة وأعان عليه الطبع .. وقد يعد قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط كقوله تعالى ﴿ وهم يحسبونَ أنهم يُحسنون صُنعاً ﴾ وهي مضارعة بعيدة لا يجب أن يعد مثلها .. واختلف الناس في قول الأعشى

ان تسُدِ الحوص فلم تعدهم ۝ وعامرٌ ساد بني عامر

فقال الجرجاني علي بن عبد العزيز القاضي هو مجانسة لان أحدهما رجل والآخر قبيلة

وقال غيره بل معناهما واحد وأنا على خلاف رأي الجرجاني لأن الشاعر قال في عمر وأضاف بني الله ولو قال سادعمرا يعني القبيلة لكان تجنيسا غير مدفوع .. وقال الجرجاني وأراه يعني بيت الأعشى يخالف قول الآخر

قتلنا به خير الضبيعات كلهم ... ضبيعة قيس لا ضبيعة أضجما

لأن كلتيهما قبيلتان فكأنه جمع بين رجلين متفقي الاسم شتى الأب فهو مستجيد في قتله في بيت الأعشى إذ حققه من به نفر وتدبر .. وقد ذكروا تجنيساً مصنوعاً أنشده جماعة من المتقدمين منهم الجرجاني

أيا قمرَ التمام أعنت ظلماً ... عليَّ تطاولَ الليل التمام

فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا انفصل كان تجنيساً وإذا اتصل لم يكن تجنيساً وإذا كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال ليل التمام كما قال قمر التمام والرماني سمى هذا النوع مزاوجاً ومثله عنده قول الآخر

حمتني مياه الوفر منها مواردي ... فلا تحميني وردَ مدح معاقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى ﴿ يُخادعونَ اللهَ وهوَ خادعُهم ﴾ وقوله ﴿ فَمنِ اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثلِ ما اعتدَى عليكم ﴾ وقوله ﴿ إنما نحن مستهزئون الله يستهزئُ بهم ﴾ وكل هذه استعارات مجاز لأن المراد مجازة ومزاوجة بين اللفظين .. وكان الأصمعي يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا إذا كان من شكله يقول ليس بعربي خالص حكي ذلك ابن جني .. وأما ابن المعتز فقال وهو أول من بحث هذا النحو وجمعه والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظةَ في تأليف حروفها على السبيل لذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها قال والجنس أصل لكل شيء تتفرع منه أنواعه وتعود كلها إليه كالانسان هو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي وأشباه ذلك ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب أعني التجنيس يدلك على ذلك ما حكي عن رؤبة بن العجاج وابيه وذلك أنه قال له يوماً أنا أشعر منك قال وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز قال وما عطف الرجز قال * عاصم يا عاصم لو اعتصم * قال يا أبت أنا شاعر ابن شاعر وأنت شاعر ابن مفحم فعليه فأنت ترى كيف سماه عطفاً ولم يسمه تجانساً اللهم الا أن يذهب

نصب في معنى لاتهت قمر .. ومن أنشد هذا الباب قول السمري واسمه عمر بن عمرو لأيدي وبين كأن البيت حجر فوقها بريحانة ريحت عشاء وطلت

وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام

وشرب على لورد من وردية عتقت كأنها حسن زهر رمي وامسه

.. وقال الفرزدق

ألم يأته أني تحلل ناقتي بعمان أطراف الاراك الموغم

وحقيقة المجانسة عند الرماني بالمناسبة بمعنى الأصل نحو قول أبي تمام

* في حده الحد بين الجد واللعب *

قال لان معناهما جميعاً المنع ربما قولك قرب واقترب واسلوع والمطالع وما شاكل هذا فهو عنده من تصرف اللفظ ولا نعده تجنيساً .. ومن تصرف المعنى عنده قولك عين الميزان وعين الانسان وعين الماء ونحو ذلك .. ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك الضرب والضاربة والاستضراب وما أشبه ذلك كل هذه الانواع عنده من باب التصرف ومن أكثر ما استعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ونظر أنه قد أتى بشيء من غرائب التجنيس .. وأما قول دعبل في امرأته سلمى

أحبك حباً لو تضمنه سلمى سميك ذاك الشاهق الراسي

فقد جانس من غير ذكر جنس لان قوله سميك دال على مراده .. ومثله قول الآخر

صبيعتي مثل اسمها ال عام وداري مستزمه

أنشده الرماني .. وقال الآخر هو ابو تمام

اذا لا صدوق ولا كنود اسمها كالمسيين ولا السوار نوارا

المراد صدر البيت لاعجزه .. واذا دخل التجنيس في عد طباقا وكذلك الطباق يصير الذي تجنيسا وسأفرد لها بابا ان شاء الله تعالى فيما بعد باب الترديد

﴿ تم الجزء الأول من كتاب العمدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني وأوله باب الترديد ﴾

اعلان

﴿من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر﴾
(عن الكتب المذكوره)

كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ عبد العظيم المنذري جزآن كبيران في ٦٨ صحيفه
كتاب (أمالي السيد المرتضى) في التفسير ، والحديث ، والادب ، أربعة أجزاء في ٨٠٨ صحائف مشكول ما فيه من الشعر واللغة
كتاب (الايمان والاسلام) لشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية جزء واحد في ٢٠٨ صحائف
كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) في مخالفة أهل الجحيم لشيخ الاسلام المذكور في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (الكنايات) للقاضي الجرجاني مع كتاب الكنايات لابي منصور الثعالبي جزء واحد في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (خاص الخاص) في الادب والمحاضرات لابي منصور الثعالبي وهو من أحسن مؤلفاته جزء واحد في نحو ٢٠٠ صحيفه
كتاب (شفاء الغليل) فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي جزء واحد في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (مفتاح دار السعادة) لابن قيم الجوزية من أجل ما ألف في العلوم الاسلامية جزآن في ٦٢٦ صحيفة
كتاب (المفصل) للزمخشري مع كتاب المفضل في شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين جزء واحد في ٤٠٨ صحائف
كتاب (المجموع للفارابي) ثمانية رسائل مع كتاب نصوص الكلم شرح فصوص الحكم للسيد محمد بدر الدين جزء واحد في ٢٠٨ صحائف
كتاب (مبادي اللغة العربية) وشرح شواهد ذلك لابي عبدالله الاسكافي الخطيب جزء واحد في مائتي صحيفة مشكول

﴿ فهرس الجزء الثاني من كتاب العمده ﴾

صحيفه

صحيفة

(تم الفهرس)

الجزء الثاني من كتاب

العمدة

في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفي سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م

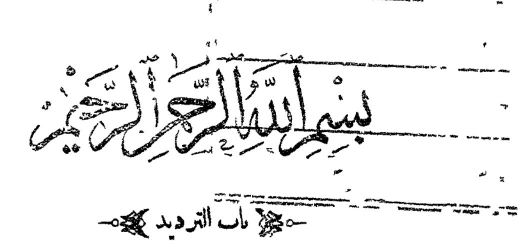
على نفقة

« السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز »

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد اسماعيل »



باب الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه وذلك نحو قول زهير

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة منه والندى خلقا

فعلق يلق بهرم ثم علقها بالسماحة .. وكذلك قوله أيضاً

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

فردد أسباب على ما بينت .. وبعض الحجاريين

ومن لامني فيهم حبيب وصاحب فرد بغيظ صاحب وحميم

.. وقال مجنون بني عامر

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

.. وقال أبو تمام

خفت دموعك في إثر القطين لدن خفت من الكثب القضبان والكثب

الترديد في خفت ولو جعلت الكثيب ترديداً لجاز .. وقال ابن المعتز

لو شئت لا شئت خليت السلو له وكان لا كان منكم في معافاتي

.. وقال أيضاً في مثل ذلك

أعاذلي في يوسف وهو من ترى ويوسف أصباني ويوسف يوسف

ولبعضهم وأظنه الصنوبري

أنت عذري اذا رأوك ولكن　　كيف عذري اذا رأوك محور

الترديد في قوله اذا رأوك ٠٠ وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء

أمير أمير عليه الندى　　جواد بخيل بأن لا يجود

الترديد فى أول البيت وهذا النوع فى أشعار المحدثين أكثر منه فى أشعار القدماء جداً ٠٠ والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبى حية النميري واسلم فضلة هذا النسب اليه فى قوله

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا　　لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة　　تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

والترديد الذى انفرد فيه بالاحسان عندهم قوله — لبسن البلى مما لبسن الليالي — وكذلك قوله — اذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة — ثم قال — تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا — لان هذا كناية عن المرء وان اختلف اللفظ ٠٠ ويلحق بهذا قول أبى نواس — لو مسها حجر مسته سراء — وقول الحسين بن الضحاك الخليع

لقد ملأت عيني بغير محاسن　　ملأن فؤاد ذى لوعة وهموما

لقرب ما بين اللفظتين وكذلك قول الطائى

راح اذا ما الراح كان مطيها　　كانت مطايا الشوق فى الاحشاء

ردد مطيها ومطايا الشوق ٠٠ وعلى هذا يحمل قول الحذاف بن حكيم وقيل العباس ابن مرداس

نعرض للسيوف بكل ثغر　　وجوهاً لا نعرض للطام

وحمل قوم قول امرئ القيس — وثوباً لبست وثوباً أجر — على انه تكرار لا ترديد فيه وهذا هو الخطأ البين وأى ترديد يكون أحسن من هذا وقد أوفى على غير مودة الأول حسب ما شرطوا ٠٠ ومثله قول بعض الاعراب فى مدح هرون الرشيد

حبيبُ الكلام حبيب العطاس　　حبيبُ الرواء حبيب النعم

ومن أملح ماسمعته قول ابن العميد

ون كان مسخوطاً فقل شعر كاتب   وان كان مرضياً فقل شعر كاتب

وهو داخل عندي في باب الترديد إذ كان قوله عند السخط شعر كاتب انما معناه لتقصيره وبسط العذر له إذ ليس الشعر من صناعته كما حكي ابن النحاس انهم يقولون نحو كتابي اذا لم يكن محوداً وقوله عند الرضى شعر كاتب انما معناه التعظيم له وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات فقد صار وطابق في المعني وان كان اللفظ مجنيساً مردداً ٠٠ وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينيه حتى مقته ورهد فيه ولو لم يكن إلاّ بقوله

فعقتُ بالهم الذي قلقلَ الحشا   قلاقل عيش ِ كلهن قلاقل

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ونحو ذلك قوله

أسدٌ فرائسها الأسود يقودها   أسد تكون له الأسود ثعالبا

لم أدري كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ولا أقول انه بيت شعر وأين يقع هذا من قول غيره

فصبحُ الوصال ِ وامل التنبب   وصبحُ المتيب ِ وليلُ الصدود

—*—*—*—*—*—*—*—

ـ باب التصدير ـ

وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر اذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده مائية وطلاوة وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام ٠٠ أحدها مايوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الآخر نحو قول الشاعر

يلفي اذا ما الجيشُ كان عرمرما   في جيش ِ رأي ٍ لا يفل عرمرم

٠٠ الآخر ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه نحو قوله

سريعٌ الى ابن العمِّ يشتم عرضهُ وليسَ الى داعى الندى بسريع

٠٠والثالث ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه كقول الآخر

عزيز بنى سُليم أقصدته سهامُ الموتِ وهي له سهام

والتصدير قريب من الترديد والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور فلا تجد تصديراً الا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين وإن لم يذكروا فيه فرقاً والترديد يقع في اضعاف البيت الا ما نسب بيت ابن المعتز المتقدم٠٠ومن أبيات التصدير قول زهير

كذلك خيمهم ولكلِّ قوم اذا مسَّتهم الضراءُ خِيم

٠٠ وقال أيضاً في ذلك

له في الذاهبين أروم صدق وكان لكلِّ ذي حسب أروم

٠٠وقال أبو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي

وما كل ذي لبٍّ بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب

فهذا تصدير وان كان ظاهره في اللفظ ترديداً للعلة التي ذكرتها ٠ ومن أناشيدهم في التصدير قول طفيل الغنوي

محارمكُ أمنعها من القوم انني أرى حرمةً قد ضاع فيها المحارم

٠٠ وقال جرير وهم يستحسونه جداً

سقى الرملَ جون مستهلٌ ربابه وما ذاك الا حبُّ من حل بالرمل

٠٠ وقال عمرو بن أحمر

تعمرتُ منها بعد ما نفد الصبا ولم يروَ من ذي حاجة من تعمرا

ـتعمرت ـأى شربت من العمر وهو قدح صغير جداً ضربه مثلاً أى تعللت منها بالشئ القليل وذلك لا يبلغ ما في نفسي منك من المراد٠٠ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة وأنشد للفرزدق

صدر همومك لا يغلبك واردها … فكل واردة يوماً لها صدر

فأسد في التصدير ت يطمل لمقسم وبيت جرير وحصن بيت الفرزدق المصادة دون أن يجعله تصديراً كما جعلها أولا طباقاً كما يقال في الأضداد إذا وقعت في الشعر وقد أتيته في إحدى السجمع أبيات المطابقة وقارنه من كلام المحدثين قول ابن الرومي

ريحانهم ذهب على درر … وشرابهم درر على ذهب

والكتاب يسمون هذا النوع التذييل حكاه أبو جعفر النحاس .. ومن أنشد ابن المعتز قول منصور بن الفرج في ذكر الشيب

يا بياضاً أذرى دموعي حتى … عاد منها سواد عيني بياضا

وأنشد لأبي نواس وهو عندي بعيد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب على أنه بينة في ذاته لأن أكثر العبارة أن يعاد اللفظة بعينها

دقت ورقت مدقة من مائها … والعيش بين رقيقتين رقيق

وأنشد لمسلم بن الوليد

تبسم عن مثل الأقاحي تبسمت … له مزنة صيفية فتبسما

وهذا البيت أيضاً رديد وأنشد للطائي

ولم يحفظ مضاع المجد شيء … من الأشياء كالمال المضاع

فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء وأنشد طللاً لها من القدماء وهي في أشعارهم أوجد كما قدمت آنفاً

باب المطابقة

المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه [1] المطابقة عند جميع

(١) سقطت هذه الجملة من بعض النسخ وكأنها من هامش الكتاب … من … في أبواب أخر

الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر لأن قدامة ومن تبعه قد يجعلون اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباقاً وقد تقدم الكلام في باب التجنيس وسمى قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا التكافؤ والناس يطابق عندي لأنه قدمت ذكره ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير المحسن من جميع من سمعته .. قال خليل ابن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما .. وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع وأنشد لنابغة بنى جعدة

وخيل يطابقن بالدارعين   طباق الكلاب يطأن الهراسا

ثم قال أحسن بيت قيل لزهير في ذلك

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا   ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

حكى ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .. وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن الزبير الأسدى

رمى الحدثان نسوة آل حرب   بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً   ورد وجوههن البيض سودا

وهذا من التذييل على مذاهب الكتاب واختار أيضاً قول طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم يقطع أباجله   يصان وهو ليوم الروع مبذول

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسن القرشى .. وقال الرماني المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان .. قال صاحب الكتاب هذا أحسن قول سمعته في المطابقة من غيره وأجمعه لفائدة وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً وهو قول الخليل اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماني يشهد بذلك قول لبيد

تعاورن الحديث وطبقنه   كما طبقت بالنعل المثالا

ومنه طبقت المفصل أي أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه .. وكذلك قول

الاصمعى أصلها من وضع الرجل موضع اليد فى مشى دوات الأربع وهومساواةالمقدار أيضاً لان من دوات الأربع ما تجاور رجله موضع يده ومنها ما تطابق كما قال حلقة وربما كان طاقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شئ تتقيه على أنفسها ولذلك شبه النابغة الجعدي مشى الخيل أبوطء الكلاب الهراس وهوحطام الشوك فهي لا تضع أرجلها الاحيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة •• وأما قول قدامة في المطابق هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها فانه أيضاً مساواة لفظ للفظ وهي أعنى المساواة على رأي الخليل والاصمعى مساواة معنى لمعنى وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى أى موافقته ألا ترى أنهم يقولون فلان تطابق فلاناً على كذا اذا وافقه عليه وساعده فيه فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ثم وافقت بعينها معنى آخر و يصح هذا أيضاً فى قول الخليل فى الطباق أنه جمعك بين الشيئين على حذو واحد فيكون الشيئان للمعنيين والحذو الواحد اللفظة ••ومن مليح ما رأيته فى المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عيناً

وعن مجلاءَ تدمعُ فى بياض   اذا دمعت وتنظرُ فى سواد

•• وقال أيضاً

ووالله ما قاربتُ الاّ تباعدت   بصرمٍ ولا أكثرتُ الاّ أقلت

•• وقال ابن المعتز ويروي لابن المعذل

هوايَ هوىً باطنٌ ظاهر   قديم حديث لطيفٌ جلل

ولبعض الاعراب

أموثرة الرحالِ عليّ ليلى   ولم أوثر علي ليلي النساء

وقال اعرابى الدراهم مياسم تسم حمداً أو ذماً فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له ونظم الشاعر هذا الكلام فقال

أنتَ للمالِ اذا أمسكته   فاذا أنفقته فالمالُ لكْ

ومن الطباق الحسن قول اعرابى خرجنا حفاة حين انتعل كل شئ ظله وما زادنا الا التوكل ومامطايانا الا الأرجل حتى لحقنا بالقوم •• وقال آخر لصاحبه ان يسار النفس أفضل

من يسار المال فإن لم يرزق غنى فلا يحرم بهوى فرب شدعن من النعم عرتان من الكرم واعلم أن المؤمن على خير ترحب به الأرض وتستبشر به السماء وإن أساء الله في بطنها وقد أحسن على ظهرها .. وبرنعة بن مقروم الضبي

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل

ومن أفصل كلام البشر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه فيأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الإتيان بمثله . وقول الله عز من قائل ﴿ وما يستوى الأعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات ﴾ وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ لأن معناه القتل أي القاتل فصار القتل سبب الحياة وهذا من أملح الطباق وأخفاه .. ومما استغربه الجرجاني من الطباق و استلطفه قول الطائي

مهي الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

لمطابقته بهاتا وتلك واحداهما للحاضر والأخرى للغائب فكأنما في المعنى نقيضين وبمنزلة الضدين هذا قوله وليس عندي بمحقق إذا أحداهما للقريب والأخرى للبعيد المشار اليه ولكن الرجل أراد التخلص فولى في العبارة . ومثل هذا عندي في بابه قول أبى الطيب يذكر حمل العدو الزاحف للحرب

ضربن إلينا بالسياط جهالة فلما تعارفنا ضربن بها عنا

فقوله ـ ضربن إلينا ـ مجيء إقدام وقوله ـ ضربن بها عنا ـ ذهاب فرار وهما ضدان .. ومن أنواع الطباق قول هدبة بن خشرم

فإن تقتلونا في الحديد فإننا قتلنا أخاكم مطلقاً لم يكبل

فقوله ـ في الحديد ـ ضد قوله ـ مطلقاً لم يكبل ـ وإن لم يأت على متعارف المضادة وكذلك قوله

فإن يك أبي زال عني جماله فحسبي في الصالحين أخدعا

كأنه قال وان يك أبي أخدع فما حسبى بأخدع قال الجرجانى وقد يخلط من يقصر علمه و يسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه كقول كعب بن سعد الغنوى يرثى أخاه

لقد كان أما حلمه فمروخ   علينا واما جهله فعريب

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وعريباً جعلهما في هذه الجملة ولو ألحقنا ذلك بهما لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ولا تسع الخرق فيه حتى تستغرق أكثر الكلام قال صاحب الكتاب معنى قوله فيما أنكر أن البيت انما حقه أن يكون في باب المقابلة لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقربان من مضادتهما وليستا تضدان على الحقيقة ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مستحقتين الا مقابلة فان لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة الا الوزن سمي موازنة وسأذكره في باب المقابلة ان شاء الله هكذا جرت العادة في هذه التسمية . وأما قولنا ان الكلمتين غير متفاوتتين فظاهر لان الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل وانما ضده السفه والطيش وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلها وكذلك المروح ليس ضده العريب وانما ضده المعدو به أو المنكر به وما أشبههما ولما ثقل وزن المروح من هاتين اللفظتين وقل استعماله تسمحت فيهما وأما العريب فهو البعيد والغائب ولا مضادة بينه و بين المروح الا بعيدة كأنه يقول ان هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال

ولقدسلوتُ لو أن داراً لم تلحْ   وحلمتُ لو أن الهوى لم يجهلِ

.. وقال زهير وزعموا أنه لأوس بن حجر

اذا أنتَ لم تعرضْ عن الجهلِ والخنا   أصبتَ حليماً أو أصابك جاهل

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد وان كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة والناس متفقون على أن جميع المخلوقات مخالف وموافق ومضاد فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فانما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير

بسودٍ نواصيها وحمرٍ أكفها   وصفرٍ تراقيها وبيضٍ خدودها

ورواه ابن الاعرابي في نسق أبيات

تصفر براقعها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة وقال الرماني وغيره السواد والبياض ضدان وسائر الألوان تضاد كل واحد منها صاحبه إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة إذ كان كل واحد منهما كلما قوي زاد بعداً من صاحبه وما بينهما من الألوان كلما قوي زاد قرباً من السواد فان ضعف زاد قرباً من البياض وأيضاً فلأن البياض منصبغ لا يصبغ والسواد صابغ لا ممصبغ وليس سائر الألوان كذلك لأنها كلها تصبغ وتنصبغ انقضى كلامهم وهو بين ظاهر لا يخفى على أحد واذا أوردته بطل الزعم من زعم أن تفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم

بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا

ومن أخف الطباق روحاً وأقله كلفة وأرسخه في السمع وأعلقه في القلب قول السدأبي الحسن في قصيدة

ألا ليت أياماً مضى لي نعيمها ... تكر علينا بالوصال فتنعم

وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر ... يتوق اليها كل من يتكرم

اذا مزجت في الكاس حلت لآلئاً ... تنثر في حافاتها وتنظم

جمعنا بها الاشتات من كل لذة ... على أنه لم نعش في ذاك محرم

فطابق بين تنثر وتنظم وبين جمعنا والاشتات أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه وأتى في البيت الأول من قوله مضي وتكر بأخفى مطابقة وأظرف صنعة على مذهب من انتحله ٠٠ ومما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض المحدثين

وجهه غاية الجمال ولكن ... فعله غاية لكل قبيح

وليس ضده وانما ضده الدمامة والقبح ضده الحسن ٠٠ وقال الصولي أبو بكر يصف قلما

ناحل الجسم ليس يعرف مذ كا ... ن نعيما وليس يعرف ضراً

وليس بينهما مضادة وانما ضد النعيم البؤس فأما قول أبي الطيب

والسلم تكسرُ من جناحيْ ماله ... بنواله ما تجبرُ الهيجاءُ

ويه داخل في الطباق المحض لان المراد بالهيجاء الحرب وهي اسم من أسمائها فكأنه قال الحرب وأبي بضد السلم حقيقة

باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين كقولهم جلل بمعنى صغير وجلل بمعنى عظيم فان باطنه مطابقة وان كان ظاهره تجنيساً وكذلك الجون الابيض والجون الاسود وما أشبه ذلك وكذلك ان دخل النفي كما قدمت .. قال البحتري

يقيض لي من حيث لاأعلمُ الهوى ... ويسري الى الشوق من حيث أعلم

فهذا تجانس في ظاهره وهو في باطنه مطابق لان قوله ـ لا أعلم ـ كقوله أجهل ومثل ذلك قول الآخر

لعمري لئن طال الفصيل بن رسم ... ربع الطلل ما باب رأيه بطويل

كأنه قال ان رأيه قصير وقد جاء في القرآن ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وأما قول الفرزدق

لعمري لان قلّ الحصى في عديدكم ... بني نهشل ما لؤمكم بقليل

ظاهره تجنيس بالقلة وباطنه نطابق بالكثرة اذ كان معنى ـ قل الحصى في عديدكم ـ انكم كثير ومعنى ـ ما لؤمكم بقليل ـ انه كثير أيضاً بخلاف الأول وقد قال حلهمة بن أدس مالك وهو طيئ لولده في وصية ولا تكونوا كالجراد أكل ماوجد وأكله ماوجده فهذا تجانس الظاهر مطابق الباطن ومما أنشده ثعلب

أبى حبي سليمى أن يبيدا ... وأمسى حبلها خلقاً جديداً

الجديد هنا المجدود وهو المقطوع مثل قتيل وجريح بمعنى مقتول كأنه قال مجدوداً أي مقطوعاً فليس بمطابق وان كان كذلك في الظاهر عند من لا يميز وأما المميز فيعلم أنه

لا يكون خلقاً جديداً في حال وقال العتابي يعاتب المأمون وقد حجب عنه وكان مجفياً

تضرب الناس بالمهندة البيض على غدرهم وتنسى الوفاء

فأتى بالغدر والوفاء جميعاً وهما ضدان فطابق بينهما في الظاهر ونص كلامه مجانس لأن قوله ـ وتنسى الوفاء ـ كقوله تغدر .. وقال جرير أيضاً

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقوله ـ غير صاح ـ نقيض أتصحو لولا أنه استفهام لم يرد حقيقة حصوله منه لا على مذهب من جعل أم بمعنى بل وكأنه قال أتصحو بل فؤادك غير صاح فناقض الصحو ودخل كلامه في المطابقة .. وقال قيس بن الخطيم ويروى لعدي

وإني لأغنى الناس عن متكلف ... يرى الناس ضلالاً وليس بمهتدي

كأنه قال وهو ضال فجانس في الباطن وإن كان قد طابق في الظاهر .. ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول نحو خالق ومخلوق وطالب ومطلوب هما ضدان في المعنى وإن كانا مجانسا في اللفظ وكذلك ما كان اسم الفاعل منه مفعولاً والمفعول مفعل نحو مكرم ومكرم ومعطي ومعطى وما جرى هذا المجرى أو زاد عليه في الأسماء وأما قولك قصيت واقتصيت فظاهره تجنيس وباطنه طباق إلا أنه طباق غير محض وكذلك قولك أخذت وأعطيت لأن الأخذ ضده الترك والإعطاء ضده المنع فهذا مما نظنه من لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ولكنه كثير جداً في الكلام واستعمله الناس كما تقدم من قولنا في الخير والجهل والجمال والقبح .. ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر

وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأول ما يعتد به في هذا الباب قول امرئ القيس

فإن تدفنوا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

ويروى ـ فإن تكتموا الداء لا نخفه ـ وقوله لا نخفه أي لا نبده من قوله تعالى ﴿ أكاد أخفيها ﴾ فكأن الشاعر قال إن تدفنوا الداء ندفنه دفناً أو قال إن تكتموا الداء نكتمه وكذلك قوله ـ لا نقعد ـ كأنه قال إن تبعثوا الحرب نبعثها ومن كلام السيد أبي الحسن

واعلم أن المجد شيء مخلد وان الغنى والمال غير مخلد

والبيت من قصيدة شريفة أولها

صحا القلب عن سعدى وعن أم معبد ولم يستحي نوح الحمام المغرد

باب المقابلة

المقابلة مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم هذا حد ما اتضح عندي[1] المقابلة بين التقسيم والطباق وهي تتصرف في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به آخراً ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه وأكثر ما تجيء المقابلة في الاضداد فاذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء وهو

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصح وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادر

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب وأنشد للطرماح

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حرب ولا أدّوا لحسن يدٍ ثوابا

فقدم ذكر الانعام على المأسورين وأخر ذكر القتل في البيت الأول وأتى في البيت الثاني بعكس الترتيب وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب وأخر ذكر الثواب على حسن اليد اللهم الا أن يريد بقوله ـ فما صبروا لبأس عند حرب ـ القوم المأسورين ان لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر واعطاء اليد فان المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا وهذه عندهم تسمى مقابلة الاستحقاق ويقرب منها قول أبي الطيب

* وفعله ما يريدُ الكف والقدم * لان الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما

(١) ليس لهذه الجملة أثر في نسخ الكتاب

مناسبة وليست مضادة وقد طابقت المضادة بكل رأس والناصية أولى كما قال تعالى ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ ومن أناشيد المقابلة قول النابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسرُّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل بسر يسوء وصديقه بالأعادي وهذا جيد ولو كان كل مقابل على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولاً لكان أجود .. وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

ويبقى بعدَ حلمِ القومِ حلمي ويفنى قبل زادِ القومِ زادي

فقال — يبقى بعد — ثم قال — يفنى قبل — فهذا كما أراد .. وقال الفرزدق

وانا لنمضي بالأكفِّ رماحنا اذا أرعشت أيديكم بالمعارق

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال أي بيت قالته العرب أشعر قال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك .. قال قول الشاعر

ماأحسنَ الدينَ والدنيا اذا اجتمعا وأقبحَ الكفرَ والافلاسَ بالرجل

.. وقال يزيد بن محمد المهلبي يقوله لسليمان بن وهب

فمن كان للآثامِ والذلِّ أرضه فأرضكم للاجرِ والعزِّ معقل

.. وقال في التغزل

ان نعمى عسى سقياً ورعيا أو تخلى فينا فأهلا وسهلا

والمعجز قول الله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ولتبتغوا من فضله ﴾ فقابل الليل بالسكون والنهار بابتغاء الفضل وجعل بعض المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان والأول أعجب الي وقال تعالى ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطاح الحنفي

أذكي وأوقد للعداوةِ والقرى نارين نار وغي ونار زناد

وكذلك قوله

لباسي حسامٌ أو ازار معصفر ودرعٌ حديدٌ أو قميصٌ مخلق

الا أنه لو كان الازار رداء كان أجود لاسيما والسيف يسمى رداء ولكنا هكذا رويناه ٠٠ ومن حق المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ماشاء

اليومُ مثلُ الحول حتى أرى وجهك والساعةُ كالشهر

وهذا مليح لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر ٠٠ وقال محمد ابن احمد العلوي

لا يؤجر عني الجواب فيومي مثلُ دهر وساعتي مثلُ شهر

فلم يصنع شيئاً وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا فتكون قسمة مستوية ولكنا هكذا رويناه ٠٠ ومن جيد ما وقع في المنثور من المقابلة قول بعض الكتاب فان أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوالافن والغش وليس من جمع الى الكفاية الأمانة كمن أضاف الى العجز الخيانة ومن كلام ابراهيم بن هلال الصابي وأعد لمحسنهم جنة وثوابا ولمسيئهم ناراً وعقابا ٠٠ وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم

يريك الحسنَ والاحسانَ وقفا اذا سررت لنا واذا نغيب

ومما عابه الجرجاني على ابن المعتز قوله

نقاصٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرت من الخجل الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب فهذا من سوء المقابلة وان عده الجرجاني غلطاً في التشبيه وانما العلة في كونه غلطاً ماذكرناه ٠٠ ومن المأخوذ المعيب عندي قول الكميت يخاطب قضاعة

رأيتكم من مالكٍ وادعائه كرائمة الاولادِ من عدمِ النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة لا على صحة المقابلة في التشبيه لان هؤلاء فيما زعم يدعون أبا والرائمة تدعي ولداً وهما ضدان والصواب قول الآخر يهجو كاتباً ٠٠ أنشده الجاحظ

حمارٌ في الكتابةِ يدعيها كدعوى آلِ حربٍ في زياد

.. وقال أبو نواس

أرى الفضل للدنيا والدين جامعاً ... كما السهم فيه الفوق والريش والنصل

وزاد في المقابلة قسماً لانه قابل اثنين بثلاثة .. وكذلك قول أبي قيس بن الاسلت

الحزم والقوة خير من الـ ... إدهان والفكة والهاع

فقابل الحزم بالادهان والقوة بالفكة وهي الضعف ويروى الفهة وهي العي ورد الهاع وهو الجبن والجزع .. ومما سقط فيه عبد الكريم من جهة المقابلة وإن كان داخلا وتشبيها قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر

الى ملك بين الملوك وبينه ... مسافة ما بين الكواكب والترب

لانه لما أتى بالملوك أولا وبضمير الممدوح وهو الهاء التي في بينه مقدماً ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد يقابل الضمير بحذائه وجب بهذا الترتيب أن يكون هو الترب وتكون الملوك هم الكواكب ولم يرد الا أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب ولكن حكم عنده حكم علي بن المعمر الذي أنه انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر .. ويدلك على صحة ما طلبته به قول امرئ القيس ابن حجر

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

قابل الرطب أولا بالعناب مقدماً وقابل اليابس ثانياً بالحشف ثانياً .. وكذلك قول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يسل ويغمد

فقابل يبدو بيسل وقابل تضمره البلاد بيغمد على ترتيب وكذلك كان يجب لهؤلاء أن يصنعوا والا كانوا مخطئين أو مقصرين .. ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا الا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر ... في البأس والجود بين الحلم والخفر

وعلى هذا الشعر حسد النعمان بن المنذر النابغة دراً .. ويضاف الى هذا النوع قول أبي الطيب

تصيبك في حاجتك من حبيب ... تصيبك في هامك من حال

فوازن قوله في حاجتك بقوله في هامك وليس بضده ولا موافقه وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وحال وان اختلف حرف اللين فيهما فان تقطيعه في العروض واحد ..
وأما قول أبي تمام

وكنت لناشئهم أباً ولكهلهم ... أخاً ولذي التقوس والكبرة ابنا

فانه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .. وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين القسم والطباق فكلما توفر حظها منهما كانت أفضل . ومن أملح ما رويناه في الموازنة وتعديل الاقسام مما يجب أن يختم به هذا الباب قول ذي الرمة

استحدث الركب عن أشياعهم خبراً ... أم راجع القلبَ من أطرابه طربُ

لأن قوله ـ استحدث الركب ـ موازن لقوله ـ أم راجع القلب ـ وقوله ـ عن أشياعهم خبراً ـ موازن لقوله ـ من أطرابه طرب ـ وكذلك الركب موازن للقلب وعن موازن لمن وأشياعهم موازن لاطرابه وخبراً موازن لطرب .. وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع

لكفاك أندي من غيوم سواجم ... وعزمك أمضى من حُسام مهند

فكل لفظة من هذا التقسيم الأول موازنة لاختها من القسم الآخر موازنة عدل وتحقق

—— * * * * * ——

باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة

بضرب يذوق الموتَ من ذاق طعمه ... ويدرك من نجى الفرارُ مثالبه

فراحوا فريقٌ في الأسارى ومثله ... قتيل ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان اما موت واما حياة تورث عاراً ومثلبة والبيت الثاني ثلاثة أقسام

أسير وقتيل وهارب فاستقصى جميع الاقسام ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكره . . ومثل ذلك قول عمرو بن الاهتم الا انه أكثر تجوزاً

اشربا ما شربتما فهذيل من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد . . ومن التقسيم الجيد قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما ندري

فلم يبق جواب سائل الا أتى به فاستوفى جميع الأقسام وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم . . ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدحرج

فلم يبق الشماخ قسما ثالثاً الا أن يقول يغوص في الارض وذلك لا يبرء من جهة أن الحافر عند الجري وسرعة المشي يقذف الحجر الى وراء الا أنه لو أتى به لكان حسناً من أجل قوله مطمئنة . . ومن أشرف المسموع في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لك يا بن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسما رابعاً لو طلب يوجد . . وقال نافع بن خليفة يا بني اتقوا الله بطاعته واتقوا السلطان بحقه واتقوا الناس بالمعروف فقال رجل منهم ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا الا وقد أمرتنا به . . وقال أعرابي اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور وكان ثابت البناني يقول الحمد لله وأستغفر الله فسئل لم خصهما فقال لاني بين نعمة وذنب فأحمد الله على النعمة وأستغفره من الذنوب . . ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك البدوي منكم أحداً الا وقد سأله . . ثم نعود الى الشعر قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أم من غيبته المقابر

فلم يبق مما يعبر به عن انسان مفقود قسما الا أتى به في هذا البيت . . وقال آخر وأحسنه

أنا ذبهل الجمحي أو طريحاً

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ح عليه كالهضب يعتلج
لارتد أو ساخ أو لكان له في سائر الارض عنك معرج

ولا يدع السيل طريقه الا باحد هذه الاشياء .. وقال أبو العتاهية

وعليٌ من كافى بكم قمد وجامعة وغِلّ

فأتى على جميع ما يتحد للمأسور أو المحبوس ولم يبق قسما .. هـذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم وأما ما كان فى بيتين أو ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .. وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأشعر الجعفي يصف فرساً

أما اذا استقبلته فكأنه بازٍ يكفكف أن يطير وقد رأى
أما اذا استدبرته فتسوقُهُ ساقٌ قموص الوقع عارية النسا
أما اذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضى

واختاره أيضاً قدامة وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس الا بشرف الصفات

اذا أقبلت قلت دبَّاءة من الخضر مغموسة فى الغدُر
وان أدبرت قلت أثفيَّة ململمة ليس فيها أثر
وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

ولولم يكن الا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض وانقطاع ذلك بعضه من بعض ..
وقد صنعت على ضعف منى وتأخر وقتى

اذا أقبلت أقعت وان أدبرت كبت وتعرض طولاً فى العنان فتستوى
وكلفت جانبى شبهة طائر اذا انتشرت طالت لها الأرض تنطوي

.. ومن التقسيم نوع هو هذا الأول الا أن فيه زيادةُ تدريجاً وترتيباً فصعب لذلك على متعاطيه وقل جداً ... وأحسنه قول زهير بن أبى سلمي

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

فأتى بجميع ما استعمل فى وقت الهياج وزاد ممدوحه رتبة وتقدم به خطوة على أقرانه ولا

أرى في التقسيم عديل هذا البيت ويليه في بابه قول عنترة

إن يلحقوا أكرر وإن يستلحموا أشدد وإن يلفوا بضنك أنزل

ـ ويروى ـ وإن يفقموا ٠٠ ومما يضاف اليه قول طريح بن اسمعيل الثقفي

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا شراً أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

٠٠ وقول الحصين بن الحمام

دفعناكم بالحلم حتى بطرتم وبالكف حتى كان دفع الأصابع

فلما رأينا جهلكم غير منته وما قد مضى من حلمكم غير راجع

مسسنا من الآباء شيئاً وكلنا إلى حسب في قومه غير واضع

فلما بلغنا الأمهات وجدتم بني عمكم كانوا كرام المضاجع

كأنه يقول نحن أكرم منكم أمهات فهذا هو التدريج في الشعر ٠٠ وبعضهم في التقسيم على خلاف ما قدمت زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول ابن أبي ربيعة

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر

ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

٠٠ واختار قوم آخرون قول الحارثي

فلا كمدي يفنى ولا لك رقة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

٠٠ وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب أو قال أجمع بيت قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

٠٠ وقال الأعشى يصف فرساً سائس مقلده أسيل خده مرع جنابه

٠٠ وقال عمرو بن شاس

مدمج سابغ الضلوع طويل الـ شخص عبل الشوى ممر الأعلى

٠٠ وقال أبو دؤاد الإيادي

بعيد مدى الطرف خاظي البضيع ممر المطا سمهري القصب

هذا وما قبله يسمى جمع الاوصاف وسماه بعض الحذاق من أهل الصناعة التعقيب العين قبل القاف وأما المعتسف فمكروه في الكلام ٠٠وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجباً بقول العباس بن الاحنف

وصالكم صرم وحبكم قلي ٌ وعطفكم صدٌّ وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده والله ان هذا التقسيم لاحسن من تقسيمات اقليدس حكى ذلك الصولى ٠٠ ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

في باعه طول وفي وجهه نور وفي العرنين منه شمم

فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون ٠٠ ومن أنواع التقسيم التقطيع أنشد الجرجاني للنابغة الذبياني

ولله عينا من رأى أهل قبة أضرَّ لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظمَ أحلاماًوأكبرَسيداً وأفضل مشفوع اليه وشافعا

٠٠وسماه قوم منهم عبدالكريم التفصيل وأنشد في ذلك

بيض مفارقنا تغلى مراجلنا نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

٠٠ وقال البحتري

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزينا أو معيناً أو عاذراً أو عـذولا

فقطع وفصل كما تراه ٠٠وقال أبو الطيب

فيا شوقُ ما أبقي ويالي من النوى ويادمع ما أجرى وياقلب ما أصبا

ففصل كما فعل أصحابه وجاء على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع بيت ٠٠وقال أيضاً

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

واذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة وقد فصله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً ٠٠ وأنشد أبيات ابى المثلم يرثى صخر الغي

لو كان للدهر مال عند متلده لـكان للدهر صخر مال قنيان

آبي الهضيمة ناب بالعظيمة متـ لاف الـكريمة لا سقط ولا وان

حامي الحقيقة نسّال الوريقة معتــاق الوسيقة جلد غير ثنيان
رباء مرقبة منّاع مغلقة ركاب سهلة قطاع أقران
هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان
يعطيك بالإنكاد النفس يسلمه من البلاد وجوب غير منان

والقدماء من هذا النوع الا أنهم لا يكثرون منه كراهة التكلف .. وقال أبو دؤاد يصف فرسا وقيل بل رجل من الانصار

فالعين قادحة والرجل ضارحة والبد سائحة واللون غربيب
والشد منهمر والماء منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب

.. وقال الكميت بن زيد في ذلك

كالناطقات الصادقا ت الواسقات من الذخائر

والى هذا ذهب أبو الطيب بقوله

الناعمات القاتلات المحييا ت المبديات من الدلال غرائبا

.. وقال توبة بن الحمير وفيه التقسيم والترصيع

لطيفات أقدام سلات أسوق اميمات أجياد دقاق خصورها

.. وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني

كأنه قمر أو ضيغم هصر أو حية ذكر أو عارض هطل

.. وقال أيضاً

تورى بزندك أو تسعى بجدك أو يغري بحدك كلّ غير محدود

..ومن كلام أبي تمام وكان يجد باب التصنيع

تجلى به رشدي وأثرت به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندي

وقال أيضاً وأحسن ما شاء

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب

وقال أيضاً فى غير هذا النمط

عن ثامرٍ صافٍ وبت قرارةٍ واف ونور كالمراحل حاقى

المراحل ثياب .. وقال كشاجم

هلال فى اضاءته * حياء فى سماحته * شهاب فى اتقاده

ومن جيد ما للمحدثين قول ديك الجن

حر الإهاب وسيمه * بر الإياب كريمه * محض النصاب صميما

فأكثر البيت برصيع كيف ما أردته .. وكان المذهب الأول وهو المحمود أن يؤتى ببيت من هذا أو بعض بيت كما قال امرؤ القيس

وأوتاده مادية وعماده ردينية فيها أسنة قعضب

وكما قال امرؤ القيس

كحلاء فى برج صفراء فى نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

وأما ما هو شبيه بالمسجوع فقول امرئ القيس

فتور القيام قطوع الكلام تفتر عن ذى غروب أشر

وقوله * ألص الضروس حنى الضلوع * فجاء فتور فى وزن قطوع وكذلك الضروس والضلوع وألص وحنى ثم أدخل المولدون فى هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيما وذلك نحو قول أبي العميثل الاعرابى

فاصدق وعف وجد وأنصف واحتمل واصفح ودار وكاف واحلم واشجع

والطف ولن وتأن وارفق واتئد واحزم وجد وحام واحمل وادفع

وكقول ديك الجن

أحل وامرر وضر وانفع ولن واخشن ورش وابر وانتدب للمعالى

وقول أبى الطيب

اقل انل اقطع احمل علِّ سلِّ أعد زد هش بش تفضل ادن سرّ صل

ثم زاد في هذا وتعاطى حتى صنع

عش انق اسم سد قد حد مر اه ره وه سر بل

عطأرم صب احم أعر اسب رع رع دل اس سل

وهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ولا بد من شرحها ٠٠ قوله ـ عش انق ـ دعاء له بالعيش والبقاء ـ واسم ـ من السمو ـ وسد ـ من السيادة أي دم هكذا ـ وقد ـ من قود حمل ـ وحد ـ من الجود والسماح أو من الجود وهو المطر الغزير ـ مر ـ من الأمر والنهي ـ ره ـ من الوري تثبت الهاء فيه أطبه في الخط دون اللفظ على انه ليس موضع وقف ولا يجب أن يكتب بلا هاء لئلا يخالف العادة ويقع كلمة على حرف واحد ويروى ده في الجوف أي إصنع ذلك بأعدائك وحسادك ـ ده ـ من الوداء ـ واسر ـ من سري الليل نصفه بالعزم والغارات ـ وبل ـ من النيل والادراك أي نل ما تحب وروي بل اعط من النوال ويقال بلته اذا أعطيته ـ وعط ـ من عيظ الحسود ويروى عظ من الوعظ ـ وارم ـ من رمي العدو بالمكايد وغيرها ـ وصب ـ من صب المطر وسيبه ـ وحم ـ من حمت المكان ـ واعر ـ من العرو ـ واسب ـ من السبي ـ ورع ـ من الروع ـ ورع ـ من ورعت أي كففت ـ ود ـ من الدية ـ ول ـ من الولاية للامور وقد يكون من المطر الولي ـ واث ـ من ثني اصداده اذا ردهم ـ ونل ـ من النوال وهذه غاية الثقل والعاصة وان كان ولا بد فقوله أيضاً

دان بعيد محب مبغض بهج أعز حلو ممر لين شرس

ند أبي عز واف أحي ثقة حعد سري نه بدب رصاندس

ـ ند ـ من الندى ـ وعز ـ من عزي نه ـ ونه ـ من النهي وأصل هذا كله من قول امرئ القيس

أفاد فجاد وساد فزاد وقاد فذاد وعاد فأفصل

باب التسهيم

وقدامة تسميه التوشيح ٠٠ وقيل ان الذي سماه تسهيما علي بن هارون المنجم وأما ابن وكيع فسماه المطمع وهو أنواع منه ما تشبه المقابلة وهو الذي اختاره الحاتمي نحو قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب

فاقسم ياعمرو لونبها ك أذاً نبها منك داء عضالا
أذاً نبها ليث عريسة مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكي الكلالا
فكنت النهارَ به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

أرادت قولها مفيتاً نفوسا ومفيداً مالا فقابلت مفيتا بالنفوس ومفيداً بالمال وكذلك قولها في البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمسا ولما ذكرت الليل جعلته هلالا لمكان القافية ولو كانت رائية لجعلته قمراً ٠٠ وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتضيا قافيته وشاهداً بها دالا عليها كالذي اختاره قدامة للراعي وهو قوله

وان وزن الحصى فوزنت قومي وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فهذا النوع الثاني هو أجود من الاول للطف موقعه والنوع الثالث شبيه بالتصدير وهو دون صاحبيه الا أن قدامة لم يجعل بينهما فرقا ٠٠ وأنشد للعباس بن مرداس

هم سودوا هجناً وكل قبيلة يبين عن أحسابها من يسودها

وقال نصيب الأكبر مولى بني مروان

وقد أيقنتُ أن ستبين ليلى وتحجب عنك إن نفع اليقين

وان تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعي وانما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لان كل واحد منهما مدلول عليه من جهة اللفظ إما بالترتيب واما باشتراك المجانسة والقافية في بيت الراعي دالة على نفسها بالمعنى وحده

وصار استخراجها أعجب وأعرب وتمكنها أشد وأوكد وقد حكي أن ابن أبي ربيعة جلس الى ابن عباس رضي الله عنه فابتدأ ينشده

* تشط غداً دار جيراننا *

فقال ابن عباس * وللدار بعد غد أبعد *

فقال له عمر هكذا صنعت فأنت ترى كيف طبق المفصل وأصاب نكتة تروي ت كان المعنى يقتضي زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم واحسب شطط لا به لا يبرز ولا يستعمل وعدي عن أن يقول أنزح وماشاكله رغبة في قرب المأخذ وسلوكاً لطرق الفصاحة وإتياناً بالمتعارف المعتاد المتعاهد .. ويحكى عن عدي بن الرقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها

* تزجي أغنّ كأن ابرة روقه *

فغفل الممدوح عنه وسكت فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال يقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جرير لم يغادر حرفاً .. وقالت الخنساء

ببيض الصفاح وسمر الرماح فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً

وقالت أيضاً في نحو ذلك

ونلبس في الحرب نسج الحديد ونلبس في السلم خزاً وقزا

وقال حريث بن محفض

فان يك طعن بالرديني نطعنوا وان يك ضرب بالمهند نضربوا

وقال ابن الدمينة واسمه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الخثعمي

وكوني على الواشين لدّاء شغبة كما أنا بالواشي ألدّ شغوب

وكوني اذا مالوا عليك صليبة كما أنا إن مالوا عليّ صليب

فالبيتان جميعاً مسهمان .. وقال دعبل

وإذا عاندنا دو نحوة عصب الروح عليه فعرح
فعلى أيمانا يجرى الندى وعلى أسيافنا يجرى المهج

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما ٠٠ ومن جيد التسهيم قول بعضهم

ولو أنني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين الا ارجعي وقلت لأيام أتين الا ابعدي

وكذلك قول الآخر وهو مليح

حملي غداً لاشك فيه مودع والله ما أدري به كيف أصنع
فيا يوم لا أدبرت هل لك محبس ويا غد لا أقبلت هل لك مدفع
إذا لم أشيعه تقطعت حسرة وواكبدا إن كنت ممن تشيع

أردت البيت الأخير ٠٠ وما أظن هذه التسمية الا من تسهيم البرود وهو أن يرى ترتيب الالوان فتعلم اذا أتى أحدها ما يكون بعده ٠٠ واما تسميته توشيحاً فهو لعطف اثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز وله فواصل معروفة الأماكن فلعلهم شبهوا هذا به ولاشك أن الموشحات من برسمل البديع وغيره انما هي من هذا وبعض الناس يقول إن التوشيح بالحمم فان صح ذلك فانما يجيء من وشحت العروق اذا اشتبكت فكان الشاعر شبك بعض الكلام ببعض ٠٠ وأما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف فاذا حوول امتنع وبعد مرامه

باب التفسير

وهو أن يستوفى الشاعر شرح ما أبتدأ به مجملا وقلَّ ما يجيء هذا الا في أكثر من بيت واحد نحو قول الفرزدق واختاره قدامة

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم طريدَ دم أو حاملا ثقل مغرم

لاقيت مهم معطيا ومطاعا وراءك شزراً بالوشيج تقوم

هذا جيد في معناه الا أنه غريب صعب لانه فسر الآخر أولا والاول آخراً فجاء فيه بعض التقصير والاشكال على أن من العلماء من يرى أن رد الاقرب على الاقرب والابعد على الابعد أصح في الكلام ٠٠ وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه مالم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذي أنشده سيبويه

حوّي على مستويات خمس كِركِرة وثفنات ملس

لان هذا وان كان كالبيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ٠٠ ومن التفسير الجيد قول حاتم الطائي ويروى لعتيبة بن مرداس

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي يجد جمع كف غير ملاي ولا صفر

يجد فرساً مثل العنان وصارماً حساماً اذا ماهزّ لم يرض بالهبر

وأسمرَ خطيًا كأن كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين لانه لم يعلق كلامه بلو كما فعل الفرزدق ولا بما يقتضي الجواب اقتضاء كليا فلهذا حسن عندي ٠٠ ومثله قول عروة بن الورد

وان امرءًا يرجو تراثي وان ما يصير له منه غداً لقليل

ومالي مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

واسمر خطي القناة مثقف وأجرد عريان السراة طويل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع على القطع والاضمار كأنه قال هو صقيل أو قال ولي أبيض من ماء الحديد يعني سيفه ٠٠ وقال ذو الرمة في التفسير

وليل كجلباب العروس ادّرعته بأربعة والشخص في العين واحد

أحمّ علافيّ وأبيضُ صارمٌ وأعيس مهري وأروع ماجد

ففسر الأربعة ما هي ورفع على شرط ماقدمت من الاضمار كأنه قيل له ما الاربعة التي شخصها في العين واحد فقال كذا وكذا وكذا ٠٠ ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالاقل وهو من باب الايجاز والاختصار وذلك ما أتت به الجملة بعد الشرح نحو قول أبي الطيب

من مبلغ الاعراب أني بعدها ‏ ‏ جالست رسطاليس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فأضافني ‏ ‏ من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه ‏ ‏ متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ‏ ‏ رد الإله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً ‏ ‏ واتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

فقوله نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك اذ أتيت تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس .. وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت

أبى بعد أهل العلى ‏ ‏ كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال

اذا عد الكرام فتلك عجل ‏ ‏ كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذي كما ترغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد .. ونظيره قوله أيضاً

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم ‏ ‏ وألف اذا ما جمعت واحد فرد

فجاء به أيضاً في بيت واحد .. وكذلك قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة ‏ ‏ كفاني ولم أطلب قليل من المال

ومن قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي

فأرسلنا ربيئتنا فأوفى ‏ ‏ فقال الا أولى خمس رتوع
راعية وفارحها وجحش ‏ ‏ وثالثة وهادية زموع

ففسر ما هي وأنثها العلة التأنيث على اسم الدواب .. وقال مالك بن حريم وقيل حزيم

فان يك شاب الرأس مني فانني ‏ ‏ أبيت على نفسي مناقب أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة ‏ ‏ اذا ما سوام الحي حولي تضوعا
وثانية أن لا تفزع جارتي ‏ ‏ اذا كان جار القوم فيهم مفزعا
وثالثة أن لا أصمت كلبنا ‏ ‏ اذ نزل الأضياف حرصاً لنودعا

ورابعة أن لا أحلَّ قدرنا على لحمها حين الشتاء بشتم

أحل — أسير أحملها في حملة لمحوي عن الجزرعة أن تشبع ولكن نريد .. وكتب أحمد بن يوسف وفي رواية النحاس عمرو بن مسعدة عن ذ ون أمابعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصابيح في شهر رمضان فان في ذلك أنساً للسابلة وضياء للمتهجدين ونفياً لمكامن الريب وتنزيهاً لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم .. ومن جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

فانه قد أحكمه أشد احكام وجاء به أحسن مجيء حتى أربى على البحتري اذ يقول

تاروع من طي كأن قميصه يزر على الشيخين زيد وحاتم

سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا اذا اجتمعا في العارض المتراكم

وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله .. وأصل هذا من المعجز قال الله تعالى ﴿ وهوَ الذي يريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ﴾ .. وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا وجدوا في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير كالذي وقع أولا في بيتي الفرزدق .. ومن التفسير قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين

في فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدر

فالمسك للنكهة والخمر للريـ قة واللؤلؤ للثغر

وهذا من مليح ما وقع للمحدثين .. وقال لقمان لابنه اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق

—*****—

باب الاستطراد

وهو أن يري الشاعر أنه في وصف شيء وهو انما يريد غيره فان قطع أو رجع الى

ما كان فيه فذلك استطراد وان نادي فذلك خروج وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً والصواب ما بينه .. وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول

وبحن أناس لا نري القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

واتبعه الناس فقال الفرزدق وأجاد

كأنَّ فقاح الاسد حول ابن مسمع اذا اجتمعوا [1] أفواه بكر بن وائل

ثم أتى جرير فأربى وزاد بقوله

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

فهجا واحداً واستطرد باثنين .. وقال مخارق بن شهاب المازني يصف معزي

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوّب

فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال كيف المخارق بن شهاب فيكم فقال سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه و يهجو ابن عمه .. ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن على الخزاعي و يروي لبشار بن برد وهو أصح

خليلي من كعب أعينا أخا كما على دهره ان الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه مخافة أن يرجي نداه حزين
اذا جئته في الفرط أغلق بابه فلم تلقه الا وأنت كمين

و يروي ـ في حاجة سد بابه ـ وأنشد البحتري أبو تمام لنفسه في صفة فرس واستطرد بهجو عثمان بن ادريس الشامي

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان
أظمي الفصوص وما تظمى قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريان

(١) ب حول بيوتهم اذا جلسوا

فلو براه متسحا والحصى رسم تحت السنابك من مثنى ووحدان
أيقنت أن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

فقال له أتدري ما هذا من الشعر قال لا أدري قال هذا الاستطراد أو قال المستطرد .. قال الحاتمي وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح كقول زهير

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم

فسمى الخروج استطراداً كما تراه
اتساعا وأنشد في الخروج بالاستطراد من مدح إلى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك ابن طوق

عرضتُ عليها ما أرادت من المنى لترضى فقالت قم فجئني بكوكبِ
فقلتُ لها هذا التعنتُ كله كمن يشتهي لحم عنقاء مغربِ
سَلي كلّ أمر يستقيمُ طلابه ولا تسألي ما دقّ في كل مذهب
فاقسم لو أصبحتُ في عزّ مالك وقدرته أعيى بما رمتِ مطلبي
فتى شقيت أمواله بعفاته كما شقيت قيس بأرماح تغلب

فهذا مليح أوله خروج وآخره استطراد وملاحه أن مالكا من بني تغلب فصار الاستطراد زيادة في مدحه وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي .. ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور

يموتُ به غيظاً على الدهر أهله كما مات غيظاً فاتك وشبيب

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب إذ ليس القصد فيه مدحاً ولا هجاء للرجلين المذكورين ولكن التشبيه والحكاية لا غيره .. وقيل أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر ليكر وكذلك الشاعر يريد أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة إلا إليه .. ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد

أبى الدهر من إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهمّ المقدم

وحكى احمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من عمرو بن مسعدة يردد فيه النظر فقال لعلك فكرت في ترديدي النظر في هذا الكتاب قال نعم يا أمير المومنين قال اني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده كتب كتابي الى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن مايكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ألاترى يا احمد ادماجه المسئلة في الاخبار واعفاء سلطانه من الاكثار ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب

باب التفريع

وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً نحو قول الكميت

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى بها الكلب

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا وقال ابن المعتز

كلامه أخدع من لحظه ووعده أكذب من طيفه

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظه ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساقي كأس

فكأن حمرة لونها من خده وكأن طيب نسيمها من نشره

حتى اذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثغره

ما زال يحرمني مواعد عينه فمه وأحسب ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع والبيت الآخر ليس تفريع جيد لان الخمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً

على الأول درجة في الحسن ان قصد المدح وفي القبح ان قصد الذم وهو نوع خفي لا يخفى على الحاذق البصير بالصنعة ٠٠ ومثل بيت ابن المعتز قول البحتري

وإذا تألق في الندى كلامه الـــمصقول خلت لسانه من عضبه

لان حق العضب في باب المدح أن اللسان أمضى منه ومن التعريض الجيد قول الصنوبري

ما أخطأت نوناته من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قده
وكأنما أنقاسه من شعره وكأنمــا قرطاسه من خده

فانظر اليه كيف يريد رتبة في الجودة كما فرغ ٠٠ ووصف ابن شيرزد جارية كاتبة فقال كأن خطها اشكال صورتها وكأن بنانها سحر مقلتها وكأن سكينها غنج لحظها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديم وجهها وكأن قلمها بعض أناملها وكأن مقطها قلب عاشقها وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولي في أبيات

كأن دواته من ريق فيه تلاق وشربها أبداً كريه

وقال كشاجم

شيخ لنا من مشايخ الكوفه نسبته للعليـل موصوفه
لو بدل الله قمله عنا ما طمع الناس منه في صوفه

ومن لطيف التعريض قول أبي الطيب يصف ليلا

أقلب فيه أجفاني كأني أعد بهـا على الدهر الذنوبا

بينا هو يصف كثرة سهره وادارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده وقال فيرد

ولو نقصت كما قدردت من شرف على الورى لرأوني مثل شانيكا

هذا التعريض الملعون وقال محمد بن وهب

طللان طال عليهما الأمد دثرا فلا علم ولا نضد
لبسا البلا فكأنما وجدا بعد الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس

سمحُ البديهةِ ليس يمسك لفظه وكأنما ألفاظهُ من ماله
وكأنما عرمانه وسموفهُ من حدّهن خلقن من إقباله
متبسمٌ في الخطب يحسب أنه تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

وأحسن ما سمعته في هذا الباب قول ابن الرومي يهجو رجلا

له سائس ماهرٌ يحولُ على متنه
وبطعن في دبره أفارسَ من طعنه
أطولَ من قرنه وأعاظَ من دهنه

ومن التفريع أيضاً قول أبي الطيب على غير هذا النظام

أسير الى أقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
وما مطرتنيه من البيض والقنا وروم العبدّي هاطلاتُ غمامه

وهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام

فقالوا فمأولاك صف بعضَ نيله فقلت لهم من عنده كلٌّ ما عندى

وأصله من قول أبي نواس * وكل خيرٍ عندهم من عنده *

نصف كلب صيد

باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون الاستدراك حكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول الى الثاني فيأتي به ثم يعود الى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منكِ المطالا

فقوله ـ وأنت منهم ـ اعتراض كلام في كلام قال ذلك ابن المعتز وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما .. قال النابغة الذبياني

ألا زعمت بنو عبس بأني ألا كذبوا كبير السن فاني

فقوله ـ كذبوا ـ اعتراض ورواه آخرون للجعدي ـ ألا زعمت بنو كعب ـ وهو أشبه بالجعدي لانه أعلي سناً منه فقوله ـ ألا كذبوا ـ اعتراض وكذلك ما يجري مجراه وأنشده في الالتفات لبعض العرب

فظلوا بيوم دع أخاك بمثله على مشرع يروى ولما يصرّد

فقوله ـ دع أخاك بمثله ـ التفات مليح .. وقال جرير يرثي امرأته أم حزرة

نعم القرين وكنت علق مضنة وارى بنعف بلية الأحجار

فقوله ـ وكنت علق مضنة ـ هو الالتفات .. وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر

ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله ـ وبلغتها ـ التفات وقد عده جماعة من الناس تتميماً والالتفات أشكل وأولى بتسميته ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت وان كان ضده في التحصيل لان الالتفات تأتي به عفواً وانتهازاً ولم يكن لك في خلد فتقطع له كلامك ثم تصله بعد ان شئت والاستطراد تقصده في نفسك وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه إلقاء وتعود الى ما كنت فيه وقد جاء الالتفات في آخر البيت نحو قول امرئ القيس

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق الى عمان

مجاورة بني شمجي بن جرم هواناً ما أتيح من الهوان

ويمنعها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

فقوله ـ ما أتيح من الهوان ـ وقوله ـ حنانك ذا الحنان ـ التفات وحكي عن اسحاق الموصلي أنه قال قال لي الاصمعي أتعرف التفات جرير قلت وما هو فأنشدني

أتنسى اذ تودعنا سليمى بعود بشامةٍ سقي البشام

ثم قال أما تراه مقبلا على شعره اذ التفت الى البشام فدعا له وأنشد له عبدالله بن المعتز

متى كان الخيامُ بذي طلوحٍ سقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُ

. وأنشد له أيضاً ابن المعتز

طربَ الحمامُ بذي الأراكِ فهاجني لازلتَ في عللٍ وأيكٍ ناضرِ

لم يعد ابن المعتز الا ما كان من هذا النوع والا فهو اعتراض كلام في كلام وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالتفات بقوله هو انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة ومن المخاطبة الى الاخبار وتلا قوله تعالى ﴿ حتى اذا كنتم في الفلكِ وجرينَ بهم بريحٍ طيبةٍ ﴾ وأنشده غيره لأبي عطاء السندي يرثي يزيد بن عمرو بن هبيرة

وانكَ لم تبعدْ على متعهدٍ بلى كلُّ مَاتحت التراب بعيدُ

وهذا هو الاستدراك ومثله قول زهير

قفْ بالديارَ التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواحُ والديم

وكذلك قول جرير

غداً باجتماعِ الحيّ نقضي لبانة فاقسم لا تقضي لبانتنا غداً

وأنشد ابن المعتز في هذا النوع وهو لبشار

بنتُ فاصبحَ قومه يعتابني عند الأميرِ وهل عليَّ أميرُ

ومن مليح ما سمعته قول نصيب

وددتُ ولم أُخلق من الطيرِ أنني أعارُ جناحي طائرٍ فأطير

فقوله ـ ولم أخلق من الطير ـ عجب ولما سمعتْ التي قيل فيها هذا البيت تنفست تنفساً شديداً فصاح ابن أبي عتيق أوه قد والله أجبته بأحسن من شعره والله لو سمعك لنعق وطار بجعله غراباً اسوداه .. وأنشد الصولي للعباس بن الاحنف

قدكنتُ أبكي وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ

ان تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ فلا تمَّ فما في من العيشِ من أرب

وقال سمعت نعماً يقول ما رأيت أحداً إلا وهو يستحسن هذا الشعر .. ومن المليح أيضاً قول العجيف بن سليمان العقيلي

أمسكم يا حسب بعرامري خذ مخصوبة ودم سحب

بخاطب ابنه .. وقال عدي بن زيد العبدي وهو في حبس النعمان يخاطب ابنه زيداً ويحرضه

فلو كنت الاسير ولا تكنه اذا علمت معد ما تقول

باب الاستثناء

وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم وذلك نحو قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فجعل فلول السيف عيباً وهو أوكد في المدح .. وقال النابغة الجعدي

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما يبقي من المال باقيا

فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله بعد أن وصفه بالكمال وبهذا الاستثناء ورد كمالا وتأكد حسنه .. وكذلك قوله

فتى تم فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وكأنه لما كان فيه ما يسوء أعاديه لم يطلق عليه أنه يسر فقط وذلك زيادة في مدحه وليس هذا الاستثناء على مارتبه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة وانما سمي اصطلاحاً وتقريباً سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه ولم يسم حقيقة .. ومن مليح هذا النوع قول أبي هفان فقد تقدم به وجوّد غاية التجويد

ولا عيب فينا غير أن سماحنا أضرّ بنا والبأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم وأفنى الندى أموالنا غير عائب

فقوله ان السماح والبأس أضرّاهم ليس بعيب على الحقيقة ولكن يوكد مدح والمليح

كل المليح قوله غير ظالم وغير عائب فهذا الثاني أعجب من الاول وألطف موقعاً ..
وقال آخر

ولا عيبَ فينا غير عرقٍ لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

فقصر من جهة قوله ـ غير عرق لمعشر كرام ـ لان سبيل هذا الباب أن يؤثر فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير وان كان على التحصيل فخراً وفضلا كالفلول في سيوف النابغة الذبيانى واتلاف المال في شعر الجعدى وترك الخط على النمل في شعر الآخر وانهم لا يشمون صاحبها وهى داء واحدها نملة وأما ذكر الكرم فلا وجه له ههنا ..ومن هذا الباب قول ابن الرومى

ليس له عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العينُ على شبهه

فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً فهو يريد توكيد حسنه .. وقال حاتم الطائى

وما تشتكى جارتى غيرَ أنني اذا غابَ عنها بعلها لا أزورها

سيبلغها خيري ويرجعُ أهلها اليها ولم تقصر عليَّ ستورُها

لما كان في ترك الزيارة اشكال بين مراده ..ومن أصحاب التآليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر

وأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرِها كالقابضِ الماءَ باليد

.. وقال الربيع بن ضبع الفزاري

فنيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي وكلُّ امرئٍ الا أحاديثه فانى

وليس من هذا الباب عندي وانما هو من باب الاحتراس والاحتياط فلو أدخلنا في هذا الباب كل ماوقع فيه استثناء لطال وخرجنا فيه عن قصده وغرضه ولكل نوع موضع

باب التتميم

وهو التمام أيضاً، وبعضهم يسميه الاحتراس والاحتياط، وهو أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به: إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير، وينشدون بيت طرفة

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدها ... صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

لأن قوله "غير مفسدها" تتميم المعنى واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر. ومثله قول جرير

فسقاكِ حيث حللتِ غيرَ فقيدة ... هزجُ الرواح وديمةٌ لا تقلع

فقوله "غير فقيدة" تتميم؛ لأنه من دونه وسقاها غير رحمة ولا سيما وقد كانت العادة أن يدعى للغائب الميت بالسقي فاحترس من ذلك. وقد عاب بعضهم على ذي الرمة قوله

ألا يا اسلمي يا دارَ ميَّ على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

فلم يحترس كاحتراس طرفة وقد ذهب عنه أن الشاعر قدم الدعاء بالسلامة في أول البيت وهذا هو الصواب. ومن أشهر

من يلقَ يوماً على علاته هرماً ... يلق السماحةَ منه والندى خلقه

قوله "على علاته" مبالغة وتتميم. والأصل في هذا قول الله عز وجل ﴿ويطعمون الطعامَ على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ فقوله "على حبه" هو التتميم والمبالغة في قول من قال إن الهاء ضمير الطعام وإن كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب. وقال الله جل اسمه ﴿مَن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنةَ﴾ فتمم بقوله "وهو مؤمن". ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوي

رجالٌ إذا لم يقبل الحق منهم ... ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضبِ

قال الحاتمي فإن المعنى تم بقوله "ويعطوه" وإلا كان ناقصاً. ويجري مجراه عندي قول

عمرة العبسي

أني على كما علمت وفائي ... سهل محالفتي اذا لم أظلم

فقوله — اذا لم اظلم — تتميم حسن •• وقال آخر

فلا يسدنى الا من السوء انني ... اليك وان شطت بك الدار نازع

فاستثناؤه — السوء — تتميم واحتراس جيد •• وقال أبو الطيب بن الوسا

لئن كان ابقى عيشنا مثل ما مضى ... فللموت ان لم يدخل الدار أروح

وقال سرقه البارقي يهجو رهط جرير

صغر معارمهم عظم خصورهم ... بطاء عن الداعي اذا لم يكن أكلا

كانه قال اذا لم يكن المدعو اليه أكلا •• وقال صريع بن رعوعة الكلابي وقد قتل رجلا مهتبلاً

وقلت لاصحابي النجاء فانما ... مع الصبح ان لم يسبقوا جمع مرسل

ويجري على هذه الاشادة قول ابن محكان السعدى حين قال لابنه

ولست وان كانت الي حبيبة ... بباكٍ على الدنيا اذا ما تولت

فاستثنى — وان كانت الي حبيبة — استثناء مليحاً ونوى المقدم والتأخير فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره هكذا قال فيه أبو العباس المبرد •• ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس

على هيكلٍ يعطيك قبل سؤاله ... أفانينَ جريٍ غير كزٍّ ولاوانى

فقوله — قبل سؤاله — تتميم حسن لقوله أفانين جرى •• وقول أعشى باهلة

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر * يقول هو يدبر كل شئ سوى الفحشاء فانه لا يدبرها

[illegible]

وهي ضروب كثيرة .. [illegible] فيها [illegible] وقد [illegible]
الغاية القصوى في الجودة [illegible] الشعر [illegible]
من استحسن كذبه وصحت من رديئه فكذب [illegible]
والعالي من استحسن [illegible]
من حديث [illegible]

لما الحمد [illegible]

فهو مشهور عندهم منتشر في كتبهم .. [illegible] ويسكره [illegible]
الكلام قال بعض الحذاق بنقد الشعر [illegible]
فليست لذلك من حسن الكلام [illegible] لا تقع لا [illegible]
[illegible] لأنه يعني أن يكون [illegible] الشاعر [illegible]
وقريب المعنى على السامع [illegible]
الصدور [illegible] حسنة وشذرات طيبة [illegible]
تصويرا ولو كان الشعر هو للمبالغة [illegible] الشعر من أقدمنا وقد
رأيناهم احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع [illegible] التي يستعملونها
وبالتشكك في التشبيه كما قال ذو الرمة

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل [illegible] أأنت أم أم سالم

ولو أنه قال أنت أم سالم [illegible]
القلوب محل التشكك .. وكما قال جرير

فإنك لو رأيت عبيد تيم ... وتيما قلت أيهم العبيد

فلو قال عبيدهم [illegible] الصدق واحتال في تقريب المشبه [illegible]
تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .. وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخيل

كأنه من عرق بسربله ... لولا الله

ونحو قول ابن ... لم يكن في حسن هذا لانه يشهد بتقارب التشبيه الى أن أوقع في الشك .. والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا اعياه ايراد معنى حسن بالغ فيشغل الاسماع بما هو محال ويهول مع ذلك على السامعين وانما يقصدها من ليس ... محاسن الكلام اذ يمكنه ولا يتعذر عليه ويحدث كلما أرادها الا انه ... كلامه وفيه كفاية ... لا أنه فيما يظهر من نحوه لم يرد الا ما كان فيه ... كل مبالغة كذلك ألا ترى أن التشبيه اذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة وان ظهر أنه من نوع الجنس والمستحسن وقد مر ذكره وكذلك ما ناسب قول ابن المعتز يصف جملا

... علينا طالعين مساطيا ... وطارت بها أيد سراع وأرجل

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو وهو عندي مبالغة وكذلك الابعال وسيرد في بابه ان شاء الله .. فمن أحسن المبالغة واغربها عند الحذاق التقصي وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمرو بن الأيهم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا ... ونتبعه الكرامة حيث كانا

فتقصى ما يمكن أن يقدر عليه فتناهى ووصف به قومه .. ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات وفي ذلك مهويل مع صحة لفظ لا يحيل معنى كقول الله تعالى ﴿ أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ .. فأما الغلو وهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه فما ... ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة الى كثير من محاسن الكلام .. فمن أبيات المبالغة قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام ... وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها ... اذا غرد الطائر المستحر

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغير الافواه بعد النوم فكيف ظنها في أول الليل .. ومثل ذلك قوله يصف ناراً وان كان فيه اغراق

[illegible]

يقول [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وهذا مما أورده [illegible]

[illegible] العروس [illegible]

أراد طوله لأن العروس [illegible]

[illegible]

[illegible] العروس [illegible]

أراد به [illegible]

[illegible] التميمي [illegible]

[illegible] العروس [illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

—————

باب [illegible]

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت إلا أنه في القوي [illegible]

وأصحابه يسمونه التسليم وهو نوع من بلوغ الغاية وذلك يشهد بصحة ما قلته ويدل على ما ذكرته ٠٠ وحكى الحاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال قلت للأصمعي من أشعر الناس قال الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيسا أو ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى قال قلت نحو من قال نحو الأعشى اذ يقول

كناطح صخرةً يوما ليفلقها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله وأوهى قرنه فلما احتاج الى القافية قال الوعل قال قلت وكيف صار الوعل مفضلا على كل ما ينطح قال لانه ينحط من قمة الجبل على قرنه ولا يضيره قال قلت ثم نحو من قال ذو الرمة بقوله

قف العنس في أطلال ميةَ واسأل رسوما كأخلاقِ الرداء المسلسل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافيه فقال المسلسل فزاد شيئاً وقوله

أظنُّ الذي يجدى عليك سؤالها دموعا كتبديد الجمانِ المفصل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال المفصل فزاد شيئاً أيضاً ٠٠ وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس

اذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفه تقــول هزيز الريح مرت بأثأب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شأوين ويبتل عطفه بالعرق ثم زاد إيغالاً في صفته بذكر الأثأب وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ومثل ذلك قوله

كأن عيونَ الطيرِ حولَ خبائنا وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقب

فقوله لم يثقب ايغال في التشبيه واتبعه زهير فقال

كأن فتاتَ العهنِ في كلِّ منزل نزلنَ به حبُّ الفنا لم يحطم

فأوغل في التشبيه إيغالا لتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن فاذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة وكان خالص الحمرة

وتمهما لأعشى فقد صب مرة

عرم فرنا مصطرب موردها شق فيه كمشي وحى وحل

فأوقع قوله ـ الرجل ـ بعد ذلك رحى ... وكانت قوية ... وكل ... كثير العجب قول صريع الغواني

... دولة تدرب ... مشى ... في وحل

ويقول قاتله الله ما ... أن جعله ... حتى جعله في وحل ... قول ... الأعشى

... ومن الأفعال قول الطرماح ... فرس ... سحر

لا يكمه ... لاريت بجرحه من سحر كوحر ... حرب

فكونه كوجار ... في المبالغة فكيف ... كل حر ... ومن ... قول الخنساء

... صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فبالغت في الوصف أشد مبالغة ... علماً ... في رأسه نار ... حمله علماً وهو الجبل العظيم ... وأشد ...

ألوى حيازيم ... صيانة كم تنوى حية مشرق

فقوله ـ الحية المشرق ـ أفعال لأنه أشد تلويه وكذلك قول جرير

بات الفرزدق عائراً وكأنه قعو ... السقاة معار

وإذا كان معاراً كان أشد لاستعماله وأقل للحفظ عليه ... وقول المحدثين ... عبد الرحمن بن حسان

لما أتاني ما يقول ودونه مسيرة شهر للمطى المعرد

فأوقع بقوله ـ المعرد ـ إيغالاً عجيباً لأنه أسير من المحمل ... وقول ...

إني لأكتم حبها إذ ... فيمن ... كالشدن الأعمل

ـ الناشد ـ طالب الضالة وإذا كانت عملاً ليس فيها سمة كان أشد للبحث عنها وأكثر

للسؤل والذكر .. ومن أحسن ايغال المحدثين قول مروان بن أبي حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

فقوله ـ وأجزلوا ـ قد أتى به في نهاية الحسن .. وكذلك قول بشار بن برد

وعير ان من دون النساء كأنه أسامة [1] ذو الشبلين حين يجوع

فقوله ـ حين يجوع ـ ايغال حسن .. وقال ابن المعتز

وداعٍ دعا والليل بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلا

فقوله ـ وأعجل ـ زيادة وصف وايغال ظاهر .. وقال أبو الطيب في رثاء أم سيف الدولة

مشى الأمراء حولها حفاة كأن المروَ من زِفِّ الرئال

فالزف ـ أصغر الريش وألينه ولا سيما ريش النعام ولم يرض بذلك حتى جعله زف الرئال

شبه به المرو وهو ما صغر من الحصى وحدد فهذا فوق كل مبالغة وايغال .. ومن هذا

نوع يسمى الاستظهار وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره

فأنتم بنو بنته دوننا ونحنُ بنو عمه المسلم

فقوله ـ المسلم ـ استظهار لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً أعني أبا

طالب ومات جاهلاً فكان ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة والناس يعدون الايغال

والتتميم كثير فرق الا أن هذا في القافية لا يعدوها وذلك في حشو البيت .. واشتقاق

الايغال من الابعاد يقال أوغل في الارض اذا أبعد فيما حكاه ابن دريد وقال وكل

داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه .. وقال الأصمعي في شرح قول

ذي الرمة

كأن أصواتَ من ايغالهن بنا أواخرَ الميس أصواتُ الفراريج

الايغال سرعة الدخول في الشيء يقال أوغل في الأمر اذا دخل فيه بسرعة فعلى القول

الأول كان الشاعر أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب وعلى القول الثاني كأنه

أسرع الدخول في المبالغة بادرته هذه القافية وكلما كثرت من الشواهد في باب فانما أريد

(١) ن شبلين

بذلك تأنيس المتعلم وتصييره على الأشياء الرائعة ولا ريب كيف تصرف الناس في ذلك الفن وقلبوا تلك المعاني والألفاظ

باب الغلو

ومن أسمائه أيضاً الاغراق والافراط ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر إنما هي في معرفته بوجوه الاغراق والغلو ولا أرى ذلك الا محالا لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف .. وقد قال الحذاق خير الكلام الحقائق فان لم تكن فما قاربها وناسبها وأنشد المبرد قول الأعشى

ولو أنَّ ما أبقينَ مني معلقٌ بعودِ ثُمامٍ ما تأوّد عودُه

فقال هذا متجاوز وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه انقضى كلامه .. وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكم غيرَ الحقِّ ﴾ والغلو عند قدامة تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه

تظلُّ تحفرُ عنه ان ضربتَ به بعد الذراعين والساقين والهادي

اذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض ولان مخارج الغلو عنده على تكاد وعلى هذا تأول أصحاب التفسير قول الله تعالى ﴿ وبلغت القلوبُ الحناجرَ ﴾ أي كادت .. وقال الجرجاني في كتاب الوساطة والافراطُ مذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الاوائل والناس فيه مختلفون من مستحسن قابل ومستقبح راد وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلم ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الي الاحالة وانما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من

الاغراق •• وقال الحاتمي وجدت العلماء بالشعر مختلفين على الشاعر أما في الغلو والاغراق ويختلفون في استحسانها واستهجانها ويحب بعض منهم ذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ويرى أنه من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له فيقولون أحسن الشعر أكذبه وان الغلو انما يراد به المبالغة والافراط وقالوا اذا اتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت واحتجوا بقول النابغة وقد سئل من أشعر الناس فقال من استجيد كذبه وأضحك رديئه وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة انقضي كلامه •• ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهلهل

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تقرعُ بالذكورِ

وقد قيل إنه أكذب بيت قالته العرب وبين حجر وهي قصبة اليمامة وبين مكان الوقعة عشرة أيام وهذا أشد غلواً من امرئ القيس في النار لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد ادراكا •• ومنها قول النابغة في صفة السيوف

تقد السلوقيّ المضاعفَ نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وهو دون بيت امرئ القيس في ثور صاحبة النار افراطاً ودون بيت النابغة قول النمر بن تولب في صفة السيف أيضاً وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب واختار قوم على بيتي النابغة والنمر قول أبي تمام

ومهنّد مثلَ السيفِ لولم تسله يدان لسلته ظُباه من الغمدِ

•• ومن الغلو قول جرير

فلو وضعت فقاح بني نميرٍ على خبثِ الحديدِ اذاً لذابا

لأنه شيء لا يذوب أبداً •• وقد نعي على أبي نواس قوله

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى أنه لتخافك النطفُ التي لم تخلق

اذ جعل ما لم يخلق يخافه •• وكذلك قوله

حتى الذي في الرحمِ لم يك صورةً لفؤاده من خوفهِ خفقانُ

وزعم بعض المتعصبين أن الذي كثر شره أبي الطيب وبدد وما ليس بعد وسن وحسه مما يحس منه واد عرب لي أبي الطيب صرت في كثر حس عر وعدمه فيه همة حتى وقدر ما أحلى منه ... وحتى ... عمه على وه في عمره ممدوحة كقوله

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وان كان له في هذا تأويل ومخرج لحمله موحيد عية من في حلاوة منه ... فقوله

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيى عيسى

أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

فما دعاه الى هذا وفى الكلام عوض منه فلا عاق عليه فكيف ذا قال

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الاسكندر السد من عزمي

فتشبه نفسه بالخالق تعالى الله عما يقول الطاغون علوا كبيرا ثم يحط الى الاسكندر و ... أفسد أبو الطيب اعرافه هكذا ونقص منه ... صلاحاً له وزيادة فيه يحو قوله نصف شعره

اذا قلبه لم ينسع من وصوله حذار معلى أو حباء مطنب

فما وجه الخباء المطنب بعد الحذار نسب بدا هو في الثريا صار في الثرى و ... الحاضرة والبادية وكذلك قوله

تصيد الريح الهوج عنها مخافة ويفزع منها الطير أن يلقط الحب

وكم بين خوف الرياح الهوج وصدودها وبين فزع الطير أن تلقط حب ... وفزع الطير منها التي تلتقط الحب لصغرها وعدمها السلاح وقلتها ... يحمي مدرعات حمة وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول أبي تمام

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

واعتبروا يا أولى الأبصار، ومما نشا كل قول أبي الطيب في أغلاطه قول صر لحر ... ري

دنتُ من الشوق، فلو رحّ بي في مقلةِ النائمِ لم ينتبه
وكانَ لي فيما مضى خاتمٌ والآن لو شئتُ تمنطقتُ به

فبين الاغراق والاغراق بون بعيد واختلاف شديد .. واذا لم يجد الشاعر بداً من الاغراق لحبه ذلك ونزوع طبعه اليه فليكن ذلك منه في الندرة وبيتاً في القصيدة ان أفرط ولايجعله هجّيراه كما يفعل أبو الطيب..وأحسن الاغراق مانطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد أوما شاكلها نحو كان ولو ولولا وما أشبه ذلك ممالم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها في الشناعة ألا ترى ما أعجب قول زهير

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بأحسابهم أو مجدِهم قعدوا

فبلغ ما أراد من الافراط وبني كلامه على صحة .. ومما استحسنه الرواة ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً

حملتُ رديناً كأنّ شباته سنا لهبٍ لم يتصل بدخان

واذا نظرت الى قول أبي صخر

تكاد يدي تندي اذا مالمسها وينبتُ في أطرافها الورقُ النضر

.. وقول أبي الطيب

وعجبتُ من أرضٍ سحابُ أكفهم من فوقها وصخورُها لا تورق

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحة والمخالفة لطبعه في حب الافراط وقلة المبالاة فيه اذ كان ممكناً أن يقول ان الصخور أورقت ولغة القرآن أفصح اللغات وأنت تسمع قول الله تعالى﴿ يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارَهم ﴾وقوله ﴿ اذا أخرجَ يدَه لم يكد يراها ﴾ وقوله ﴿ يكادُ زيتها يضيءُ ولولم تمسسه نارٌ ﴾ .. واشتقاق الغلو المغالاة ومن غلوة السهم وهي مدي رميته يقال غاليت فلاناً مغالاة وغلاء اذا اختبرتما أيكما أبعدغلوة سهم ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام جرى المذكيات غلاء،وقدجاء في حديث داحس غلاء وغلاب بالباء أيضاً واذا قلت غلا السعر غلاء فانما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان وكذلك غلت القدر غلياً أوغلياناً انما هو أن

بحيث ماؤها وبرتفع ولا عراق أيضاً أصدق نرمي وذلك أن يحدث سهم في نور عند النزع حتى تستغرق جميعه بذلك وبين حبة القوس وبه تعمل ذلك بعد العرض لمدى رميه وهذه التسمية تدل على ماتحوت اليه و أثرت نحوه

باب التشكك

وهو من ملح الشعر وطرف الكلام وله في النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للغلو والاعراق وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر وذلك نحو قول زهير

وما أدري وسوف إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصن أم نساء
فإن تكن النساءُ مخبآت فحقّ لكلّ محصنة هداء

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء وهذا أملح من أن يقول هم نساء وأقرب إلى التصديق ولهذه العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت ذي الرمة

أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

وبيت جرير * فانك لو رأيتَ عبيد تيم *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل .. وقال العرجي

بالله يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وانما سلك طريق ذي الرمة .. وقال سلم بن عمرو الخاسر

تبدتْ فقلتُ الشمسُ عندَ طلوعها بجلدٍ غنيٍّ اللونِ عن أثرِ الورس
فلما كررتُ الطرفَ قلتُ لصاحبي على مِرْيةٍ ما ههنا مطلع الشمس

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين وكيف حلاوته في الصدر وقوله فانه لو كان

يقصد معنى هذا الشاعر ويتداول هذا المعنى أبو زيد لوصاح بن محمد الثقفي (١) فقال يمدح المستعين بالله

وقائلة والليل قد نشر الدجى · فغطى بها ما بين سهل وقردد
أرى ارقاً دون الخورنق والذي · به حل ميراث النبي محمد
فطل عذاري حي يبطن تحته · صفارية الخرع الذي لم تسرد
أضاءت به الآفاق حتى كأنها · رأينا بنصف الليل نور ضحى الغد
فقلت هو البدر الذي تعرفينه · ولا يكن فالنور من وجه أحمد

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر الى خراسان يذكر شك رفقائه واستبعادهم الطريق

يقول في قومس صحبي وقد أخذت · منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا · فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه وخالف فيه قصده وسب التشكك الى غيره وهو تعمد من قول سلم وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس قدوة ولا عليه معول .. وقال ابن ميادة

وأشفق من وشك الفراق وإنني · أظن لمحمول عليه فراكبه
فوالله ما أدرى أيغلبني الهوى · اذا جد جد البين أم أنا غالبه

فقوله في البيت الأول ـ أظن ـ مليح جداً وكذلك قوله في البيت الثاني ما أدرى أيغلبني الهوى أم أنا غالبه .. وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحة فقال

فديتك لم تشبع ولم ترو من هجرى · أيستحسن الهجران أكثر من شهر
أراني سأسلو عنك ان دام ما أرى · بلا ثقة لكن أظن ولا أدرى

وقد أحسن أبو الطيب في قوله

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر · بفي برود وهو في كبدي جمر

(١) ن التميمي

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بأصاف اليه من ذوبه

أذا العصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة ... وهذا الذي قسه البرق أم ثغر

ولله در أبو نواس اذ يقول

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم ... تغص به عيني ويلفظه وهمي

أتت صور الأشياء بيني وبينه ... فظني كلا ظن وعلمي كلا علم

و ... وحلى كلا حل. وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس

لمن طلل دارس آيه ... أضر به سالف الأحرس

تنكره العين من حادث ... ويعرفه شعف الأنفس

وقال اعرابي في معنى أبيات الوضاح بن محمد

أقول والنجم قد مالت مياسره ... الى الغروب تأمل نظرة حار

ألمحة من سنا برق رأى بصرى ... أم وجه نعم بدا لي أم سنا نار

بل وجه نعم بدا والليل معتكر ... فلاح من بين حجاب وأستار

باب الحشو وفضول الكلام

ويسميه قوم الاتكاء وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن فان كان ذلك في القافية فهو استدعاء وقد يأتي في حشو البيت ماهو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التتميم والالتفات والاستثناء وغير ذلك مما أنا ذاكره آنفاً .. فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيد سراع وأرجل

وقد مر ذكره في باب المبالغة فقوله ظالمين حشو أقام به الوزن وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته حتى علمنا ضرورة أن اتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر

أفصل من تركا وهذا شبيه بالتتميم .. وقال الفرزدق

ستأتيك مني إن بقيتُ قصائدٌ يقصرُ عن تحبيرها كلُّ قائل

فقوله ـ ان بقيت ـ حشو في ظاهر لفظه وقد أفاد به معنى زائداً وهو شبيه بالالتفات من جهة وبالاحتراس من جهة أخرى فما كان هكذا فهو الجيد وليس بحشو الاّ على المجاز أو بعد أن ينعت بالجودة والحسن أو يضاف اليه وانما نطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه .. وقد أتى العتابي بما فيه كفاية حيث يقول

ان حشو الكلام من لكنة المر ء وايجازه من التقويم

فجعل الحشو لكنة وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة وانما أراد ما لا حاجة اليه ولا منفعة كقول أبي صفوان الاسدي يذكر باريا

ترى الطيرَ والوحشَ من خوفه جواحرَ منه اذا ما اغتدى

فقوله ـ منه ـ بعد قوله ـ من خوفه ـ حشو لا فائدة فيه ولا معنى له وكذلك قول أبي تمام نصف قصيدة

خدها ابنةُ الفكرِ المهذبِ في الدجى والليلُ اسودُ حالكُ الجلباب

فقوله ـ الدجى ـ حشو لان في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة استعارتين مليحتين فان لم يكن في القسم الاول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة .. وقال أبو الطيب في نحو من ذلك

اذا اعتلّ سيفُ الدولةِ اعتلتِ الارضُ ومنْ فوقها والبأسُ والكرَمُ المحض

فقوله ـ والبأس ـ حشو لأن قوله ومن فوقها دال على الانس والجن جميعا والبأس والكرم جميعاً اللهم الا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمان ﴾ فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما وقوله ﴿ مَن كانَ عدواً للهِ وملائكتهِ ورُسله وجبريلَ وميكالَ ﴾ فان هذا سائغ وليس بحشو حينئذ .. ومن الحشو قول الكلحبة اليربوعي

اذا المرء لم يغشَ الكريهةَ أوشكت حبالُ الهوينا بالفتى أن تقطعا

فقوله ـ بالعتي ـ حشو وكان الواجب ان يقول به لان ذكر امرء قد تقدم الا أن يريد في قوله بالعي لرأيه والاطورة فانه يحتمل ٠٠ وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير

يقولُ أرى زيدا وقد كان معدماً أراه لعمري قد تموّل واقتنى

فقوله ـ أراه لعمري ـ حشو وسعر حة استغنى عنه بقوله أرى زيداً ٠٠ ومما يكثر به حشو الكلام أضحى وبات وظل وغدا وقد ويوماً واشباهها وكان أبو تمام كثيراً ما يأتي بها ويكره للشاعر استعمال ذا وذي والذي وهو وهذا وهذي وكان أبو الطيب مولعاً بها مكثراً منها في شعره حتى حمله حبه فيها على استعمال التاذ وركوب الضرورة في قوله

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حواء

وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره حقاً الا أن تقع له موقعها في قول الاخطل

فاقسمَ المجـد حقا لا يحالفهم حتى يحالفَ بطنَ الراحةِ الشعر

فان قوله ههنا ـ حقاً ـ زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً ٠٠ ولقد أحسن عبد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز

ولو قلت لي حادث الدهر فدية فدا على التحقيق بحسن فدآؤه

فقوله ـ على التحقيق ـ حشو مليح فيه زيادة فائدة ٠٠ ومن الناس من يسمي هذا النوع من الكلام ارتفاداً وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الخطيم

قضى لها اللهُ حينَ صورها الـ خالقُ أن لا يكنها سدف

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر ـ صورها الخالق ـ لان اسم الله تعالى قد تقدم ووجدت الحذاق يعيبون قول ابن الحدادية وهي أمه واسمه قيس بن منقذ

ان الفؤاد قد أمسى هائماً كلفا قد شفه ذكرُ سلمى اليومَ فانتكسا

الحشوه ـ قد ـ في موضعين من البيت ثم ـ بأمسى وباليوم ـ على تناقضهما ٠٠ وعاب الحاتمي على الاعشى قوله

فرميتَ غفلةَ قلبه عن شاته فأصبتَ حبةَ قلبها وطحالها

لان تكرير ـ القلب ـ عنده حشو لا فائدة فيه وهذا تعسف من الحاتمي لأن قلبه غير قلبها

وعا كرر اللفظ دون المعنى ورأيت روايته فى أكثر النسخ حمة قلبه وطحالها وهو غلط ومن ههنا عابه فيما أظن ومن الناس من روى — فرمت عملة عينه عن شاته — وهي رواية مشهورة صحيحة وعابوا علي أبي العيال الهذلى قوله

ذكرتُ أخى فعاودنى صداعُ الرأسِ والوصبُ

لأن ـالصداعـ من أدواء الرأس خاصة فليس لذكر لرأس معه معنى وعلي جميل قوله

وما ذكرتكِ النفسُ ياثنَ مرة من الدهرِ الاّ كادتِ النفس تتلف

فتكرير ـالنفسـ ليس له وجه ههنا والتكرير موضع يحسن فيه وسيرد ان شاء الله فى بابه ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل بالفاء وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم باب أعصل وجعله آخرون بالعين وصاد معجمة كأنه عندهم من تعضل الولد اذا عسر خروجه واعترض فى الرحم وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل بالفاء وهو قول دريد بن الصمة

وبلغ نميراً ان عرضت ابن عامر وأىّ أخ فى النائبات وطالب

ويجري هذا المجرى قول أبى الطيب بل هو أقبح منه

حملت اليه من لسانى حديقةً سقاها الحيامقى الرياضِ السحائبُ

لان التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف اليه وهما بمنزلة اسم واحد فاذا شئت أن تجعل بيت ابن الحطيم حين صورها الخالق من هذا النوع جاز لك فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها

باب الاستدعاء

وهو أن لايكون للقافية فائدة الا كونها قافية فقط فتخلو حينئذ من المعنى كقول عدي القرشي أنشده قدامة

ووقيتَ الحتوفَ من وارثٍ وا ... ل وأبقاك صالحاً ربُ هود

فانه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى الا كونه قافية ومما أعجب السيد الحميري فى قوله

أقسمُ بالفجرِ وبالعشرِ ... والشفعِ والوترِ ورب الزمان
في منزلٍ محكم ناطقٍ ... بسورٍ آياتٍ وبرهان
فالفجرُ فجرُ الصبح والعشر عشـ ... ـرُ النحر والشفعُ محمد
محمد وابن أبي طالب ... والوتر رب العزة الذي
بأن سموات بناها بلا ... تقدير إنس ولا جان

فانظر الى قوله ـ رب الزمان ـ ما أكثر قلقه واشد ركاكته وأما قوله ـ الذي ـ فقد خرج فيه من حد اللين والبرد وجاوز فيه الغاية في ثقل الروح والله حسيبه .. ومن أناشيد قدامة قول علي بن محمد صاحب البصرة

وسابغة الاذيال زغف مفاضةٍ ... تكنفها مني نجادٌ مخطط

فلا أدري معنى هذا الشاعر في مخطيط النجاد وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة اذا ركبها غير فارسها وراضها غير سائسها

باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار فى الالفاظ دون المعانى وهو فى المعاني دون الالفاظ وأقل فاذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً الاَّ على جهة التشوق والاستعذاب اذا كان فى تغزل أو نسيب .. كقول امرىء القيس ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبد الكريم وغيره ولا سلم سلامته في هذا الباب

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي الخال ... ألحَّ عليها كلُّ أسحمَ هطالِ

وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا ... بوادى الخزامى أو على رأس أوعال

وتحسب سلمى لا تزال ترى طلا ... من الوحش أو بيضا بميثاء محلال

ليالى سلمى إذ تريك منصدا ... وجيدا كجيد الرئم ليس بمعطال

وكقول قيس بن ذريح

ألا ليت لبنى لم تكن لى خلة ... ولم تلقنى لبنى ولم أدر ما هيا

أو على سبيل التنويه به والاشارة اليه بذكره إن كان فى مدح كقول أبى الاسد

ولائمة لامتك يا فيض فى الندى ... فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر

أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى ... ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

كأن وفود الفيض يوم تحملوا ... الى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

مواقع جود الفيض فى كل بلدة ... مواقع ماء المزن فى البلد القفر

فتكرير اسم الممدوح هنا تنويه به واشارة بذكره وتفخيم له فى القلوب والاسماع .. وكذلك قول الخنساء

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا نشتو لنحار

وان صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم فى رأسه نار

أو على سبيل التقرير والتوبيخ .. كقول بعضهم

الى كم وكم أشياء منكم تريبنى ... أغمض عنها لست عنها بذى عمي

فأما قول محمد بن مناذر الصبيرى فى معنى التكثير

كم وكم كم كم وكم كم وكم ... قال لى انجز حر ما وعد

فقد زاد على الواجب وتجاوز الحد .. ولما أنشدوا للصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد قول أبى الطيب

عظمت فلما لم تكلم مهابة ... تواضعت وهو العظم عظما عن العظم

قال ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

على [illegible]

[illegible]

كما وصف فصلا [illegible]

لا أرى [illegible]

أو على جهة [illegible]

أما [illegible]

[illegible]

أو على وجه التوجع [illegible]

[illegible]

فقلت لهم [illegible]

وأولى ماتكرر فيه الكلام باب الرثاء لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .. أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح نحو قول العديل بن الفرخ

[illegible]

ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الازدراء وشدة الموضع المهجو .. كقول ذي الرمة يهجو المرئي

تسمى امرأ القيس بن سعد إذا اعتزت ... وتأبى السبال الصهب والآنف الحمر

ولكنما أصل امرئ القيس معشر ... يحل لهم لحم الخنزير والخمر

نصبت مرئ القيس العبد وأرضهم ممر المساحي لا فلاةٌ ولا مصر
تحلي الى الفقر مرؤ القيس انه سواء على الصم امرؤ القيس والقفر
تحب امرو القيس القرى أن تناله وتأبي مقاريها اذا طلع الفجر(١)
هـل الناسُ ألا يا امرأ القيسِ غادر ووافٍ وما فيكم وفاء ولا غـدر

وكذلك صنع جرير في قصيدته الدماغة التي هجا بها راعي الابل فانه كرر بني نمير في كثير من أبياتها.. ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص كقول حماد عجرد لابن نوح وكان يتعرب

يا بن نوح يا أخا الجـ ـلس ويا ابن القتب
ومن نشـا ولده بين الربا والكتب

* يا عربي ياعربي ياعربي ياعربي *

ومن المعيب في التكرار قول ابن الزيات

أتعرفْ أم تقيم على التصابي فقد كثرتْ مناقلةُ العتاب
اذا ذكر السلوُّ عن التصابي نفرت من اسمه نفر الصعاب
وكيف يلام مثلكَ في التصابي وأنتَ فتى المجانةِ والتصـاب
سأعرف ان عزفت عن التصابي اذا ما لاح شيب بالغراب
ألم ترني عدلتُ عن التصابي فأغرتني الملامةُ بالتصـابي

فملأ الدنيا بالتصابي على التصابي لعنة الله من أجله فقد برد به الشعر ولا سيما وقد جاء به كله على معنى واحد من الوزن لم تعدُ به عروض البيت وأين هذا من تكريره على جهة التفخيم في قوله للحسن بن سهل من قصيدة

الى الامير الحسنِ استحدثتُها أي مرارٍ ومساحٍ ومحـل
أي مرار ومساح ومحـل لخائف ومسترش ذي أمل

وهذا كقول أمرئ القيس

تقطعَ أسبـابُ اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

(١) ن السير

عشية جاوزنا حماة وشيزرا أخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس وما رأيت أحداً نبه عليه

فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان إلى صم جندل

فالبيت الأول يغني عن الثاني والثاني يغني عن الأول ومعناهما واحد لأن النجوم تشتمل على الثريا كما أن يذبل يشتمل على صم الجندل وقوله شدت بكل مغار الفتل مثل قوله علقت بأمراس كتان ويقرب من ذلك وليس به قول كثير

وإني وتهيامي بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت

إلا أن كثيراً تصرف فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً وجعل الممحل في البيت الثاني يرجو سحابة ذات ماء فأمطر بعد ما جاوزته ٠٠ ومن مليح هذا الباب ما أنشدنيه شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن المعتز وهو قوله

لساني لسري كتومٌ كتوم ودمعي بحبي نمومٌ نموم
ولي مالكٌ شفني حبه بديعُ الجمال وسيمٌ وسيم
له مقلتا شادنٍ أحورٍ ولفظٌ سحور رخيمٌ رخيم
فدمعي عليه سجومٌ سجوم وجسمي عليه سقيمٌ سقيم

باب منه

ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمى هذا النوع المذهب الكلامي ٠٠ قال ابن المعتز

وهذا باب ما علمت أني وجدت في القرآن منه شيئاً وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً قال صاحب الكتاب عبد الله بن المعتز قد تم بهذا الباب أبواب البديع الخمسة التي خصصناها بهذه التسمية وقدمناها على غيره وأنشد للفرزدق

لكل امرئ نفسان نفس كريمة ... وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها

ونفسك من نفسيك تشفع للندى ... إذا قل من أحرارهن شفيعها

وأنشد الآخر ولا أظنه إلا إبراهيم بن العباس

وعلمتني كيف الهوى وجهلته ... وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

وأعلم ما لي عندكم فيميل بي ... هواي إلى جهلي وأعرض عن علمي

وعاب علي أبي تمام قوله

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بأن ... يرضى المؤمل منك إلا بالرضى

وحكي أن إسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن ابن وهب فقال يا هذا لقد شددت على نفسك وأنشد ابن [illegible] لنفسه

أسرفت في الكتمان ... وذاك مني دهاني

كتمت حبك حتى ... كتمته كتماني

فلم يكن لي بد ... من ذكره بلساني

وهذه الملاحة بعينها والظرف نفسه ومن هذا الباب نوع آخر هو أولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون نحو قول إبراهيم بن المهدي يعتذر إلى المأمون من وثوبه على الخلافة

البر منك وطاء العذر عندك لي ... فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم

وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي

فوحق البيان يعضده البر ... هان في مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوى الحبيبة شيئاً جمع الحسن كله فى نظام
هي تجرى مجرى الاصابة في الرأ ي ومجرى الأرواح في الاجسام

وقد نقلت هذا الباب نقلا من كتاب عبد الله بن المعتز الا ما لا خفاء به عن أحد من أهل التمييز واضطرني الى ذلك قلة الشواهد فيه الا ما ناسب قول أبي نواس

سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي .. وقوله أيضاً

فيك خلاف لخلاف الذي فيه خلاف لخلاف الجميل

واشباه ذلك مما فى هذا غنى عنه ودال عليه

باب نفي الشيء بإيجابه

وهذا الباب من المبالغة وليس بها مختصاً الا أنه من محاسن الكلام فاذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً .. قال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود النباطي جرجرا

فقوله ـ لا يهتدى بمناره ـ لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .. وكذلك قول زهير

بأرض خلاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

أثبت لها فى اللفظ وصيداً وانما أراد ليس لها وصيد فيسد علي ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار وكان نديماً له وصاحباً

صبحت بهم طلقا يراح الى الندى اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

صعيفاً بحت َ الكأْس ِ قبص ُ ده كليلا على وجه ِ الندم ِ أظافره

وظاهر كلامه أنه يخمش وجه الندم الا أن أظفاره كليلة وإنما أراد في الحقيقة أنه لا يظفر وجه الندم ولا يفعل شيئاً من ذلك وكذلك قوله ـ لم يختضره مفاقره ـ أي ليس له مفاقر فتختضره ٠٠ وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة

وعلوت ُ مرتقباً على مرهوبة ٍ حصاء ليس رقيبها في مثمل

عيطاء معنقة يكون ُ أنيسها ورق ُ الحمام ِ جميمُها لم يؤكل

يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل يدل على ذلك قوله في البيت الاول ـ حصاء ـ وهي التي لا نبت فيها ٠٠ وقال أبو زبيد يصف فرساً

متعلق ٌ انساؤها عن قانئ ٍ كالقرط ِ صاو ٍ غبره لا يرضع

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع والشاهد على جميع ما قلته في شرح هذه الاشياء ما جاء في تفسير قول الله عز وجل ﴿ لا يَسألون َ الناس َ إلحافاً ﴾ قالوا ليس يقع منهم سؤال فيقع إلحاف أي هم لا يسألون البتة ٠٠ والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة صاحبته

فهلا وقاك ِ الموت َ من أنت زينه ومن هو أسوا منك دلاً وأقبح

لأنه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئاً ولكن غيره أسوأ منه وأقبح فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلها وليس هذا شئ في من قوله تعالى ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ﴾ لأن هذا لا اشكال فيه

باب الأطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فانها اذا اطردت دلت على قوة ِ طبع الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر ٠٠ وذلك نحو قول الأعشى

أقيس بن َ مسعود بن ِ قيس ِ بن ِ خالد ٍ وأنت امرؤ ٌ ترجو شبابك وائل ُ

فأتى كالماء الجاري اطراداً وقلة كلفة وبين النسب حتى أخرجه عن موضع اللبس والشبهة .. ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال كالمتعجب لولا القافية لبلغ به آدم ورواه قوم أنت بعبد الله .. وقال أبو تمام

عبد الملك بن صالح بن علي بن قسيم النبي في نسبه

فهذا سهل العنان خفيف على اللسان وان كانت الباء في الملك ضرورة وتكلفاً .. وقال الحارث بن دوس الايادي

وشباب حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

واطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .. وقال أبو تمام في قالب بيت الاعشى وان نقص عنه اسما واحداً

نصر بن منصور بن بسام اغري لااستطف الايام عن عشية رغد

وأما من أتى بأكثر من هذا ومن الاول فقد قال بعضهم

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها احمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

فجاء كلامه نسقاً واحداً الا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله ـ المرجى ـ غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغمرت ذنبه .. وقال الطائي

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا سهم

خاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين وهم بنو عم مالك بن طوق فتطرق له ما أراد من الاسماء الا أنه ظاهر التكلف وقال وأتى بستة

مناسب يحسب من ضوئها منازلا للقمر الطالع

كالدلو والحوت وأشراطه والبطن والنجم الى البالع

نوح بن عمرو بن حوي بن عمرو بن حوي بن العتي مانع

فأحكم التصنيع وقال ستة بستة لان الاشراط منزلة وان جمعها الا أن العتي ههنا عصة مع

يرد لفظ وركاكة ما أحسن هؤلا كلهم يقال له الحق وان كنا نعلم أنه لم يرد فناء السن ولكن الفتوة ٠٠وجاء أبو الطيب بذلك بالتعسف في قوله لسيف الدولة

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه تشابه مولودٌ كريم ووالدُ

وحمدان حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ وحارث لقمانٌ ولقمان راشد

وفي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به في بيتين وأنه جعلهم أبناء الخلافة بقوله

أولئك أنيابُ الخلافةِ كلها وسائرُ أملاك البلاد الزوائدُ

وهو سبعة بالممدوح والانياب في المتعارف أربعة الا أن تكون الخلافة تمساح نيل أو كلب بحر ذوي أنياب كل واحد منهم ثمانية اللهم الا أن يريد أن كل واحد منهم ناب الخلافة في زمانه خاصة فانه يصح وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً في العدد فانه جعل كل ابن هو أبوه في الخلافة الى أن بلغ راشداً فلم يقصد الى ذلك أحد من أصحابه وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين في بيت واحد وهي أربعة أسماء

باب التضمين والاجازة

وهذا باب يختلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة كجماعة ممن وسم في بلدنا بالمعرفة وينسب اليها مكذوباً عليه فيها كاذباً فيما ادعاه منها ولتعرفهم في لحن القول٠٠ فأما التضمين فهو قصدك الى البيت من الشعر والقسيم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب

ياخاضبَ الشيبِ والأيام تظهره هـذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوع

أذكرتني قول ذي لبٍ وتجربةٍ في مثـله لك تأديبٌ وتقريع

أن الجديدَ اذا ما زيد في خَلَقٍ تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

فهذا جيد في بابه وأجود منه أن لولم يكن في البيت الأول والآخر واسطة لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق أو على أن هذا البيت غير مشهور وليس كذلك بل هو كالشمس اشتهاراً ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجباً لأن ذكر الثوب قد أخرج الثاني من باب الاول الا في المعنى وهذا عند الحذاق أفضل التضمين ومن احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له

ولا سوءَ لي ان ساءَ ظنك بعد ما	وفيتُ لكم ربى بذلك عالم
وها أنا ذا مستعتبٌ متنصلٌ	كما قال عباسٌ وأنفيَ راغم
تحملْ عظيمَ الذنب عمن تحبه	وان كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالم

وأبيات العباس بن الاحنف التي منها البيت المضمن هي قوله

وصبٍّ أصابَ الحبُّ سوداءَ قلبه	وأنحله والحبُّ داءٌ ملازم
فقلتُ له اذ مات وجداً بحبه	مقالة نصحٍ جانبها المآثم
تحمل عظيم الذنب عمن تحبه	وان كنتَ مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنبَ في الهوى	يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبدالله روى هذه الابيات أيضا لابن المعتز فهذا النوع من التضمين جيد وهو الذي أردنا من قبل وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمنْ وجهَ البيت المضمَّنِ عن معنى قائله الى معناه نحو قول بعض المحدثين ونسبه قوم الى ابن الرومي

ياسائلي عن خالد عهدي به	رطبُ العجانِ وكفه كالجلمدِ
كالاقحوانِ غداةَ غبِّ سمائه	جفت أعاليه وأسفله ندِي

وروى عن جعفر فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر

تجلو بقادمتيْ حمامة أيكة	بَرَدٌ أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوانِ غداة غب سمائه	جفت أعاليه وأسفله ندِي

الى معناه الذي .. أراد ومن هذا المعنى أيضا قول ابن الرومي بلا محالة

وسائلة عن الحسن بن وهب ... وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أني ... أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما تغنيه فتاه ... حسين حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من بحجر ... صليل البيض تقرع بالذكور

فالبيت الآخر لمهلهل فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيبا وان كانت اللفظتان في المعنى غير اللفظتين . . ومن الشعراء من يضمن قسيما نحو قول بعضهم أظنه الصولي

خلقت على باب الامير كأنني ... قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
اذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل
ففاضت دموع العين من سوء ردهم ... على النحر حتى بل دمعي محملي
لقد طال ترداذي وقصدي اليكم ... فهل عند رسم دارس من معول

ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوسا نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك

لقد أنكرتني انكار خوف ... يضم حشاك عن شتمي وذحلي
كقول المرء عمرو في القوافي ... لقيس حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مراد ... أريد حياته ويريد قتلي

والبيت المضمن لعمرو بن معدي كرب الزبيدي يقوله لابن أخته قيس بن زهير بن هبيرة بن مكشوح المرادي وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة وحقيقته في شعر عمرو

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليلك من مراد

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا رأى ابن ملجم تمثل بهذا البيت . . ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسيمين من وزنين كقول علي بن الجهم يعرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنان المغني وكانا يتعاشقان فاذا غنى بنان

اسمعي أو خبرينا ... يا ديار الظاعنينا

غنت هي كالمجاوبة له عما يقول

ألاَ حييتِ عنا يا مدينا　　وهل بأسٌ بقول مسلمينا

فقال عليّ مضمناً عليهما في ذلك

كلما غنىّ نشوانُ　　اسمعي أو خبرينا
أنشدت وصلُ ألاَ　　حييتِ عنا يا مدينا
عارضت معنى بمعنى　　والندامى غافلونا
أحسنت اذ لم تجبنا　　وهم ديارُ الطاعنينا
لو أجابتهم لصرنا　　آيةً للسائلينا
واستعاد الصوتَ مولا　　ها وحثَّ الشاربينا
قلتُ للمولى وقد　　دارت حمياالكاس فينا
ربّ صوتٍ حسنٍ　　يبعث في الرأسِ قرونا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين للاخطل

ولقد سما للخرمي فلم يقل　　يوم الوغى لكن تضايق مقدمي

إشارة الى قول عنترة العبسي

اذ يتقون بيَ الاسنةَ لم أخم　　عنها ولكني تضايق مقدمي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو وأنشد ... الآخر

عوذ لما بت ضيفاً له　　أقراصه مني بياسين *
فبتُّ والارض فراشي وقد　　غنت قفا نبك مصاريني

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه احالة و يشير فيه اشارة فيأتي به كانه نظم الأخبار أو شابه به وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز ــ كما قال عباس وأُنفي راغم ــ به لم يرد الأبيات المقدم ذكرها وانما أراد قوله للرشيد حين هجرته ماردة

لابدَّ للعاشقِ من وقفةٍ　　تكونُ بين الوصلِ والصرمِ
حتى اذا الهجرُ تمادى به　　راجعَ من يهوى على رغمِ

فهذا النوع بعد التضمينات كلها وأقلها وجوداً وذلك نحو قول أبى تمام

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى أرقّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

أراد البيت المضروب به المثل

المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد صنعت أنا فى معنى الهجاء

عرسهُ من غير صبرٍ عرس زيد بن عمير

أبداً تزنى فان حاضت تقـد حبا لاير

ولها رجلان من ناقة كعب بن زهير

هكذا تبني المعالى ليس إلاّ كل خير

ـزيد بن عميرـ هو الذى يقول فى زوجته

تقود اذا حاضت وان طهرت زنت فهي أبداً تزنى بها وتقـود

ـوكعب بن زهيرـ يقول فى وصف ناقته

تهوى على يسرات وهي لاهيـة ذوابل وقعهن الأرض تحليل

وكان هذه المرأة فى حالها لاتقع رجلاها بالارض اما لكثرة مباضعة أو شدة مشى فى فساد ومن أنواع التضمين تعلق القافية بأول البيت الذى بعدها وقد تقدم ذكره ٠٠وأما الاجازة فانها بناء الشاعر بيتاً أو قسيما يزيده على ماقبله وربما أجاز بيتاً أوقسيما بأبيات كثيرة فأما ماأجيز فيه قسيم بقسيم فقول بعضهم لأبى العتاهية أجزـ برد الماء وطابا ـ فقال ـ حبذا الماء شرابا ـ وأما ماأُجيز فيه بيت ببيت ٠٠ فقول حسان بن ثابت وقد أرق ذات ليلة فقال

متاريك أذناب الأمور اذا اعترت أخذنا الفروع واجتنبنا أصولها

وأجبل فقالت ابنته يا أبت ألا أجيز عنك فقال أوعندك ذاك قالت بلى قال فافعلى فقالت

مقاويل بالمعروف خرسٌ عن الخنا كرامٌ يعاطون العشيرة سولها

قال يحيى الشيخ عند ذلك فقال

وقافية مثل السنان رددتها تناولت من جوّ السماء نزولها

.. فقالت ابنته

يراها الذي لا ينطقُ الشعرَ عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء فقال أجيزي على هذا البيت

أهدى له أحبابهُ أترجّة فبكى وأشفق من عيافة زاجرِ

فقالت غير منكرة

خاف التلونَ اذ أتته لأنها لونان باطنها خلاف الظاهرِ

فحلف لها بكل الايمان وكانت تعرفه لئن ظهر البيت ان دخلت منزلكم أبداً وأضافه الى بيته ..وأما ما أجيز فيه قسيم بيت ونصف فقول الرشيد للشعراء أجيزوا

* الملكُ للهِ وحده *

.. فقال الجماز * وللخليفة بعدهْ *

وللمحب اذا ما حبيبه بات عنده

واستجاز سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف

أمنى تخافُ انتشارَ الحديث وحظيَ في ستره أوفرُ

فصنع القصيدة المشهورة

هواكَ هوايَ الذي أضمرُ وسرّك سري فما أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد ..والاجازة في هذا الموضع مشتقة المعنى من الاجازة في السقي يقال أجازفلان فلاناً اذا سقى له أوسقاه الشكمي وأما اللفظة فصحيحة فصيحة .. وقال ابن السكيت يقال للذي يرد على أهل الماء فيستقي مستجيز .. قال القطامي

وقالوا فقيم قيمُ الماءِ فاستجز عبادةَ أن المستجير على قتر

ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكأس اذا تركته وسقيت غيره فجازت عنه

دون أن نشربه .. قال أبو نواس

وقلت لساقينا أجزها فلم أكن ... ليأبى أمير المؤمنين وأشربا

فجوزها عنى عقاراً ترى لها ... الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا

وقد تقدم ذكر الاجازة التى فيها عيب القوافى وذكرت اشتقاقها .. ومن هذا الباب نوع يسمى تمليط وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسما وهذا قسما لبيت أو لأبيات يقطع قول صاحبه وفى الحكاية أن امرأ القيس قال للتوءم اليشكري ان كنت شاعراً كما تقول فملط انصاف ما أقول فأجزها قال نعم .. قال امرؤ القيس

* أحار ترى بريقاً هب وهنا *

فقال التوءم ... * كنار مجوس تستعر استعارا *

فقال امرؤ القيس ... * أرقت له ونام أبو شريح *

فقال التوءم ... * اذا ما قلت قد هدأ استطارا *

ولم يزالا هكذا يصنع هذا قسما وهذا قسما الى آخر الأبيات.. وقد تقدم انشادها فى باب أدب الشاعر من هذا الكتاب ..وممن ملط الابيات شعراء جماعة كما يحكي أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليع ومسلم بن الوليد الصريع خرجوا فى متنزه لهم ومعهم يحيي بن المعلي فقام يصلي بهم فنسى الحمدُ وقرأ﴿ قل هوَ الله أحدٌ ﴾فارتج عليه فى نصفها فقال أبو نواس أجيزوا

أكثر يحيي غلطاً ... في قل هو الله أحد

وقال عباس

قام طويلا ساهيا ... حتى اذا أعيى سجد

فقال مسلم بن الوليد

يزحر فى محرابه ... زحيرَ حبلى بولد

فقال الخليع

كأنما لسانه ... شد بحبل من مسدْ

وأنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستطراف بها وقال هذا الذي يعجز الناس عنه فقلت هذا ابن عباس وأبي نواس لم يقولا بعد البيت الاول

وسيَ الحمدَ فما مرت له على حلد

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة وكذلك جرت الحكاية فقال ومن أين فقلت لابن وقيه .. واشتقاق المليط من أحد شيئين أولهما أن يكون من الملاطين وهما جدا السنام في مرد الكتفين .. قال جرير

طللن حوالي جدرِ أسماء وانتحى أسماءَ موار الملاطين أروَح

وكأن كل قسيم ملاط أي جانب من البيت وهما عند ابن السكيت العضدان .. والآخر وهو الأجود أن يكون اشتقاقه من الملاط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط ملطاً أي يدخل بين اللبن حتى يصيرشيئاً واحداً .. وأما الملط وهو الذي لا يبالي ما صنع والأملط الذي لا شعر عليه في جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه

باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى .. من ذلك قول امرئ القيس

مكرٍّ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطه السيل من علِ

فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلا ومدبراً ثم قال معاً أي جميع ذلك فيه وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل فاذا انحط من عال كان شديد السرعة فكيف اذا أعانته قوة السيل من ورائه .. وذهب قوم منهم عبد الكريم الى أن معنى قوله كجلمود صخر حطه السيل من علِ انما هو الصلابة لان الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب .. وقال بعض من فسره من

المحدثين انما أراد الاوباط وزعم أنه يرى مقبلا ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واحترص على نفسه واحتج بما يوجد عياناً فمثله بالجلمود المنحدر من قنة الجبل فانك ترى ظهره في النصبة على الحال التي يرى فيها بطنه وهو مقبل اليك ولعل هذا مامر قط ببال امرئ القيس ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلده ولا روعه ومثله قول أبي نواس

* ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر *

فزعم من فسره أنه انما قال — وقل لي هي الخمر — ليلتذ السمع بذكرها كما التذت العين برؤيتها والانف بشمها واليد بلمسها والفم بذوقها وأبو نواس ماأظنه ذهب هذا المذهب ولاسلك هذا الشعب ولا أراه أراد الا الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت * ولاتسقني سرا اذا أمكن الجهر *

ويروى — فقد أمكن الجهر — فذهب الى المجاهرة وقلة المبالاة بالناس والمداراة لهم في شرب الخمر نفسها التي لااختلاف بين المسلمين فيها . . وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر وذكر في مذامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته انه يجاهر بالمعاصي ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت

فبتنا يرانا الله شرّ عصابةٍ يجرر أذيال الفسوقِ ولا فخرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضر في معنى قول الفرزدق

أخذنا بآفاقِ السماء عليكم لنا قمراها والنجومُ الطوالع

وقد سأل الأمين والمأمون عن معناه فقالا معناه في قوله قمراها تغليب المستعمل عندهم لان القمر أكثر استعمالا عند العرب من الشمس وكذلك قولهم العمران لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً فقال الرشيد هكذا أخبرنا هذا الشيخ وأشار الى الكسائي فقال المفضل بل مراده بالقمرين خندف ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك الطيبون فأعجب الرشيد بذلك ووصله والفرزدق ما قصد الى شيء من ذلك ولا أراده ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين وانما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم ومالا منكم فنحن أشرف بيتاً وأظهر فضلا وأبعد صوتاً الا أن التي جاء بها المفضل ملحة

أفادت مالا ٠٠ ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم

وقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن أناس نتبع البارد السخن

أراد أنا نتبع البارد من الدماء سخناً كأنه يتوعدهم بقتل آخر فيكون قد أخذه من قول سويد بن كراع وهي أمة تصف كلأً ونورا

فهو عليه الموت والموت دونه على رَوقه منه مذاب وجامد

قال الأصمعي يعني بالمذاب الحار وبالجامد البارد ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء فيكون قد بزع ٠٠ وزعم قوم في قوله يشفع لبني كلاب الى سيف الدولة

وتملك أنفس الثقلين طراً فكيف تحوز أنفسها كلاب

أنه لم يرد القبلة وانما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدرهم والتلطف في كونه جعلهم في البيت الأول ذئاباً سراقاً ولا أظن ذلك بل لا أحققه لانه في القصيدة

ولو غير الأمير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

ولاقى دون ثأيهم طعانا يلاقي عنده الذئب الغراب

الا أن يحملوا على الشاعر الناقص وينسبوه الى قلة التحصيل فسائت التهم على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره تناسباً وطبعاً وصنعة ومثلها الرائية في ورهب وذكر القصة بعينها

باب الاشتراك

وهو أنواع منها ما يكون في اللفظ ومنها ما يكون في المعنى ٠٠ والذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء فأحدها أن يكون اللفظان راجعين الى حد واحد ومأخوذين من حد واحد فذلك اشتراك محمود وهو التجنيس وقد تقدم القول فيه ٠٠ والنوع الثاني أن يكون

نفسه محتمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد .. كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمــه حى أبوه يقاربه

وفيه حي يحتمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي وهذا الاشتراك مذموم قبيح والمليح يحفظ كثير فى قوله يستثنى

لعمرى لقد حببت كلّ قصيرة الىّ وما يدرى بذاكَ القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصارَ الخطا شرّ النساء البحاتر

فأنت ترى فطنته لما أحسّ بالاشتراك كيف نفاه وأعرب عن معناه الذي نحا اليه .. ومن نوع قول الفرزدق قول كثير يذكر الممدوح

عمــرته نفنة صـاح سمح باعراضهم شحاح

فنحن نعلم أنه أراد سمح شحاح باعراضهم ولكن فيه من اللبس ماهو أولى من التأويل .. والنوع الثالث ليس من هذا فى شئ وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها لا تسمى تناولها سرقة ولا تداولها اتباعا لانها مشتركة لا أحدمن الناس أولى بها من الآخر فهي مباحة غيرمحظورة الاّ أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى أو تفيد فائدة فهناك تتميز الناس ويسقط اسم الاشتراك الذى تقوم به العذر ولو عيرت اللفظة وأتى بما يقوم مقامها كقول ابن أحمر

بمقلص دَرَكٍ الطريدةَ متنه كصفا الخليقة بالفضاء الملبد

فقوله درك الطريدةَ وقول الاسود بن يعفر

بمقلص عتد جهير شــده قيدِ الأوابدوالرهان جواد

جميعاً كقول امرئ القيس * بمنجردٍ قيد الأوابدِ هيكلِ *

وكذلك قول أبى الطيب * أجل الظليم وربقة السرحان *

وأما ما ناسب قول الأبيرد اليربوعى يرثى أخاه

وقد كنتُ أستعفي الالهَ اذا اشتكي من الاجرِ لي فيه وان عظم الاجرُ

وقول أبى نواس فى صفة الخمر

ترى العينَ تستعفيك من لمعانها   وتحسر حتى ما تقل جفونَها

فهو من المشترك الذى لا تعد سرقة .. وقد نص عليه القاضي الجرجانى أنه من المعمول المداول المتبذل .. وأما الاشتراك في المعانى فنوعان .. أحدهما أن يشترك معنيان وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان وذلك هو الحد المستحسن كقول امرئ القيس

كبكرِ المقاناة البياض بصفرةٍ   غذاها نمير الماء غير محللِ

وقول غيلان ذى الرمة

كحلاء فى برج صفراء في نعج   كأنها فضة قد مسها ذهب

فوصفها جميعاً لوناً بعينه فشبه الأول بلون بيضة النعام وشبه الثانى بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال قد مسها ونحو قول عبدة بن الطبيب يصف ثوراً وحشياً

مجتاب نصع جديد فوق نقبته   وفى القوائم مثل خال سراويل

وقال الطرماح يصف ظليما

مجتاب شملة برجد لسراته   قدرا فأسلم ما سواه البرجد

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعا جديداً وهو الثوب الأبيض وشبه ما فى قوائمه من السواد والتخطيط بسراويل من الخال وهو ضرب من الوشى .. وقال الثانى انه مجتاب شملة برجد يريد ما على الظليم من ريشه والبرجد كساء اسود مخمل وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجليه وعنقه فدل على بياضهن .. وقال عنترة

صَعل يعودُ بذي العشيرةِ بيضه   كالعبدِ ذى الفروِ الطويلِ الأصلمِ

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصلم أى قصير الذيول وانما خص الفرو لانهم كانوا يلبسونه مقلوبا وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه واشرابهما الحمرة يعنى صفات الروم ولم تكن العبيد في ذلك الوقت الا بيضاً فهذا اشتراك في وصف الظهر والقوائم واختلاف في اللفظ والعبارة .. والنوع الثانى على ضربين .. أحدهما ما يوجد فى الطباع من تشبيه الجاهل

بالنور والجرير والحسن بالشمس والقمر والشجاع بالاسد وما شابهه والسخي بالغيث والبحر والعزيمة بالسيف والسيل ونحو ذلك لان الناس كلهم الفصيح والاعجم والناطق والابكم فيه سواء لانجده مركبا في الخليقة أولا ٠٠ والآخر ضرب كان مخترعا ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول نحو قولهم في صفة الخد كالورد وفي القد كالغصن وفي العين كعين المهاة من الوحش وفي العنق كعنق الظبي وكالابريق الفضة أو الذهب فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ثم ساوى الناس فيه الا أن يولد أحد منهم فيه زيادة أو يخصه بقرينة فيستوجب بها الانفراد من بينهم ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح والذكاء بشواظ النار وسيرد عليك من قوافي باب السرقات وما ناسبها كثير ان شاء الله تعالى

باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعاً وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم ٠٠ من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون الا القود دون الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم ان الدماء الشافيات تكال

وقال آخر وقد أخذ بثأره الا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ويروى لامرأة حارثية

فيقتل خير بامرئ لم يكن له بواء ولكن لا تكايل بالدم

ويروي — في فتى لم يكن له وفاء — فالأول يقول لا آخذ بالدم لبناً لكن آخذ دما بقدره فكان ذلك مكايلة والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير فمتى لم يقتل به الا نظيره بعد تقامه وعسر ادراكه الثأر فقال ان الدماء ليست مما يكايل به في الحقيقة وقيل انما يعنى بذلك أن الاسلام لما جاء ازال المكايلة بالدم وكانوا لا يقتلون بالرئيس الا رئيساً مثله ٠٠ ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع

قدْ كلوها أبا سعدٍ حديثاً ... وكلوها أبا سعد قديما
ووردناه ساحاً وقليباً ... ورعيناه بارضاً وجميما
فعلمنا أن ليس الا بشق النفس صار الكريم يدعي كريما

وقال أبو الطيب في خلافه

لو كفرَ العالمونَ نعمته ... لما عدت نفسه سجاياها
كالشمس لا تبتغي بما صنعت ... تكرمةً عندهم ولا جاها

والى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله

حسن الكبير اذا تهاض جناحه ... لجأ المطرد مستقات المملق
جمعَ الفضائلَ والمحامدَ والعلى ... خُلُقٌ لعمرُ أبيكَ غيرُ مخلق

وأصل معنى قول أبي الطيب من قول بشار

ليسَ يعطيكَ للرجاء وللخو ... ف ولكن يَلذ طعمَ العطاء

وقال البحتري في نحو ذلك

لا يتعبُ النائلُ المبذولُ همته ... وكيف يتعبُ عينَ الناظرِ النظرُ

وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيراً ما يخالف الشعراء ويغاير مذاهبهم ألاَ ترى الى قول علي بن العباس النوبختي وهو في رواية الجرجاني لابن الرومي يصف القلم ويفضله على السيف وكتب بذلك الى علي بن مقلة في قصيدة

إنْ يخدمِ القلمُ السيفَ الذي خضعتْ ... له الرقابُ ودانتْ خوفه الأممُ
كذا قضى اللهُ للأقلامِ مذ بريت ... أنَّ السيوفَ لها مذ أرهفتْ خدَمُ
فالموتُ والموتُ لا شيء يعادلهُ ... ما زال يتبع ما يجري به القلم

وهذا كلام متقن البنية صحيح المعنى لامطعن فيه فجاء أبو الطيب بخلافه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان وتصححه البرهان فقال

حتى رجعتَ وأقلامي قوائلُ لي ... المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقلمِ

تكتب بدا أبداً قبل الكتاب بها فانما نحن للأسياف كالخدم

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر

ألم تسمعا بابي حكيم حنينها الى السيف تستبكي اذا لم تعقر

جعلها اذا لم تعقر حنت الى السيف واستبكت لكثرة عادتها وهذا غلو مفرط وكان في مكان آخر يصفها بالجزع اذا رأت الضيف لعلمها أنها تنحر له

ترى الناب من ضيفي اذا ما رأيته صبوراً على حرابها ما يحيرها

وزعم أنها تخفى حسها حتى أنها لاتحير خوفاً من النحر وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما

وأبيك حقاً إن آل محمد عزل نوائح أن تهب شمال

واذا رأين لدى الفناء غريبة فدموعهن على الخدود سجال

يقول اذا هبت الشمال وهي من رياح الشتاء وعلامات المحل أيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرهن للضيفان والجيران فهي نوائح لذلك وقوله ـ واذا رأين لدي الفناء غريبة ـ أي يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتدري كل واحدة دمعها لاتدرى هل هي المنحورة وهذا من ملح الشعر ولطيف المدح وقل كل مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومن مليح التغاير قول أبى الشيص

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللوم

وقول أبى الطيب في عكس هذا

أأحبه وأحب فيه ملامة ان الملامة فيه من أعدائه

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة وهو يعده في باب السرقات قال وأصله من قول أبي نواس

اذا غاديتني بصبوح عذل ممزوجاً بتسمية الحبيب

ولابي العلاء المعرى مثله من غير التزام

لم يبق غيرُ العدلِ من أساميهم فأحبُّ من يدنو الى عدولُ
لعدوٍ فلا مستخبرٌ عن حالهم غيري ولا مستخبرٌ مسؤل

باب في التصرف ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل وأن لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ولا في المدح أنفذ منه في الهجاء ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده .. حكى الصاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب قال حدثني محمد بن يوسف الحمادي قال حضرت بمجلس عبد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم ابو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحداً لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبد الله ان أحمد بن يحيي ثعلبا لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله فانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال وريت بك زنادي يا أبا عبادة إن حكمك في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريراً فقيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر وقد خالف البحتري أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق فقدم الفرزدق قيل له كيف تقدمه وجرير أشبه طبعاً بك منه فقال انما يزعم هذا من لا علم له بالشعر جرير لا يعدو في هجائه الفرزدق ذكر القين وجعثن وقتل الزبير والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبدة حكى ذلك غير واحد من المؤلفين .. واذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف وبهذا أقول أنا واياه أعتقد فيهما واذا لم يكن شعر الشاعر نمطا واحداً لم يمله السامع

حتى أن حبنا ادعى ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال

الحد والهزل في توشيع لحمها والنبل والسخف والأشجان والطرب

وقد قال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية

لا يصلح النفس اذ كانت مصرفة الا التصرف من حال الى حال

وأنشد الصاحب لابي احمد يحيى بن علي المنجم في نقد الشعر

رب شعر نقدته مثل ما ينقد رأس الصيارف الدينارا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معا ابكارا

لو تأتى لقالة الشعر ما أسقط منه حلوا به الأشعارا

ان خير الكلام ما يستعير النا س منه ولم يكن مستعارا

وقال الجاحظ طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والانساب فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .. قال الصاحب على أثر هذه الحكاية ولله أبو عثمان فلقد غاص على سر الشعر واستخرج أرق من السحر وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب تظهر فيها مرماهم وتستدل بها على معراهم وتعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب اليه من تفضيلهم وتشهد لي بجودة النظر وفرط التثبت والانصاف ان شاء الله تعالى

باب في أشعار الكتّاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنعاً وأحلاهم ألفاظاً وألطفهم معاني وأقدرهم على تصرف وأبعدهم من تكلف .. وقد قيل الكتاب دهاقين

الكلام وما يزيدك على قول ابراهيم بن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته احمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدّ عني وصدقَ الأقوالاَ وأطاع الوشاةَ والعذّالاَ
أتراه يكونُ شهرَ صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب له المتوكل واهتز ووصله وخلع عليه وحمله وجدد له ولاية .. وقلّ له في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا وأي مدح أبرع وأبدع من قوله في الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يدٌ تقاصرَ عنها المثلْ
فباطنها للندى وظاهرُها للقُبل
* وبائلها للغنى وسَطوتُها للأجل

أليس هذا الماء الزلال والسحر الحلال .. ولقد أُحد ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال

مقبّلُ ظهرِ الكفّ وهّابُ بطنها له رحمة فيها الحطمُ ورمرمُ
فظاهرُها للناس ركنٌ مقبّل وباطنها عين من الجود عيلم

إلاّ أن الأول أخف روحاً وأرشق لفظاً ومعنى وهذان البيتان وإن كانت فيهما زيادة فإنما هما بإزاء البيت الاوسط من أبيات ابراهيم فقط .. ومن غزل ابراهيم قوله

أراكَ فلا أردُّ الطرفَ كِلاًّ يكونَ حجابَ رؤيتكَ الجفونُ
ولو أني نظرتُ بكل عينٍ لما استقصت محاسنَكَ العيونْ

فهذا وأبيك البيان والخبر الذي كأنه العيان .. وما أحد كل حلاوة وحسن طلاوة إلاّ دون قوله

ابتداءٌ بالجفى واقتصاءٌ بالتطني
واشتغالٌ بحبيـك لأعدائك مني
بأبي قل لي لكي أعلمَ لِمْ أعرضتَ عني

قدمي داكَ أعدا 		ئي فقدنا لوا الممى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله في محمد بن عبد الملك الزيات

بكى كيفَ شئتَ وقلْ ما اشتها 		ءِ وارعد يميناً وأبرقْ شمالاَ

نجا بكَ لؤمكَ منجا الذبا 		بِ حمته مقاديره أن ينالا

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لاحمد بن أبي دؤاد وقد أمر الواثق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ولم يجعل في ذلك رخصة لاحد وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى اذا أحس بقدومه أنفة من القيام اليه في دار السلطان وامتثالا للأمر فصنع ابن الزيات

صلى الضحى لما استفادَ عداوتي 		وأراه ينسكُ بعدَها ويصومُ

لا تعدمنَّ عداوة مشؤومةً 		تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن غزله قوله وهو في غاية العذوبة

قامَ بقلبي وقعدْ 		لما بني عيني الخلد

ياصاحبَ القصرِ الذي 		أسهر عيني ورقد

واعطشتي الى فمٍ 		يمجُ خمراً من بَرَد

ان قسمَ الناسُ فحسبي 		بكَ من كلِّ أحد

وقال يرثي جاريته سلوانة وهي أم ولده عمر الاصغر

يقولُ لي الخلانُ لوزرتَ قبرها 		فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قبرُ

على حين لم أحدث فاجهلَ قدرها 		ولم أبلغ السنَّ التي معها الصبرُ

وقال أيضاً وأحسن ما شاء

مالي اذا غبتُ لم أذكرْ بواحدةٍ 		وان مرضتُ فطالَ السقمُ لم أعدِ

ما أعجب الشيءَ ترجوه فتحرمهُ 		قد كنتُ أحسبُ أني قدملأت يدي

ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الاكثار منه ههنا . . وأما الحسن بن

وهب ثمن قوله

لم تنم مقلتي لطول بكاها ولما حال فوقها من قذاها
فالقذى كحلها الى أن ترى وجه سلمى وكيف لي أن تراه
أسعدت مقلتي بادمانها الدمع وهجرانها الكرى مقلتاها
فلعيني في كل حين دموع انما استدرها عيناها

وقدم اليه كانون ومعه قينة كان يهواها فأمرت بابعاد الكانون فصنع

بأبي كرهت النار حتى أبعدت فعرفت ما معناك في ابعادها
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها بأنين كبها وسنائها وعنادها
شركتك في كل الجهات بحسنها وصفاتها وصلاحها وفسادها

ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر عند مطر

هطلتنا السماء هطلاً دراكا جاوز المرزمين فيه السماكا
قلت للبرق اذ تألق فيه يا زناد السماء من أوراكا
أحبيباً أحببته فحكاكا فعسى ذاك أن يعود كذاكا
أم تشبهت بالأمير أبي العباس في جوده فلست هناكا

وهذا هو الكلام الكتابي السهل المرسل الحسن الطلاوة والظاهر الحلاوة ٠٠ ومن قوله يرثى حبيباً الطائى وكان صديقاً له حدثاً

سقى بالموصل القبر الغريبا سحائب ينتحبن به نحيبا
اذا أطلاله أطلقن فيه شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطمت البروق له خدودا وشققت الرعود له جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوى حبيباً كان يدعي لى حبيبا

وهى قصيدة كاملة أتيت بهذا منها معرضاً ٠٠ ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب

وهو القائل في طول الليل

يا ليلُ بل يا أبدُ أنائمٌ عنك غدُ
يا ليلُ لو تلقى الذي ألقى بها أو أجدُ
قصر من طولك أو أضعف منك الجلد

ورواه قوم ـ أنحل منك الحسد ـ والأول عندي أصوب وعلى كل حال فمنه أخذ أبو الطيب قوله

ألم تر هذا الليل عنك رؤيتي فتظهر فيه رقة ونحول

وليس يلزم الكاتب أن يجاري الشاعر في إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب في حلاوة الألفاظ وطيرانها وقلة الكلفة والاسنان مما يخف على النفس منها وأيضاً فان أكثر أشعارهم انما يأتي نظرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون مخلون في شهواتهم مسامحون في مذهبهم اذ كانوا انما يصنعون الشعر تخيراً واستظرافاً كما قال كشاجم الكاتب

ولئن شعرت فما تعمدت الهجاء ولا المديحه
لكن رأيت الشعر للآداب ترجمة فصيحه

وعلى هذا النمط يجري الحكم في أشعار الخلفاء والامراء والمعروفين من أهل الاقدار لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذي الشعر صناعته والمديح بضاعته ٠٠ وقد أغرب أبو الفتح بن أبي الفتح بن العميد وأغرب في قوله

وان كان مرضياً فقل شعر كاتب وان كان مسخوطاً فقل شعر كاتب

ولو حاولت أن أذكر من علمت من شعراء الكتاب سوى من ذكرت لبعد الأمد وطالت الشقة واحتجت الى أن أقيم لهذا الفن ديوانا مفرداً لكني عولت على ابن الزيات وابن وهب لاحالة الجاحظ في الفصل عليهما وآنستهما باثنين ليسا بدونهما ولو لم آت بهذا الباب الا لما نبهت عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا والكفاية فمن ذلك قوله

باكر الراح ودع عنك العذل واسع في الصحة من قبل العلل

واعتنم لذة يوم زائل والمنايا ضاحكات للأمل
ما ترى الساقي كشمس طلعت تحمل المريخ في برج الحمل
مائساً كالغصن في دعص نقي وبه مقلة ريم بالكحل

وقوله أيضا يتغزل

مرّ بنا مهفهف في مشيه مثل اهتزاز الغصن الرطب
فقلت يا ربع في حسنه ومقلتاه أحرقت قلبي

قوله — أحرقت — وهما مقلتان كقول بعضهم .. وأنشده أبو الجراح في طبقات الشعراء

أشركت عيناه ظالمة في دمي يا عظم ما جنت

فقال — ظالمة — وقال — جنت — لأن التثنية جمع في الحقيقة والجماعة يخبر عنها كما يخبر عن الواحد لمكان التأنيث والشاهد من قول القدماء قول أحدهم

لمن زحلوقة زلّ بها العينان تنهل

فقال — تنهل — وكان حقه أن يقول تنهلان لكن العلة ما قدمت .. ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله

أمر الزمان رماية العقل فاخش الاله وحل عن الجهل
واعلم بأنك في الحساب غداً تجزى بما قدمت من فعل

ومن تشكى أحوال الناس وقلة ثقتهم وانصافهم .. قوله

أيا رب ان الناس لا ينصفونني ولم يحسبوا فرضي على حسابي
اذا ما رأوني في رخاء تردّدوا الي وأعدائي لدي الأزمات
ومهما أكن في نعمة حزنوا لها ودوو أمسي في شدة جذلات
ثقاتي ما دامت صلاتي لديهم وان عنهم أخرتها فعداتي
سأمنع قلبي أن يحنّ اليهم وأصرف عنهم قلبياً لحظاتي
والزم نفسي الصبر دأباً لعلني أعاين ما أملت قبل مماتي

ألا انما الدنيا كفافٌ وصحةٌ وأمنٌ ثلاثٌ هنَّ طيب حياتي

قوله -ثلاث- يعني ثلاث خصال أو ثلاث أحوال كما قال طرفة

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذة الفتى * ثم فسرهن فقال-فمنهن سبق العاذلات بشربة -وكري اذا نادى المضاف محنباً- وتقصير يوم الدجن- والسبق والتقصير والكر كلها مذكرة لكن أراد ماقدمت ومن أحسن الاشعار قوله

خليليَّ إن لم تسعداني فاقصرا فليسَ يداوى بالعتابِ المتيم
تريدانِ مني النسكَ في غير حينهِ وغصنيَ ريانٌ ورأسي أسحم

وقوله في قصيدة طويلة

غراء واضحة يبوصُ بقرطها جيدٌ حكي جيدَ الغزالِ الأعنق
صدت فأغرتْ بالسجوم مدامعي والعينُ تذرفُ بالدموع السبَّق
تشكو البعادَ اذا بعدتُ تصبراً وان ارتحمتُ الى الزيارةِ تفرق
ولقد يئستُ أخو المودةِ لائمي في حبها لومَ الشفيقِ المشفق
حتى اذا طلعت فأبصرَ شخصَها أحرى حبالةَ لائمي المستحمق
كم قد قطعتُ بوصلها من ليلةٍ وشرب صافيةٍ كلونِ الزئبق
يسعى بها كالبدر ليلةَ تمه سحارُ ألحاظٍ رخيمُ المنطقِ
آليتُ أتركُ ذا وتلكَ وهذه حتى يفارقني سوادُ المفرقِ

فلله سلامة هذا الطبع واندفاعه وقرب هذا اللفظ واتساعه ولله رقة معانيه وارهافها وظهورها مع ذلك وانكشافها ولطف مواقعها من القلوب وسرعة تأثيرها في النفوس وسيرد من شعره فيما بعد مالاق بالمواضع التي يذكر فيها ان شاء الله تعالى

باب فى عراض الشعر وصنوفه

وهو بسط لما بعده من الابواب وقد فرط البسط له و ع من مقدمته فى باب حد الشعر وتبيينه وأنا ذاكرها مالابد منه .. تكلم قوم فى الشعر عند أبى الصقر اسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .. فكتب اليه أبوالعباس الناشئ

لعن الله صنعة الشعر ماذا من صنوف الجهال فيها لقينا

يؤثرون الغريب منه على ما كان سهلاً للسامعين مبينا

ويرون المحال شيئاً صحيحاً وخسيس المقال شيئاً ثمينا

يجهلون الصواب منه ولا يد رون للجهل أنهم يجهلونا

فهم عنـد من سوانا يـلامو ن وفى الحق عندنا يعذرونا

أعا الشعر ما تناسب فى النظـم وان كان فى الصفات فنونا

فأتى بعضه يشاكل بعضا قد أقامت له الصدور المتونا

كل معنى أتاك منه على ما تتمنى لو لم يكن أن يكونا

فتناهى عن البيان الى ان كاد حسناً يبين للناظرينا

فكأن الألفاظ منه وجوه والمعانى ركبن فيه عيونا

فائتا فى المرام حسب الأمانى يتحلى بحسنه المنشدينا

فاذا ما مدحت بالشعر حرا رمت فيه مذاهب المسهبينا

فجعلت النسيب سهلاً قريباً وجعلت المديح صدقاً مبينا

وتنكبت ما تهجن فى السمـع وان كان لفظه موزونا

واذا ما قرضته بهجـاء عفت فيه مذاهب المرفثينا

فجعلت التصريح منه دواء وجعلت التعريض داء دفينا

واذا ما بكيت فيـه على الغا دين يوما للبين والظاعنينا

حلت دون الأسى وذللت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا
من كنت عاتبا شنت في الوعـــد وعيدا وبالصعوبة لينا
وتركت الذي عتبت عليه حذرا آمنا عزيزا مهينا
وأصبح القرايص مافات في النظم وإن كان واضحا مستبينا
وإذا قيل أطمع الناس طرا وإذا رم أعجز المعجزينا

قال أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري كنت في حداثتي أروم الشعر وكنت أرجع فيه الى طبعي ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجسام وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله تعالى .. قال صاحب الكتاب قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له فلم أثق بحفظي فيه حتى صححته فأثبته بمكانه من هذا الباب. ومن قول الناشئ في معنى شعره الأول

الشعرُ ما قوَّمتَ زيغ صدوره وشددتَ بالتهذيب أسرَ متونه
ورأبتَ بالإطناب شعب صدوعه وفتحتَ بالإيجاز عورَ عيونه
وجمعتَ بين قريبه وبعيده ووصلتَ بين مجمه ومعينه

فاذا بكيت به الديار وأهلها أجريت للمحزون ماء شؤونه
واذا مدحت به جواداً ماجداً وقضيته بالشكر حق ديونه
أصفيته بنفيسه ورصينه وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلاً في اتساق صنوفه ويكون سهلاً في اتفاق فنونه
فاذا أردت كناية عن ريبة باينت بين ظهوره وبطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه بثبوته وظنونه بيقينه
واذا عتبت على أخ في زلة أدمجت شدته له في لينه
فتركته مستأنساً بدماثة مستيئساً لوعوره وحزونه
واذا نبذت الى التي علقتها بالصارمات مبينات شؤونه
تيمتها بلطيفه ودقيقه وشغفتها بمجونه وكمينه
واذا اعتذرت الى أخ من زلة واشكت بين مخيله ومبينه

وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الاغراض والصنوف واحداً فواحداً ان شاء الله سبحانه وتعالى

باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الالفاظ رسلها قريب المعاني سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الايثار رطب المكسر شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين . روى أبو علي اسماعيل بن القاسم عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن رواته عن كثير قال كنت مع جرير وهو يريد الشام فطرب وقال أنشدني لأخي بني مليح يعني كثيراً فأنشدته حتى انتهيت الى قوله

وأدنتني حتى اذا ما سبيتني   بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة   وخلفت ما خلفت بين الجوانح

فقال لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلي المخبر لخبرت حتى يسمع هشام على سريره ٠٠ وقال لأبي السائب المخزومي أترى أحداً لا يشتهي النسيب فقال أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد ٠٠ وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر ٠٠ وقال الحاتمي من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم متصلا به غير منفصل منه فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يجنبهم من شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان ٠٠ ومن مختار ما قيل في النسيب قول المرار العدوي

وهي هيفاء هضيم كشحها   فخمة حيث يشد المؤتزر
صلتة الخد طويل جيدها   ضخمة الثدي ولما ينكسر
يضرب السبعون في خلخالها   فاذا ما أكرهته ينكسر
لا تمس الأرض الا دونها   عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تطأ الخز ولا تكرمه   وتطيل الذيل منه وتجر
ثم يهتد على أنماطها   مثل ما مال كثيب منقعر
عبق العنبر والمسك بها   فهي صفراء كعرجون القمر
أملح الناس اذا جردتها   غير سمطين عليها وسور

قال عبد الكريم هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف وهي أشبه نساء الملوك ٠٠ وأنشد لغيره

قلملة لحم الناظرين بريبها شبت ومحصوص من العيش برد

أرادت لمنتاش الرواق فلم تقم إليه ولكن طأطأته الولائد

تناهي الى لهو الحديث كأنها أخو سقطة قد أسلمته العوائد

وأنواع النسيب كثيرة وهذا الذي أنشدته أوصله في مذاهب المتقدمين .. وللمحدثين طرق غير هذه كثيرة الأنواع أيضاً فمما اختار من ذلك من نسيب قول أبي نواس

حلت سعاد وأهلها سرفا قوماً عداً ومحلة قذفا

وكأن سعدى اذ تودعنا وقد اشرأب الدمع أن يكفا

رشأ تواصين القيان به حتى عقدن بأذنه شنفا

فان هذا في غاية الجودة ونهاية الاحسان وما ناسب قول مسلمة بن الوليد

أحب التي صدت وقالت لتربها دعيه الثريا منه أقرب من وصلي

أماتت وأحيت مهجتي فهي عندها معلقة بين المواعد والمطل

وما نلت منها نائلاً غير أنني بشجو المحبين الاولى سلموا قبلي

بلى ربما وكلت عيني بنظرة اليها تزيد القلب خبلاً على خبل

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحتري

رددن ما خففت منه الخصور الى ما في المآزر فاستثقلن أردافا

اذا نصين تثقوف الريط آونة قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافا

والبحتري أرق الناس نسيباً وأملحهم طريقة ألا تسمع قوله

اني وان جانبت بعض بطالتي وتوهم الواشون أني مقصر

ليشوقني سحر العيون المجتلى ويروقني ورد الخدود الأحمر

وشعره من هذا النمط لا سيما إن ذكر الطيف فانه الباب الذي تفرد به ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل وانما يقع له من ذلك الشيء اليسير في خلال القصائد مثل قوله

بتُ أرعى الحدود حتى اذا ما ... دبقوبى ثم ت أرعى الحجوما

وقوله أول قصيدة

أرامة كنت مألف كل ريم ... لو استمتعت بالانس المقيم
أدار البؤس حسنك التصابى ... الىّ فصرت جنات النعيم
ومما ضرم البرحاء أنى ... شكوتُ فما شكوت الى رحيم

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله

كثيباً توقانى العواذل في الهوى ... كما يتوقى ريضَ الخيلِ حازمه
قفى تغرم الأولى من اللحظ مهجتي ... بثانيةٍ والمتلفُ الشيءَ غارمه
سقاك وحيانا بك الله انما ... على العيس نورٌ والخدود كمائمه

فقد جاء بأملح شيء وأوفاه من الطرفة والغرابة .. وقوله يذكر ربع أحبابه

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلمّ به ركبا
نذمّ السحابَ الغرّ فى فعلها به ... ونعرض عنها كلما طلعت عتبا

وقال فى ذكر الديار أيضاً

ودسنا بأخفافِ المطيّ ترابها ... فلا زلتُ أستشفى بلثم المناسم
ديارُ اللواتى دارهنّ عزيزةٌ ... بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم
حسان التثنى ينقش الوشيُ مثله ... اذا مس فى أجسامهن النواعم
ويبسمن عن در تقلدن مثله ... كأنّ التراقى وشحت بالمباسم

ورد جماعة من الكتاب على العتابى وهو يحلب وفي يده رقعة وقد أطال فيها النظر والتأمل فقال أرأيتم الرقعة التى كانت فى يدي قالوا نعم قال لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره ولله دره وكان فى الرقعة قول أبى نواس

رسمُ الكرى بين الجفونِ محيل ... عفي عليه بكا عليك طويل
* يا ناظراً ما أقلعتْ لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيل

الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال أغزل بيت قالته العرب قول عمر بن أبي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كل عين من تود

وكان الاصمعي يقول أغزل بيت قالته العرب قول امرئ القيس

وما ذرفت عيناكِ الا لتضربي بسهميكِ في اعشارِ قلبٍ مقتل

وحكي عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال لم تقل العرب بيتاً أغزل من قول جميل بن معمر

لكل حديثٍ بينهن بشاشةٌ وكلّ قتيلٍ عندهن شهيد

وفضلته بهذا البيت سكينة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله عليهم وأثابته به دون جماعة من حضر من الشعراء .. وقال بعضهم الأحوص من أغزل الناس بقوله

اذا قلتُ إني مشتفٍ بلقائها وحمّ التلاقي بيننا زادني سقما

وقال غيره بل جميل بقوله

يموتُ الهوى مني اذا مالقيتُها ويحيي اذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر بل جرير بقوله

فلما التقى الحيانِ ألقيتِ العصى ومات الهوى لما أصيبت مقاتلهْ

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الابيات الثلاثة لزيادته سقماً اذا التقى بالمحبوب .. وقال الحاتمي أغزل ماقاله العرب قول أبي صخرَ

فيا حبَّها زدني جوىً كلّ ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدكِ الحشر

وقال أبو عبيدة ما حفظت شعراً لمحدث الاّ قول أبي نواس

كأن ثيابه أطلعـن من أزراره قمـرا

يزيدُك وجههُ حسناً اذا ما زدته نظرا

بعينٍ خالطَ التفتيرُ من أجفانها الحورا

وخدٍّ سابرى لو تصوب ماؤه قطرا

٠٠ وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم وهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو ليلى وهند وسلمى ودعد ولبنى وعفرى وأروى وريا وفاطمة ومية وعلوة وعائشة والرباب وجمل وزينب ونعم وأشباههن ٠٠ ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي أنشده الأصمعي

وما كان طي حبها غيرَ أنه يقام بسلمي للقوافي صدورُها

وأما عزة وبثينة فقد حماهما كثير وجميل حتى كأنما حُرِّما على الشعراء ٠٠ وربما أتى الشعراء بالاسماء الكثيرة في القصيدة اقامة للوزن وتحلية للنسيب كما قال جرير

أجدَّ رواحُ القوم بل لات روَّحوا نعم كلَّ مَن يعنى بجملٍ مبرَّح

ثم قال بعد بيت واحد

اذا سايرتْ أسماءُ يوماً ظعائناً فأسماءُ من تلكَ الظعائنِ أملح

ظللن حوالىْ خدرِ أسماءَ فانتحي بأسماءَ موّارُ الملاطين أروح

صحا القلبُ عن أسماء قد ربَّحتْ به وما كان يلقى من تماضرَ أبرحُ

وأما قول السيد الحميرى

ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدُّمى هندٌ وعبدة والرباب وبوزع

فانه ثقيل من أجل بوزع ٠٠ وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير فما ظنك بالسيد الحميري وكلما كانت اللفظة أحلى كان ذكرها في الشعر اشهى اللهم الا أن يكون الشاعر لم يرد الاسم وانما قصد الحقيقة لا اقامة الوزن فحينئذ لاملامة عليه مالم يجد في الكنية مندوحة ٠٠ وقال يزيد بن أم الحكم

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ معمودا اذا أقولُ صحا يعتاده عيدا

كأن أحورَ من غزلانِ ذي بقرٍ أهدى لعائشةَ العينين والجيدا

على أن بعضهم رواه أهدى لها شبه العينين وهو أجود لامحالة ومثل هذا كثير في أشعار القدماء ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ولا علمته وقع لاحد منهم الا ما ناسب قول السيد المتقدم آنفاً وقول أبي تمام الطائي

وان رحلتْ في ظعنهم وحدوجهم   رياتُ من أحبابنا وعواتكُ

ومن عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل ويقل المدح كما يحكي عن شاعر أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة أبيات مديحاً فقال له نصر والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك فان أردت مديحي فاقتصد في النسيب فغدا عليه فأنشده

هل تعرفُ الدارَ لأمِّ عمرو   دعْ ذا وحبرْ مدحة في نصر

فقال نصر لا هذا ولا ذاك ولكن بين الأمرين ٠٠ فأما مذهبه الأول في طول النسيب وقصر المديح فان نصيباً اتبعه فيه ولكن ذاك منه انما كان على اقتراح في القصيدة التي مدح بها بني جعفر بن كلاب وأما المذهب الثاني فانتحله أبو الطيب في قوله

وأحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ   ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

ثم خرج الى المدح في البيت الثاني ٠٠ وعاب على الشاعر أن يفتخر أو يتعاطى قدرة كما أخذ على عباس قوله

فان تقتلوني لا تفوتوا بمهجتي   مصاليتَ قومي من حنيفةَ أو عجل

وعيب على الفرزدق وهو ضمضم بن عمر قوله

ياأختَ ناجيةَ بن سامةَ إنني   أخشى عليكِ بنيَّ ان طلبوا دمي

اللهم الاَّ أن يكون النسيب الذي تصنع مجازاً كالذي في بسط القصائد فان ذلك لا بأس به ولا مكروه فيه ٠٠ وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي ربيعة المخزومي

بينما ينعتنني أبصرنني   دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالتِ الكبرى أتعرفنَ الفتى   قالتِ الوسطى نعم هذا عمر

قالتِ الصغرى وقد تيمتها   قد عرفناهُ وهل يخفى القمر

فقالوا له أنت لم تنسب بهن وانما نسبت بنفسك وانما كان ينبغي لك أن تقول قالت لي فقلت لها فوضعت خدي فوطئت عليه وكذلك قال له كثير لما سمع قوله

قالت لها أختها تعاتبها ... لا تفسدن الطواف في عمر
قومي تصدي له لأبصره ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرت تشتد في أثري

أهكذا يقال للمرأة انما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة ٠٠ قال بعضهم أظنه عبد الكريم العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المماوت وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة وهذا دليل كرم النحيزة في العرب وغيرتها على الحرم ٠٠ وعاب كثير على نصيب قوله

أهيم بدعد ما حييت فان أمت ... فياليت شعري من يهيم بها بعدي

حتى أنه قال له كأنك اغتممت لمن يفعل بها بعدك وهو لا يكني ٠٠ ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب وقد دخل على علي بن عبد الله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو محبوس فقال أين هذا الجعفري الذي يتذيث في شعره قال علي فعلمت أنه يريدني لقولي

ولما تدانى أنها لا تحبني ... وأن هواها ليس عني بمنجلي
تمنيت أن تهوى سواي لعلها ... تذوق صبابات الهوى فترق لي
فما كان الا عن قليل وأشغفت ... بحب غزال أدعج الطرف أكحل
وعذبها حتى أذاب فؤادها ... وذوقها طعم الهوى والتذلل
فقلت لها هذا بهذا فأطرقت ... حياء وقالت كل من عايب ابتلى

فقلت أنا هو جعلت فداك وأنا الذي أقول في الغيرة

ربما سرني صدودك عني ... وطلابيك وامتناعك مني
حذراً أن أكون مفتاح غيري ... فاذا ما خلوت كنت التمني

ويعاب ما ناسب قول الآخر وهو جميل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

لان الصواب قول عباس أو مسلم

أبكي وقد ذهبَ الفؤادُ وإنما أبكي لفقدِ الذاهب

فأما طرد الخيال والمجاراة في المحبة فهو مذهب مشهور وتدركه حبه الشعراء ورواه رواة منهم طرفة ولبيد ثم جرير ثم جميل فقال طرفة وهو أول من طرقه

فقـل لخيالِ الحنظلية ينقلب إليها فإني واصلٌ حبلَ من وصل

وقال لبيد في مثل ذلك

فاقطع لبانةَ من تعرّضَ وصلُه ولشرُّ واصل خلة صرّامها

يقول اقطع المرار ممن تعرض وصله للقطيعة ويقال تعرض الشيء اذا فسد حكاه الخليل فان شر من وصالك من قطعك بلا ذنب يريد الذي تعرض وصله ومن الناس من رواه ــ ولخير واصل خلة صرامها ــ يقول إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق نعى نفسه .. وقال جرير

طرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

على أن قوما زعموا أنه كان محرما فلذلك طرد الخيال كأنه تحرج وليس طرد عتب .. وقال جميل

ولستُ وان عزّتْ عليَّ بقائلٍ لها بعـدَ صرمٍ يا بُثينُ صلينى

وجرى على سنن هؤلاء جماعة من المولدين واعتقدوا هذا المذهب قولا وفعلا حتى تعداه بعضهم الى القتل مثل عبد السلام بن رغبان ونصر الخبزأرزي ومن شاكلهما من الشطار الا أن أصل هذا المذهب عند قدامة فاسد وعاب على نابغة بنى ثعلب واسمه الحارث بن عدوان أحد بنى زيد بن عمرو بن غنم بن ثعلب قوله

بخلنـا لبخلكِ لو تعلمـينَ وكيفَ يعيبُ بخيلٌ بخيلاَ

لان الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا وكل مالا يليق بالمحبوب فهو مكروه في باب النسيب .. قالت عزة لـكثير يوماً ويقال بثينة ما أردت بنا حين قلت

وددتُ وبيتِ اللهِ أنكِ بكرةٌ هجانٌ وانى مصعبٌ ثم نهربُ

كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقـلْ على حسنها جرباءُ تعدى وأجربُ

يكونُ لدى مال كثير معمل   فلا هو يرعانا ولا نحنُ نطلبُ
اذا ما وردنا منهلاً صاحَ أهلهُ   علينا فلا نملك نرمي ونضرب

لقد أردت بنا التقاء أما وجدت أمية أوطأ من هذه تخرج من عندها خجلاء ٠٠ وانما قتدي بالفرزدق حيث يقول وهذا من سوء الاتبع

ألاَ ليتنا كنا بعيرين لا نردْ   على حاضرٍ الا نشلُّ ونقذفُ
كلانا به عرٌّ يخافُ قرافهُ   على الناسِ مطليٌّ الأشاعرأحشف
بأرضٍ خلاء وحدنا وثيابنا   من الرّيطِ والديباجِ درعٌ وملحفُ
ولا زاد الاّ فضلتان سلافةٌ   وأبيضُ من ماء الغمامةِ قرقفُ
وأشلاء لحم من حباري نصيدُها   اذا نحنُ شئنا صاحبٌ متألفُ
لنا ما تمنينا من العيشِ ما دعا   هديلاً بفنانٍ حمائم هتف

واذا كان بعيراً فماهذه الأمنية التي كلها للحيوان الناطق لولا أنه ردها الى نفسه حقيقة والا فما أمانع الجمل بشواء بصيد الحبارى بالبازى ومعايب هذا الباب كثيرة وفيماقدمت منها دليل على باقيها ٠٠ واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله الارتفاع كأن الشباب ارتفع عن حال الطفولية أو رفع صاحبه ويقال شب الفرس اذا رفع يديه وقام على رجليه ٠٠ قال الجاحظ يقال شبت النار شبوباً وشب الفرس بيديه فهو يشب شبيباً ويقال مالك عصاص ولاشباب اقصى كلامه ٠٠ ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الخمار وجه الجارية اذا جلاه ووصف ما تحته من محاسنه فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية في صفته اياها وجلاها للعيون ومنه الشب الذى تجلى به وجوه الدنانير وتستخرج غشها ومنهما شبت النار اذارفعت سناها وردتهاضياء ٠٠ وأنشد الأصمعي لعكاشة بن أبي مسعدة

* يدفعُ عنها كلَّ مشبوب أغر *

وقال المشبوب الذى اذا رأيته فرعت لحسنه ٠٠ قال ابن دريد شبت في الشعر شبيباً مثل سببت سبيبا والسبيب أكثر ما يستعمل في الشعر

باب في المديح

وينبغي للشاعر اذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الايضاح والاشادة بذكره للممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل فان للملك سآمة وضجراً ربما عاب من أجلها مالا يعاب وحرم من لا يريد حرمانه ورأيت عمل البحتري اذا مدح الخليفة كيف يقل الأبيات ويبدد وجوه المعاني فاذا مدح الكتاب عمل طاقته وبلغ مراده .. وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال يابني اذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة فانه ينسي أولها ولا يحفظ آخرها واذا هجوتم فخالفوا .. قال عبد الكريم وهذا ضد قول عقيل بن علفة المرادي وحكى غيره قال دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم فقال له عبد الرحمن أبا فراس دعني من شعرك الذي ليس يأتي آخره حتى ينسى أوله وقال قل في بيتين يعلقان بالرواة وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي فغدا عليه وهو يقول

وأنت ابنُ بطحاوى قريشٍ وان تشأ ... تكن من ثقيفٍ سيل ذي حدبٍ غمر

وأنت ابنُ سوّار المدينِ الى العلى ... تكشفت بك الشمسُ المضيئةُ للبدرِ

فقال أحسنت وأمر له بعشرة آلاف درهم..واذا كان الممدوح ملكا لم يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب وذلك محمود وسواه المذموم وان كان سوقة فاياك والتجاوز به خطته فانه متى يجاوز به خطته كان كمن نقصه منها وكذلك لا يجب أن يقصر عما يستحق ولا أن يعطيه صفة غيره فيصف الكاتب بالشجاعة والقاضي بالحمية والمهابة وكثيراً ما يقع هذا لشعراء وقتنا وهو خطأ الاّ أن تصحبه قرينة تدل على صواب الرأي فيه وكذلك لا يجب أن يمدح الملك ببعض ما يتجه في غيره من الرؤساء وان كان فضيلة وذلك مثل قول البحتري يمدح المعتز بالله

لا العذلُ يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

فانه مما أنكر عليه أبو العباس احمد بن عبد الله وقال من ذا يعنف الخليفة على الكرم أو

بصده هذا بالهجاء أولى منه بالمدح وعيب علي الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم · لابيض لاعاري الخوان ولاجدب

وقالوا لو مدح بها حرسيا لعبد الملك لكان قد قصر به قلت أنا وإن كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى فقول ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير

يلبس الجيش بالجيوش ويسقي · لبن البخت في عساس الخلنج

لان هذا وإن لم يعد به ممادحة العرب في سقي اللبن فقد زاده رتبة عرف بها أنه ملك ٠٠ وأجود منه في معناه قول حسان في آل جفنة

يسقون من ورد البريص عليهم · بردى يصفق بالرحيق السلسل

ويروى مسكا وعابوا علي الاحوص قوله للملك

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم · مذق الحديث يقول مالا يفعل

وقالوا ان الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة وإنما تمدح بالاعراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لمثله ٠٠ ومن هذا النوع قول كثير

رأيت ابن ليلى يعتري صلب ماله · مسائل شتى من غنى ومصرم

مسائل ان توجد لديك تجد بها · يداك وإن تظلم بها تتظلم

لان هذا إنما يقع لمن دون الخليفة والملك وإنما أخذه من قول زهير في هرم بن سنان وليس بملك ولذلك حسن قوله

هو الجواد الذي يعطيك نائله · عفواً ويظلم أحيانا فيظلم

يريد أنه يسأل أحياناً ما ليس قبله فيحتمله هذا وقد قال الصولي في شرح قول حبيب

لو يفاجي ركن المديح كثير · بمعانيهن خالهن نسيبا

طاب فيه المديح والتذ حتى · فاق وصف الديار والتشبيبا

سألت عون بن محمد الكندي لم خص كثيراً فقال سمعته يقول أمدح الناس زهير والأعشي ثم الأخطل وكثير ٠٠ وحكى غير الصولي أن مروان بن أبي حفصة كان يقدم كثيراً في المدح على جرير والفرزدق ومما قدم به زهير قوله

لو كان يقعدُ فوقَ النجمِ من كرمٍ قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
انسٌ اذا أمنوا جنٌّ اذا فزعوا مرزّؤن بهاليلٌ اذا جهدوا
محسّدون على ما كانَ من نعمٍ لا ينزعُ اللهُ عنهم ماله حسدوا

ويروى - غرٌّ بهاليل فى أعناقهم صيد - .. وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال فى كتابه نقد الشعر لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق فى ذلك انما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً .. فقال زهير

أخي ثقةٍ لا تُهلكُ الخمرُ ماله ولكنه قد يهلكُ المالَ نائله

لأنه قد وصفه بالعفة لقلة امعانه فى اللذات وانه لا ينفد فيها ماله وبالسخاء لاهلاكه ماله فى النوال وانحرافه الى ذلك عن اللذات وذلك هو العقل ثم قال

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تُعطيه الذى أنتَ سائله

أراد أن فرحه بما يعطى أكثر من فرحه بما يأخذ فزاد فى وصف السخاء منه بأن جعله بهش ولا يلحقه مضض ولا تكرّه لفعله .. ثم قال

فمن مثل حصنٍ فى الحروبِ ومثله لانكارِ ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله

فأتى فى هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الانسان على الحقيقة وزادها ما هو وان كان داخلا فى الاربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال - أخي ثقة - فوصفه بالوفاء والوفاء داخل فى هذه الفضائل التى قدمنا وقد تفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الاربع وأقسامها وكل داخل فى جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى وهي من أقسام العقل .. وكذكرهم القناعة وقلة الشهوة وطهارة الازار وغير ذلك وهي من أقسام العفة

وكذ كرهم الحماية والاخذ بالثأر والدفع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الاقران والمهابة والسير فى المهامه والقفار الموحشة وما شاكل هذا وهو من أقسام الشجاعة وكذ كرهم السماحة والتغابن والانظلام والتبرع بالنائل والاجابة للسائل وقري الاضياف وما جانس هذه الاشياء وهي من أقسام العدل ٠٠ وأما تركب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام تحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركب العقل مع السخاء البر وانجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركيب العقل مع العفة النزه والرغبة عن المسئلة والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك ٠٠ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما جانس ذلك وعن تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن تركيب السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك ٠٠ قال وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين مدح أبوالعتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال عجباً لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض أن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد أتى أبو العتاهية فنسب فى أبيات يسيرة ٠٠ ثم قال

أني أمنتُ من الزمانِ وريبه	لما علقتُ من الاميرِ حبالا
لو يستطيعُ الناسُ من اجلاله	لحذوا له حرَّ الخدودِ نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها	قطعتْ اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً	واذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا

ومن مليح ما لابى العتاهية فى المدح قوله

فتي ماالستفاد المالَ الاَّ أفاده	سواه كانَّ الملكَ فى كفه حلم
اذا اسم المهدىّ نادتْ بنيهُ	ألاَ من أتانا زائراً فله الحكم

وله أيضاً فى معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم

فما مثل بيته في العالمين أعز بناء ولا أرفع
فبيت بناه له هاشم وبيت بناه له تبع
ولو حاول الدهر ما في يديه لعاد وعرنينه أجدع

ومن المدح المنصوص عليه قول زهير

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل
وان جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الجهل
على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل
سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلاموا ولم يألوا
فما كان من خير أتوه فانما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل

وكذلك أيضاً قوله

من يلق يوما على علاته هرماً يلق السماحة منه والندى خلقا
ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما كذب الليث عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا
فضل الجواد على الخيل البطاء فلا يعطى بذلك ممنوناً ولا نزقا
هذا وليس كمن يعيي بخطبته وسط الندي اذا ما ناطق نطقا
لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الأفقا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما اختاره قدامة وغيره وكذلك ما ناسب حسن الروية وسرعة الخاطر بالصواب وشدة الحزم وقلة الغفلة وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأى أو بالذات كما قال أبو نواس

اذا نابه أمر فاما كفيته واما عليه بالكفي تشير

وبأنه محمود السيرة حسن السياسة لطيف الحس فان أضاف الى ذلك البلاغة والخط

وكذ كرهم الحماية والاخذ بالثأر والدفع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الاقران والمهابة والسير في المهامه والقفار الموحشة وما شاكل هذا وهو من أقسام الشجاعة وكذ كرهم السماحة والتعاس والانطلام والتبرع بالنائل والاجابة للسائل وقرى الاضياف وما جانس هذه الاشياء وهي من أقسام العدل ٠٠ وأما تركيب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركب العقل مع السخاء البر وانجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركب العقل مع العفة التنزه والرغبة عن المسئلة والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك ٠٠ وعن تركب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما جانس ذلك وعن تركب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم وعن تركيب السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك ٠٠ قال وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين مدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال عجباً لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض أن أحدكم يأتينا بمدحها فينسب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد أتى أبو العتاهية فنسب في أبيات يسيرة ٠٠ ثم قال

أني أمنتُ من الزمانِ وريبه	لما علقتُ من الاميرِ حبالا
لو يستطيعُ الناسُ من اجلاله	لحذوا له حرَّ الخدودِ نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها	قطعتْ اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً	واذا صدرنَ بنا صدرنَ ثقالا

ومن مليح ما لابي العتاهية في المدح قوله

فتى ما استفاد المالَ الاَّ أفاده	سواه كأنَّ المالَ في كفه حلم
اذا ابتسم المهديّ نادتْ يمينُهُ	ألا مَن أتانا زائراً فله الحكم

وله أيضاً في معنى بيتي الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم

فما مثلُ بيته في العالمين أعز بناء ولا أرفعُ
فبيتٌ بناهُ له هاشمٌ وبيتٌ بناه له تبعُ
ولو حاول الدهرُ ما في يديه لعادَ وعرنينه أجدعُ

ومن المدح المنصوص عليه قول زهير

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل
وان جئتهم ألفيتَ حولَ بيوتهم مجالسَ قد تشفى بأحلامها الجهل
على مكثريهم حقّ من يعتريهم وعند المقلين السماحةُ والبذلُ
سعى بعدَهم قومٌ لكيْ يدركوهم فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا
فما كان من خيرٍ أتوهُ فانما توارثهُ آباءُ آبائهم قبل
وهل ينبتُ الخطيّ الاّ وشيجهُ وتغرسُ الاّ في منابتها النخلُ

وكذلك أيضاً قوله

من يلقَ يوما على علاته هرماً يلقَ السماحةَ منه والندى خلقا
ليثٌ بعثرَ يصطادُ الرجالَ اذا ما كذّب الليثُ عن أقرانه صدقا
يطعنهم ما ارتموا حتى اذا طعنوا ضاربَ حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا
فضلَ الجوادِ على الخيل البطاء فلا يعطي بذلك ممنوناً ولا نزقا
هذا وليس كمن يعيي بخطبته وسطَ الندىّ اذا ما ناطقٌ نطقا
لو نالَ حيٌّ من الدنيا بمكرُمةٍ أفقَ السماء لنالت كفهُ الأفقا

وينبغي أن يكون قصد الشاعر في مدح الكاتب والوزير ما ختاره قدامة وغيره وكذلك ما ناسب حسن الروية وسرعة الخاطر بالصواب وشدة الحزم وقلة الغفلة وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه في المعضلات بالرأى أو بالذات كما قال أبو نواس

اذا نابه أمرٌ فاما كفيتهُ واما عليه بالكفيّ تشير

وبأنه محمود السيرة حسن السياسة لطيف الحس فان أضاف الى ذلك البلاغة والخط

والمفن فى العلم كان غاية ٠٠وأفضل ماتمدح به القائد الجود والشجاعة وماتفرع منها، نحو التحرق فى الهيئات والافراط فى النجدة وسرعة البطش وما شاكل ذلك ٠٠ و يمدح القاضي بما ناسب العدل والانصاف وتقريب البعيد فى الحق وتبعيد القريب والاخذ للضعيف من القوي والمساواة بين الفقير والغنى وانبساط الوجه ولين الجانب وقلة المبالاة فى اقامة الحدود واستخراج الحقوق فان زاد الى ذلك ذكر الورع والتحرج وما شاكلهما فقد بلغ النهاية ٠٠ وصفات القاضي كلها لائقة بصاحب المظالم ومن كان دون هذه الثلاث الطبقات سوي طبقة الملك فلا أري لمدحه وجهاً فان دعت الى ذلك ضرورة مدح كل انسان بالفضل في صناعته والمعرفة بطريقته التى هو فيها وأ كثر ما يعول على الفضائل النفسية التى ذكرها قدامة فان أضيف اليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والابهة و بسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرة العشير كان ذلك جيداً الاَّ أن قدامة قد أبى منه وأنكره جملة وليس ذلك صوابا وانما الواجب عليه أن يقول ان المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح فأما انكار ماسواها كرة واحدة فما أظن أحداً يساعده فيه ولا يوافقه عليه ٠٠وقد كره الحذاق أن يمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات ويروى لغيره

ليسَ فيما بدا لنا منك عيبٌ عابه الناسُ غيرَ أنك فانى

أنتَ نعم المتاعُ لو كنتَ تبقي غيرَ ان لا بقاءَ للانسان

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام وهو الخليفة يريد الصلاة وبطرفى المرآة فأعجبه جماله وكان حسن الوجه فقال أنا الملك الشاب و يروى الفتي فتلقته احدى حظاياه فقال لها كيف ترينى فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرها فتطير منهما ورجع فحم فما بات الاميتاً تلك الليلة ٠٠ و روي عن بعض الملوك أنه قال ماهؤلاء الشعراء قاتلهم الله زعما ذكروا شيئاً نحن أكثر ذكراً له منهم فيغصصون به علينا أوقات لذتنا نعني بذلك الموت ومن أشنع مافى ذلك قول أبى تمام

فليطل عمره فلومات َ فى طو سَ مقيما لماتَ فيها غريبا

فما الذى دعاه الى ذكر الموت ههنا الا النكد والمعاصة ٠٠أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحمله الناقةُ الادماء معتجراً بالبرد كالبدر جلى ليلةَ الظلمِ
وفي عطافيه أو أثناء ريطتهِ ما يعلمُ اللهُ من دين ومن كرمِ

والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبل الجمحي ويناسبه قول الحجاج

يحملنَ كلّ سوذَدٍ وفخرٍ يحملن ما ندري وما لا ندري

قال الأصمعي وأصله قول الحارث بن حلزة

وفعلنا كما علِمَ الله وما أن للحائنين دماء

قال ولم يقل قط شاعراً كما نعلم أحسن من هذه الثلاثة المعاني . قال أبو العباس المبرد من الشعراء من يحمل المدح فيكون ذلك وجهاً حسناً لنوعه لارادة مع خلوه من الاطالة وبعده من الاكثار ودخوله في الاختصار . . وذلك نحو قول الحطيئة

يزور فتى يعطي على الحمدِ ماله ومن يعطِ أثمانَ المكارمِ يحمدِ
تزور فتى يعطي على الحمدِ ماله ويعلم أن المرء غير مخلد
يرى البخلَ لا يبقي على المرء مالَهُ ويعلم أن المرءَ غيرُ مخلد

ورواه غيره – أن المال غير مخلد –

كسوبٌ ومتلافٌ اذا ما سألته تهللَ واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خيرَ نار عندها خير موقدِ

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح وأتى بجماع الوصف وجملة المدح على سبيل الاقتصار في البيت الأخير . . ومثله قول الشماخ

رأيت عرابةَ الاوسي يسمو الى العلياء منقطع القرين
اذا ما رايةٌ رفعت لمجدٍ تلقاها عرابةُ باليمين *

انتهى كلامه ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره اصابة للغرض ما يناسب قول ابن هرمة للمنصور

له لحظاتٌ عن حفا في سريره اذا كرّها فيها عقابٌ ونائل

فأما الذي أمنت آمنه الردى   وأما الذي أوعدتَ بالثكل ثاكل

وقول أبي العتاهية في مدح الهادي

تضطرب الخوف والرجاء اذا   حركَ موسى القضيبَ أو فكرْ

وكذلك قول الحزين الكناني في عبدالله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه بمصر ويروي للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقيل بل قالها فيه اللعين المنقري وقيل بل الأبيات لداود بن مسلم في قثم بن العباس بن عبد الله ابن العباس

في كفه خيزران ريحه عبق   من كفِّ أروعَ في عرنينه شممُ

يغضي حياء ويغضى من مهابته   فما يكلم الأ حينَ يبتسمُ

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث اليهم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النميري في أمير المؤمنين الرشيد

ان المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ   أحلكَ اللهُ منها حيثُ تجتمعُ

اذا رفعتَ امرأً فالله رافعه   ومن وضعتَ من الأقوام متضعُ

من لم يكن بأمين الله معتصما   فليسَ بالصلواتِ الخمسِ ينتفعُ

ان أخلفَ الغيثُ لم تخلف أنامله   أو ضاقَ أمرٌ ذكرناهُ فيتسع

فليدخل فقال محمد بن وهب فينا من يقول خيراً منه وأنشد

ثلاثةٌ تشرقُ الدنيا ببهجتهم   شمسُ الضحى وأبو اسحاق والقمرُ

يحكي أفاعله في كلِّ نائبةٍ   الغيثُ والليثُ والصمصامةُ الذكر

فأمرَ بادخاله وأحسن صلته .. قالوا لما حضرت الحطيئة الوفاة قال أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل

قال ثعلب بل قول الأعشى

فتى لو يباري الشمسَ ألقت قناعها أو القمرَ الساري لألقى المقالدا

أمدح منه .. وقال أبو عمرو بن العلاء بل بيت جرير

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راحِ

أسير ما قيل في المدح وأسهله .. وقال غيره بل قول الأخطل

شمسُ العداوة حتي يستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قدروا

وقال دِعبل بل قول أبي الطمحان القيني

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليلِ حتى نظم الجزع ثاقبه

قال وقد تنازع في هذا البيت يعني بيت أبي الطمحان قوم وفي بيت حسان في آل جفنة وبيت النابغة

فانكَ شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و بيت أبي الطمحان أشعرها .. قال الحاتمي بل بيت زهير

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وحكي عليّ بن هارون عن أبيه انه قال أجمع أهل العلم على ان بيتي أبي نواس أجود ما للمولدين في المدح وهما قوله

أنتَ الذي تأخذ الأيدي بحجزته اذا الزمان على أبنائه كلحا

وكانَ بالدهر عيناً غيرَ غافلة من جودِ كفك تأسو كلما جرحا

الحاتمي عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال سمعت ابن الاعرابي يقول أمدح بيت قاله مولد قول أبي نواس

تغطيتُ من دهري بظل جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسألُ الاحداثُ عني ما درت وأين مكاني ما عرفن مكاني

قال صاحب الكتاب نحن الى الانصاف أحوج منا الى المكابرة والخلاف وأبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل والا فما في صفة الخمول أشد مما وصف

لاسيما على رواية من روي - فلو تسأل الأيام عني - ومن جيد ما سمعته لمحدث وأطبه لابن الرومي في عبد الله بن سليمان بن وهب ورأيت من يرويه لأبي الحسين أحمد بن محمد الكاتب

اذا أبو قاسم جادت لنا يده لم يحمد الأجودان البحرُ والمطر
ولو أضاءت لنا أنوار غرته تضاءل النيران الشمسُ والقمر
وان مضى رأيه أو حدَّ عزمته تأخر الماضيان السيفُ والقدر
من لم يبت حذراً من خوف سطوته لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذر
ينال بالظن ما يعيي العيان به والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه ورمامُ الدهر في يده يرى عواقبَ ما يأتي وما يذر

وقال خلف الأحمر أغلب المدح وأكثره ملقا قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
أخو ثقةٍ لا يهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المالَ نائله
غدوتُ عليه غدوةً فوجدته قعوداً لديه بالصريم عواذله
يفدّيه طوراً وطوراً يلمنه وأعيى فما يدرين أين مخاتله
فأعرضن منه عن كريم مرزَّء عزوم على الأمر الذي هو فاعله

وقال طفيل الغنوي

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت

وقال الاصمعي أحلى الشعر قول حمزة بن بيض

تقول لي والعيون هاجعة أقم علينا يوماً فلم أقم
أي الوجوه انتجعت قلت لها لا أي وجه إلا الى الحكم
متى يقل حاجبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلا فهات إذ حلّ عطى سمي

وسأل الرشيد المفضل الضبي أي بيت قالته العرب أمدح فقال

أغرّ أبلجُ تأتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نار

هكذا روايته فيه قال شرحبيل بن معن بن زائدة كنت أسير تحت قبة يحيى بن خالد وقد حج مع الرشيد وعديله أبو يوسف القاضي اذ أتاه أعرابي من بني أسد كان يأتيه اذا حج فيمدحه فأنشده شعراً أنكر يحيى منه بيتاً فقال يا أخا بني أسد ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ألا قلت كما قال الشاعر

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ

هم يمنعونَ الجارَ حتى كأنما لجارهمُ بينَ السماكين منزل

بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيعُ الفاعلون فعالهم وان أحسنوا في النائبات وأجملوا

فقال أبو يوسف لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه فقال يحيى يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى وأومأ إليّ فكان قوله أسر الي من جليل الفوائد ثم التفت الىّ وقال يا شرحبيل أنشدني أجود ماقاله ابن أبي حفصة في أبيك فأنشدته

نعمَ المناخُ لراغبٍ ولراهبٍ ممن تصيبُ جوائح الأزمان

معنُ بن زائدةَ الذي زيدت به شرفاً على شرفٍ بنو شيبان

ان عُدَّ أيام اللقاء فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان

يكسو الاسرةَ والمنابرَ بهجةً ويزينها بجهارةٍ وبيان

تمضي أسنتهُ ويسفر وجهه في الحربِ عند تغير الالوان

نفسي فداك أنا الوليد اذا بدا رهجُ السنابك والرماحُ دواني

فقال يحيى أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك أجود من هذا قوله

ــ ه وره عد ــا وأشكلا فلان بدرى أي يومه أوصل

أيوم ده ه نعمر أم يوم بأسه وما منهما الا أغرّ محجل

ومما أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

فاعتب القول من مؤادي والشعر الى من اليه معتتب

الى السراج المنير أحمد لا يعدلني رغبة ولا رهب

عنه الى غيره ولو رفع الناس الي العيون وارتقبوا

وقيل أفرطت بل قصدت ولو عنفني القائلون أو ثلبوا

اليك يا خير من تضمنت الأرض ولو عاب قولي العيب

لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج والصخب

قالوا من هذا الذي يقول في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو يعنفه أو يثلبه أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب وهذا كله خطأ منه وجهل بمواقع المدح وقال من احتج له لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم وانما أراد عليا رضي الله عنه فورى عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفا من بني أمية .. ومن الشعراء من ينقل المديح من رجل الى رجل وكان ذلك دأب البحتري وفعله أبو تمام في قصائد معدودة منها

* قدك أتئب أربيت في الغلواء *

نقلها عن يحيى بن ثابت الى محمد بن حسان فأما الذي قال هي بناتي أنكحهن من شئت فهو معذور ان لم يثب فاما ان اثيب فذلك منه قلة وفاء وفرط خيانة

باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه الا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن في

المدح حسن فى الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار ‥ فمن أحسن ما قيل فيه

قول الفرزدق

إن الذي سمك السماء بنى لنا   بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال احمد بن يحيى أفخر بيت قالته العرب قول صفي ...

ما ينكر الناس حين نسبهم   كدو عبيداً وكرام

وقال دعبل بن علي أفخر الشعر قول كعب بن مالك

وببدر إذ يرد وجوههم   جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقال الجاحظ قول الفرزدق

ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

قال وتلاه قول جرير

إذا غضبت عليك بنو تميم   حسبت الناس كلهم غضابا

وقال آخرون بل بيت الفرزدق

ونحن إذا عدت معد قديمها   مكان النواصي من وجوه السوابق

وقال غيرهم بل قوله لجرير

وإذا نظرت رأيت فوقك دارماً   والشمس حيث تقطع الأبصار

وقيل بل قول ابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد

ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت   على الشمس لم تطلع عليك حجابها

وأفخر بيت صنعه محدث عندهم بشار

إذا ما غضبنا غضبة مضرية   هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة   ذرى منبر صلى علينا وسلما

ويروي   * هتكنا سماء الله أو مطرت دما *

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

ونحن وصفنا دون كل قبيلة بأس شديد في الكتاب المنزل

وانا لنلهو بالحروب كما لهت فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

يعني قول الله عز وجل ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد ﴾ ودعوا في خلافة أبي بكر الى قتال أهل الردة من بني حنيفة وبسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب وقال كيف يفتخر على مضر ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .. وممن افتخر بالكثرة أوس ابن مغراء .. قال

ما تطلع الشمس الا عند أولنا ولا تغيب الا عند أخرانا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه لان كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم والذي ذهب اليه حسن وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

وانما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول

وما سودت عجلا مآثر غيرهم ولكن بهم سادت على غيرهم عجل

قال وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح ويغض من حسبه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح أن يحمل الممدوح بشرف آبائه والآباء يزداد شرفاً به فيحمل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيبا واذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصا لكل فريق منهم لان شرف الوالد جزء من ميراثه ومنتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الوالد بعم القبيلة والولد منه القسم الأوفر والحظ الاكبر .. قال صاحب الكتاب والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي

انا وان احسابنا كرمت لسنا على الاحساب نتكل[1]

---

(١) ن لسنا وان احسابنا كرمت يوماً

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفري

فإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ومن أفخر ما قال المولدون قول ابراهيم الموصلي يفتخر بولائه من خزيمة بن خازم النهشلي

اذا مضر الحمراء كانت أرومتي وقام بمجدي خازم وابن خازم
عطست بأنفي شامخا وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيبان

يا آل شيبان لا غارت نجومكم ولا خبت ناركم من بعد توقيد
انتم دعائم هذا الملك مذ ركضت قبل الخيول بلا زمام وتوكيد
المطعمون اذا ما أزمة أزمت والواهبون عتيقات المزاويد
سيوفكم أفنت كسرى مرازبه في يوم ذي قار اذ جاؤا لموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل ومما عابه الاصمعي وغيره قول عامر
ابن معشر بن اسحم يصف أسيرا أسروه

فظل يجالس المدقات فينا يقاد كأنه جمل زنيق

وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يجالس القليل المدقوق من اللبن وانما ذلك من
الجهد ٠٠ ومن أجود قصيدة افتخر بها شاعر قصيدة السموأل بن عاديا اليهودي فانها
جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر وهي مشهورة ٠

باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق الا ان يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت
مثل كان او عدمنا به كيت وكيت او ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت ٠٠ وسبيل الرثاء أن

يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والاسف والاستعظام ان كان الميت ملكا او رئيساً كبيراً كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم   وكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبورُ ولم تزل   نجوم السماء والاديم صحيح

فعما قليلٍ ثم جاء نعيُّهُ   فظلَّ ندىُّ الحي وهو ينوحُ

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلة والى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال

مات الخليفةُ أيها الثقلان

فرفع الناس رؤسهم وفتحوا عيونهم وقالوا نعاه الى الجن والانس ثم ادركه اللين والفترة فقال

وكأنني أفطرتُ في رمضان

يريد ابو العتاهية بهذا القول كأنما جاهرت بالافطار في رمضان نهارا وكل أحد ينكر ذلك علي ويستعظمه من فعلي وهذا معنى جيد غريب في لفظ رديء غير معرب عما في النفس • ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة ويروى لابن أبي حفصة

فيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرة   من الارض خطتْ للسماحةِ مضجعا

ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جوده   وقد كانَ منه البر والبحر مترعاً

بلى قد وسعتَ الجودَ والجودُ ميت   ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته   كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها

الا في سبيل الله من عُطلت له   فجاجُ سبيلِ الثغر وانثغر الثغر

فتى كلما فاضتْ عيونُ قبيلة   دما ضحكت عنه الاحاديثُ والذكر

وما مات حتى مات مضرب سيفه   من الضربِ واعتلت عليه القنا السمر

فتىً مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فردّه ... إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعرْ

ونفس تعافُ العارَ حتى كأنما ... هو الكفر يوم الروعِ أو دونه الكفر

فأثبتَ في مستنقعِ الموتِ رجلَه ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

وقد أجاد أيضاً في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر الشامي يقول فيها

ولم أنس سعي الجودِ خلفَ سريره ... بأكسف بالٍ يستقلُّ ويظلع

وتكبيرَه خمساً عليه معالناً ... وإن كان تكبير المصلينَ أربع

وما كنتُ أدري يعلم الله قبلها ... بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداآت المراثي المولّدة مثل قوله

أصمَّ بكَ الناعي وإن كان أسمعا ... وأصبحَ مغنى الجود بعدكَ بلقعا

رثى بها محمد بن حميد وجعل خاتمتها

فإن ترم عن عمرٍ تدانى به المدى ... فخانكَ حتى لم تجد فيه منزعا

فما كنتَ إلا السيفَ لاقى ضريبةً ... فقطّعها ثم انثنى فتقطّعا

وأبو تمام من المعدودين في إجادة الرثاء ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن وهو أشهر في هذا من حبيب وله فيه طريقة انفرد بها وذلك أنه قتل جاريته وهام بها وجداً ثم قال يرثيها

يا مهجةً جثمَ الحمام عليها ... وجنى لها ثمرَ الردى بيديها

روّيتُ من دمها الثرى ولربما ... روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

حكّمتُ سيفي في مجال خناقها ... ومدامعي تجري على خدّيها

فوحق نعليها وما وطئ الحصى ... شيء أعزّ عليّ من نعليها

ما كان قتليها لأني لم أكن ... أخشى إذا سقطَ الغبارُ عليها

لكنْ بخلتُ على الأنام بحسنها ... وأنفت من نظرِ العيونِ إليها

وقال أيضاً فيها على بعض الروايات

أشفقت أن يردَ الزمان بغدره ... أو أبتلى بعدَ الوصال بهجره

فقتلته وله عليَّ كرامةٌ ... مِلء الحشى وله الفؤادُ بأسره

قمرٌ أنا استخرجته من دجنه ... لبليتي وزففته من خدره

عهدي به ميتاً كأحسنِ نائم ... والحزنُ يسحرُ دمعتي في نحره

الذي أعرف يسحر مقلتي وهو أصح استعارة

لو كان يدري الميتُ ماذا بعده ... بالحيّ منه بكى له في قبره

غصصٌ تكاد تفيض منها نفسه ... ويكادُ يخرجُ قلبه من صدره

والرواية الأخرى أن المهم بالجارية غلام كان يهواه قتله أيضاً فصنع فيه هذه الأبيات فصنعت فيه أخت الغلام

يا ويحَ ديك الجن بل تبَّاً له ... ماذا تضمنَ صدرُه من غدره

قتلَ الذي يهوى وعمر بعده ... يارب لا تمددْ له في عمره

ويكون الرثاء محملا كالمدح المحمل فيقع موقعاً حسنا لطيفاً كقول ابن المعتز في المعتضد

قضوا ماقضوا من أمره ثم قدموا ... اماماً امام الخير بين يديه

وصلوا عليه خاشعين كأنهم ... صفوفٌ قيامٌ للسلام عليه

وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب

قداستوى الناسُ وماتَ الكمالْ ... وصاحَ صرفُ الدهر أينَ الرجال

هذا أبو العباس في نعشه ... قوموا انظروا كيفَ تسيرُ الجبال

يا ناصرَ الملك بآرائه ... بعدكَ للملك ليالٍ طوال

وذكر غير واحد أن أرثى بيت قيل

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه ... وطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الاعزة والأمم السالفة والوعول

الممتنعة في قلل الجبال والاسود الخادرة في الغياض وحمر الوحش المتصرفة بين القفار والنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير موجود لايكاد يخلو منه شعر .. قال أبو عليّ فأما المحدثون فهم الى غير هذه الطريقة أميل ومذهبهم في الرثاء أمثل في وقتنا هذا وقبله وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذ بسنتهم كالذى صنع أبو أيوب في رثائه ابا البيداء الاعرابى وخلف بن حيرة الأحمر ومن سنه فيهما فائيتان وقافية مشهورات احداهن قوله

لاتئل العصم في الهضاب ولاَ شعواء تغدو وجين في لجف

والثانية قوله * لوكان حيا وائلاً من التلف *

والثالثة قوله في أبي البيداء

هل مخطىءٌ يومه عفرٌ بشاهقةٍ ترعي بأحيابها شثاً وطباق

وكما صنع ابن المعتز برثى أباه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل

رب حتف بين اثناءالأمل وحياة المرء ظلٌ منتقل

وهي أيضاً معروفة ولولا اشتهار هـذه القصائد ووجودها وخيفة التطويل بها لأثبتها في هذا الموضع .. وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء وقال ابن الكلبي وكان علامة لا أعلم مرثية أولها نسيب الاّ قصيدة دريد بن الصمة

أرث جديدُ الحبل ِ من أم ِّ معبدِ بعاقبة وأخلفت كل موعـد

وعن عليّ بن سليمان عن أبى العباس الأحول أن القصيدة التى لأبى خراشة أعشى باهلة انما هى لابنة المنتشر واسمها الدعجاء .. قال وقال عليّ بن سليمان حدثنى أبى أن أولها

هاج الفؤادَ على عرفانه الذكرُ وذكرودٍ على الأيام ِ ما يذر

قدكنت أذكرها والدار جامعةٌ والدهرفيه هلاكُ الناس ِ والشجر

هكذا أنشده النحاس والذى أعرف ـ وذكر ميت ـ وأعرف أيضاً ـ والدهر فيه هلاك الناس والعير ـ كذلك أنشد به الموصلي في الاغانى ثم عطف النحاس فقال هذان البيتان

لا يعرفان في أول هذه القصيدة •• ومما يزيد الاستغرابة بهما أن المعارف عند أهل اللغة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية أولها تشبيب الا قصيدة دريد وانا اقول انه الواجب في الجاهلية والاسلام والى وقتنا هذا ومن بعده لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة وانما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته ور؛ قال الشاعر في مقدمة الرثاء تركت كذا أو كبرت عن كذا وشغلت عن كذا وهو في ذلك كله يتغزل و يصف أحوال النساء وكان الكميت ركابا لهذه الطريقة في أكثر شعره ••فأما ابن مقبل فمن جفا إعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسنة أتى فيها على ما في النفس ثم عطف وقال

فدعْ ذا ولكنْ علقتْ حبلَ عاشقٍ ... لاحدى شعاب الحين والقلب أريب

ولم تنسى قتلى قريشٍ ظعائناً ... تحمل حتى كادتِ الشمسُ تغرب

يطفنَ بعريبٍ يعللُ ذا الصبا ... اذا رام اركوب الغواية أركب

من الهيف مبدان ترى بطناتها ... تمهلكه احراصهنَّ تذبذب

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما جمع به هذا الخلف على تقدمه في الصناعة الا أن تكون الرواية ظعائن بالرفع ••ومما عيب به الكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبوركَ قبرٌ أنت فيهِ و بوركتْ ... بهِ وله أهلٌ بذلك يثربُ

لقد غيبوا براً وحزماً ونائلاً ... عشيةَ واراهُ الصفيحُ المنصبُ

حكاه الجاحظ وغيره وأظن ان المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين فأما الاول فجيد

•• ومن العجب ان يقول عبدة بن الطبيب في تأبين قيس بن عاصم

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ... ورحمتهُ ماشاء أنْ يترحما

تحيةَ منْ البسته منك نعمةً ... اذا زارَ عن شحطٍ بلادك سلما

فما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٍ ... ولكنهُ بنيان قوم تهدما

ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول فلا قل مثل قول فاطمة رضي الله عنها

اغبر آفاقُ السماء وكورت ... شمسُ النهار وأظلمَ العصرانِ
فالأرضُ من بعد النبيّ كئيبة ... أسفاً عليهِ كثيرة الرجفانِ
فليبكهِ شرقُ البلادِ وغربها ... ولتبكهِ مضر وكل يمانِ
وليبكهِ الطودُ المعظم جوّه ... والبيتُ ذو الاستار والأركانِ
ياخاتمَ الرسلِ المبارك صنوه ... صلىّ عليكَ منزل القرآن

صلى الله عليه وسلم ورحم وكرم وعظم٠٠ والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدهم جزعاً على هالك لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة٠٠ وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء كما قال ابو تمام

لولا التفجعُ لادعى هضبُ الحمىَ ... وصفا المشقرِ أنه محزون

فانظر الى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا حين قتله أخوها جساس ما أشجى لفظها وأظهر الفجيعة فيه وكيف يثير كوامن الاشجان ويقدح شرر النيران وذلك

يا ابنة الاقوام ان لمتِ فلاَ ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا أنت تبينتِ التي ... عندها اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرئ ليمت علىَ ... جزعٍ منها عليها فافعلي
فعلُ جساسٍ على ضني بهِ ... قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعينٍ فديت عيني سوي ... اختها وانفقأتْ لم أحفلِ
تحملُ العينُ قذىَ العينِ كماَ ... تحملُ الامُّ قذىَ ما تفتلي
أبني قاتلة مقتولة ... فلعل الله ان يرتاحَ لي
يا قتيلاً قوّض الدهرُ بهِ ... سقفَ بيتيَّ جميعاً من علِ
ورماني فقده من كثبٍ ... رميةَ المصمىَ بهِ المستأصلِ

هدمَ البيتَ الذى استحدثتهُ وسعى فى هدمِ بيتى الاولِ
مسىٍ فقد كلمتِ للطيَ من ورائى ولطى مستقبلي
ليسَ من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم يحلى
دركُ الثائرِ شافيهِ وفى دركي ثأريَ ثكل المثكلِ
ليته كان دمي فاحتلوا دركاً منه دمى من اكحلي

ومن اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات الاترى ما صنعوا بابى الطيب وهو فحل محمود اذا ذكر المحدثون فى قوله يذكر أم سيف الدولة

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

فقالوا ماله ولهذه العجوز يصف جمالها وقال الصاحب بن عباد استعارة حداد في عرس فان كان أراد الصاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف وان كان اراد استعارة الكفن لجمال العجوز فقد اعترض فيموضع اعتراض الى مواضع كثيرة فىهذه القصيدة على ان فيها مايمحو كل زلة و يعفى على كل اساءة قال الصاحب بن عباد ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء ادب النفس وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله

رواقُ العزِّ فوقك مسبطر وملك على ابنك في كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق وأنا اقول ان اشد ما هجن هذا اللفظة وجعلها مقام قصيدةهجاء انه قرنها بفوقك فجاءعملاً تاماً لم يبق فيه الافضاء .. ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة فى موضع قالوا لما مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد فلم يقدر أحد على الجمع بين التهنئة والتعزية حتى اتى عبد الله ابن همام السلولى فدخل فقال يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية فقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت واصبر علي ما رزئت فقد فقدت خليفة الله واعطيت خلافة الله ففارقت جليلا ووهبت جزيلا اذ قضى معاوية نحبه ووليت الرياسة واعطيت السياسة فاورده الله موارد السرور

ووفقك لصالح الامور

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا
لا رزء أصبح في الاقوام نعلمهُ ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحتَ والىَ أمرِ الناس كلهم ... فأنتَ ترعاهم والله يرعاكا
وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ ... إذا نعيتَ ولا نسمع بمنعاكا

ففتح للناس باب القول .. وعلى هذا السنن جرى الشعراء بعده فقال أبو نواس يعزي الفضل ابن الربيع عن الرشيد ويهنيه بالأمين

تعزّى ابا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان او هو كائن
حوادثُ ايام تدور صروفها ... لهن مساوٍ مرّة ومحاسن
وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

ويروى — فلا انت مغبون — وتبعه ابو تمام بالقصيدة التي أولها

ما للدموع تروم كل مرام

يقولها للواثق بعد موت المعتصم صرف الكلام فيها كيف شاء واطنب كما اراد وفتح فيها فأسهب وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية على الشعراء وأراد ابن الزيات مجاراته فعلم من نفسه التقصير فاقتصر على قوله

قد قلتُ اذ غيبوكَ واصطفقت ... عليكَ أيدٍ بالترب والطينِ
اذهب فنعم المعينُ كنتَ على الد ... نيا ونعمَ الظهيرُ للدين
لن يجبرَ اللهُ أمةً فقدتْ ... مثلكَ الاَّ بمثلِ هارونِ

ومن جيد ما رثي به النساء وأشجاه وأشده تأثيراً في القلب واثارة للحزن قول محمد بن عبد الملك هذا في أم ولده

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أمه ... بعيدَ الكرى عيناه تنسكبان
رأى كلَّ أمٍّ وابنها غير أمه ... يبيتان تحتَ الليل ينتجيان

وباتَ وحيداً فى العراش يحثه بلابلُ قلبٍ دائم الخفقان

يقول فيها بعد أبيات

ألا ان سجلا واحدا قد أرقته من الدمع أوسجلين قد شفيانى

فلا تلحيانى ان بكيت فانما أداوي بهـذا الدمع ما تريانى

وان مكاناً في الثرى خطَّ لحده لمن كان فى قلبى بكل مكان

أحـقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى فهل أنتما ان عجتُ منتظران

ومن أشجي الشعر رثاء قوله فى هذه القصيدة

فهبى عزمت الصبرَ عنها لانني جليدٌ فمنْ بالصبر لابن ثمان

صغيرِ القوى لايعرفُ الاجر حسبة ولا يأتسى بالناس فى الحدثان

الا من أمنيه المنى فأعدّه لعثرة أيامى وصرف زمانى

الا منْ اذا ماجئتُ أكرم مجلسي وان غبت عنه حاطنى ورعانى

فلم أر كالاقدار كيف يصبنى ولا مثلَ هذا الدهر كيف رمانى

فهذه الطريق هي الغاية التى يجرى حذاق الشعراء اليها و يعتمدون في الرثاء عليها ما لم تكن المرثية من نساء الملوك و بنات الأشراف وغير ذوات محارم الشاعر فانه يتجافى عن هذه الطريقة الى أرفع منها نحو قول أبى الطيب

ولو أنَّ النساءَ كمن فقدنا لفضلتِ النساء على الرجال

وقوله في هذه القصيدة

مشي الأمراء حوليها حفاةً كأن المروَ من زفِّ الرئال

ونحو قوله لأخت سيف الدولة

يا أختَ خير أخ يا بنت خير أب كنايةً بهما عن أشرف النسب

أجل قدركِ ان تدعي مؤنثـة ومَن يصفك فقد سماكِ للعرب

ورثاء الاطفال أن يذكر مخايلهم وما كانت الفراسة تعطيه فيهم مع تحزن لمصابهم وتفجع بهم كالذي صنع أبو تمام في ابنى عبد الله بن طاهر

باب الاقتضاء والاستنجاز

حسب الشاعر أن يكون مدحه تعريضاً واقتضاؤه نطقاً وهجوه بعد عميقاً فإن الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان ودعا الى القطيعة والهجران وقوم يدرجون العتاب في الاقتضاء والاقتضاء في العتاب وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب فالاقتضاء طلب حاجة وباب التلطف فيه أجود فإن بلغ الأمر العتب فذاك هو طلب الابقاء على المودة والمراعاة وفيه توبيخ ومعاتبة لا يجوز معها بعد الاقتضاء الا أن الناس خلطوا هذين البابين وساووا بينهما .. فمن أحسن الاقتضاء على ما تخيرته وجودت له قول أمية بن أبي الصلت لعبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتي أم قد كفاني	حياؤك إنَّ شيمتك الحياءُ
وعلمك بالحقوق وأنت فرعٌ	لك الحسبُ المهذبُ والسناء
خليلٌ لا يغيره صباح	عن الخلق الجميل ولا مساء
فأرضكَ كلُّ مكرمةٍ بناها	بنو تيم وأنتَ لها سماء
اذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً	كفاهُ من تعرضه الثناء
تباري الريح مكرُمةً وجوداً	اذا ما الكلبُ أجحره الشتاءُ

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ويستنزل القطر ويحط العصم الى السهل .. ومثله قول الآخر

لأشكرنكَ معروفاً هممتَ به	انَّ اهتمامكَ بالمعروف معروفُ
ولا ألومكَ ان لم يمضه قدرٌ	فالشيءُ بالقدَرِ المحتومِ مصروفُ

وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموي لعيسى بن فرخان شاه اذ يقول له مستبطئاً

أبا موسى سقى أرضـ	ـكَ دان مسبلُ القطرِ
وزادَ اللهُ في قـدر	كَ ما أجملت من قدري

لقد كنت أرجوك | لما أختشي من الدهر
وقد أصبحت من أو | كد أسبابي الى الفقر
أترضى لي بأن أرضى | بتقصيرك في أمري
وقد أفنيت ما أفنيت | في شكرك من عمري
مواعيد كما أخبرت | سراب المهمه القفر
فمن يوم الى يوم | ومن شهر الى شهر
فلم أحصل على قيمـ | ـة ما قامت من طمري
لعل الله أن يصنـ | ـع لي من حيث لا أدري
فألقاك بلا شكر | وتلقاني بلا عذر
ولا أرجوك في الحالـ | ـين لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب الممض والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط بل بالسيف . . ومما صنعته في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته

رجوتك للأمر المهم وفي يدي | بقايا أمني النفس فيها الأمانيا
فساوفت بي الأيام حتى اذا انقضت | أواخر ما عندي قطعت رجائيا
وكنت كأني نارف النثر طالباً | لأحمامها أو يرجع الماء صافيا
فلا هو أبقى ما أصاب لنفسه | ولا هي أعطته الذي كان راجيا

ومن أملح ما رأيته في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمرو بن العلاء وابن المعتز يسمي هذا النوع مزحاً يراد به الجد وهو

أصابت علينا جودك العين يا عمرو | فنحن لها نبغي التمائم والنشر
سنرقيك بالأشعار حتى تملها | فان لم تفق منها رقيناك بالسور

وكنت أنا صنعت في استبطاء

أحسنت في تأخيرها منة | لو لم تؤخر لم تكن كاملة

وكيف لا يحسن بأحيرها بعد يقضى أنها حاصله
وجنة الفردوس يدعي بها آجلة للمرء لا عاجله
لكنما أضعف من همتي أيام عمر دونها زائله

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء لانه يكون مثله بسبب الحاجات وقد يكون بسبب غيرها كثيراً والاقتضاء لايكون الا في حاجة

باب العتاب

العتاب وان كان حياة المودة وشاهد الوفاء فانه باب من أبواب الخديعة يسرع الى الهجاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء فاذا قل كان داعية الالفة وقيد الصحبة واذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه . . وللعتاب طرائق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة فمنه ماءازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه مايدخله الاحتجاج والانتصاف وقد يعرض فيه المن والاجحاف مثل ماشركه الاعتذار والاعتراف وأحسن الناس طريقاً في عتاب الاشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري الذي يقول

يريبني الشيء تأتي به وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكره أن أتمادى على سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذب ظني بأن قد سخطـ ـت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولولم تكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا
ولا بد من لومة أنتحي عليك بها مخطئاً أومصيبا
أيصبح وردي في ساحتيـ ـك طرقاً ومرعاي محلاً جديبا
أبيع الاحبة بيع السوا م وآبى عليهم حبيباً حبيبا
ففي كل يوم لنا موقف يشقق فيه الوداع الجيوبا

سوي مطلب يقصي الرجاء بطوله ... ومحلق إخلاق الحموب الوسائل
وقد يألف العين الدجى وهو قيدها ... ويرجى شفاء السم والسم قاتل
ولي عدة يقضي المصور وانها ... كمدك من أيام مصر الحائل
سون قطعناهن عشراً كأنما ... قطعنا تقرب العهد منها مراحل
وإن حريلات الصنائع لامرئ ... اذا ما الاماني نا كرته معاقل
وإن المعالي يسترم بناؤها ... سراماً كما قد تسترم المنازل
ولو حاردت شول عذرت لقاحها ... ولكن حرمت الدر والضرع حافل
منحتكها تشفي الجوي وهو لاعج ... وتبعث اشجان الفتى وهو ذاهل
ترد قوافيها اذا هي أرسلت ... هوامل مجد القوم وهي هوامل
وكيف اذا حليتها بحليها ... تكون وهذا حسنها وهي عاطل
أ كابرنا عطفاً علينا فانما ... بنا ظمأ برح وأنتم مناهل

وقال ابن الرومي لابي الصقر اسماعيل بن بليل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة

عقيل الذي اطلق مدحي حمة ... حواسي حسرى قد أبت أن تسرحا
وكنت متى تنشد مديحاً ظلمته ... يكن لك أهجى كل ما كان أمدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشعت ... سحائبها أو كان روض تصوحا
ولكنها سقيا حرمت رويها ... وعارضها ملق كلا كل جحجحا
وأكلاء معروف حميت مريعها ... وقد عادمها الحزن والسهل مسرحا
فيالك بحراً لم أجد فيه مشربا ... وان كان غيري واجداً فيه مسبحا
مديحي عصا موسى وذلك لانني ... ضربت به بحر الندى فتضحضحا
فياليت شعري إن ضربت به الصفا ... أيحدث لي فيه جداول سيحا
كتلك التي أبدت ثرى البحر يابسا ... وشقت عيونا في الحجارة سفحا
سامدح بعض الباخلين لعله ... اذا أطرد المقياس ان يتسمحا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ولا يجاري سبقا على أن البحتري قد تقدم الى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان

غمام حطاني صوبه وهو مسبل — وبحر عداني فيضه وهو مفعم

وبدر أضاء الارض شرقا ومغربا — وموضع رحلي منه أسود مظلم

وما بخل الفتح بن خاقان بالندى — ولكنها الاقدار تعطي وتحرم

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة وفي عتابه شدة وكان كثير التحامل ظاهر الكبر والأنفة وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة

يا أعدل الناس الا في معاملتي — فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة — ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره — اذا استوت عنده الانوار والظلم

انا الذي نظر الاعمى الى أدبي — وأسمعت كلماتي من به صمم

أنام ملء جفوني عن شواردها — ويسهر الناس جراها ويختصم

وجاهل مده في جهله ضحكي — حتى أتته يد فراسة وفم

اذا رأيت نيوب الليث بارزة — فلا تظنن أن الليث مبتسم

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة غير انه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة واعا عرض بقوم كانوا ينتقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في شعره والاشارة كلها الى سيف الدولة ثم قال بعد أبيات

يا من يعز علينا أن نفارقهم — وجداننا كل شيء بعدكم عدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة — لو أن أمركم من أمرنا أمم

ان كان سركم ما قال حاسدنا — فما لجرح اذا أرضاكم ألم

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة — إن المعارف في أهل النهى ذمم

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم — ويكره الله ما تأتون والكرم

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي | أنا الثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمام الذي عندي صواعقه | يزيلهن الى من عنده الديم
أرى النوى يقتضيني كل مرحلة | لا تستقل بها الوخادة الرسم
لئن تركن ضميراً عن ميامننا | ليحدثن لمن ودعتهم ندم

وانما قال أولا ـ ليحدثن لسيف الدولة الندم ـ ثم بدله وليس هذا عتابا لكنه سباب وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس انشادها وهذا العزر بعينه ٠٠ فاما عتاب الأكفاء وأهل المودات والمتعشقين من الظرفاء فانه أحرى جارية على طرقاتها ٠٠ قال ابراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات وقد تغير عليه لما وزر

وكنت أخي باخاء الزما | ن فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت أذم اليك الزمان | فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات | فها أنا أطلب منك الأمانا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه ٠٠ ومن أكرم العتاب قول السيد أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته

وإني لاطوي كل خل صحبته | وأنت ترى شتمي بغير حياء
ستعلم يوماً ما أسأت لصاحب | تكرم أخلاقي وحسن وفائي

٠٠ ومن مليح ماسمعت قول سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له

اقلل عتابك فالبقاء قليل | والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه | الا بكيت عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدة | ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء عصابة | ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل احداث المنية والردى | يوماً ستصدع بيننا وتحول

ولئن سبقتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنّ عليّ منك عويل
ولتفجعن بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقتَ ولا سبقتَ ليمضين من لا يشاكله لديّ خليل
وليذهبن بهاءُ كل مروءة وليفقدنّ جمالها المأهول
وأراك تكلف بالعتاب وودّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل
ودّ بدا لذوي الاخاء جماله وبدت عليه بهجة وقبول
ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول

الى ههنا أومأ أبو الطيب بقوله

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

وأشار اليه أيضا بقوله وأردت البيت الأخير

رويدا بحسن وجهك ماذا م يحسن لوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـيا فانّ المقام فيها قليل

والجمع من قول الاول

ولقد علمتَ فلا تكن متجنيا أن الصدود هو الفراق الاول
حسبُ الاحبة أن يفرق بينهم ريب المنون فما لنا نستعجل

الا أن ابن حميد قد وفى وبين وشرح ما أجمل غيره بقوله ـ لئن سبقت أنا ـ ولئن سبقت أنت ـ ولا سبقت أنت ـ فله بذلك فضل بين ورجحان ظاهر ٠٠ وما أحسن ايجاز الذي قال

العمر أقصر مدة من أن يمحق بالعتاب

وقال أبو المحدثين بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبهُ
فعشْ واحداً أو صل أخاك فانه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

باب الوعيد والانذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ويحذرون من سوء الاحدوثة ولا يمضون القول الا لضرورة لا يحسن السكوت معها ٠٠ قال ابن مقبل

بنى عامرٍ ما تأمرونَ بشاعرٍ تخيّر آيات الكتاب هجائيا

أأعفو كما يعفو الكريمُ فانني أرَى الشعبَ فيما بيننا متدانيا

أم اغمص بين الجلد واللحم غمصة بمبرد رومي يقط النواحيا

فأما سراقاتُ الهجاءِ فانها كلامٌ تهاداهُ اللئامُ تهاديا

أم احطُ حطَّ الفيلِ هامةَ رأسه بمبرد فلا يبقى من العظم باقيا

وعندى الدهيمُ لو أحلُّ عقالها فتصبح لم تعدم من الجن حاديا

شبه لسانه بمبرد رومي لمضائه وشبه القصيدة التي لوشاء هجاهم بها بالدهيم وهي الداهية وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلي التي حملت رؤس بنيه معلقة في عنقها فجاءت بها الى الحي فضرب بها المثل للداهية ٠٠ وقال جرير لبنى حنيفة وكان ميلهم مع الفرزدق عليه

أبنى حنيفة أحكموا سفهاءكم أنى أخاف عليكم أن أغضبا

أبنى حنيفة إننى ان أهجكم أدعِ اليمامةَ لا توارِي أرنبا

— أحكموا — كفوا من حكمة اللجام ٠٠ وقال أيضاً لتيم الرباب رهط عمر بن لجأ

يا تيم تيم عدىٍّ لا أبا لكمُ لا يلقينّكمُ فى سوءةٍ عمرُ

وكان عليّ بن سليم الأخفش فى صباه يعبث بابن الرومي لما يعلم من طيرته فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الاسماء فيمنعه ذلك من التصرف فقال يتوعده

قولوا لنحويِنا أبى حسنٍ انّ حسامى متى ضربت مضى

وان نبلي متى هممتُ بأنْ أرمي نصلتها بجمر غضى

لا تحسبن الهجاء تحمل بالـرفع ولا خفض خافض خفضا
ولا تخـل عودتي كما دُثي سأسقط السم من عصي الخصصا
أعرف في الاستقاء لي رحلا لا ينتهي أو نصير لي غرضا
يلبخ لي صفحة السلامة والسـلم ويخفي في قلبه المرضا
يضحي مغيظاً علي ان عصب الله عليه ولست منه رضا
وليس يحدى عليه موعظتي إن قدر الله حينه فقضى
كانني بالشقي معتذراً اذا القوافي أذقنه مضضا
ينشدني العهد يوم ذلك والعـ ـهد جهار اذاله قبضا
لا يأمن السفيه بادرتي فانني عارض لمن عرضا
عندي له السوط ان تلوم في السـير وعندي اللجام ان ركضا
أسمعت أنباء صيتي أبا حسن والنصح لا شك نصح من محضا
وهو معافى من السهاد فلا يجهل فتشري فراشه قضضا
أقسمت بالله لا عفرت له ان واحد من عروقه نبضا

وكذلك قد فعل وقد مزقه بالهجاء كل ممزق وجعله مثلة بين أصحابه على أن الأخفش كان يتجلد عليه ويظهر قلة المبالاة به وهيهات وقد وسمه سمة الدهر وسامه سوم الخسف والقهر .. ومما قاله في هذا الباب

ياموحشي شبها على أنه لو فرك البرغوث ما أوجعه
كل له من نفسه آفة وآفة النحلة أن تلسعه

وقلت من قصيدة خاطبت بها بعض بني ساد

من يصحب الناس مطوياً على دخل لا يصحبوه بحلو كل مستحيل
لا تستطيلوا على ضعفي بقوتكم ان البعوضة قد تعدو على الفيل
وجانبوا المزح ان الجد يتبعه ورب موجعة في اثر تقبيل

ومنها بعد أبيات لا تليق بالموضع خوف الحشو

ياقوم لا يلقَينَّ منكمْ أحد　　في المهلكاتِ فإني غير مغلول

لا تدخلوا بالرضى منكم على غررٍ　　فتخرجوا إلبَّ عصياناً من العمل

إلاّ تكن حملت خيراً ضمائركم　　أكن تأبط شراً يا كحَ الغول

باب الهجاء

يروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها ولا يقبح بمثلها نحو قول أوس

اذا ناقةٌ شدّت برحلٍ ونمرقٍ　　الى حكم بعدي فضلَّ ضلالها

واختار أبو العباس قول جرير

لو أنَّ تغلبَ جمعت أحسابَها　　يوم التفاخرِ لم يزِن مثقالا

.. ومثل قوله

فغضَّ الطرف انكَ من نمير　　فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

وبين الاختيارين تناسب في عمة المذهب غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل فقد حكي محمد بن سلام الجمحي عن يونس بن حبيب أنه قال أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل وهو الاقذاع عندهم .. قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه اياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له اياك والهجاء المقذع قال وما المقذع يا أمير المؤمنين قال المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبني شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم فقال أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ولكني حباني هؤلاء فمدحتهم وحرمني هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من اعراضهم شيئاً وصرفت

مدحي الى من أراده وزعمت به عمرو كرهه وزهد فيه يريد بذلك قصيدته المهموزة التي يقول فيها

وآليتُ العَتاء الى سهيلٍ أوالشعرى فطال بي الأناء

وهي أخبث ما صنع .. وفيها أو من أجله قال خلف الأحمر أشد الهجاء أعفه وأصدقه وقال مرة أخرى ما عف لفظه وصدق معناه ومن كلام صاحب الوساطة فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج الهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس فأما القذف والافحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه الا اقامة الوزن ومما يدل على صحة ماقوله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب اليه اصحاب الحذاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في التشكك وتهزله وتجاهله فيما يعلم

وماأدري وسوفَ إخالُ أدري أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ

فان تكنِ النساءُ مخبئات فحقٌ لكلِ محصنة هداء

وان هذا عندهم من أشد الهجاء وأعفه .. ولما قدم النابغة بعد وقعة حسي سأل بني ذبيان ما قالوا لعامر بن الطفيل وما قال لكم فأنشدوه فقال أفحشتم على رجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ولكني سأقول .. ثم قال

فان يكُ عامرٌ قد قال جهلاً فانَّ مطيةَ الجهلِ الشبابُ

فكنْ كأبيكَ أو كأبي براء تصادفكَ الحكومةُ والصوابُ

فلا يذهب بلبكَ طائشات من الخيلاء ليس لهنَّ بابُ

فانكَ سوف تحكم أو تناهي اذا ماشبتَ أوشابَ الغرابُ

فان تكن الفوارسُ يوم حسي أصابوا من لقائكَ ما أصابوا

فما ان كان من نسب بعيد ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال ماهجاني أحد حتى هجاني النابغة جعلني القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيهاً جاهلا وتهكم بي .. وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي

رضي الله عنهما وأحسن عطيته فعوتب على ذلك فقال أترونني خفت أن يقول لي لست ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ولكن خفت أن يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ولست كعلي فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلداً في الكتب ومحفوظاً على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا بن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني وقد وقع الحسن بن زيد بن الحسين بن علي في بعض ما قال جده قال فيه ابن عاصم المديني واسمه محمد بن حمزة الاسلمي

له حق وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسولُ يرى حقوقا عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أصوب إلا جريراً فإنه قال لبنيه إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة وإذا هجوتم فخالفوا . . وقال أيضاً إذا هجوت فأضحك وسلك طريقته في الهجاء سواء علي بن العباس بن الرومي فإنه كان يطيل ويفحش وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح لاتساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علما وقبلته يقيناً في أول وهلة فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض هذا هو المذهب الصحيح على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه فأما إن كان لا يوقظه التلويح ولا يؤلمه إلا التصريح فذلك ولهذه العلة اختلف هجاء أبي نواس وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف لاختلاف مراتب المهجوين ثم التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي

لشتانَ ما بينَ اليزيدينِ في الندى يزيدُ سليمٍ والاغرُّ ابنُ حاتمِ
فهمُّ الفتى الازديّ اتلافُ مالهِ وهمُّ الفتى القيسيّ جمعُ الدراهمِ
ولا يحسبِ التمتامُ أني هجوتهُ ولكنني فضلتُ أهلَ المكارمِ

ومن الاستحقار والاستخفاف قول زياد الاعجم

فقم صاغراً ياشيخ جرمٍ فانما يقال لشيخ الصدق قمْ غير صاغرِ
فمنْ أنتمُ انا نسينا منَ انتمُ وريحكمُ من أي ريحِ الاعاصرِ

أأنتمْ أولى جئتم معَ النملِ والدبا ... طِرارَ وهذا تسحكم عيرُ طائرِ
قضى الله خلقَ الناسِ ثم خلقتمْ ... بقيةَ خلقِ الله آخرِ آخرِ
فلمْ تسمعوا الا بمن كان قبلكم ... ولم تدركوا الا مدقَّ حوافرِ

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال

وما خلقت تيمٌ وزيدُ مناتها ... وضبة الا بعدَ خلقِ القبائلِ

ومن الاحتقار أيضاً قول جرير في التيم

ويقضي الامرُ حينَ تغيبُ تيمٌ ... ولا يستأذنونَ وهم شهودُ
وانكَ لو رأيتَ عبيد تيمٍ ... وتيماً قلتَ أيهمُ العبيدُ

ومن مليح التهكم والاستخفاف قول أبي هفان

سليمان ميمونُ النقيبةِ حازمٌ ... ولكنه وقفٌ عليه الهزائمْ
ألا قودوه من يولي فتوحه ... عداه ويردّ المعين عنه الهزائم

وفيه يقول ابن الرومي

قرنُ سليمان قد أضرَّ به ... شوقٌ الى وجهه سيتلفهْ
كمْ يعدُ القرنَ باللقاء وكمْ ... يكذب في وعدهِ ويخلفه
لا يعرفُ القرنُ وجههُ ويري ... قفاه من فرسخٍ فيعرفهْ

أخذ معنى البيت الاخير من قول الخارجي وقد قال له المنصور أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتكم فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا لأعرف وأجود ما في الهجاء ان يسلب الانسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض فاما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم وقدامة لا يراه هجواً البتة وكذلك ما جاء من قبل الآباء والامهات من النقص والفساد لا يراه عيبا ولا يعد الهجو به صوابا والناس الا من لا يعد قلة على خلاف رأيه وكذلك يوجد في الطبع ما أكد ذلك من أحكام الشريعة وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه صوابا فقال

وحلٍ لا سبيلَ لصرمِ حبلهْ تعرضَ لي بحتفٍ وطَ جهلهْ
رديّ الطرّ لا تأوى لحاقٍ ولا تؤوي اليه لسوءاسوء فعلهْ
تصدقُ ها حساً اعرى و تعرىَ تكذيبِ العيانِ لضعفِ عقلهْ
وانشأ كلَّ ذي دسٍ وعلمٍ واصل ثابت لفساد أصله

وكان السيد أبو الحسن فى هذا الباب الذى سلكه من الهجاء كما قال ولى احسانه

اذا لم تجدْ يداً من القولِ فانتصف بحد لسان كالحسامِ المهندِ
فقد يدفعُ الانسانُ عن نفسهِ الاذي بقولهِ ان لم يدافعهُ باليـدِ

ويقال ان أهجى بيت قاله شاعر قول الاخطل فى بنى يربوع رهط جرير

قوم اذا استنبحَ الاضيافَ كلبهمُ قالوا لامهمُ بولى على النارِ

لانه قد جمع فيه ضروبا من الهجاء فنسبهم الى البخل بوقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ثم البخل بايقادها الى السائرين والسابلة ورماهم بالبخل بالحطب واخبر عن قلتها وان بولة تطفئها وجعلها بولة عجوز وهي أقل من بولة الشابة ووصفهم بامتهان امهم وابتذالها فى مثل هذا الحال يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى ان لا خادم لهم وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الانصارى انه رماهم فى هذا البيت بالمجوسية لأن المجوس لا يرى اطفاء النار بالمـاء ولا أدري أنا كيف هذا والبول ماء غير أنه ماء نجس قذر وقيل لبنى كليب ما اشدما هجيتم به قالوا قول البعيث

الستَ كليبياً اذا سيمَ خطةً اقر كاقرارِ الحليلةِ للبعلِ
وكلّ كليبيٍ صحيفة وجههِ اذل لاقدامِ الرجالِ من النعلِ

وكان النابغة الجعدى يقول انى واوسا لنبتدر باباً من الهجاء فمن سبق ما اليه غلب صاحبه فلما قال أوس بن مغراء

لعمركَ ما تبـلى سرابيـلُ عامرٍ من اللؤمِ مادامتْ عليها جلودُها

قال النابغة هذا والله البيت الذى كنا نبتدره والذى أراه أنا على كل حال أن اشد الهجاء ما أصاب العرض ووقع على السكينة وهو الذى قال خلف الاحمر بعينه

باب الاعتذار

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه فإن اضطره المقدار إلى ذلك واوقعه فيه القضاء فليذهب مذهباً لطيفاً وليقصد مقصداً عجيباً وليعرف كيف يأخذ بنفس المعتذر اليه وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه فإن إتيان المعتذر من باب الاحتجاج واقامة الدليل خطأ لا سيما مع الملوك وذوي السلطان وحقه أن يلطف برهانه مدمجاً في التضرع والدخول تحت عفو الملك واعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويحيل الكذب على الناقل والحاسد فاما مع الاخوان فتلك طريقة أخرى وقد أحسن محمد بن علي الاصبهاني حيث يقول

العذرُ يلحقه التحريفُ والكذبُ ... وليسَ في غير ما يرضيكَ لي أربُ

وقد أسأتُ فبالنعمى التي سلفت ... الا مننتَ بعفوٍ ماله سببُ

وقال ابراهيم بن المهدي للمأمون في أبيات يعتذر اليه

الله يعلمُ ما أقولُ فانها ... جهد الالية من مقرٍ جشع

ما ان عصيتكَ والغواة تمدني ... أسبابها الا بنية طائعِ

وقد سلك أبو عليّ البصير مذهب الحجة واقامة الدليل بعد انكار الجناية ... فقال

لم أجنِ ذنباً فان زعمتَ بأنْ ... جنيت ذنباً فغيرُ معتمدِ

قد تطرفُ الكفُ عين صاحبها ... ولا يرى قطعها من الرشدِ

ونحوت انا هذا النحو فقلت

لا يبعدِ اللهُ أبا جعفرٍ ... دعابة تبت على نارها

وان تأذيتُ فيا ربما ... تأذت العينُ بأشفارها

وأحل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث احداهن

* يا دار مية بالعلياء فالسند *

يقول فيها

فلا لعمرُ الذي مسحتُ كعبتهُ وما هريقَ على الأنصاب من جسد
والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبانُ مكة بين الغيل والسند
ما قلت من سيئ مما أتيتَ به اذا فلا رفعت سوطي الي يدي
اذاً فعاقبني ربي معاقبة قرت بها عين من يأتيك بالحسد
الا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بها كانت مقالتهم قرعاً على الكبد
نبئتُ أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأرٍ من الأسدِ

والثانية * أرسما جديداً من سعاد تجنب *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجا باحسانهم اليه

حلفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنتَ قد بلغتَ عني خيانةً لمبلغكَ الواشي أغشُّ وأكذب
ولكنني كنت امرأً لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان اذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا
فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطليٌّ به القار أجرب
ألم تر أن الله أعطاكَ سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكب

والثالثة * عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع *

يقول فيها بعد قسم قدمه على عادته

أكلفتني ذنبَ امرئ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع
فان كنتَ لا ذو الضغن عني مكذب ولا حلفي على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمر لامحالةَ واقع

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء .. قال سلم الخاسر يعتذر الى المهدي

أني أعوذ بخير الناس كلهم وأنت ذلك بما آتي ومحتسب

وأنت كالدهر مبثوثا حبائله والدهر لا ملجأ منه ولا هرب

ولو ملكت عنان الريح أصرفه في كل ناحية ما فاتك الطلب

فليس الا انتظاري منك عارفة فيها من الخوف منجاة ومنقلب

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

واني وان حدثت نفسي بأنني أفوتك ان الرأي مني لعازب

لانك لي مثل المكان المحيط بي من الأرض أنى استنهضتني المذاهب

والى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله

ولكنك الدنيا الي حبيبة فما عنك لي الا اليك ذهاب

الا أنه حرف الكلم عن مواضعه .. واختار العلماء لهذا الشأن قول علي بن جبلة

وما لامرىء حاولته عنك مهرب ولو رفعته في السماء المطالع

بلى هارب لا يهتدي لمكانه ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

لانه قد أجاد مع معارضته النابغة وزاد عليه ذكر الصبح وأظنه اقتدى بقول الاصمعي في بيت النابغة ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار وفي هذا الاعتراض كلام يأتي في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .. وأفضل من هذا كله قول الله تعالى ﴿ يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان ﴾ ووجد الفضل بن يحيى على أبي الهول الحميري فدخل اليه فأنشده

كساني وعيد الفضل ثوبا من البلى وأعداه الموت الذي ماله رد

ومالي الى الفضل بن يحيى بن خالد من الجرم ما يخشى على مثله الحقد

فخذ بأرضي لا انتفى منكَ غيرَه ورأيك فيما كنتَ عودتني بعدُ

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب لا أحمل والله قولك ورأيك فيما كنت عودتني فقال أبو الهول لا تنظر أعزك الله الى قصر باعي وقلة بصري وافعل بي ما أنت أهله فأمر له بمال جسيم ورضي عنه وقربه ٠٠ وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال٠ أحدها أن يكون من المحو كأنك محوت آثار الموجدة من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست وأنشدوا قول ابن احمر

أو كنتَ تعرف آياتٍ فقد جعلت اطلالُ إِلفكَ بالودْ كاءِ تعتذرُ

والثاني أن يكون من الانقطاع كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ويقولون اعتذرت المياه اذا انقطعت ٠٠وأنشدوا للبيد

شهورَ الصيف واعتذرت اليه نطاقُ الشيطين من السماك

والقول الثالث أن يكون من الحجز والمنع ٠٠ قال أبو جعفر يقال عذرت الدابة أي جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراد فمعنى اعتذر الرجل احتجز وعذرته جعلت له تقول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه ومنه تعذر الأمر احتجز أن يقضي ومنه جارية عذراء

باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح

كان الأعشى أسير الناس شعراً وأعظمهم فيه حظاً حتى كاد ينسى الناس أصحابه المذكورين معه ٠ ومثله زهير والنابغة وامرؤ القيس وكان جرير نابغة الشعر مطعراً قال الأخطل للفرزدق أنا والله أشعر من جرير غير أنه رزق من سيرورة الشعر مالم أرزقه وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه وهو

قومٌ اذا استنبحَ الأضياف كلبهمُ قالوا لأمهمُ بولي على النار

•• وقال هو

والثعلبيُّ اذا تنحنحَ للقرَى حكَّ استهُ وتمثلَ الامثالاَ

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى رويه •• قال الاصمعي يحكما له سيرورة الشعر قال الحسن ابن الضحاك الخليع أنشدت أبا نواس قولى

وشاطريّ اللسان مختلق التـــكريه شابَ المجونَ بالنسكِ

الى أن بلغت الى قولى

كأنما نصب كأسه قمرٌ يكرعُ فى بعض أنجم الفلكِ

فنعر نعرة منكرة فقلت مالك فقد أفزعتني فقال هذا معنى مليح وأنا أحقُّ به وسترى لمن يروى ثم أنشدني بعد أيام

اذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتَهُ يقبّل فى داجٍ من الليل كوكبا

فقلت هذه مصالتة يا أبا عليّ فقال أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا فى الحياة وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نسي معها بيت الخليع على أن له فضل السبق وفيه زيادة ذكر القمر وقد أربى ابن الرومى عليهما جميعاً بقوله

أبصرتُه والكاس بين فمـ ـه وبين أنامـلٍ خمس

وكأنها وكأن شاربَها قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمس

ولـكن بيت أبي نواس أملأ للفم والسمع وأعظم هيبـة فى النفس والصدر ولذلك كان أسير ••وفى زماننا هذا قوم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الـكافرون ••وليس فى العرب قبيلة الا وقد نيل منها وهجيت وعيرت فحط الشعر بعضاً منهـم بموافقـة الحقيقة ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ولا صادف موضع الرمية فمن الذين لم يحك فيهم هجاء الا قليلا على كثرة ماقيل فيهم تميم بن مرة وبكر بن وائل وأسد بن خزيمة ونظراؤهم من قبائل اليمن•ومن الدبر شقوا بالهجاء ومرقوا كل ممرق على تقدمهم فى الشجاعة والفضل أحياء من قيس بحو غنى وباهلة بنى أعصر بن سعد بن قيس عيلان واسم غنى عمرة وكانوا موالى عامر بن صعصعة يحمون

عنهم الديات والنوائب ونحو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وحسي بن مخالف(١) حالفوا بني عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على لوم الحلف ومن ولد طابخة بن الياس ابن مضر تيم وعكل بنا عبد مناة بن أد صادف الشعر سماء كان وقع عليهم في الجاهلية فاستهانت العرب بهم واتطع الهجاء فيهم وعدي بن عبد مناة كانوا قطعا لحاجب بن زرارة وأراد أن يستملكهم ملك رق فسحل من قبل المنذر والحبطات وهم ولد الحارث ابن عمرو بن تميم وسمي الحارث الحبط لعظم بطنه شبهوه بالجمل الحبط وهو الذي انتفخ بطنه مما رعي الخلا • فأما سلول فقد قال فيهم أبو زياد الكلابي كرام من كرام من صعصعة لم يحالفوا ولم يدخلوا في صغار وانما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم يريد قوله أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فقلت أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فما يصنع بقول السموأل بن عاديا

وبحن أناسٌ لا نرى القتلَ سبةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلول

والسموأل في زمان امرئ القيس وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة •• قال الجاحظ لم يمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم قال وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم قال ولم نكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد وقد كان يزيد بن مزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ولا أعلم في الارض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً قلت أنا أما هذه النعمة فقد أحلها الله مضاعفة عند السيد أبي الحسن وقرنها منه بالاستحقاق فقرت مقرها وبزلت منزلها المختار لها وأحيي الله لبني شيبان مجداً لم تشبه دم وجوداً لم يعقبه ندم مما زاد علي يزيد ولم يدع لمعن معنى في الجود •• وقال غيره كان عمر بن العلاء ممدحاً وفيه يقول بشار بن برد

قل للخليفة ِ ان جئته نصيحاً ولا خيرَ في المتهم
اذا أيقظتكَ حروبُ العدا فنبه لها عمراً ثم نم
فتى لايبيتُ على دمنةٍ ولا يشربُ الماء الاّ بدم

(١) بن جسر بن محارب

دعاني الى عمر جوده　　وقول العشيرة بحر خضم

ولولا الذى زعموا لم أكن　　لامدح ريحانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية

ان المطايا تشتكيك لأنها　　قطعت اليك سباسباً ورمالا

وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب . . قال أبو عبيدة . مدح أحد قط بني كليب عبر الحطيئة بقوله

لعمرك ما المجاور في كليب　　بمقصى فى الجوار ولا مضاع

هم صنعوا لجارهم وليست　　يد الخرقاء مثل يد الصناع

ويحرم سر جارهم عليهم　　ويأكل جارهم أنف القصاع

كانت قيس تفتخر على تميم لان شعراءهم تضرب المثل بمآثر قيس ورجالها فأقامت تميم دهراً لا ترفع رؤسها حتى قال لبيد

أبنى كليب كيف تنفى جعفر　　وبنو ضبينة حاضرو الاحباب

قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونه　　حتى نحاكمهم الى جواب

يرعون منحرق اللديد كأنهم　　في العز اسرة حاجب وشهاب

متظاهرى حلق الحديد عليهم　　كبنى زرارة أو بنى عتاب

قوم لهم عرفت معد فضلها　　والفضل تعرفه ذوو الالباب

وقال زبان بن منصور الفزاري

تخاوا بجمع محرئل كأنهم　　بنو بدر اذ كان في الناس بدرهم

فتكلمت تميم وافتخرت لمكان هذين الشاعرين العظيمي القدر فى قيس فدل هذا على أن قيسا أحظى بالمدح من تميم . . والا وابد من الشعر الابيات السائرة كالامثال وأكثر ما تستعمل الاوابد في الهجاء يقال رماها بآبدة فيكون لآبدة هنا لداهية قال الجاحظ الاوابد الدواهي ومنه أوابد الشعر حكاه عن أبى زيد وحكى لاوابد الابل التي توحش

ولا يقدر عليها الا بالعقر والاوابد الطير التي تقيم صيفا وشتاء والأوابد الوحش فاذا جمات أبيات الشعر على ما قال الجاحظ كان المعانى السائرة كالابل الشاردة المتوحشة وان شئت المقسمة على من قيلت فيه لاتفارقه كاقامة الطير التي ليست بقواطع وان شئت قلت انها فى بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش في نفارها من الناس وأما المحدودون فى الكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم سلم الخاسر مات عن مائة الف دينار ولم يترك وارثا وأبو العتاهية صنع

تعالى الله يا سلمَ بن عمروٍ   اذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

وكان صديقه جدا فقال سلم ويلي من ابن الفاعلة جمع القناطير من الذهب ونسبني الى ما يرون من الحرص ولم يرد ذلك أبو العتاهية لكن دعاه نصحه كما يفعل الصديق مع صديقه ومروان بن أبى حفصة أعطى مائة الف دينار غير مرات وكان لا يقابل الا بالكثير وهو لعمرى من ذوي الصوتات والمغرقين فى الكسب بالشعر وكان أبو نواس محظوظا لا يدرى ماوصل اليه لكنه كان متلافا سمحا وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني وكان البحترى مليّاً قد فاض كيسه من الشعر وكان يركب في موكب من عبده واما أبو تمام فما وفى حقه مع كثرة ما صار اليه من الاموال لانه تبذل وجاب الارض وكذلك أبو الطيب

باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبدالله محمد بن جعفر النحوي عن أبى علي الحسين بن ابرهيم الامدي لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم

تضمنى وهناً فقلت أسابقي   الى الزاد شلت من يدىّ الاصابع

ولم تلق للسعدىّ ضيفاً بقفرةٍ   من الارض الا وهو عريان جائع

لم يرد انه سبق ضيفه الى الزاد فيكون قد هجا نفسه ولكنه وصف ذئبا لقيه ليلا فقال

اسبقي أنت الى الا كل أي تأكلي تلك الذي صاحبي ان لم رمك فتلك وكل من لحمك ثم قال على جهة المثل لم تلق للسعدى من نفسه صفصاً تقعرة لا مستعتب فيها نعى الذئب الا وهو جائع يقول فهو لا يبقى على لأبي نعته ومن أنشدهم

أبوك الذى نبئت يحبس حمله عداة الندى حتى يجف بها البقل

قالوا اذا اخذ مطر الصيف الارض أنبتت بقلا فى أصول بقل قد يبس فذلك لاخضر هو النشر وهو الغمير فيأكله الابل فيأخذها السهام ولا سهام فى لحس فعدنه بالحمل بالحبل وقال الاصمعي هذا القول خطأ بل مدحه بعرفه الحمل لأن النشر مؤذ بكل من يأكله وان لم يكن ثم سهام .. وقال سليمان بن قتة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما وذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم و يروى للفرزدق

أولئك قوم لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلت

اراد لم يغمدوا سيوفهم الا بعد ان كثرت بها القتلى كما تقول لم أضربك وأنت على الا بعد ان جنيت على وقال آخرون اراد لم سلو سيوفهم لا وقد كثرت بها القتلى كما تقول لم القك ولم أحسن اليك الا وقد أحسنت اليك والقولان جميعاً صحيحان لانه من الاضداد وينشدون قول الآخر

هجمنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

ويروى

دفعت اليه وهو يخنق كلبه الا كل كلب لا أبالك نابح

قالوا فالمدح أن يكون انما يكعمه لئلا تنفر الضيوف ومن الذم أن يكون ذلك لئلا ينبح فيدل عليه الضيف وأنا أعرف هذا البيت فى هجاء محض لراعى هجا به الحطيئة وهو

ألا قبح الله الحطيئة انه على كل من وافى من الناس سالح

ويروى * على كل ضيف ضافه فهو سالح *

هجما عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

بكيت على مذق خبيث قريته الا كل عبسى على الزاد شائح

وأنشدنا أبو عبد الله

بحسبكَ الجيوشُ أبا حبيبٍ وجاد على مباركَ السحابُ

ويروى – أبار بيت – قال ان دعا له فانما أراد ان تعافى من الجيوش وأن يجوده السحاب فيخصب أرضه وان دعا عليه قال لا بقي لك خير تطمع فيه الجيوش فهي تجتث ديارك املهم بقلة الخير عندك ويدعو على محلته بان تدرسها الامطار وقال غيره معناه جاد على محلتك السحاب فاخصبت ولا ماشية لك فذلك أشد لهمك وغمك ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر

وجيفاء التي امستُ فيها دراعةٌ فسرّتْ وساءتْ كلّ ماشٍ ومصرم

أي فسرت كل ماشية وساءت كل فقير وأنشد عبد الله أيضاً

ابي على كل ايسارٍ ومعسرةٍ ادعواحيثما كماتدعى ابنةُ الجبلِ

وروي المبرد – أدعوحيثما – يريد أنه يجيب بسرعة كالصدى وهو ابنة الجبل وقيل ابنة الجبل الصخرة المنحدرة من أعلاه وزاد أبو زيد في روايته بيتا وهو

ان تدعهُ موهناً يعجل بحاجته عاري الاشاجع يسعي غيرَ مشتمل

فهذا مدح لا محالة ومنهم من حمله علي قول الآخر

كأنيَ اذ دعوتُ بني حنيفٍ دعوتُ بدعوتي لهمُ الجبالا

ورواه قوم – بني سليم – فمن مدح حمله كالاول في سرعة الاجابة ومن ذم نسبهم الى التثقل عن اجابته مثل الجبال ومن الدعاء الذي يدخل في هذا الباب قول الآخر

تفرقتْ غنمي يوماً فقلتُ لها يارب سلطْ عليها الذئبَ والضبعا

قيل انهما اذا اجتمعا لم يؤذيا وشغل كل واحد منهما الآخر واذا تفرقا آذيا وقيل ان معناه في الدعاء عليها قتل الذئب الاحياء عيثاً وأكلت الضبع الاموات فلم يبق منها بقية ومن لطيف ما وقع في هذا الباب قول النابغة الذبياني

يصدُّ الشاعرُ الثنيانُ عني صدودَ البكرِ عن قرمٍ هجانِ

لم يرد أنه نعال الشمال ولا نعال اليمين لكن أراد الصمير بالذى هجاه جعله شماً
وقال الآخر

ومن يهجر بمثل أبي وحدي   يجيء قبل السوابق وهو ثاني

أراد وهو ثانٍ من عنانه لأنه سبق متمهلا ٠٠ وقال ابن مقبل

اذا الرفاق أناخوا حول منزله   حلوا بذي نخرات يده وري

قال ابن السكيت ـ بذي نخرات ـ أي يتمجر بالسخاء والعطاء ويدل على قول ابن السكيت
ان لصق هذا البيت

جم المخارج أخلاق الكرام له   صلت الجبين كريم الخال معوار

ومما يمدح به ويذم قولهم هو نبصة البلد فمن مدح أراد بها أصل الطائر ومن ذم أراد
أنها لا أصل لها قالت أخت عمرو بن عبدود في علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد
قتل أخاها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله   لقد بكيت عليه آخر الابد

لكن قاتله من لايعاب به   وكان يدعى قديماً بيضة البلد

فهذا مدح كما تراه ٠٠ وقال الراعي النميري يهجو عدي بن الرقاع العاملي

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم   يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن ترضى لكم نسباً   وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وأنشد بعض العلماء

واني لطلاّم لأشعث بائس   عرانا ومقرور برى ماله الدهر

وجار قريب الدار أودي حياته   غريب بعيد الدار ليس له وفر

يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكر وانما مدحها لانه ظلم الناقة فينحر فصيلها
من غير علة ولا داء الا لضيافة هذا الأشعث والجار وأشباههما

باب في أصول النسب وبيوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام لان جميع من كان قبله قد هلك وانما بقي من ولده سام وحام ويافث فولد يافث الصقالبة وبرجان والاشبان وكانت منازلهم أرض الروم من قبل أن تكون الروم ومن ولده الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وولد حام كوش وكنعان وقوط وأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده وأما كوش وكنعان فأجناس السودان والنوبة والزنج والزغاوة والحبشة والقبط والبربر من أولادهما وولد سام ارم وأرفخشذ فعاد بن عوص بن ارم وطسم بن سام وجديس ابنا لاوذ بن ارم ومنهم العماليق ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ومنهم ملوك فارس وأجناس الفرس كلها ولده وثمود بن عابر بن سام وماش بن ارم نزل بابل وولده نمرود الذي فرق الله الالسنة في زمانه وهو الذي بنى الصرح ببابل ويقال إن النبط من ولد ماش ويقال أيضا انهم من ولد نارو ح بن فالغ بن أرفخشذ والأنبياء كلها عربها وعجميها والعرب كلها يمنيها ونزارها من ولد سام بن نوح حكى جميع ذلك ابن قتيبة ومن ولد أرفخشذ قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ وكان مسكن قحطان اليمن فنكل عمان من ولده فهم من العرب العاربة ويقطن بن عابر وهو أبو جرهم وكانت مساكن جرهم اليمن ثم نزلوا مكة فسكنوها وتزوج اسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم فهم اخوال العرب المستعربة ٠٠ قال الزبير بن بكار العرب ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فمضر شعب وربيعة شعب ومذحج شعب وحمير شعب وأشباههم وانما سميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وسميت القبائل لان العمائر تقابلت عليها أسد قبيلة ودودان بن أسد عمارة والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الأفخاذ والافخاذ تجمع الفصائل ٠٠ كنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة ٠٠ وزعم أبو أسامة فيما رأيت بخطه وقد عاصرته وكان علامة باللغة أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الانسان الارفع فالارفع فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيله ثم العمارة قال والعمارة الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة قال وهي الساق أوقال المفصل الشك مني أنا قال والحي أعظم من الجميع

لاشتمال هذا الاسم على جملة الانسان .. وأما أبو عبيدة فجعل بعد الجذم العشيرة قال وهم رهط الرجل دنياً ثم الفصيلة قال دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد وهم أهل بيت الرجل وأما البيوتات فكل يدعي لنفسه سابقة وبيتاً مفصلة بين الصحيح ما اتفق عليه العلماء وتداوله الرواة .. قال ابن السكيت كان أبي يقول العدد من تميم في بني سعد والبيت في بني دارم والفرسان في بني يربوع والبيت من قيس في غطفان ثم في بني فزارة والعدد في بني عامر والفرسان في بني سليم والعدد في ربيعة والبيت والفرسان في شيبان .. قال ابن سلام الجمحي كان يقال اذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة وكاثر بسعد وحارب بعمرو واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن وحارب بسليم واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان وكاثر بشيبان وحارب بشيبان .. قال أبوعبيدة ليس في العرب أربعة اخوة أنجب ولا أعز ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة وكان يقال له الأغر والحصن وبنوه شيبان وذهل وقيس وتيم الله .. قال ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي وفارسها الحرث بن ظالم وجوادها هرم بن قطبة وجوادها هرم ابن سنان المري وشاعرها النابغة الذبياني وفارس بني تميم عتيبة[1] بن الحارث بن شهاب أحد بني يربوع وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري وفارس دارم عمرو ابن عمرو بن عدس وفارس سعد فدكي بن أعبد المنقري وفارس ضبة زيد الفوارس ابن حصين الضبي وفارس قيس عامر بن الطفيل وفارس ربيعة بسطام بن قيس .. قال أبو عبيدة بيوت العرب ثلاثة فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم ومركزه بنو زرارة .. وقال أبو عمرو بن العلاء بيت بني سعد اليوم في الزبرقان بن بدر من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد وبيت بني ضبة بنو ضرار بن عمرو الردمي وبيت بني عدي ابن عبد مناة آل شهاب من بني ملكان وبيت التيم آل النعمان بن جساس قال وليس في العرب جساس غيره .. قال الجمحي فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معدي كرب وشاعرها امرؤ القيس وبيتها في كندة الاشعث بن قيس لا يختلف في هذا وما

---

(١) هكذا في النسخ والمحفوظ عتيبة وبه هذه قول الشاعر
ان الملوك قد علمت عروشهم ... عتيبة بن الحارث بن شهاب

احتلف في برار وال وأما الشرف ما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد النبي و نصل في الاسلام .. قال أبو اياس النصري كان بيت قيس في آل عمرو بن طرب العدواني ثم في غني في آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بني بدر بجاء الاسلام وهو فيهم .. وقال الاحمش على بن سليمان فرعا قريش هاشم وعبد شمس وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوذان وسيار بن عمرو بن جابر وفرعا حنظلة رياح وثعلبة ابنا يربوع وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب وفرعا قضاعة عذرة والحارث بن سعد

باب مما يتعلق بالانساب

قال أبو عبيدة قريش البطاح قبائل كعب بن لؤي بن عبد مناف و بنو عبد الدار وعبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب و بنو مخزوم بن يقظة و بنو تيم بن مرة و بنو جمح وسهم بن هصيص بن كعب وبعض بني عامر بن لؤي وقريش الظواهر بنو محارب والحارث بن فهر و بنو الادرم بن غالب بن فهر وعامة بني عامر بن لؤي وغيره .. كان يقال مارن غسان أرباب الملوك وحمير أرباب العرب وكندة كندة الملك ومذحج مذحج الطعان وهمدان احلاس الخيل والأزد أسد البأس والذهلان أحدهما ذهل بن شيبان ابن ثعلبة بن بكر والآخر ضبيعة وذهل بن ثعلبة واللهزمتان احداهما عجل وتيم اللات والأخرى قيس بن ثعلبة وعنزة وكلهم من بكر بن وائل الاعزة بن أسد بن ربيعة الاحابيش حلفاء قريش .. قال ابن قتيبة هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو و بنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنب حبشي وهو جبل بأسفل مكة فتحالفوا بالله انا ليد على غيرنا ماسجا ليل وأوضح نهار وما أرسي حبشي مكانه .. وقال حماد الراوية انما سموا بذلك لاجتماعهم والتحابش هو التجمع في كلام العرب .. المطيبون عبد مناف وزهرة وأسد بن عبد العزى وتيم والحارث بن فهر وعبد قصي .. الأحلاف مخزوم وعدي وسهم

وجمح وعبد الدار سموا أولئك المطيبين [illegible] أحلافهم فسموا [illegible]
وسموا الآخرين الأحلاف [illegible] في جفنة [illegible] وسموا
الأحلاف ولعقة الدم .. لأن [illegible]
ابن حبيب بن عمرو بن [illegible] على [illegible]
.. البراجم خمسة بطون من بني حنظلة قيس وعبس وعمرو وكلفة [illegible] وهم [illegible]
على أخويهم يربوع وربيعة ومالك وكلهم بنو حنظلة بن مالك [illegible]
مرة .. المعلمات [illegible]
وأضاف إليهم قوم علبة بن يربوع [illegible] وعدي وعوف
وهو عكل وثور أطحل وعكل هو [illegible] .. لأن [illegible]
قبائل من بني سعد [illegible] لأعرج [illegible]
.. والجرام [illegible] أربعة بطون من بني كلاب
[illegible] وحسل وحسيل [illegible] .. وقد
أبو زيد الكلابي وهو [illegible] وعمرو [illegible] من كلاب [illegible] لا يسمى
فيهم ضباباً وحسلاً وحسيلاً [illegible] هؤلاء لأ
الضباب فسموا [illegible] من كلاب [illegible]
وحسل وحسيل [illegible] ولا أعرف [illegible]
وحريم والوليد وزهير فهؤلاء أربعة [illegible] جميعاً .. ولد كلاب
شيبان وعامر وحليحة والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
.. بنو أم البنين عامر والطفيل وربيعة وعبيدة ومعاوية [illegible] من كلاب [illegible]
عند أكثر الناس قالوا وإنما اضطرب [illegible] أربعة وهم خمسة .. وقال أبو
زيد الكلابي وهو أعلم بقومه إن بني أم البنين أربعة كما قيل [illegible]
ملاعب الأسنة وثنت بالطفيل ثم تزوج عليها [illegible] أم البنين
وأسقطت له ثلاثة ذكوراً وجاءت [illegible] ثلاثة وهم سلمى وعبيدة وعتبة وذلك
الحيلة على أم البنين وأخيها زهير بن [illegible] حتى أجمع عليهم [illegible] أن لا تسقط
ولداً وكانت حاملاً فولدت معاوية معوّد الحكماء ثم [illegible] ربيعة [illegible] وزعم بعض

شبوحه الذين أحد عنهم أنه سمي معود الحكماء من أجل أنه تولى حكما عن زهير بن عمرو على أخيه وروي أبيت معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء لربد الجبل عيرأنه لم يتشد البيت وزعم أنه ناقص منها طملا العموى ٠٠ قال وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء ٠٠ الكملة بنو زياد العبسيون وهم ابن الحطاط ويقال له أيضاً ابن الفوارس وعمارة الوهاب وربيع الكامل وقيس الجواد هكذا رويناه عن النحاس ٠٠ قال المبرد وغيره ربيع الحفاظ وعمارة الوهاب وابن الفوارس أمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية ٠٠ الحمس هم قريش وكنانة ومن دان بدينهم من بني عامر بن صعصعة ٠٠ قال أبو عمرو ابن العلاء الحمس من بني عامر كلاب وكعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وأمهم مجد بنت التيم الادرم بن غالب بن فهر بن مالك وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم أي يتشددون لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وقيل سموا حمساً لشدة بأسهم ويعدون في الحمس خزاعة ٠٠ العنابس حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو بنو امية بن عبد شمس ٠٠ والاعياص العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وبنوه ابضا ٠٠ أم القبائل هند بنت تميم بن مرّ ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله واوس الله وعائذ الله وولدت لوائل بن قاسط بكرا وتغلبا وأعنز وقيل هو عنز بن وائل وولدت لعبد القيس بن قصى اللبوك عبد القيس وبعضهم يقول اللبوز بالهمزة ونصب الباء وفيه اختلاف بين العلماء ٠ الجمرات جمرات العرب ضبة وعبس والحارث بن كعب سموا بذلك لان أمهم الحنساء بنت برة فيما يقال رأت في المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها قال أبو عبيدة فطفئت من الجمرات اثنتان الحارث ابن كعب حالفت في غطفان وضبة حالفت الرباب وسعدا وبقيت عبس لم تطفأ لانها لم تحالف واما الجاحظ فجعلها عبساً وضبة ونميراً وأشار الى ان في تميم جماراً أيضا وصرح بذلك المفضل فقال هم بنو يربوع وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية نسبوا الى أمهم وهم زيد وصدى وحنيش بنو مالك بن حنظلة وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن حريمة ابن تميم بن حل بن عبد مناة بن أدعير انهم جعلوا مكان حنيش يربوعا ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير بن عامر بن صعصعة لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب قال الجاحظ انما قيل لكل واحد منها جمرة لأنهم تجمعوا حتى قووا على عدوهم واشتدوا

قال ويجوز أن يكون اشتقاقه من تخمير المرأة شعرها اذا صفرته فيقال قد خمرته قال غيره ومنه جمة مجمر اذا كان مجتمعاً شديداً .. طفية بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفا وأبا سود وربيعة وآخر لم نعرفه بن الكلبي فعرف أولادهم به .. والموالى ثلاثة موالى اليمين المحالف ومولى الدار المجاور ومولى النسب بن العم والقرابة .. قال الشاعر

باتت حياً على نعمانَ أوردهم مولى اليمين ومولى الدارِ والنسب

باب ذكر الوقائع والايام

قد أثبت فى هذا الباب ما تأدى الىّ من أيام العرب ووقائعهم مستخرجة من النقائض وغيرها ولم أشترط استقصاءها ولا ترتيبها اذ كان فى أقل مما جئت به غنى ومقنع ولأن ابا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت وانما هذه القطعة تذكرة للعالم وذريعة المتعلم وزينة لهذا الكتاب ووفاء لشرطه وزيادة لحسنه اذ كان الشعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب وأنا أذكر ما عنيته فى ذلك فى أقرب ما أقدر عليه من الاختصار ان شاء الله تعالى بعد أن اقدم فى صدره ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين لانه أولى بالتقديم واحق بالتعظيم ولما ارجوه من بركة اسمه وافتتاح القصص بذكره .. غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة ودان على رأس الحول من الهجرة ثم غزا عيراً لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ثم غزا فى طلب كرز بن جعفر حتى بلغ بدرا بعد عشرين يوما ووجهت القبلة الي الكعبة ثم غزا بدراً فكان يوم بدر لستة عشر يوما خلت من شهر رمضان من سنة اثنين وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلا والمسلمون ثلاثمائة و بضعة عشر رجلا فقتل من المشركين خمسون رجلا وأسر اربعة وأربعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ﴿ يوم أحد ﴾ كان في شوال من سنة ثلاث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة وقريش فى ثلاثة آلاف وفى هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه ﴿يوم الخندق﴾ كان في سنة اربع يوم بنى المصطلق و بنى لحيان

فى شعبان سنة خمس ويوم خيبر فى سنة ست وكان يوم مؤتة فى سنة ثمان واستشهدفيه زيد بن حارثة أمير الجيش وجعفر بن أبى طالب أمير الجيش أيضاً بعده وعبد الله بن رواحة أمير الجيش بعدهما وقام بأمر الناس خالد بن الوليد وكانوا فى ثلاثة آلاف وكان فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان وبعده بخمس عشرة ليلة سار الى حنين فى شوال ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هوازن فى شوال للنصف منه فانهزم المسلمون وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه وأيمن ابن عبد الله وهو ابن أم ايمن واستشهد ذلك اليوم وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد بن حارثة وفى رواية أخرى ابو بكر وعمر وعلى والعباس وأبنه وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وايمن واسامة ثم رجع الناس من وقتهم وانهزم المشركون وكانت الكرة عليهم ولله ولرسوله ثم سار بعد حنين الى الطائف فحاصرها شهراً ولم يفتحها وغزا بلد الروم في رجب من تسع فبلغ تبوك وبنى بها مسجداً هو بها الى اليوم وفتح الله عليه فى سفره ذلك دومة الجندل على يدى خالد بن الوليد وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة واياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة والله المستعان وعليه توكلت ﴿ وهذه أيام العرب ﴾ يوم اراب اى ثعلبة بن بكر رئيسهم الهذيل بن حسان على بنى رياح بن يربوع وكان للهذيل سبى نساء بنى رياح والتقى بهم على اراب وقد سبقه بنو رياح اليه ليمنعوهم الماء حتى يرد السبي فأقسم الهذيل لئن رددتم الينا اناء فارعالأيديكم فيه برأس انسان نعرفونه فاشتروا منه بعض السبي وأطلق البعض ٠٠ ﴿يوم نعف قشاوة﴾ لبسطام بن قيس رئيس بنى شيبان على بنى يربوع قتل فيه بجيراً وأسر أباه ابا مليل ثم من عليه من وقته وترك له مليلا ولده وكان أسيراً عنده بعد ان كساه وحمله ﴿يوم بحران﴾ الاقرع بن حابس فى قومه بنى تميم على اليمن هزمهم وكانوا احلاطا وفيهم الاشعث بن قيس وأخوه وفيهم ابن باكور الكلاعى الذى أعتق فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة الاف اهل بيت فى الجاهلية أسروا ٠٠يوم الصمد﴾ وهو يوم طلح ويوم ملقاويوم اود ويوم ذى طلوح كلها يوم واحد لبنى يربوع على بنى شيبان ورئيسهم الحوفزان ورئيس اللهازم ابجر بن بجير العجلى ﴿ يوم طخفة ﴾

وهو أيضا يوم ذات كهف ويوم حراز في قول بعضهم لبنى يربوع والبراجم على المنذر ابن ماء السماء اسروا فيه اخاه حسان وابنه قابوس وجزت ناصية قابوس وكان ذلك سبب ازالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحي ﴿ يوم المروت ﴾ وهو يوم إرم الـكلبة نقا قريب من الساج لبنى حنظلة وبنى عمرو بن تميم على بنى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكان الذكر فيه لبنى يربوع وانما أغارت قشير على بنى العنبر فاستنقذ بنو يربوع أموال بنى العنبر وسبيهم من بنى عامر ﴿ يوم مليحة ﴾ لبنى شيبان على بنى يربوع رئيسهم بسطام بن قيس وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجر فلما رآه بسطام قال ما قتل هذا الا لتثكل رجلا أمه فقتل به يوم العطالى قتله نهشل ابن المقعاس ﴿ يوم اللوى ﴾ لفزارة على هوازن وفيه قتل عبد الله بن الصمة ونجى أخوه دريد ﴿ يوم الصاعاء ﴾ لهوازن على فزارة وعبس وأشجع وفيه قتل دريد ذؤاب بن أسماء ﴿ يوم الهباءة ﴾ وهو يوم الجفر لعبس على ذبيان وفيه قتل حذيفة ابن بدر وأخوه حمل سيدا بني فزارة وكان يقال لحذيفة رب معدّ ﴿ يوم عراعر ﴾ لعبس على كلب وذبيان وفيه قتل مسعود بن مصاد الـكلبى وكان شريفاً ﴿ يوم الفروق ﴾ بين عبس وبني سعد بن زيد مناة قاتلوهم فمنعت عبس أنفسها وحرمها وجاءت غارة بنى سعد وقيل لقيس بن زهير ويقال عنترة كم كنتم يوم الفروق قال مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفشل ولم نقل فنذل ﴿ يوم شعب جبلة ﴾ قال أبوعبيدة كانت عظام أيام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة ويوم ذي قار وكان يوم الشعب لبني عامر بن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفين أسد وذبيان ورئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه ويطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ومعهم معاوية بن الجون الـكندى فى جمع من كندة وعلى بنى حنظلة بن مالك والرباب رئيسهم لقيط بن زرارة يطالب بدم معبد أخيه ويثربى بن عدىّ ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية وقتل بل عمرو بن الجون وحسان بن مرة الـكلبى أخو النعمان بن المنذر لامه .. وقال غير أبى عبيدة كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن حصن بن الجون بن آكل المرار ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم فأقبلوا اليهم بوصائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها وهم الرابطة وجاءت بنو تميم فيهم

لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ولم يتحلف منهم الا بنو سعد لزعمهم أن صعصعة هو ابن سعد ولم يتحلف من بني عامر الاهلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر وشهدت عبس وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بحيلة الا قشيراً وشهدت بنو عبس بن رفاعة ابن بهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهدمعهم نفر من عكل فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه الا الله عز وجل ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم وقتل لقيط بن زرارة طعنه شريح بن الاحوص فحمل مرتثاً فمات بعد يوم أو يومين وأسر حسان بن الجون أسره طفيل بن مالك وأسر معاوية بن الحارث بن الجون أسره عوف بن الأحوص وجز ناصيته وأطلقه على الثواب ولقيه قيس بن زهير فقتله وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن قشير وأسر عمرو بن عمرو بن عدس أسره قيس بن المنتفق فجز ناصيته وأطلقه على الثواب وكان يوم جبلة قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة وقبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وروي عنه غيره خلاف ذلك ﴿ يوم أقرن ﴾ لبني عبس على بني تميم وبخاصة بني مالك بن مالك بن حنظلة وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس وابنه شريح وأخوه ربعي وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر فسبي سبياً من عبس وغنم مالاً وانثني بجارية من السبي فأدركه عبس فكان من أمره ما كان ﴿ يوم زبالة ﴾ لبني بكر بن وائل وبخاصة بني شيبان وبني تيم الله رئيسهم بسطام على بني تميم ورئيسهم الاقرع بن حابس أسر فيه الاقرع وأخوه فراس واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة ﴿ يوم حدود ﴾ لبني سعد بن زيد مناة على بني شيبان وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان على سعد فأدركهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم وفاته الحوفزان لصلابة فرسه فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في خرابة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش على تمر أخذوه منهم وفصل ثياب فعيرتهم بذلك منقر ﴿ يوم الكلاب ﴾ الاول لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور ومعه بنو تغلب والنمر بن

قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر ابن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً وانما ربسوا بعد ذلك حكاه أبو عبيدة فقتل شرحبيل قتله أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي ويقال بل قتله ذو السنينة حبيب بن عتبة الجشمي وكانت له سن زائدة وهو أخو أبي حنش لأمه وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي مهلهل هكذا أثبتوا في هذا الموضع ان عدياً أخو مهلهل ويسمى الكلاب الأول أيضاً ﴿ يوم الشعسة ﴾ يوم الكلاب الثاني لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس ابن عاصم على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم زيد بن المأمور وهم مذحج وهمدان وكندة وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهتم قيس بن سماي بن بعد ان أسر رئيس كندة هتمه قيس بن عاصم بقوسه وانتزع عبد يغوث من يدي الأهتم بعد أن شرط المأسور لموصله اليه مائة ناقة من الابل ثم قتلوه برئيسهم النعمان بن حساس وكان قد قتل ذلك اليوم ويسمى الكلاب الثاني أيضاً ﴿ يوم جر الدوابر ﴾ قال أبو عبيدة لم تشهد من تيم الا الرباب وسعد خاصة وكان الظفر من الرباب لتيم ومن سعد لمقاعس ﴿ يوم ذي بيض ﴾ أغار الحوفزان على بني يربوع فسبي نسوة منهم فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة واستنقذوا النسوة وأسروا الحوفزان أسره حنظلة بن بشر بن عمرو وزعم قوم ان هذا اليوم يوم الصمد ﴿ يوم عاقل ﴾ لبني حنظلة على هوازن وفيه أسر الصمة بن الحارث بن جشم وهزم حيشه وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة ثم أطلقه بعد سنة وجز ناصيته على أن يثيبه فأتاه على الثواب فضرب الصمة عنقه ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث بن بيبه المجاشعي وأسر رجلا من بني أسد وكان بزيلا عند ابن أخت له في بني يربوع بنا الصمة فافتدى الصمة نفسه ومضى مع ابن بيبه في فداء ابنه الى الأسدي النازل في بني يربوع فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية فبنو مجاشع تعير بذلك ﴿ يوم عنين ﴾ لبني نهشل على عبد القيس مغوا فيه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين فعرضت لهم عبد القيس واستعانوا ببني نهشل فحموهم واستنقذوهم ﴿ يوم قلها ﴾ منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بني عبس الماء وغلبهم عليه بعد اصلاح

فزارة ومرة حتى أخذوا دية عبد العزى يوم حدار ومالك بن سبيع ﴿ يوم براحة ﴾ لبنى ضبة على محرّق الغسانى وأخيه فارس مودود أغاروا على بنى ضبة بمزاحفة فى طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما فأدركهم بنو ضبة فأسر زيد الفوارس محرقا وأسر أخاه حبش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما وقتل منهما عدة ﴿ يوم اضم ﴾ لبنى عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مريقيا الملك الغسانى وهو عمرو بن عامر وفيهم كان ملك غسان بالشام فى آل جفنة علبة بن عمرو ابن عامر قبل بنى عائذة قتلا ذريعا وفى ذلك اليوم قتل الرديم وحمل رجل من بنى عائذة بن قيس يدعى عامر بن صامر فقال والله لأطعنن طعنة كنحر الثور العرم ثم قصد ابن مريقيا فطعنه فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم براحة وقال آخرون بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مريقيا وزعم غيرهم أيضاً أنها مع مريقيا نفسه لا مع ولده والله أعلم ﴿ يوم نقا الحسن ﴾ الحسن شجر سمى بذلك لحسنه وقيل هو جبل وهذا اليوم لبنى ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل وفيه قتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة أخو بنى صباح وكان رجلا أعسر فأصاب صدعه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن ﴿ يوم اعيار ﴾ وهو أيضاً يوم النقيعة لبنى ضبة على بنى عبس وفيه قتل عمارة الوهاب قتله شرحاف بن المثلم ابن عم له يدعى معصالا كان عمارة قد قتله وانطوى حبره ثم سمعه شرحاف ذكره على شراب وكان حينئذ غلاما فخيس شب أحد ثار ابن عمه يوم النقيعة واستنقذت بنو ضبة ابلها من عبس وقد كانوا ادركوهم فى المراعي ﴿ يوم رحرحان الاول ﴾ غزا يثربى بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بنى عامر بن صعصعة وعلى بنى عامر قريط بن عبيد بن أبى بكر وقتل يثربى ﴿ يوم رحرحان الثانى ﴾ لبني عامر بن صعصعة ورئيسهم الأحوص على بني دارم وفى ذلك اليوم اسر معبد بن زرارة اسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما فى أسره رجل من غنى يقال له أبو عميرة عصمة بن وهب وكان احاطفيل من الرضاعة وفى أسرهم مات معبد شدوا عليه القد وبعثوا به الى الطائف خوفا من بني تميم أن يستنقذوه كان هذا كله بسبب قتل الحارث ابن ظالم المرى من مرة بن سعد بن ذبيان خالد بن جعفر غدرا عند الأسود بن المنذر

وقيل عند النعمان والتحاكم الى زرارة بن عدس فلما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والتف عليهم وكان بين يوم رحرحان وغزوة جبلة سنة واحدة ﴿يوم جدود﴾ احتلفت سعد والرباب على بني حنظلة وكان بنو عمرو بن تميم حالفوا بكر بن وائل وضاقت حنظلة بسعد والرباب فساروا الى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم فقال ابن خفاف لسعد والرباب من لعيال عمرو وحنظلة ان قتلتم مقاتلتهم قالوا نحن قال فمن لعيالكم ان قتلوا مقاتلتكم قالوا هم قال فدعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم وتكلم الاهتم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد وساروا الى عمرو وحنظلة الى النسار من جماعة فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة الى الصلح وأبى ذلك مالك بن نويرة ﴿يوم النسار﴾ وذلك ان عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن انتجعوا بلاد سعد والرباب وهم يمتون اليهم برحم لأنهم يزعمون ان صعصعة ابا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم وقال آخرون انما غضبوا على سعد لما انتهب العزى بعكاظ ولحق بابي أمه ولد معاوية بن بكر وهوازن وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صعصعة وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الاهتم وسمه سنان بن سمي بن سنان وقيل سمي بن سنان وضمن هوازن مرة بن هبيرة فسرقت خيل لذى الرقيبة ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحيف بن المنتجف اعترفها بعض القشيريين فضربه القشيري على سعده وضربه الحيف فقتله فأرادت هوازن القود من الرباب فطلبهم بذلك ضامن سعد فأبت الرباب الا الدية ففارقهم سعد وصافرت هوازن فاستمدت بنو ضبة أسداً وطيئاً والتقوا بالنسار وعبيت أسد لسعد والرباب لهوازن فانهزمت هوازن وسعد وكان حامي أدبار بني عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري فرماه ربيعة بن أبي وكان أرمي الناس فقتله فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم شطور أموالهم وسلاحهم وقبل ذلك منهم وهذا يوم المشاطرة ويوم النسار وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية وبنو ضبة يزعم أن هذا اليوم قبل يوم جبلة وأبو عبيدة لا شك أنه بعده ﴿يوم الصرائم﴾ وهو أيضاً يوم الجرف لبني رياح بن يربوع على بني عبس وفي هذا اليوم أسر الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي أسره أسيد بن حياة السليطي وأسر بنو حميري بن رياح

رماء بروة بني مروان ورماع وأسعقدوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسروا ذلك اليوم في قتل بني عبس ﴿ يوم المغط ﴾ لبني يربوع على بني شيبان وكان الشيبانيون قد غزوهم متساندين على ثلاثة ألوية الحوفزان بن شريك والأسود أخوه وبسطام بن قيس وفي هذا اليوم أسر الاسود بن الحوفزان وزيد بن الاسود ابن شريك وحمي بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ورثاه بعضهم بمراث عدة وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم الاياد ويوم العظالى سمي بذلك لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو والحوفزان بن شريك تعاظلوا على الرياسة .. وقال مرة أخرى لم يشهد الحوفزان يوم العظالى قال وهو أيضاً يوم الافاقة ويوم اعشاش ويوم ملحة ﴿ يوم ذي نجب ﴾ لبني يربوع على بني عامر وفيه قتل حسان ابن معاوية بن آكل المرار الملك قتله حنيش بن عمران من بني رياح بن يربوع وقيل بل هو عمرو بن معاوية أخو المقتول وأما حسان فأسر أسره دريد بن المنذر وكانت بنو عامر أتت به نعرو بني حنظلة بن مالك بعد يوم جبلة بعام فتنحى لهم بنو مالك بن أبي عمرو بن عمرو بن عدس وتركوا في صدورهم بني يربوع فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة وأسر يومئذ يزيد بن الصعق وقتلت بنو نهشل حليف بن عبد الله الحميري وأسر يزيد بن ثعلبة الهصان وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب وقتل خالد بن ربعي النهشلي عمرو بن الأحوص وكان رئيس بني عامر يومئذ ﴿ يوم خزازى ﴾ ويقال خزاز واختلف فيه فقال قوم كان رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة .. وقال آخرون رئيسهم زرارة بن عدس وقال آخرون بل ربيعة الاحوص وقد انكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت عنده أنه قال هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا نعرف من هو منهم وأما ربيعة فيقول لا شك أنه يوم خزاز لكليب بن ربيعة على مذحج وغيرهم من اليمن وكان بعقب يوم السلاّن فجمع كليب جموع ربيعة فاقتتلوا فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن ﴿ يوم ملزق ﴾ وهو أيضا يوم السوبان كان لبني تميم على عبس وعامر بعد ان قاتلت تميم جميع من أبي بلادها من القبائل وهم إياد وبلحارث بن كعب وكانت وطيئ وبكر وتغلب وأسد كانوا يأتونهم حيا حيًّا فتقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد وآخر من أتاهم بنو عبس وبنو عامر ﴿ يوم الوقبه ﴾ وهي بالدهناء أغارت بنو هلال على نعم

بني نهشل فأنزلهم بنو نهشل بالوقدة وهي بالدهناء ثم أفلت من بني هلال لارجل واحد يقال له فراس طواف وقتل أوابه ﴿ يوم قف الريح ﴾ ورأيته بخط العصري فيه مقصوراً في مواضع من كتاب نوادر أبي زياد الكلابي ٠٠ وأنشد أبو زياد لمزن بن الطفيل

وبالفيفا من اليمن استثارت قبائل كان أولهم فخارو

ـ الفيفاء ـ جبل طويل من جبال خثعم يقال له فيفا الريح وكان النصر فيه والشرف لبني عامر وقد اجتمعت كلها الى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج وقد غزتهم مذحج في عدد عظيم من بني الحارث بن كعب وجعفي وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدي ونهد ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي واستعانوا بخثعم فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك وأسرع القتل في الفريقين فافترقوا ولم تغنم طائفة منهم طائفة وفي هذا اليوم أصيبت عين عامر وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم طلح ﴿ يوم ذي نهدى ﴾ لبني يربوع على تغلب أسروا فيه الهذيل ٠٠ قال جرير للاخطل يعيره بذلك

هل تعرفون بذي نهدى فوارسنا يوم الهذيل بأيدي القوم مقتسر

﴿ يوم الشر ﴾ لبني كلاب على الاراقم ورئيس قيس يومئذ الجحاف بن حكيم الكلابي وكان سبب ذلك تعيير الاخطل اياه ﴿ يوم الرغام ﴾ لبني تغلب بن يربوع ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب اغار فيه على بني كلاب فاطرد إبلهم وقتل يومئذ أخوه حنظلة قتله الحوثرة وأسر الحوثرة ذلك اليوم فدفع الى عتيبة فقتله صبراً لأخيه وانهزم الكلابيون بعد ان أسرع فيهم القتل والأسر ﴿ يوم الهراميت ﴾ للضباب وهم معاوية بن كلاب على اخوته بني جعفر بن كلاب وكان هذا اليوم في زمن عبد الملك بن مروان وكذلك يوم البشر ﴿ يوم الوقيط ﴾ كان في فتنة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو للهازم رئيسهم الحر بن بجير على بني مالك بن حنظلة فاما بنو عمرو بن تميم فانذرهم وثب بن نشامة العصري فدخلوا الدهناء فنجوا وفي هذا اليوم اسر ضرار بن القعقاع بن معبد اسره المرار الشيباني ورجل من تيم اللات جزت تيم اللات ناصيته وحلته تحت الليل مصادرة للعرب و سمي أيضاً هذا اليوم يوم الحو ﴿ يوم جرع طلال ﴾ لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر على التيم وعدي وعكل وثور أطحل بني عبد مناة وأخذ يومئذ شريك بن مالك

ابن حذيمة من التيم وعكل أربعين امرأة ثم أطلقهن وأخذ حارثة بن حصن نفرا من التيم فاطلقهم بغير فداء ثم اغارت فزارة بعد ذلك عليهم ورئيسهم عيينة فقتلوا التيم قتلا ذريعاً وأخذوا منهم مائة امرأة فقسمهن عيينة في بني بدر وحملهن مع أزواجهن الاسارى يتقلن الخوا هونا لهم ثم أطلق الجميع بعد ذلك بغير فداء وأغارت عليهم بعد ذلك بنو غيظ بن مرة رئيسهم زيد بن شيبان بن أبي حارثة فقتلوا التيم وعدياً وسبوا سبياً كثيراً لم يردوا منه شيئاً فبني هذا كله عليهم جرير ﴿يوم اوارة الاول﴾ لتغلب والنمر بن قاسط مع المنذر بن ماء السماء على بكر بن وائل مع سلمة بن الحارث واسم سلمة معدي كرب وهو أيضاً العلفا بعد قتل أخيه شرحبيل والذي قتله سلمة العلفا بن عمرو بن كلثوم عرفه فحمل عليه حتى قنعه السيف وكان سبب هزيمة بكر بن وائل وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أوارة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا أخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض و بر يمين المنذر وكف عن القتل وكان مالك هذا رضيع المنذر ﴿يوم اوارة الاخير﴾ كان لعمرو بن هند على بني دارم وذلك ان ابنا له كان مسترضعا عند زرارة بن عدس اسمه أسعد وكان قد تدباه فمرت ناقة لأحد بني دارم يقال له سويد فخرق ضرعها فشد عليه فقتله وأتى الخبر زرارة وهو عند عمرو وكان كالوزير له فلحق بقومه وادركه الموت على عقب ذلك فغزا عمرو بني دارم وحلف ليقتلن منهم مائة فقتل منهم تسعة وتسعين وأتم المائة برجل من البراجم وفي حكاية أخرى انه احرقهم وبذلك تشهد مقصورة ابن دريد وشعر الطرماح وزعم أبو عبيدة ان من زعم انه احرقهم فقد أخطأ وذكر شعر الطرماح فقال لا علم له بهذا واستشهد بقول جرير

أينَ الذينَ بسيفِ عمروٍ قُتلوا ام أين اسعدُ فيكمُ المسترضعُ

﴿يوم زرود الاول﴾ لشيبان مع الحوفزان على بني عبس وأثخن ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحا غير انه سلم فلم يمت منها ﴿يوم زرود الآخر﴾ أغار خزيمة بن طارق التغلبي على بني يربوع فاستاق النعم فادركوه فاسره أسيد بن حناءة السليطي وانيف بن جبلة الضبي وكان نقيلا في بني يربوع ووردوا العسمة من ايدي التغلبيين ﴿يوم تثليث﴾ غزت سليم مع العباس بن مرداس مرادا فجمع لهم عمرو بن معدي كرب فالتقوا بتثليث فصبر الفريقان

ولم تظهر طائفة منهم بالاخرى وفي ذلك اليوم صنع العباس قصيدته السينية وهي احدى المنصفات ﴿ يوم ذي علق ﴾ كان بين بني عامر وبني أسد وفي هذا اليوم قتل ربيعة أبو لبيد ﴿ يوم العذيب ﴾ كان لبني سعد بن زيد مناة وعنزة على مذحج وحمير وكان رأس بني الاصهب الجعفي بعث اليه النعمان يكر عليه لحرب سعد وعنزة العذيب فحشد لهم ومنهم فقتلوه قتله الاحمر بن جندل وانهزمت اليمانية هزيمة شديدة وأخذ منهم مال كثير وسبي ﴿ يوم الصفقة ﴾ وهو أيضا يوم المشقر كان على بني تميم بسبب عير كسرى التي كان يجيرها هوذة بن علي السحيمي فلما سارت بلاد بني حنظلة قطعوها برأي صعصعة وانحة جد الفرزدق فكتب كسرى الى المكعبر عامله على هجر فاعتالهم واراهم انه عرضهم للعطاء ويصطنعهم وكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل الى ان فطنوا واصفق الباب على من حصل منهم فلذلك سميت الصفقة وشفع هوذة في مائة من اساراهم فتركوا له فكساهم واطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا ﴿ يوم ذي قار ﴾ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لبني بكر بن وائل وقدمة بني شيبان وبعدهم بنو عجل على الاعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم اياس بن قبيصة الطائي وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسري اياه وتحت يديه طيىء واياد وبهرا وقضاعة والعبـاد وتغلب والنمر بن قاسط قد رأس عليهم النعمان بن زرعة اخي النمر وتغلب وكان سبب يوم ذي قار طلب كسرى تركة النعمان بن المنذر وكان النعمان قد تركها وبرك ابنا له وبنتا عند هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني فمنع رسول كسري من الوصول الى ما طلب وكتب كسرى الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وكان عاملا له على الطف بان يعين اياسا فانفذ الى قومه ليلا وحرضهم على القتال وتواطأت العرب على العجم فطارت اياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم مهزمون وقتل الهـامرز وخلا برز عامل كسرى واسر النعمان بن زرعة التغلبي وبسبب ما صنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه فقتله ﴿ يوم الفجار ﴾ الاول كان بين كنانة بن خزيمة وبين عجز هوازن بسوق عكاظ أول يوم من ذي القعدة وبذلك سمي فجارا لانهم فجروا في الشهر الحرام وكان سبب ذلك ان بدر بن معشر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول أنا أعز العرب فمن كان أعز منها

فاضربها بالسيف فضربها الاحمر بن هوازن من بنى نصر بن معاوية وكان بين القبلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة وقد ذكره أبو عبيدة ﴿ يوم الفجار الثانى ﴾ كان سببه فتيان من عربية قريش وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ فسألوها ان تسفر لهم فابت فحل أحدهم ذيلها الى ظهر درعها بشوكة فلما قامت انكشفت فقالوا منعتينا رؤية وجهك وأريتنا دبرك فصاحت يال عامر فتصايحوا وجرت بين الفريقين دماء يسيرة حملها حارث بن امية وليس هذا الفجار أيضاً عند ابن قتيبة وقد ذكره ابو عبيدة ﴿ يوم الفجار الثالث ﴾ كان سببه دين كان لأحد بنى نصر على أحد كنانة فابى النصري نقرد فقال من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان فهو أحد بنى كنانة فقتل القرد فتصايح الفريقان ثم سكنوا وكان هذا سبب الامر العظيم من قتل البراض الكناني عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشاً وكانوا قد ادركوهم بنخلة حتى دخلوا الحرم وحجبهم الليل ثم التقوا بعد حول وكانت الوقعة أيضاً عليهم وهو يوم شمطة ثم التقوا أيضاً بعد حول وكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يقتلوا هذه رواية أبى عبيدة وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكناني هو الفجار الأول وقال فى آخره ولم يكن بينهم قتال انما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينة بن حصن بن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون فقال أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ولئن بقيت الى قابل ليعلمن فغزاهم من قابل وأغار عليهم قال فهذا الفجار الثانى والحرب فيه بين كنانة وقيس والدائرة على قيس بن عيلان ﴿ يوم الجفار للأحاليف ﴾ فى ضبة واخوتها الرباب وأسد وطيئ على بنى تميم واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعاً ﴿ يوم الصريف ﴾ كانت هذه الوقعة فى أيام الرشيد وهي لبنى ضبة على بني حنظلة وفى ذلك يقول شاعرهم وأظنه من ولد جرير

صَبَرَتْ كليبٌ للطعانِ ومالكٌ يومَ الصريفِ وفَرَّت الأحمالُ

ـ والاحمال ـ بطون فى بنى حنظلة .. وقد أوفيت بما عقدت به فى صدر هذا الكتاب

من اثبات ما انتهى الى من أيام العرب مجتهداً فى اختصارها بريا مما وقع فيها من الاختلاف وانما عهدة ذلك على الرواة وسأذكر من مفاخر بنى شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدأته لانى لو تقصيت ذلك لأفنيت العمر دون تقصي الجزء الذى لا يتجزأ منه قلة لكني ذهبت فيهم وفى سيدهم أبى الحسن مذهب أبى الطيب فى اخوتهم بنى تغلب وفى سيدهم عليّ بن حمدان حيث يقول

ليتَ المدائحَ تستوفى مـناقبَهُ ... فما كليبٌ وأهلُ الأعصرِ الأول
خذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به ... فى طلعةِ الشمسِ ما يغنيكَ عن زحل

قال أبو عبيدة قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك الكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان أكرمهم وحباهم وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه معه و يشربون وكان اذا وضع الشراب سقي العرب فمن يبدئ به على أثره فهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر الى النعمان الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر فى وجوهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول

ســقي وفودَكَ ممـا أنت ساقــيتي ... وابدى بكأسِ ابنِ ذي الجدينِ بسطام
أعزّ نمـــه من شيبانَ ذو أنفٍ ... حامي الذّمارِ وعن اعراضها رامي
قد كان قيسُ بنُ مسعودٍ ووالده ... تــبدا الملوك بهــم أيام أيامي
فارضوا بما فعلَ النعمانُ فى مضرٍ ... وفى ربيعــةَ في مطعم أقــوام
همُ الجماجمُ والاذنابُ غيرهمُ ... فارضــوا بذلك أو بوؤا برغام

فقال عامر بن الطفيل

كان التبابعُ فى دهرٍ لهم سلفٌ ... وابنُ المرارِ واملاكٌ على الشامِ
حتى انتهى الملكُ من لخمٍ الى ملك ... نادى السماءِ لمن لم يرمه رمي

أنحي علينا بأظفار وطوّقنا طوقَ الحمام بانعاس وارغام

ان يمكن اللهُ من دهرٍ نساءُ به نتركك وحدك تدعو رهط بسطام

فانظر الى الصيدلم يحمرك من مضر هل في ربيعةَ ان لم تدعها حامي

فأجابه بسطام بن قيس .. فقال

لعمري لئنْ صبحتُ تميم وعامرٌ لقد كنتُ يوماً في حلوقهم شجا

أروني كمسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبدالله ذي الباع والمدى

وكانوا على أعداء بكر بن وائل ربيعاً اذا ما سال سائلهم جدى

فسرتُ على آثارهم غير تارك وصنتهمْ حتى انتهتُ الى مدى

قال وتفتخر رجلان بباب معاوية بن أبى سفيان أحدهما من بني شيبان والآخر من بني عامر بن صعصعة فقال العامرى اا أعد عليك عشرة من بنى عامر فعد عليّ عشرة من بني شيبان فقال الشيبانى هات اذا شئت فقال العامرى جد عامر بن مالك ملاعب الاسنة والطفيل بن مالك قائد هوازن وفارس قرزل ومعاوية بن مالك معود الحكماء وربيعة بن مالك فارس ذى علق وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ويزيد بن الصعق وأربد بن قيس وهو أربد الحتوف فقال الشيبانى جد قيس بن مسعود رهبة بكر بن وائل وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة والحوفزان بن شريك فارس بكر بن وائل وهانئ بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ومفروق بن عمرو حاصن الأيتام وسنان بن مفروق ضامن الدمى والأصم عمرو ابن قيس صاحب رؤس بني تميم وعمران بن مرة الذى أسر يزيد بن الصعق مرتين وعمرو بن النعمان فتلاحيا فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال فدخل على معاوية فأخبره بالقصة فدعا بهما فلما دخلا عليه نسبهما فانتسباله فقال معاوية عامر أفخر هوازن وشيبان أفخر بكر بن وائل وقد كفاكما الله المؤنة هذان رجلان من غير قومكما عندى يحكمان بينكما عديّ بن حاتم وشريك بن الأعور الحارثى احكما بينهما ثم قال معاوية للشيبانى من تعنى لعامر بن مالك قال أصم بن أبى ربيعة الذى قتل من تميم مائة رجل على دم فقال معاوية للرجلين ما تقولان قالا رجح الأصم على عامر بن مالك قال

معاوية قم بعي لعامر بن الطفيل قال الشيباني الحوفزان بن شريك قال الحكمان رحح الحوفزان قال قم بعي لعلقمة بن علاثة قال الشيباني بسطام بن قيس فقالا رحح بسطام قال معاوية قم بعي لعتبة بن سنان قال الشيباني معروق بن عمرو فقالا رحح معروق قال معاوية قم بعي للطفيل بن مالك فقال الشيباني عمران بن مرة فقالا رحح عمران بن مرة فقال معاوية قم يعي لمعاوية بن مالك قال الشيباني عوف بن النعمان فقالا رحح عوف بن النعمان قال معاوية قم بعي لعوف بن الاحوص قال الشيباني قبيصة بن مسعود فقالا رحح قبيصة قال قم بعي لربيعة بن مالك قال هانئ بن قبيصة فقالا رحح هانئ بن قبيصة قال معاوية قم بعي لعريد بن الصعق قال سنان بن معروق فقالا رحح سنان بن معروق قال قم بعي لاربد بن قيس قال الاسود بن شريك فقال معاوية للشيباني وأين نسيت قيس بن مسعود قال أصلحك الله قيس ليس من هذه الطائفة فانهم قنس مجداً طويلا

.. فقال العامري في ذلك

أعدُّ اذا عددتُ أبا براء ... فكان علا على الاقوام فضلا

وكان الجعفريُّ أبو عليّ ... اذا ما هاجت الهيجاءُ علا

ووالده الذي حدثتَ عنه ... طفيلٌ خيرنا نفعاً وطولا

وكان معود الحكم المارى ... رباحَ الصف أعلى القوم فعلا

وقد أورثْ رباده أبى لسدٍ ... ربيعةَ يوم ذى عَلَقٍ فابلى

وعلقمة بن احوص كان كهفاً ... كلابيًّا رحيبَ الباعِ سهلا

وعتبةُ والاعزُّ يزيدُ ابي ... رأيتهما لكلّ الفخرِ أهلاً

وعوفاً ثم أربد ذا المعالى ... كفى بهما عليكَ نداً ونيلاَ

أولئك من كلاب في ذراها ... وخير قرومها حسباً ونبلا

.. فقال الشيباني مجيباً له

أعدُ اذا عددتُ أبا خفافٍ ... وعمرانَ بن مرةَ والاصماً

وهانئاً الذى حدثتَ عنه ... وكان قبيصةُ الانفَ الاشمّا

ومموقاً ودا المحدات عوفاً وبسطاماً ووالده الحصما
واسود كان حير بى شريك ولم يكُ قربهُ كنتساً أحمّا
أولئك من عكابةَ حير بكر وأكرم من يليكَ أباً وأماً
وأفصل من يصيُّ الى المعالى اذا ما حصّلوا حالاً وعما
وأكثر قومهم بالشرّ طوقاً وأبعد قومهمْ في الحير هما

فقال معاوية للحكمين ما تقولان قالا شيبان أكرم الحيين فقال معاوية وداك قولى وأكرمهما وحاهما وفصل الشماني على العامري . . قال وكان من حديث دى الحدين أن الملك النعمان قال لأعطين أفصل العرب مائة من الابل فلما أصبح الناس احتمعوا لدالك فلم يكن قيس بن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق قال لئن كان يريد بها غيرى لأشهد دالك وان كان يريدنى بها لاعطينها فلما رأى النعمان احماع الناس قال لهم لىس صاحبها شاهداً فلما كان من الغداة قال له قومه انطلق فانطلق ودفعها اليه الملك فقال حاحب بن زرارة أبيت اللعن ماهو أحق بها منى فقال قيس بن مسعود أناوره عن اكرمنا قعيدة وأحسنا أدب ناقة وأكرمنا لئيم قوم فبعث معهما النعمان من ينظر دلك فلما انتهوا الى نادية حاحب بن زرارة مرّوا على رحل من قومه فقال حاحب هدا ألأم قومى وهو فلان بن فلان والرحل عند حوصه ويورد ابله فأقبلوا اليه فقالوا يا عبد الله دعنا نستقي فانا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا طهورنا فتحهم وأبى عليهم فلما أعياهم قالوا لحاحب اسفر وسفر فقال أنا حاحب بن زرارة فدعا فلشرب قال أنت فلا مرحباً بك ولا أهلاً فأتوا بيته فقالوا لامرأته هل من منزل ياأمة الله قالت والله مارب المنزل شاهد وما عندنا من منزل وراودوها على دلك فأبت ثم أتوا رحلا من بكر بن وائل على ماء يورد قال قيس هدا والله ألأم قومى فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهمّ أن نصرمهم فقال له قيس بن مسعود ويلك أنا قيس بن مسعود فقال له مرحباً وأهلاً أورد ثم أتوا بيته فوجدوا فيه امرأته وقدرها يغط فلما رأت الركب من بعد أنزلت القدر وردت فلما أنتهوا اليها قالوا هل عندك ياأمة الله منزل قالت نعم أنزلوا فى الرحب والسعة فلما نزلوا طعموا وارتحلوا فاحدوا ناقتهما فأناخوها على قريتين للعمل فأما ناقة قيس بن

مسعود فتصورت وتقلبت ثم لم تبر وأما ناقة حاجب فمكثت وتدنت حتى اذا قالوا قد اطمأنت طمقت هاربة فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت ياقيس واحد فأنت اليوم ذو جدين فسمى بذلك ذا الجدين وقيل انما سمى بذلك لاميرين أسرهما مرتين وقيل بل سبق سبقين هكذا جاءت الرواية والذى أعرف أنا أن ذا الجدين انما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمى بذلك لانه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم من عنزة أسروه وحكم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتره عن معرفة فوهبه كلما لقى فى طريقه من ابل أتيه بعدانها وكانت سوداً وحمراً وصماً وبلغ به الى أتيه فأجاز له ذلك وأعطاه قيمته مما فيها فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه اصاحبه أنه لذو جد قال الآخر بل هو ذو جدين فسمى بذلك

باب فى معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر فى هذا الباب من ملوك النواحي من أخذه حفظى وبلغته روايتي على شريطة الاختصار والتلخيص بحسب الطاقة والاجتهاد ان شاء الله تعالى ﴿ملوك اليمن﴾ قال ابن قتيبة وغيره أول من حيي بتحية الملوك أبيت اللعن وأنعم صباحاً يعرب بن قحطان فولد له يشجب وولد ليشجب سبأ وقيل انه اول من سبي السبي من ولد قحطان واسمه عبد شمس وقيل عامر وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ ملك حتى مات هرماً ولم يزل الملك فى ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن حتى مضت قرون وصار الملك الى الحارث الرائش وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً خرج من اليمن وغزا وجلب الاموال فراش الناس وبذلك سمي الرائش وفى عصره مات لقمان صاحب النسور وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقى لها بمكة وكان ملك الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم وأنشد ابن قتيبة

وأحمدُ اسمهُ ياليتَ أنى أعمرُ بعدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة دو المنار بن الرائش وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ثم أفريقس بن ابرهة وهو الذى بنى أفريقية وبه سميت وكان ملكه مائه وستين سنة ثم العبد بن ابرهة وهو دو الادعار سمى بذلك لقوم سباهم مكرى الوجوه ترعم العرب أنهم النسناس وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وهو أبو بلقيس ملك سنة واحدة ثم بلقيس الى أن أسلمت على يدي سليمان صلى الله عليه وسلم ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ثم شمر بن أفريقس وهو الذى أخرب مدينة سمرقند وبه سميت سمركند ومعنى كند اخربها وهو الذى سمي شمر يرعش لارتعاش كان به وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة ثم ابنه الاقرن بن شمر يرعش وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة ثم تبع الاكبر بن الاقرن وكان ملكه مائه وثلاثا وستين سنة ثم ابنه كليكرب ولم يغز حتى مات وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم تبع بن كليكرب وهو ابو كرب تبع الاوسط وكان يغزو بالنجوم ويعمل اعماله كلها باحكامها ويقال انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيه

شهدتُ على أحمدَ أنهُ رسولٌ من الله بارى النسم
فلو مدّ عمرى الى عمرهِ لكنت وزيراً لهُ وابنَ عمّ

ثم حسان بن تبع الاوسط وهو الذى غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جو اليمامة ثم عمرو بن تبع أخو حسان وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ثم عبد كلال بن مثوب وكان على دين عيسى يستر ايمانه وكان ملكه اربعا وسبعين سنة ثم تبع بن حسان وهو الاصغر وكان الحارث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس ابن أخيه وتبع هو الذى عقد الحلف بين ربيعة واليمن وهو الذى ادخل فى اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ثم أخوه لامه مرثد بن عبد كلال وقيل مزيد وكان ملكه احدى واربعين سنة ثم ابنه ربيعة بن مرثد ملك سبعا وثلاثين سنة ثم ابرهة بن الصباح ملك ثلاثا وسبعين سنة وكان يكرم معداً ويعلم ان الملك كائن فى بنى النضر بن كنانة ثم حسان بن عمرو

ابن تبع بن كليكرب ملك سبعا وثلاثين سنة ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه في أساري من قومه ثم ذو الشناتر واسمه لخيعة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه من ابناء المقاول قتله ذو نواس وكان غلاما من أبناء الملوك حسن الوجه له ذؤابتان اراده ذو الشناتر على نفسه فوجأه بخنجر كان قد اعده له فقتله ورضيته حمير لنفسها لما اراحها من ذي الشناتر وذو نواس صاحب الاخدود الذي ذكره الله عز وجل وكان يهوديا خد الاخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد قيل من آل جفنة وعلى أيام ذي نواس دخلت الحبشة اليمن واقتحم البحر منهزما فغرق وكان ملكه ثمانيا وستين سنة وقام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة فاقتحم البحر فهلك وملك اليمن ابرهة الاشرم وهو الذي زحف الى مكة بالفيل فهلك جيشه وابتلي بالاكلة فحمل الى اليمن فهلك بها وملك بعده ابنه يكسوم فساءت سيرته باليمن فاستجاش سيف بن ذي يزن كسرى فجيش له جيشا عظيما وقد مات يكسوم وولي بعده مسروق أخوه وهو أيضا أخو سيف لامه فقتلته الحبشة وسبيت نساؤهم فقام سيف ملكا من قبل كسري حتي غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتسحت به الظلمة واهتدت بهديه الأمة واستقر الملك في نصابه بعد الخلفاء الاربعة من أصحابه ممن وجبت طاعته وصحت بيعته وأنا واقف عند الشبهة قائل في هذا بما قالت به الجماعة فقد تنازع اسم أمير المومنين من لا يصلح له ولا يسلم اليه فلذلك أعرضت عن ذكر من لم اذكره ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ومنتهى عمره الى وقتنا هذا وما توفيقي الا بالله ﴿ ملوك الشام ﴾ كانت بالشام سليح[1] وهم من غسان ويقال من قضاعة واول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ثم من بعده ابنه مالك ثم من بعد مالك ابنه عمرو الى خروج مزيقيا وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من الأزد وسمي مزيقيا لانه كان يخرق كل يوم حلة لا يعود الى لباسها ثم يهبها وسمي عامر ماء السماء لأنه كان يجيء في المحل فينوب عن الغيث بالرفد والعطاء بن حارثة[2] الغطريف بن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع من الازد بن الاززد ومعه رجل يقال له جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك فقتل جذع ملك بلاد عك فافترقت الأزد والملك فيهم حينئذ

(١) ن سليح (٢) ن حارثة

ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهم فاجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا ثم أحدثوا الاحداث وجاء قصي بن كلاب فجمع معداً و بذلك سمي مجمعاً واستعان ملك الروم فاعانه وحارب الازد فغلبهم واستولى على مكة دونهم فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت وانخزعت خزاعة لولاية البيت و بذلك سميت فصار بعض الازد الى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم ابا جذيمة الابرش وصار قوم الى يثرب وهم الاوس والخزرج وصار قوم الى عمان وصار قوم الى الشام وفيهم جذع بن سنان فاتاه عامل الملك في خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهنا فقال الرومي ادخله في كذا من أم الآخر فغضب جذع وقنعه فقتله فقيل خذ من جذع ما أعطاك وسارت مثلا وولوا الشام فكان أولهم الحارث بن عمرو محرق سمي بذلك لأنه اول من حرق العرب في ديارها وهو الحارث الاكبر ويكنى أبا شمر ثم ابنه الحارث بن ابى شمر الغسانى وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ذات القرطين وهي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث ابن معاوية الكندى واخوها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار الكندى والى الحارث الاعرج زحف المنذر الاكبر فانهزم جيشه وقتل ثم الحارث الاصغر بن الحارث الاكبر وهو ولد الحارث الاعرج عمرو بن الحارث وكان يقال له ابو شمر الاصغر وله يقول نابغة بني ذبيان

علىّ لعمرٍو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الاصغر وله يقول النابغة

هذا غلامٌ حسنٌ وجههُ مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمام

وللنعمان هذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان ومن ولد الاعرج أيضاً المنذر والأيهم أبو جبلة وجبلة آخر ملوك غسان كان طوله اثنى عشر شبراً وهو الذى تنصر فى أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ﴿ ملوك الحيرة ﴾ أولهم مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ملك العرب بالعراق عشرين سنة ثم ابنه جذيمة بن مالك وهو الأبرش وهو الوضاح كان ملكه ستين سنة ثم عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة اللخمى ويقال ان نصراً هو الساطرون صاحب الحضر وهو جرمقاني من أهل الموصل وقيل بل هو من

أشلاق قنص بن معد بن عدنان وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وبنيه قبل شب عمرو عن الطوق ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال بل الحارث بن عمرو وابنه الذي يدعي محرقاً ثم النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر الذي بنى الخورنق ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمي محرقاً لانه حرق بني تميم وقيل بل حرق نخل اليمامة ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة الذبيانى وهو آخر ملوك لخم ثم ولي بعده إياس بن قبيصة الطائى ثم ابنه أشهر واضطرب ملك فارس وضعفوا وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله عز وجل بالاسلام فعز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم

باب من النسبة

قال ابن دريد الابل الارحبية منسوبة الى أرحب بن همدان .. أسد حمية وأسد حمان وهما أحيتان من العديب على ليلة .. الرماح اليزنية منسوبة الى ذي يزن الملك ويقال العرابية .. قال ذو الرمة

أينَ الذى استودعن سوداءَ قلبِهِ   هوي مثل شكِّ الازني النواجمِ

هكذا جاءت الرواية فى هذا البيت .. الدروع تنسب الى فرعون .. قال راشد بن كثير

بكلِّ فرعونيةٍ لونها   مثلُ نضيض العشة العاديهْ

وتنسب الى داود وسليمان وتبع ومحرق يريدون بذلك القدم وجودة الصنعة .. الكنائن الزغرية منسوبة الى زغر وهو موضع بالشام تعمل فيه كأنّ حمر مذهبة .. قال أبو دؤاد يصف فرساً

كَكِنانةِ الزَّغريِّ زَيـ   ـنَها من الذهبِ الدلاصِ

السمهري الرمح التديد يقال اسمهرّ الامر اذا اشتد ‥ الانحمية برود منسوبة الى أنحم بطن ‥ القعضبية ضرب من الاسنة تنسب الى قعضب رجل قشيري كان يعملها وكذلك الشرعبية أيضاً ‥ قال الاعشى

ولدن من الخطيّ فيها أسنة ذخائر مما سنَّ أبري وشرعب

والشرعبية أيضاً من الثياب الحارية في قول امرئ القيس

وما دخلناها أصبغا طهورنا الى كلّ حاريّ جديد مشطب

قال الاصمعي احتبوا بحمائل سيوفهم ‥ قال أبو عبيدة ما نسبت الى الحيرة سيوف قط وانما يريد الرحال كما قال الآخر

* مشدودة برحال الحيرة الجدد *

قال ابن الكلبي أول من اتخذ الرحال علاف وهو زبان بن حرم فلذلك قيل للرحال علافية وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة فلذلك قيل لبني أسد القيون وقيل لكل حداد هالكي ‥ قال أبو عبيدة أجود السهام التي وصفتها العرب في الجاهلية سهام بلام وسهام يثرب وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ‥ وأنشد الاعشي * بسهام يثرب أم سهام بلام *

سلوق قرية باليمن واليها تنسب الكلاب والدروع ‥ سيف مشرفي منسوب الى مشرف وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها وليس قول من قال أنها منسوبة الى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء وان قاله بعضهم ‥ والسيوف الشريحية منسوبة الى شريح رجل من بني أسد ‥ قال محمد بن حبيب هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وكانوا قيونا ‥ الدروع الحطمية منسوبة الى حطمة بن محارب ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبد القيس بن أفصى ‥ وقال ابن الكلبي هي منسوبة الى حطم وهو أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة وقال الاصمعي لا أعلم ما تنسب اليه ‥ الخط جزيرة بالبحرين تنسب اليها الرماح قال الاصمعي ليست تنبت الرماح لكن سفن الرماح ترفأ الى هذا الموضع فقيل للرماح خطية ‥ والمسك الداري

منسوب الى دارين يعني عطاراً بالبحرين زعم ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي والاكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة موضعان بالشام ٠٠ عصفور وداعر وشاعر وذا الكلبتين فحول ابل النعمان بن المنذر ٠٠ عصافير النعمان أولاد عصفور الفحل وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون ٠٠ والقسيّ العصفورية منسوبة الى رجل يسمى عصفوراً حكاه الجاحظ ٠٠ وأنشد لابن بشير

عطف السياتِ نوابعٌ في بذلها　　تعزى اذا نسبتْ الى عصفورِ

يعني قسيّ البندق دعا بها على حمام جاره ٠٠ ويقال للقسيّ أيضاً الماسخية منسوبة الى رجل من الازد واسمه ماسخة هو أول من عملها قال ٠٠ والابل العسجدية والعيدية والعمانية ابل ضربت فيها الوحوش ٠٠ والابل الشدقمية والجديلية عن غيره منسوبة الى شدقم وجديل وهما فحلان مشهوران ٠٠ الحمر الاخدرية منسوبة الى حمار يسمى أخدر وقيل هو فرس كان لبعض الملوك أطلقه أردشير بن بابك بوحش فضرب في عانة فنسبت أولاده اليه وهو أفره الحمر هكذا يزعم العرب والعادة أن يكون ما تناتج منه بغالا فأما الكداد فحمار معروف من الوحشية نتج ٠٠ قال الفرزدق

حمارٌ لهمْ من بناتِ الكدادِ　　يدهمجُ بالوطبِ والمزودِ

والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها فهي تنسب اليه وقيل بل أنتجها قبله أفريدون

باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما اذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرا كبه جرياً على العادة في التبرك باسمه ٠٠ فمنها السكب وهو فرسه يوم أحد حكاه ابن قتيبة ومنها المرتجز وكان له فرس يقال له لزاز وفرس يقال له الضرب وفرس يقال له اللحيف وفرس يقال له الورد وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال له سبحة وكانت بغلته يقال لها دلدل وكان حماره يقال له يعفور وكانت ركائبه القصوى والجدعاء والعضباء وهذه خيل العرب ٠٠ قال بن قتيبة عن

أبي عبيدة الغراب والوجيه ولاحق ومذهب ومكتوم كانت كلها لغني ٠٠ وقال أحمد بن سعد الكاتب كان أعوج اولا لكندة ثم احدته سليم ثم صار لبني عامر ثم لبني هلال قال ابن حبيب ركب رطبا فاعوجت قوائمه وكان من أجود خيل العرب وأمه سبل كانت لغني وام سبل الشامة كانت لجعدة ولهم أيضا العياص قال ابن سعد والوجيه ولاحق لبني أسعد قبل وحلاب لبني ثعلب الصريح لبني نهشل وزعم غيره انه كان لآل المنذر حلوى لبني ثعلب بن يربوع وذو العقال لبني رياح بن يربوع وهو أبو داحس وكان داحس والغبراء لبني زهير وهي خالة داحس وأخته من أبيه ذي العقال قرزل والخطار والحنفاء الحذيفة بن بدر وهي أخت داحس من أبيه وأمه قرزل آخر للطفيل ابن مالك حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب وحذفة أيضا لصخر بن عمرو والشريد الشقراء لزهير بن حذيمة العبسي الزعفران لبسطام بن قيس الوديقة ونصاب وذو الخمار لمالك ابن نويرة الشقراء أخرى لاسد بن جاءة السليطي الشيط لانيف بن جبلة الضبي الوحف لعامر بن الطفيل الكلب والمزنوق والورد له أيضا الحتي فرس لعمرو بن عمرو بن عدس الهداج فرس الريب بن شريق السعدى وجرة فرس يزيد بن سنان المري فارس غطفان والنعامة للحارث بن عباد ابن النعامة لعنترة الحام فرس السليك بن السلكة السعدي العصا فرس جذيمة بن مالك الازدى الهراوة لعبد القيس بن أفصى اليحموم فرس النعمان بن المنذر وكامل فرس زيد الخيل الورد فرس الحوفزان وهو أبو الزعفران فرس بسطام والجمالة فرس الكلحبة اليربوعى انتهى كلام أحمد بن سعد ٠٠ وعن ابن دريد القطيب فرس كان للعرب وكذلك البطين واللعاب والعصاءة فرس جزى بن ضمرة النهشلي والمدعاس فرس الواس بن عامر المحاشعي صهباء فرس النمر بن تولب حافل فرس مشهور ذكره جرب بن ضرار في قوله

كميت عصاة السراة نمى بها ... الى نسب الخيل الصريح وحافل

المسحدي لبني أسد والشموس فرس زيد بن حذاق العبدى والضيف لبني ثعلب هراوة الغراب فرس الريان بن حويص العبدى يقال انها جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها علي الغراب يتكسبون عليها في السباق والغارات والحرون فرس تنسب اليه

الخيل وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلى والزلف فرس مشهور وهو من نسل الحرون وما هب فرس تنسب اليه الخيل أيضاً .. قال الشمردل

لأخيل ثلاثة سمما ماهبا والصعف والحرونا

والعلهان فرس أبى مليك عبد الله بن الحارث اليربوعي .. ومن أقدم الخيل زاد الراكب وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الازد كانوا أصهاره وكان اسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها وكانت قبل من سائر الوحوش

باب من المعاني المحدثة

قال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ والذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لأن المعانى انما اتسعت لاتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام في أقطار الارض فمصروا الأمصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره وانما خصصت التشبيه لانه أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطي وكل يصف الشيء بمقدار ما في نفسه من ضعف أو قوة أوعجز أو قدرة وصفة الانسان ما رآه يكون لاشك أصوب من صفته مالم ير وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ومن هنا يحكي عن ابن الرومي أن لائماً لامه فقال لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه قال أنشدني شيئاً من قوله الذى استعجزتني فى مثله .. فأنشده في صفة الهلال

فانظر اليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتهُ حمولة من عنبرِ

.. فقال زدني فأنشده

كأنَّ آذريونها والشمسُ فيه كاليه

مَداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

فصاح واغوثاه يالله لا يكلفُ اللهُ نفساً إلاّ وُسعها ذلك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا أي شيءٍ أصف ولكن انظروا اذا وصفت ماأعرف أين يقع الناس كلهم مني هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الغمام

وقد نشرتْ أيدِي السحابِ مطارفاً على الارضِ دكناوهي خضرٌ على الارض
يطرِّزُها قوسُ الغمام بأصفر على أحمرٍ في أخضر وسط أبيض
كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبَّغة والبعض أقصرُ من بعض

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرقاقة وشكَ اللمحِ بالبصرِ
ما بينَ رؤيتها في كفه كرةً وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلاّ بمقدار ما تنداحُ دائرةٌ في صفحةِ الماء يرمي فيه بالحجر

وهذا كلام ان صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذراً فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً اللهم الا أن يريد ان ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق أمدح هذا مرة وأهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة وأستعطف هذا طوراً ولا يمكن أن تقع أيضاً عندي تحت هذا وفي شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تبلغ وان لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز ولم أدل بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعاني جملة ولا انها أفسدتها لكن دللت على أنها قليلة في أشعارها تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول وهي كثيرة في أشعار هؤلاء وان كان الاولون قد نهجوا الطريق ونصبوا الاعلام للمتأخرين وان قال قائل ما بالكم معشر المتأخرين كلما تمادى بكم الزمان قلَّت في أيديكم المعاني وضاق بكم المضطرب قلنا أما المعاني فما قلّت غير ان العلوم والآلات ضعفت وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص وأن الدنيا على آخرها

ولم يبق من العلم الا رمقه معلقاً بالقدرة ما يمسكها الا الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه واذا تأملت هذا تبين لك ما في أشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ثم ما في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا في الندرة القليلة والفلتة المفردة ثم اتي بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي والمعاني أبداً تتردد وتتولد والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي ضنيناً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لاحد ثم نجد من بعده لا ينتهيه في الشعر بل لا يعشره قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجهاً له وجهة حسنة لا يتلك المصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرهه لم يتركها عن قدرة ولكن الانسان مبني على النقصان وسأورد عليك من معاني المتقدمين وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعدوها لتبيين البرهان هذا على أني دمت الى المحدثين أنفسهم في أماكن من هذا الكتاب وكشفت لهم عوارهم وعبت لهم اشعارهم ليس هذا جهلا بالحق ولا ميلا الي ثنيات الطرق لكن غيظا من الجاهل المتعاطي والمتحامل الجافي الذي اذا أعطى حقه تعاطى فوقه وادعى علي الناس الحسد وقال انا ولا أحد والى كم أعيش لكم وأي علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً فاذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو منهم أو طولب بحجة في لحنة أو شاذ أو نوظر في كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة قال هكذا أعرف وكأنما أعطي جوامع الكلم حاشَ لله وأستغفرُ الله بلى هو العمي لا كمر والموت الاصغر وبأي امام يرضى أو الي أي كتاب يرجع وعنده أن الناس أجمعين نصفة منه بل فضلة عنه فهو كما قال حماد عجرد في يونس بن فروة

أما ابنُ فروةَ يونسٌ فكأنه ... من كبرِه أيرُ الحمار القائم

ماالناس عندكَ غيرنفسكَ وحدها ... والناسُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له بم فقت أهل عصرك وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه قال لاني لم أقبل كلما تورده علىَّ قريحتي ويناجيني

به طبعي و بعث فكري ونظرت الى معارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفكر جيد وعزيزة قوية فأحكمت سبرها واتقيت حرها وكشفت عن حقائقها واحترزت عن متكلفها ولا والله ماملك قيادى الاعجاب بشئ مما آتى به وكم فى بلدنا هذا من الحمات قد صاروا ثعابين ومن هذا البغاث قد صاروا شواهين فإن البغاث بأرضنا يستنسر ولولا أن يعرفوا بعد اليوم فتحاذ ذكرهم فى هذا الكتاب ويدخلوا فى جملة من بعد خطله ويحصى زلله لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيفه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادعوها باطلا وانتسبوا اليها انتحالا وقد بلغني أن بعض من لا يتورع عن كذب ولا يستحيي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها والامتحان يقطع الدعوى .. كما قال بعض الشعراء

من يحلي بغير ما هو فيه ... فضحَ الامتحانُ ما يدعيه

وكنت غنياً عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط الي مساواته ولكن رأيت السكوت عنه عجزاً وتقصيراً .. كما قال أبو تمام

تركُ اللئيمِ ولم يُمرقْ عرضه ... نقصٌ على الرجلِ الكريم وعارُ

وكما قال أبو الطيب وقد استحق المعنى عليه

اذا أتتِ الاساءةُ من وضيعٍ ... ولم ألُمِ المسيءَ فمن ألومُ

ثم أعود الى التسطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من حسن تشبيه النعامة للطرماح وصفة الثور الوحشي له أيضاً وصفة مغارز ريش النعامة اذا أمرط للشماخ ومثل بيت العنكبوت فيما تمتد من لعام الناقة تحت لحييها فى شعر الحطيئة وتشبيه الذباب بالاجذم ولحي الغراب بالجلم لعنترة وأشباه هذا مما انفردت به الاعراب والبادية كما دتها كانفرادها بصفات النيران والفلوات الموحشة وورود مياهها الآجنة وتعسف طرقاتها المجهولة الي غير ذلك مما لا يعرف عياناً اذ كان المحدث غير مأخوذ به ولا محمول عليه ألا ترى الي

أبي نواس وهو مقدم في المحدثين لما وصف الأسد وليس من معارفه ولعله ماشاهده قط الامر في العمر ان كان شاهده دخل عليه الوهم فجعل عينيه نادرة وشبههما بعيون المخنوق وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشهامة وجه الاسد وذهب عنه من صفة أبي زبيد وغيره لعوّور عينيه لما هو أعلم به ممن أخذ عنه وأكثر ظني والله أعلم أن أبا نواس انما رجع بالصفة الى الرجل المشبه بالاسد وجعل ازورار عينيه وبروز جبينه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب وكذلك لما تعاطي الاعرابي أبو حيلة[1] مالا يعرف قال

* ولم يدق من البقول الفستقا *

فجعله بقلا على ما في نفسه من لفاع النقل على ان المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً الا ان اولئك أولى به وأحق بالتقدمة فيه كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها والسحب وما فيهما من البروق والرعود والغيث وما ينبت عنه وبكاء الحمام وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ولكني افرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المتقدمون وآتي هاهنا من هذين النوعين ما تدخله المفتقر الى سماعه من المبتدئين .. قال النابغة يذكر طول ليله

كليني لهمٍ يا أميمةَ ناصبِ ... وليل اقاسيه بطيءِ الكواكبِ

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجومَ بآيبِ

وقال أبو الطيب في وزنه ورويه

اعيدوا صباحي فهو عندَ الكواعبِ ... وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب

فان نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ ... على مقلةٍ من فقدكم في غياهب

فانت ترى مافيه من الزيادة وحسن المقصد على أن بيتي النابغة عندهم في غاية الجودة .. وقال يزيد بن الطثرية حين حلق أخوه ثور جمته

فاصبح رأسي كالصخيرة أشرفت ... عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وهذا البيت من أفضل الاوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره وقال بعض المتأخرين

(١) ن ابو نحيله

وأحسنه الزيادي في غلام حلقت وفرته

حلقوا رأسهُ ليكسوهُ قبحاً غيرةً منهمُ عليهِ وشحا
كان صبحاً عليه ليلٌ بهيم فمحوا ليله وابقوهُ صبحا

وقال رؤبة بن العجاج

امست شواتي كالصفاة صمصما فصارَ رأسي جبهةً الى القفا

فقال ابن الرومي واحسن ماشاء

يحدُ بُ من نفرته طرةً الى مدى يقصر عن نيله
فوجههُ يأخذُ من رأسهِ اخذَ نهارِ الصيفِ من ليلهِ

ولو تتبعت هذا لاطلت في غيرموضع الاطالة ٠٠فاما ما تفرد به المحدثون فمثل قول بشار

يا قوم اذنى لبعض الحيِّ عاشقةٌ والاذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهم الاذنُ كالعينِ توفي القلب ما كانا

وكرره فقال

قالت عقيل بن كعبٍ اذ تعلقها قلبي وأمسى بهِ من حبها أثرُ
أنيّ ولم ترها تهذي فقلتُ لهم ان الفوادَ يرى مالا يرىَ البصرُ

وقوله أيضاً

وكيفَ تناسى من كأنَّ حديثهُ باذنى وان غيبتُ قرطٌ معلقُ

واختراعاته كثيرة واشتهاره بذلك يغني عن الانشاد له ٠٠وكقول ابي نواس وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق اليه وهو

أيها الرائحــانِ باللومِ لوما لا أذوقُ المدامَ الاشميما
نالني بالملامِ فيهــا إمامٌ لا أرى لى خلافهُ مستقيما
فاصرفاها الى سوايَ فانيّ لستُ الا على الحديث نديما
كبر حظي منها اذا هيَ دارتْ ان اراها او أن أشم النسيما

فكأني وما أرى منهـا قعـدىّ يزين التحكيما
كلّ عن حمله السـلاح الى الحر ب فاوصى المطيق ان لا يقيما

ـ القعدة ـ فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه .. وقوله أيضا

نبيا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتهـا بنجـوم
فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كلّ نديم

وهذا المعنى أيضا لم يتناوله أحد قبله .. وكذلك قوله

قد قلتُ للعبـاسِ معتذراً من ضعفِ شكريه ومعترفا
أنت امرؤٌ جللتني نعمـاً اوهتْ قوى شكري فقد ضعفا
فاليكَ مني اليومَ تقـدمةٌ تلقاكَ بالتصريحِ منكشفـا
لا تسدين اليّ عارفـةً حتى أقومَ بشكر ما سلـفا

وقال أيضا في صفة النساء الحمرات ويروى لابن المعتز

وتحتَ زنابيرِ شددنَ عقودها زنابيرُ أعكانِ معاقدها السررْ

وهذا تشبيه ماعلمت انه سبق اليه .. وقال أيضا

لستُ أدري أطال ليليَ أم لا كيف يدري بذاكَ من يتقلى
لو تفرغتُ لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .. وأكثر المولدين معاني وتوليدا فيما ذكره العلماء أبو تمام غير ان القـاسم بن مهرويه قد زعم ان جميع مالابي تمام من المعـاني ثلاثة أحدها قوله

واذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طويتْ اتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ما كان يعرفُ طيبُ عرفِ العودِ

والثاني قوله

بني مالكٍ قد نبهت خاملَ الثرى قبور لـكم مستشرفاتُ المعالم

عوامض قد الكفر من متناولٍ   وفيها علا لا يرتقي بالسلالم

والثالث قوله

يأبى على التصريدِ الا نائلاً   ان لم يكن محصاً قراحاً عدقِ
نزراً كما استكرهت عائر نفحة   من فارةِ المسك التي لم تفتقِ

وأما أقول ان اكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي وسنأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه ان شاء الله سبحانه .. ولا بد لهما من بعد تسيرة أشغل بها الموضع منها قوله

عيني لعينكَ حينَ تنظرُ مقتلُ   لكنَّ لحظكَ سهمُ حتفٍ مرسلُ
ومن العجائبِ انَّ معنىً واحداً   هوَ منكَ سهمٌ وهوَ مني مقتلُ

وقوله في عتاب

تودّدتُ حتى لم أدع متودّدا   وأفنيتُ أقلامي عتاباً مرددا
كأني استدعي لكَ ابن حنيةٍ   اذا النزع أدناهُ من الصدرِ أبعدا

وقوله في أبيات يتغزل فيها وان كان قد كرر المعنى

نظرتْ فأقصدت الفوادَ بلحظها   ثم انثنت عنهُ فظلّ يهيم
فالموتُ إن نظرت وانْ هي أعرضت   وقعُ السهام ونزعهن اليمُ

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه

وما يعتريها آفة بشريةٌ   من النوم الا أنها تتحتر
وغيرُ عجيبٍ طيبُ أنفاس روضةٍ   منورةٍ باتت تراحُ وتمطرُ
كذلك أنفاسُ الرياضِ بسحرة   تطيبُ وأنفاسُ الورى تتغيرُ

باب في أغاليط الشعراء والرواة

ولا بد أن نؤنب على الشاعر المغلق والعالم المتقن لما بني عليه الانسان من النقص والتقصير وخير ما في ذلك أن يرجع المرء الى الحق اذا سمعه ولا يتمادى على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ فان تماديه زيادة في الخطأ لذي أنف منه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي عليّ الآمدي عن عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد ابن يزيد المبرد قال تلاحي مسلم بن الوليد وأبو نواس فقال ماأعلم بيتاً لك يخلو عن سقط فقال أبو نواس اذكر شيئاً من ذلك فقال بل أنشد أنت أي بيت شئت فأنشد أبو نواس

ذكرَ الصبوحَ بسحرة فارتاحا وأملهُ ديكُ الصباح صياحا

فقال مسلم قف عند هذا لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح وهو الذي يرتاح اليه فقال أبو نواس فأنشدني أنت فأنشده

عاصي الشباب فراحَ غيرَ مفنّدِ وأقامَ بين عزيمة وتجلدِ

فقال أبو نواس ناقضت ذكرت أنه راح والرواح لايكون الا بالانتقال من مكان الى مكان ثم قلت وأقام فجعلته منتقلاً مقيماً في حال وهذا متناقض ‥ قال أبوالعباس وكلا البيتين صحيح ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجاً لم يفته ‥ قال الاصمعي وأخطأ زهير في قوله ـ كاحمر عاد ـ ولا أدري لم خطأه وقد سمع قول الله عزوجل ﴿وانه أهلك عاداً الأولى﴾ وهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى وهي هلكت بالنمل من ولد قحطان ‥ قال قيس بن سعد بن عبادة

* سراويل عادي نمته ثمود *

وكان يقال لثمود عاد الصغرى ‥ وخطأ الشماخ في وصف ناقته

* رحي حيزومها كرحى الطحين *

فانه نعتها بالكبر وهو عيب لانجابة ولانها وصفها بالصلابة لا غير ‥ وأخذ ابن بشر الآمدي على البحتري قوله

هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها فى الصدود مهجروسا

قال هذا غلط لان حالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى أو ممتنة والجيد قوله

أردّ دونك يقظاناً ويأذنُ لى عليكِ سكرُ الكرى ان جئت وسنانا

وأنا أقول ان مراده انها لشدة هجرها له ونحوّها عليه لا تراه في المنام الا مهجوراً ولا تراه جملة فالمعنى حينئذ صحيح لا فساد فيه ولا غلط ولعل الرواية وكادت هذا موجود في كلام الناس اليوم ومثله يقولون فلان لا يرى لى مناماً صالحاً وليس بين بيتى البحتري تناسب من جهة المعنى جملة واحدة لانه أولا يحكي عنها وثانياً يحكي عن نفسه على إن فى اللفظ اشتراكاً ظاهراً .. وفى كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله

مها الوحشِ الاَّ أنَّ هاتى أوانسٌ قنا الخطِّ الاَّ أنَّ تلكَ ذوابلُ

قال فيه غلط من أجل أن نفي عن النساء لين القنا وانما قيل للرماح ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكمل أوصافها اللين والتثني والانعطاف قلت أنا أما أبو تمام فقوله الصواب لانهم يقولون رمح ذابل اذا كان شديد الكعوب صلباً وهو الذي تعرف العرب ومنه قولهم ذبلت شفتاه اذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوها فأما كلام المعترض فغير معروف الاعند المولدين فانهم يقولون نوارة ذابلة وليسوا بقدوة على أن كلامهم راجع الى ما قلناه انما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس وانما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدى .. قال الاصمعي قرأت على أبى محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما بلغت الى قوله

وليلٍ كابهام الحبارى محبّبٍ اليَّ هواه غالبٌ لى باطلُهْ

رزقنا به الصيد الغزيرَ ولم نكن كمن نبلُهُ محرومةٌ وحبائلُهْ

فيالكَ يوماً خيرهُ قبلَ شره تغيبَ واشيهِ وأقصر عاذله

قال خلف ويحه ما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء قال صدقت وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع قلت فكيف يجب أن يكون قال الأجود أن يكون خيره دون شره فاروه

كذلك وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الأوائل فقلت والله لا أرويه إلا كذا .. قال أنا أما هذا الاصلاح فمليح الظاهر غير أنه خلاف الظاهر وذلك أن الشاعر أراد انه كان لاهٍ في وصال ثم فارق حبيبه نهاراً وذلك هو الشر الذي ذكر والراوية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى إلا أن تكون الرواية ـ ويوم كإبهام الحبارى ـ فحينئذ .. على أن دون يحتمل ما قصد ويحتمل معنى قبل فهي لفظة مشتركة وتكون أيضاً بمعنى بعد لأنها من الأضداد ولكن في غير هذا الموضع .. وخطأ الأصمعي بشامة بن الغدير في قوله يصف راحلته

وصدرٍ لها مهيع كالخليف ... تخالُ بأنَّ عليه شليلا

لأن من صفة النجائب قلة الوبر .. وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته

* فعمٌ مقيدُها ضخمٌ مقلدُها *

لأن النجائب دقيقات المذابح .. ونبه أبو الفضل بن العميد على البحتري في بيت كسره .. وهو قوله

ولمـا ذا تتبعُ النفسُ شـيئاً ... جعلَ اللهُ الفردوسَ منه جزاءَ

قال ينشده ... * جعلَ اللهُ الخلدَ منه جزاء * ليستقيم حكي ذلك الصاحب بن عباد .. وأنشد له أيضاً

أنا غالب بالجود تذكروا حـي ... اذا ما غـيَّ الباخلين نسيهِ

وزعم أنه لحن ولست أرى به بأساً هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه بناء القافية فإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة اتباعاً لما قبلها لاسيما وهي طرف وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة .. وقال رؤبة

* كأن أيديهنَّ بالقاع القرق *

ولم يقل أيديهنَّ بالضم استثقالاً وأيضاً فكأنه أعمى البحتري نوى الوقوف ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر .. وأنشد الصاحب بن عباد قال أنشدني عليّ بن المنجم قال أنشدني أبو الغوث لأبيه

وأحقُّ الأيام بالاس أن يؤثر فيه يوم المهرجان الكبير

وأنا أقول إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية فويل للآباء من أبناء السوء ودع المثل القديم ولا أظن البحتري قال إلا

وأحقُّ الايام بالاس أن يؤثره يومُ المهرجانِ الكبير

وأخذ الاحمر على المفضل روايته في قول امرئ القيس

* نمس باعراف الجياد أكفّنا *

وما هو الا نمش أي نمسح والمشوش المنديل .. وكذلك قول المفضل

واذا ألمّ خيالها طرقتْ عيني فماءُ شئونها سجمُ

وانما هو طرفت بالفاء .. وأخذ عليه الاصمعي في قول أوس

* نصبت بالماء تولبا جدعا *

وانما هو جدعا بدال مكسورة غير معجمة ولأمر ما قال ذو الرمة لموسى بن عمرو أكتب شعري فالكتاب أعجب الي من الحفظ لان الاعرابي ينسي الكلمة قد تعب في طلبها ليلة فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاما بكلام .. قال الاخطل أخطأ الفرزدق حيث قال

أبني غدانة انني حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال
لولا عطيةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين ألأمِ أوجه وسبالِ

كيف يكون وهب له وهو يهجوهم هذا الهجاء فانبرى له فتى من بني تميم فقال وأنت الذي قلت في سويد بن منجوف

فما جذع سوءٍ حرّقَ السوسُ بطنه لما حملتهُ وائلٌ بمطيقِ

أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات وقدر سويد لا يبلغ ذلك عندهم فأعطيته الكثير ومنعته القليل وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وان تصغر شأنه وتضع من قدره فقلت

وسوّد حاتماً أن ليس فيها اذا ما أوقدَ النيران نارُ

فأعطيته السؤدد من قيس الحزبرة ومنعته مالا بصر معه وأردت أن تمدح سماكا الاسدي فقلت

نعمَ المجيرُ سماكٌ من بني أسد ... بالطف اذ قتلتْ جيرانها مضرُ

قد كنتُ أحسبهُ قينا فأنبؤه ... فالآن طير عن أثوابه الشررُ

فانصرف الاخطل خجلا .. قال الحسن لعليّ بن زيد أرأيت قول الشاعر

لولا جريرٌ هلكتْ بجيله ... نعم الفتى وبئست القبيله

مدحه أم هجاه قال مدحه وهجا قومه فقال الحسن مامدح من هجي قومه .. وقال من اعتذر للنابغة في قوله

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وان خلتُ أن المنتأى عنك واسع

انما قدم الليل في كلامه لانه أهول ولأنه أول ولان أكثر أعمالهم انما كانت فيه لشدة حر بلادهم فصار ذلك عندهم متعارفاً .. وكذلك اعترضوا لزهير نصف الضفادع

يخرجنَ من شربات ماؤها طَحِلٌ ... على الجذوع يخفنَ الغمَّ والغرقا

فقال ولم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء فكأنه مبالغة في التشبيه كما قال الله عز وجل ﴿ وانْ كانَ مكرُهمْ لتزولَ منه الجبال ﴾ وقال ﴿ وبلغت القلوبُ الحناجرَ ﴾ والقول فيهما محمول على كاد هكذا ذكر الحذق من المفسرين مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا يقربها دابة خوفاً على نفسها من الهلكة فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات وانما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر

فما كنَّ جونا للعلاجم فوقهُ ... مجالسُ غرقى لا يحلأُ ناهله

وعد القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله

رأيتُ كلَّ من كان أحمقاً معتوها ... في ذا الزمانِ صار المقدَّم الوجيها

يارب نذلٍ وضيعٍ نوهته تنوهيها ... هجوتهُ لكيما أزيدَه تشويها

ولم يقل أبو نواس فيما علمت إلا رب وضيع نذل وهذا أفرط في التعصب والحمية على أبي

بواس وغيره لمن لا يجري في حلبتهم ولا يشق غبارهم

باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها لانها سقف بيوتهم وسبب معايشهم وانتجاعهم غلطوا فيها فقال أحدهم من الانجم العزل والرامحة .. وقال امرؤ القيس * اذا ما الثريا في السماء تعرضت *

فأتى بتعرض الجوزاء ورأيت كل من عني بالنجوم من المحدثين واستوفى جميع المنازل مخطئاً لاشك في خلافه لانه انما نصب نجوم ليلة سهرها والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ولذلك قلت ان احتياطاً في ذلك الليل من بيت قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه

قد طال حتى خلته من كل ناحية وسط

وتنكرت فيه المنازل منه لا منى الغلط

وجب أن أذكر هذه المنازل وانواءها واختلاف الناس فيها وعولت في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي مجتهداً فيما استطعت من البيان والاختصار ان شاء الله تعالى ﴿ السنة ﴾ أربعة أجزاء لكل جزء منها سبعة أنواء لكل نوء ثلاثة عشر يوماً الانوء الجبهة فانه أربعة عشر يوماً زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر لكل برج منزلتان وثلث منزلة وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته لانها تستر ثلاثين درجة خمسة عشر من خلفها ومثلها من أمامها فاذا انتقلت عنها ظهرت.. هكذا قال الزجاجي واذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة وتغرب رقيبه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة الا مرة واحدة في السنة وهو مأخوذ من ناء ينوء اذا نهض متثاقلا والعرب تجعل النوء الغارب لانه ينهض للغروب متثاقلا وعلى ذلك أكثر أشعارها

وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى ﴿ ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ﴾ أي تميل بهم الى الارض وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب قال وبعضهم يجعله للطالع وهذا هو مذهب المنجمين لان الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير . . قال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق و تغرب في المغرب كل يوم وليلة وتلك دورة من دوراته ﴿ الربع الاول ﴾ من السنة وابتداؤه من سبعة عشر يوما من آذار و بعضهم يجعله في عشرين يوما منه فيستوى حينئذ الليل والنهار منه وتطلع مع الغداة فرع الدلو الأسفل وهو المؤخر و تسقط العوّاء والنها ينسب النوء وهي تمد وتقصر وصفتها خمسة كواكب كأنها الف معطوفة الذنب الى اليسار و بذلك سميت وتقول العرب عويت الشيء اذا عطفته وقال آخرون بل هي كأنها خمسة كلب تعوى خلف الاسد قال ابن دريد هي دبر الاسد والعواء في كلامهم الدبر ﴿ النوء الثاني ﴾ السماك وهما سماكان أحدهما السماك الاعزل نجم وقد شبهوه بالاعزل من الرجال وهو الذي لا سلاح معه وهو منزل القمر والآخر كوكب تقدمه آخر شبهوه بالرمح وهما ساقا الاسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لغيره اذا علا سماك هكذا قال سيبويه مما حكى الرجاجي عن أبى اسحاق الزجاج غير انه قال في الاعزل وقيل انما سمى أعزل لأن القمر لا ينزل به وأنا أقول القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ورؤية العين تدركه على غيره . برغم الراغم ﴿ النوء الثالث ﴾ الغفر وهو ثلاثة كواكب غير زهر و بذلك سميت من قولك غفرت الشيء اذا غطيته ومنه سميت الغفارة التي للدس وقيل انما سمى غفراً من الغفرة وهي الشعر الذي في طرف ذنب الأسد وقال أبو عبيدة الغفر كل شعر صغير دون الكثير وكذلك هو في الريش وقال قوم هو من النكس في المرض يقال غفر المريض اذا نكس كان النكس غطاء العافية ﴿ النوء الرابع ﴾ الزبانان كوكبان مفترقان وهما قرنا العقرب وقيل يداها وسميا زبانين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا اذا دفعته لتبعده عن نفسك ومنه اشتقاق الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار اليها ﴿ النوء الخامس ﴾ الاكليل ثلاثة كواكب على رأس العقرب و بذلك سميت اكليلا ﴿ النوء السادس ﴾ القلب كوكب أحمر وقد جعلوه للعقرب قلبا على معنى التشبيه

﴿ النوء السادع ﴾ الشولة كوكبان أحدهما أخفى من الآخر وهما ذنبا العقرب وذنب العقرب شائل أبداً فشبه به هـذا قول بعضهم و بعضهم يجعل الشولة الابرة التي في ذنب العقرب وهم أهل الحجاز وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط ﴿ الربع الثانى ﴾ الصيف أول أنوائه ﴿ النعائم ﴾ وهي ثمانيـة كواكب نيرة أربعة منها في المجرة تسمى الواردة وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة وشبهت بالخشبات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء ﴿ الثانى ﴾ من الصيف البلدة وهى فرجة لطيفة لاشيء فيها لكن يحوزها كواكب تسمي القلادة وانما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيها بالفرجة التي بين الحاجبين اذا لم يكونا مقرونين يقال منه رجل أبلد ويقال بل شبهت بالبلدة وهى باطن الراحة كلها وقيل باطن ما بين السبابة والابهام ﴿ الثالث ﴾ منه سعد الذابح وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح والآخر هابط في الجنوب ﴿ الرابع ﴾ منه سعد بلع وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة شبها بفم مفتوح يريد أن يبتلع شيئاً وقيل انما قيل بلع كأنه بلع شاته و بلع غير مصروف لأنه معدول من بالع مثل زفر وقثم وسعد مضاف اليه ﴿ الخامس ﴾ منه سعد السعود وهما كوكبان احدهما أنور من الآخر سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات ﴿ السادس ﴾ منه سعد الاخبية وهو كوكبان عن شمال الخباء والاخبية أربعة كواكب واحد منها في وسطها تسمى الخباء لأنها على صورة الخباء وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت استتار الحيات والهوام وخروج ما كان مختبئا ﴿ السابع ﴾ فرغ الدلو الاعلى وهو المقدم و بعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيها بعرقوة الدلو وهما كوكبان مفترقان نيران وقيل له دلو لأنه يأتي فيه الامطار المعظمة ويقال بل سميا بذلك لانهما مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء ﴿ الربع الثالث ﴾ الخريف اول انوائه ﴿ فرغ الدلو ﴾ الاسفل وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا ﴿ ثم الحوت ﴾ وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة ﴿ ثم الشرطان ﴾ وهما كوكبان مفترقان مع الشمال منهما كوكب دونه في القدر وسميا شرطين لان سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ومنه سمي الشرط لأن لهم علامة عرفوا بها ﴿ ثم البطين ﴾ وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل

الا أنه قد صغر ﴿ ثم الثريا ﴾ وهو النجم وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق وأكثر الناس يجعلها سبعة وقد جاء الشعر بالقولين جميعا سميت بهذا لأن مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى وهي تصغير ثروى ولم ينطق به الا مصغرة ﴿ ثم الدبران ﴾ كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص وقيل له دبران لانه دبر الثريا أي جاء خلفها ويقال له أيضاً الراعي والتالي والتابع والحادي على التشبيه ﴿ ثم الهقعة ﴾ سميت بهذا تشبيها بالدائرة التي تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار رؤس أصابع ثلاث في ثرى اذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام وهي رأس الجوزاء ﴿ الرابع الشتاء ﴾ وهو آخر أرباع السنة اول أنوائه ﴿ الهنعة ﴾ سميت بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه من قولك هنعه اذا عطف بعضه على بعض واقترانهما في المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة ﴿ ثم الذراعان ﴾ وهي ذراع الاسد المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الاظفار ﴿ ثم النثرة ﴾ وهي لطخة لطيفة بين كوكبين وهي عندهم ما بين فم الاسد وأنفه ومن الانسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الانف وقيل انما سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت ﴿ ثم الطرف ﴾ عينا الاسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة في مرأى العين ﴿ ثم الجبهة ﴾ أربعة كواكب معوجة في اليماني منها بريق وهي جبهة الاسد عندهم ﴿ ثم الزبرة ﴾ نجمان يرى أحدهما أكبر من الآخر ويقال لها الخرتان كانهما نفذا الى جوف الاسد والعيان يبطل ذلك كماقال الزجاجي ﴿ ثم الصرفة ﴾ كوكب وقاد عنده كواكب طمس سمي بذلك لانصراف البرد لسقوطه فهذه عدة المنازل وصفاتها وانما أضيفت الى القمر دون الشمس وحظهما فيه واحد لظهورها معه وتسمى نجوم الاخذ كأن الارض تأخذ عنها بركات المطر وقيل لاخذ الشمس والقمر سمتهما في سيرهم

باب في معرفة الأماكن والبلدان

قال أبو عبيدة الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيئ وانما سمي حجازاً لانه حجز

ما بين نجد والغور وحكي ابن قتيبة عن الرياشي عن الاصمعي اذا خلفت حجراً مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر فاذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز واذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلك المرج والأراك فقد اتهمت وسمي حجازاً لانه حجز ما بين نجد وتهامة فأما محمد بن عبد الله الاسدي فقال حد الحجاز الاول بطن نخلة وظهر حرة[1] والحد الثاني مما يلي الشام شغب وبدا والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ والحد الرابع ساية وودان ثم تنحدر الى الحد الاول بطن نخل ٠٠ وأما الجزيرة فانها ما بين دجلة والفرات والموصل والسوادان سواد البصرة والاهواز ودست ميسان وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية ٠٠ وجزيرة العرب قال أبو عبيدة هي في الطول ما بين حفير أبي موسى الى أقصى اليمن وفي العرض ما بين يبرين الى السماوة ٠٠ وقال الاصمعي هي ما بين نجران والعذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي قال وحكي عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن الى ريف العراق وفي العرض من جدة وما والاها من طرار البحر الى طرار الشام وقيل سمي العراق تشبيهاً بعراق المزادة وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ٠٠ وقال بعضهم هو جمع عرق لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الارض وقيل ان اسمه كان بالفارسية ايران شهر أي أسفل الارض فعربت وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمى وهي الشمال لان الذي يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ويقال شأم بالهمز والتخفيف ومنهم من جعل الشام جمع شامة وهي النكتة تكون في الجسم سوداء أو نحو ذلك وكذلك في الارض ٠ قال ذو الرمة

وان لم تكوني غير شام بقفرة ٠ تجرّ بها الاذيال صيفية كدرُ

(١) نسخة حرة ليلى



باب من الزجر والعيافة

وعنهما يكون الفأل والطيرة وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على النعمة واطماع في السلامة والطيرة تكسر النية وتصد عن الوجهة وتثني العزيمة وفي ذلك ما تعطل الاحالة على المقادير وقد تفاءل النبي صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة في قوله لاعدوي ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وقد تقدم ذكرها وقيل في الهامة أنها هذه المعروفة ٠٠والطيرة من احد شيئين مشتقة إما من الطيران كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع تطير كما قال بعضهم

عوى الذئب فاستأنستُ للذئب إذ عوى وصوّت انسانٌ فكدتُ أطيرُ

وإما من الطير وهو الاصل والمختار من الوجهين هكذا ذكر الزجاجي ٠٠وكانت العرب تزجر الطير والوحش فمن قال بالقول الاول احتج بأن الوحش تطير منها وزجرت مع الطير ومن قال بالقول الثاني قال انما كان الاصل في الطير ثم صار في الوحش وقد يجوز أن تغلب احد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً ٠٠ أنشد الجاحظ

ما يعيفُ اليومَ في الطير الروَح من غراب البينِ أو تيسٍ برَح

قال فجعل التيس من الطير اذ قدم ذكر الطير وجعله من الطير في معنى التطير والعرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه دابة يقال لها العاطوس يكرهونها والغراب أعظم ما يتطيرون به والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتماً لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير بذلك اذ كان أصح الطير بصراً ويقال سمي أعور لقولهم عورت الرجل عن حاجته اذا رددته عنها٠٠وقد اعتذر أبو الشيص للغراب وتطير بالابل وان كان غيره سبقه الى المعنى فقال

الناسُ يلحونَ غرا بَ البينِ لما جهلوا

وما على ظهر غرا ب البينِ تطوى الرحلُ

ولا اذا صاحَ غرا بٌ في الديار احتملوا

ما فرّق الاحباب بعـد الله الاّ الابلُ

وما غرابُ البينِ الا ناقـةٌ أو جمـل

هكذا رويته وبعضهم يجعل الشعر ـ ماقرب الاحباب ـ وبعده والناس يلحون بواو مكان الهمزة بعطف بها .. وقال آخر فملح وطرف

رعموا بأنّ مطيّهم عونُ النوي والمؤذنات بفرقةِ الاحباب

لو أنها حتى لما أبعصنها ولهابهم سبب من الاسباب

ويتطيرون بالصرد ومن أسمائه الاخيل والاخطب ويقال الاخيـل الشقراق ويقال بل طائر تشبهه والواق أيضاً الصرد قال ربان بن مطور الفزارى فى حديث له كان مع بعة بى ذبيان وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضي ربان فظفر وغنم

تعلَّم أنهُ لا طـيرَ إلاَّ على متطيرٍ وهي الثبورُ

بلى شيءٌ يوافقُ بعض شيءٍ أحايينـاً وباطلهُ كثيرُ

يقولها في أبيات لا أقف على جملتها . وقال شاعر قديم لربان أيضاً

لا يمنعكَ من بغـا ءِالخيرِ تعقـادُ التمـائم

لا والتشاؤمُ بالعطـا سِ ولا التيامنُ بالمقاسمْ

ولقدْ غدوتُ وكنتُ لا أغدوُ على واقٍ وحاتم

واذا الاشـائمُ كالأيا منِ والأيامنُ كالاشائمْ

قد خطّ ذلك فى الزبو رِ الاوليـاتِ القدائم

ويتشاءمون بالثور الاعضب وهو المكسور القرن .. وقال الكميت ينفي الطير ويدفعها عن نفسه

ولا أنا ممنْ يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحَ غرابٌ أم تعرّض ثعلبُ

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً أمرّ صحيحُ القرنِ أم مرّ أعضبُ

والبيت الاول من هذين يشبه بيت الاعشى الذي أنشده الجاحظ .. ومن أمثال العرب فلان كبارح الاروى وفيه قولان أحدهما ان الاروى يتشاءم بها فاذا كانت بارحا فقد

عظم الأمر والآخر أنها انما تكون فى قرون الخيل ولا تكاد تكون سانحة ولا بارحة ٠٠وفى السانح والبارح اختلاف قال عمرو بن العلاء سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك ما سره قال ابن دريد السانح يتيمن به أهل نجد و يتشاءمون بالبارح و يخالفهم أهل العالية فيتشاءمون بالسانح و يتيمنون بالبارح ٠٠قال الشاعر الهذلى يذكر امرأته

زجرتُ لها طيرَ السنيحِ فان يكن هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها

قال والسانح الذي يلقاك وميامنه عن مياسرك والبارح الذي يأتيك وشمائله عن شمائلك والجابه والناطح اللذان يستقبلانك والقعيد الذى يأتيك من ورائك ٠٠قال صاحب الكتاب الكارس الذي ينزل عليك من الجبل حكاه الثعالبي قال أبو جعفر النحاس السنيح عند أهل الحجاز ما اتى عن اليمين الي اليسار والبارح عندهم ما أتى من اليسار الى اليمين وهم يتشاءمون بالسانح و يتيمنون بالبارح وأهل نجد بالضد من ذلك والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز٠٠وقال المبرد السانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا أن يتحرف له ٠٠ وقد يتطيرون من البارى والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ويتيمن بها ٠٠ آخرون ومن مليح ما رأيت فى الزجر والعيافة قال الصولى كان لأبى نواس اخوان لا يفارقهما فاجتمعوا يوما فى موضع أخفوه عنه ووجهوا اليه برسول معه طهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً وحزموه بزئر وختموه بقار وتقدموا الى رسولهم أن يرمي بالكتاب من وراء الباب فرماه به فلما رآه استطلع خبرهم فعلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فانشدهم

زجرتُ كتابكم لما أتاني كزجرِ سوانحِ الطيرِ الجواري

نظرتُ اليه مخزوماً بزئر على طهرٍ ومختوماً بقارِ

فقلتُ الزئر ملهيةٌ وملهٍ وقلت القار من دنِّ العقارِ

وقلت الطهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق العذارِ

فجئتُ اليكمُ طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بداري

فكيف ترونني وترونَ زجري ألستُ من العلامسةِ الكبارِ

باب ذكر المعاظلة والتثبيج

المعاظلة فى القوافي التضمين حكاه الخليل بن احمد وزعم قدامة أن المعاظلة سوء الاستعارة وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ومنه تعاظلت الجراد والكلاب وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر

وذاتِ هدمٍ عار نواشرها ... تصمت بالماء تولباً جدعا

لانه قد أساء الاستعارة عنده لجعله الطفل تولباً وهو ولد الحمار ٠٠وأما التثبيج فهو طول الكلام واضطرابه ولا يقال كلام مثبج حتى يكون هكذا ويقال رجل مثبج الخلق اذا كان طويلا فى اضطراب والتثبيج عند الصولي فى الخط أن لايكون بيناً وكذلك هو فى الكلام ٠٠ وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها كما عيب على كعب بن زهير قوله

تجلو عوارضَ ذي ظلم اذا ابتسمت ... كأنه منهلٌ بالراحِ معلولُ

وعاب ابن العميد حبيباً لقوله

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى ... معي ومتى مالمتهُ لمتهُ وحدِي

بالتكرير فى أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء فى كلمة وهما معاً من حروف الحلق وقال هو خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار حكي ذلك عنه الصاحب بن عباد ٠٠ وزعم آخرون انها تركيب الشيء فى غير موضعه كقول الكميت بن زيد

وقد رأينا بها حوراً منعمةً ... بيضاً تكاملَ فيها الدل والشنب

وهذا البيت مما عابه عليه نصيب ٠٠ ومثله عندي قول أبي الطيب

يحمل المسك عن غدائرها الريـــح ويفتر عن شنب برود

باب الوحشي المتكلف والركيك المستضعف

الوحشي من الكلام ما نفر عنه السمع والمتكلف ما بعد عن الطبع والركيك ما ضعفت بنيته وقلت فائدته واشتقاقه من الركة وهي المطر الضعيف وقيل من الركك وهو الماء القليل على وجه الأرض .. وأنشد النحاس

تهادي كعوم الرَّكِّ يقطعهُ الحبا ... بأبطحَ سهلٍ حين عشى بأوداء

وفلان ركيك أي ضعيف العقل ويقال للوحشي أيضاً حوشي كأنه منسوب الى الحوش وهي بقايا ابل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الانس لا يطؤها انسي الا خلوه .. قال رؤبة

جَرَّت رحالاً من بلادِ الحوشِ

واذا كانت اللفظة حشنة مستغربة لا يعلمها العالم المبرز والاعرابي القح فتلك وحشية وكذلك ان وقعت غير موقعها وأتى بها مع ما ينافرها ولا يلائم شكلها .. وكان أبو تمام يأتي بالوحشي الخشن كثيراً ويتكلف .. وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته نحو قوله

كل اخائه كرامُ بني الدنيا ولكنه كريم كرامِ

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون فيها عذر لان قوله كل اخوانه يقوم مقامه بلا نقاصة ..ومن التكلف قول ابراهيم بن سيار الفضل بن الربيع ويروى أيضا لابراهيم بن شابة

هي طالت وما طالتُ بلى طالـ ... ـت أفرّ كي برداد طولك طولا

ان كان جرمي قد أحاطَ بحرمتي ... فاحطْ بجرمي عفوك المأمولا

فتبارك الله كانهما لم يخرجا من ينبوع واحد .. قال ابراهيم بن المهدي لعبدالله بن صاعد كاتبه اياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو الداء الا كبر عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل .. وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة

لم يبع شيءَ الفاتِ ولا مشي رسفَ المقيدِ في طريقِ المطلقِ
يشقُّ فى ظلم المعانى ان دجت منهُ تباشير الكلامِ المغلقِ

وقال علي بن بسام

ولا خيرَ في اللفظِ الكريهِ استماعهُ ولا في قبيح اللحن والقصدُ أزينُ

قال علي بن عيسي الرماني أسباب الاشكال ثلاثة التعبير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه وسلوك الطريق الابعد وايقاع المشترك وكل ذلك اجتمع فى بيت الفرزدق

وما مثلهُ في الناسِ الا مملكاً أبو أمهِ حيٌّ أبوهُ يقاربهُ

فالتعبير عن الاغلب سوء الترتيب لأن التقدير وما مثله فى الناس حى يقاربهُ الا مملكا أبو امه أبوه يريد بالمملك هشام بن عبد الملك والممدوح هو ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك وأما سلوك الطريق الابعد فقوله أبو امه أبوه وكان بحرثه أن يقول خاله وأما المشترك فقوله حي يقاربه لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان بالحياة قال واذا تفقدت أبيات المعانى رأيتها لاتخرج عن هذه الاسباب الثلاثة

٠٠وحكي الصولى قال انشدنى بعض الكتاب عن أحمد بن يحيى ثعلب قول البحترى للحسن بن وهب

واذا دجت أقلامهُ ثم انتحت برقت مصابيحُ الدجى فى كتبهِ
فاللفظُ يقربُ فهمهُ من بعدهِ منا ويبعدُ نيلهُ فى قربهِ
حكمٌ سحائبها خلالَ بنانهِ هطالةٌ وقليبهـا فى قلبهِ
كالروض مؤتلفاً بحمرةِ نورهِ وبياض زهرته وخضرة عشبهِ
وكأنها والسمعُ معقودٌ بها وجهُ الحبيب بدا لعين محبه

واستعادها أبو العباس حتي فهمها ثم قال لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضلوا عليه شعراً

باب الاحاله والتغيير

وهذه لمح أتيت بها تدل من عرفها على رداءتها وتدعو الى كراهتها واجتنابها وقد وقعت في أشعار الحذاق من المتقدمين والتمس لهم منها العذر لأنهم أرباب اللغة واصحاب اللسان وليس المولد الحضري منهم فى شئ فمن الاحالة قول ابن مقبل

اما الاداةُ ففينا ضُمَّرٌ صنع   جردٌ جواحر بالألباد والحُجَم

ونسجُ داود من نص مضاعفة   من عهدِ عادٍ وبعدَ الحيِّ من ارم

فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهم الا أن يريد فنا ضمر صنع من عهد عاد فذلك له على سبيل المبالغة مع أن الا حالة لم تفارقه وكم بين قيس عيلان و بين عاد فضلا عن بنى العجلان .. وقال عبد الرحمن بن حسان

وان مالَ الصحيحُ بها فبعضٌ   من الكثبانِ ملبد مهيل

قالوا وكيف يكون ملبداً مهيلاً هذا مستحيل متناقض والذي عندي فيه أنه صواب لانه انما أراد بالملبد صلابة ملمس العجيزة وانها غير مسترخية وجعله مهيلاً لارتجاجه واضطرابه من العظم .. كما قال ابن مقبل

يمشين هيلَ النقا سالتْ جوانبه   ينهال طوراً و ينهاهُ الثرى حببا

فقد جعله مرة ينهال ومرة ينهاه الثري والتثنى الذى فيه .. وقال جميل فى التغيير

لاحسنها حسنٌ ولا كدلالها   دل ولا كوقارها توقيرُ

فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسنا وقد يغيرون اللفظ .. كما قال النابغة   * ونسج سليم كل قضاء ذائل *

وهذا أسهل من قول الآخر * من نسج داود أبى سلكان * وهذا كثير يخرج منه فى هذا الموضع ما ذكرت

باب الرخص في الشعر

وأذكرهها مايجوز للشاعر استعماله اذا اضطر اليه على أنه لاخير في الضرورة على أن بعضها أسهل من بعض ومنها ما يسمع عن العرب ولا يعمل به لانهم أتوا به على جبلتهم والمولد المحدث قدعرف أنه عيب ودخوله في العيب يلزمه اياه .. فمن ذلك قصر الممدود على مذاهب أهل البصرة والكوفة جميعاً ومد المقصور على ما أجاز الكوفيون وصل ألف القطع وهو قبيح .. قال حاتم طيئ

أبوهُ أبي والامهـاتُ أمهاتُنا　　فأنعمْ فداكَ اليوم أهلي ومعشري

قال بعضهم انما الرواية والام من أمهاتنا وله تخفيف المتشدد في القافية وأما في حشو البيت فيكرهوه جداً وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وربما حذفوا النون الساكنة .. كما قال

فلستُ بآتيـهِ ولا أسـتطيعهُ　　ولاكِ اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

وأن تحذف الألف واللام أو الاضافة وما يحذف للتنوين مثل قول خفاف

كنواحِ ريشِ حمـامةٍ نجـدية　　ومسحت باللثتين عصفَ الاثمدِ

وأن يحذف حرفاً من الكلمة كقول العجاج

* قواطنا مكة من ورق الحمى *

وحرفين كقول علقمة بن عبدة

* مفدم بسبا الـكتان ملثوم *

يريد بسبائب الكتان وأن يحذف من المكني في الوصل ما يحذف منه في الوقف .. كقول الشاعر　　* سأجعلُ عينيهِ لنفسهِ مقنعاً *

وأقبح منه أن يحذف من المكنى المتصل كقول الآخر

فبيناه يشرى رحلهُ قال قائل　　لمنْ جمل رخو الملاط نجيب

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من ضمير المؤنث .. أنشد قطرب

اما تقودُ به شـاةً فتأكلهـا　　أو تبيعه في بعضِ الارا كيـبِ

أراد تدمعها بحذف الالف قال ولا يجوز استعمال هذا للمحدث لشذوذه وقبحه ويجوز له حذف الياء والواو من المضمر المذكر لكثرته واطراده وللشاعر أن يحذف اسم إن اذا كان مضمراً .. أنشد المفضل لعدي بن زيد

فليتَ دفعتَ الهمَّ عنيَ ساعةً   فبتنا على ما خيلتَ ناعمَيْ بال

يريد -ليتك- وله حذف الفاء من افتعلته من التقوي وما تصرف منها .. أنشد المفضل لخداش بن زهير

تقوهُ أيها الفتيانُ إني   رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا

وأنشد أبو زيد الانصاري

انَّ المنيةَ بالفتيانُ ذاهبةٌ   وإن تقوها بأرماحٍ وادراعِ

وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال

يا أقرعَ بن حابسٍ يا أقرعُ   إنك ان تصرعْ أخاكَ تصرع

قال سيبويه تقديره انك ان تصرع أخاك فتصرع .. ومثله أيضاً

مَن يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها   والشر بالشرّ عند الله مثلان

يريد فالله يشكرها وهذا أبين من الأول وحذف النون من تثنية الذى وجمعه .. قال الأخطل

ابنى كليبٍ إنَّ عميَّ اللذا   قتلا الملوكَ وفككا الاغلالا

وأنشد سيبويه

وانَّ الذى حانتْ بفلجٍ دماؤهم   همُ القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالد

أراد الذين .. وعلى هذا قال أبو الطيب

ألستَ من القوم الذى من رماحهم   نداهمْ ومن قتلاهمُ مهجةُ البخل

ويجوز أن يكون حمل الذي للجماعة والواحد كما حمل من وقد حكي ذلك الزجاجي .. قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل ﴿ كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلما أضاءتْ

ما حوله ذهبَ اللهُ بنورهمْ وتركهمْ في ظلمات لا يبصرُون ﴾ أن الذى ههنا بمعنى الذين والله أعلم وحذف الياء من الذى فمنهم من سكن الدال بعد الحذف ومنهم من يدعها مكسورة على لفظها أنشد البصريون والكوفيون جميعاً

فظلتُ في شرٍ من اللذْ كيدَا كمن ترىّ زنيةً فاصطيدَا

ويروى ـ كالذ تزبى زبيةً فاصطيدا ـ فجمع بين اللغتين .. ونظير هذا حذف الياء من التي واسكان التاء وأنشدوا

فقلْ للتْ تلومكَ انَّ نفسى أراها لا تعوّذُ بالتميم *

وحذف الياء والتاء من اللواتى .. أنشد الرجاجي

جمعتها من أينق غزار من اللوا شرفنَ بالصرارِ

وحذف الموصول وترك الصلة .. كما قال يزيد بن مفرغ

عدسْ مالعباد عليكِ امارةٌ نجوتِ وهذا تحملينَ طليقُ

أراد وهذا الذي تحملين فحذف وحذف اسم ان ولكن كما قال

ولكنَّ من لايلقَ أمراً ينوبهُ بعدته ينزلْ به وهو أعزلُ

فحذف الهاء من لكنه لانه قد جازى بمن ولو أعمل فيها لكن لم يجز أن يجازى بها ومثله قول الآخر

انَّ من يدخل الكنيسةَ يوماً يلق فيها جآذرا وظباء

أراد أنه ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين وأنشدوا

لها أشاريرُ من لحمٍ تتمره من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد ـ من الثعالب ـ ومن ـ أرانبها ـ ويلينون الهمزة وذلك كثير جدا جائز في المنثور والفصيح وله حذف ألف الاستفهام كما قال الأخطل

كذبتكَ عينك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الرباب خيالا

وهذا ردىء في المنثور جداً ونقصان المجموع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة

* حتى اذا بلتْ حلاقيمُ الحلُق *

يريد الحلوق . وترك صرف ما ينصرف لانه يحذف منه التنوين وهو يستحقه وهو غير جائز عند البصريين الا أنه قدجاء في الشعر .. قال عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمع

وعلى هذا المذهب قال أبو نواس

عباسُ عباسٌ اذا احتدمَ الوغا والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيع

ويروى - اذا حضر الوغا - والفراء يرى ترك الصرف لعلة واحدة وهي التعريف والبصريون يخالفونه في ذلك ويأبونه .. ومن أقبح الحذف حذف حركة الاعراب للضرورة وأنشدوا لامرئ القيس

فاليوم اشربْ غير مستحقبٍ اثماً من الله ولا واغل

.. ومثله للفرزدق

رحتِ وفي رحليك ما فيهما وقد بدا هَنْكِ من المئزر

وزعم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس - اليوم أسقى - وبذلك كان المبرد يقول وقال آخرون بل خاطب نفسه كما يخاطب غيره فقال فاليوم فاشرب وفي بيت الفرزدق - وقد بدا ذاك من المئزر - كناية عن الهن وهذا مما يسمع ويحكى ولا يقاس عليه البتة هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .. والذي يجوز له من الزيادات أنا ذاكر منه أيضاً ما وسعته قدرتي ان شاء الله تعالى فمن ذلك صرف مالا ينصرف وأجراء المعتل مجرى الصحيح فيعرب في حال الرفع والخفض تقول هذا القاضي ومررت بالقاضي وزيد يقضي ويغزو ولا يجوز في المنثور من الكلام وعلى هذا قول قيس بن زهير

ألم يأتيكَ والأنباءُ تنمي بما لاقتْ لبونُ بني زيادِ

كأنه يقول في الرفع يأتيك بضم الياء فلما جزمها أسكنها .. ومنهم من يبدل من الياء همزة وهو القليل فيقول القاضئ والغازئ وأنشدوا

يادارَ سلمى بذكاديك البرقْ سقياً وان هيجت شوقَ المشتئق

همز الياء وليس أصلها الهمزة ٠٠ وله اظهار التضعيف كقوله

يشكو الوجي من أظلل وأظلل

وانما هو ـ الاظل ـ وهو باطن خف البعير ٠٠ وتثقيل المخفف في وصل الكلام على نية من يقف على التثقيل وأنشدوا

ببازل وجناء أو عيهلّ كأنّ مهواها على الكلكلّ

موقع كفيْ راهب يصليّ

فثقل ـ العيهل ـ وهي السريعة ـ والكلكل ـ في صلة الشعر وهما مخففتان ٠٠ وله ادخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب وانما تدخل فيما ليس بواجب نحو الأمر والنهى والاستفهام ٠٠ قال القطامي

وهمُ الرجالُ وكلُّ ذلك منهمُ تجدنّ في رحب وفي متضيق

وأنشدوا لآخر وهو جذيمة الابرش

ربما أوفيتُ في علمٍ ترفعنْ ثوبي شمالات

وله ادخال الفاء في جواب الواجب والنصب بها على اضمار ان ٠٠ قال طرفة

لنا هضبةٌ لا ينزلُ الذلُ وسطها ويأوى اليها المستجيرُ فيعصما

فنصب بالفاء على الجواب ٠٠ وقال آخر

سأتركُ منزلي لبني تميمٍ والحقُ بالحجازِ فاستريحا

وقطع الف الوصل لأنه زيادة حركة ٠٠ والجزم بحرف وحرفين وأكثر من ذلك وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب ٠٠ وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر

تنفي يداها الحصا في كلّ هاجرةٍ نفيَ الدراهيمِ تنقادَ الصياريف

فزاد ياء في الدراهم وياء في الصيارف ان لم تكن الرواية تختلف على أن الدراهم لا يضطر فيها الى زيادة الياء اذ كان الوزن يقوم دونها وان قيل في بعض اللغات درهام

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور وقد أنكر أكثر البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة ويجوز له التقديم والتأخير كما قال ابن الصمة السلولي

وما ذاك ان كانَ ابن عمي ولا أخي ولكن متى ما أملك الضرَّ أنفعُ

بالرفع أراد ولكن أنفع متى ما أملك الضر ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين قوله يصرع أخوك تصرع. حيث فرقوا بينهما غير انا نسلم لهم كما سلمنا هو أثبت فيما حسبنا وأدركي خاطرا وقال عمرو بن قميئة

لما رأت ساتيدما استعبرت لله درُّ اليوم من لامها

وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغةً واحكاماً لا تصرفاً وضرورة واذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب الى قائله عجز ولا تقصير كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده من ذلك ان يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعاً كما قال الله عز وجل ﴿واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها﴾ أو يجعل الفعل لأحدهما ويشرك الآخر معه أو يذكر شيئاً فيقرن به ما يقاربه ويناسبه ولم يذكره كقوله تعالى في أول سورة الرحمن ﴿ فباي آلاء ربكما تكذبان ﴾ وقد ذكر الانسان قبل هذه الآية دون الجان وذكر الجان بعدها . وقال المثقب العبدي

فما أدري اذا يممتُ أرضاً أريدُ الخيرَ أيهما يليني

أألخيرُ الذي أنا أبتغيهِ أم الشرُّ الذي هوَ يبتغيني

فقال أيهما قبل ان يذكر الشر لأن كلامه يقتضي ذلك وان يحذف جواب القسم وغيره نحو قوله عز وجل ﴿ ق والقرآنِ المجيدِ بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم ﴾ وقوله ﴿ والنازعاتِ غرقاً ﴾ الى قوله ﴿ يوم ترجفُ الراجفةُ ﴾ فلم يأت بجواب لدلالة الكلام عليه وقال جل وعز ﴿ ولولاَ فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأن الله رؤوفٌ رحيمٌ ﴾ أراد لعذبكم أو نحوه ومن هذا قول امرئ القيس

ولو أنها نفسٌ تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

وقد تقدم ذكره ومن ذلك اضمار مالم يذكر كقوله جل ثناؤه ﴿حتى توارت بالحجاب﴾

يعني الشمس وقوله ﴿ فأثرنَ به نقعاً ﴾ ولم يجر للوادي ذكر وقال حاتم طيّ

أماويّ ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

يعني النفس .. وأنشد ابن قتيبة عن الفراء

إذا نهيَ السفيهُ جرى إليه وخالف والسفيهُ إلى خلافِ

يعني جرى إلى السفه .. وحذف لامن الكلام وأنت تريدها كقوله تعالى ﴿ كجهر بعضكم لبعضٍ أن تحبطَ أعمالكمْ ﴾ .. وزيادة لا في الكلام كقوله سبحانه ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ يراد لا لأنهم لا يؤمنون هذا قول ابن قتيبة وقال جل اسمهُ ﴿ ما منعكَ أن لاَ تسجدَ ﴾ أي ما منعك ان تسجدَ قال وانما يراد لا في الكلام لاباء أو جحد وقال ﴿ لئلاً يعلم أهلُ الكتابِ أن لا يقدرونَ على شيء من فضلِ الله ﴾ أي ليعلمَ .. وقال أبو النجم فما ألومُ البيضَ أن لا تسخرا

يريد ان تسخرا وحذف المنادى كقوله تعالى ﴿ ألاَ يسجدوا لله ﴾ كأنه قال الاَ ياهؤلاء اسجدوا لله .. وقال ذو الرمة في مثل ذلك

الا ياسلمي يا دارَ ميّ على البلى ولا زالَ منهلاً بجرعائك القطرُ

وان يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة أو يخبر عنه كقوله تعالى ﴿ إنّ الذينَ ينادونكَ من وراء الحجرات ﴾ وانما كان رجلاً واحداً وقوله ﴿ ألقيا في جهنمَ ﴾ وانما يخاطب مالك خازن النار وقيل بل أراد ألق ألق فثنى الفعل وقوله ﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ فخاطب الاثنين بخطاب الواحد وقوله ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ وقوله ﴿ وألقى الالواح ﴾ وهما لوحان فيما زعم المفسرون حكاهُ ابن قتيبة وان يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله ﴿ وان كنتم جنبا ﴾ .. ومن غرائب هذا الباب ان يأتي المفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا معصوم وكذلك قوله من ماء دافق أي مدفوق وقوله ﴿ في عيشة راضية ﴾ أي مرضي بها وقوله ﴿ وجعلنا آية النهارِ مبصرةً ﴾ أي مبصر فيها وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله تعالى ﴿ إنهُ كان وعدهُ مأتيا ﴾ أي آتيا .. وقد جاء الخصوص في معنى العموم في قوله تعالى ﴿ يا أيها النبيّ إذا طلقتم النساء ﴾ وجاء العموم بمعنى الخصوص في قوله ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيباتِ واعملوا صالحاً ﴾ .. ومن الجمل

على المعنى قوله تعالى ﴿ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ﴾ كأنه قيل من زينه فقيل شركاؤهم .. والحمل على المعنى في الشعر كثير ومن أنواعه التذكير والتأنيث ولا يجوز أن يؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ولا أن تذكر مؤنثاً .. قال ابن أبي ربيعة المخزومي

فكان مجنّي دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فأنث الشخوص على المعنى وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان واحده مذكراً حقيقياً .. ومما أنث من المذكر حملا على اللفظ قول الشاعر أنشده الكسائي

أبوك خليفةٌ ولدته أخرى وأنت خليفةٌ ذاك الكمالُ

ومثل هذا في الشعر كثير موجود

باب السرقات وما شاكلها

وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه وفيه أشياء غامضة الا عن البصير الحاذق بالصناعة وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت كالاصطراف والاجتلاب والانتحال والاهتدام والاغارة والمرافدة والاستلحاق وكلها قريب من قريب قد استعمل بعضها في مكان بعض غير أني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد .. وقال الجرجاني وهو أصح مذهباً وأكثر تحققاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن ولست تعد من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علماً برتبه ومنازله فتفصل بين السرق والغصب وبين الاغارة والاختلاس وتعرف الالمام من الملاحظة وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدي فملكه واجتباه السابق فاقتطعه قال عبد الكريم قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه على أن

من الناس من بعد دهمه الا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة حين لم يختلفا الا في القافية فقال أحدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد ومنهم من يحتاج الى دليل من اللفظ مع المعنى ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل .. والسرق أيضاً انما هو في البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا في المعاني المشتركة التي هي جارية في عاداتهم ومستعملة في أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذي يورده أن يقال إنه أخذه من غيره قال واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق اليه جهل ولكن المختار له عندي أوسط الحالات .. وقال بعض الحذاق من المتأخرين من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً فان غير بعض اللفظ كان سالخاً فان غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه .. وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه على أبي الطيب مقدمة لا يصح لاحد معها شعر الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم وسماه كتاب المنصف مثل ما سمي اللديغ سليما وما أبعد الانصاف منه .. والاصطراف أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه الى نفسه فان صرفه اليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق وان ادعاه جملة فهو انتحال ولا يقال منتحل الا لمن ادعى شعراً لغيره وهو يقول الشعر وأما ان كان لا يقول الشعر فهو مدع غير منتحل وان كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الاغارة والغصب وبينهما فرق أذكره في موضعه ان شاء الله تعالى فان أخذه هبة فتلك المرافدة ويقال الاسترفاد فان كانت السرقة فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ويسمى أيضا النسخ فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الاخذ فذلك النظر والملاحظة وكذلك ان تضادا ودل أحدهما على الآخر ومنهم من يجعل هذا هو الالمام فان حول المعنى من نسيب الى مديح فذلك الاختلاس ويسمى أيضا نقل المعنى فان أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس فان صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك المواردة وان ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب ومن هذا الباب كشف المعنى والمجدود من الشعر وسوء الاتباع وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه وسأورد عليك ما رويته أو تأدى الى فهمه لكل واحد من هذه الالقاب مثالاً يعرفه العالم ويقتدي به المتعلم ان شاء الله تعالى .. وأما الاصطراف فيقع

من الشعر على نوعين أحدهما الاجتلاب وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت والآخر الانتحال.. فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني

وصهباءَ لايخفي القذى وهو دونها تصفقُ في راووقها ثم تقطبُ
تمززتها والديكُ يدعو صباحَهُ اذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانةٍ ريا السرورِ كأنها اذا غمستْ فيها الزجاجةُ كوكبُ
تمززتها والديك يدعو صباحه اذا مابنو نعشٍ دنوا فتصوبوا

وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت ولا يكون في ذلك بأس كقول عمرو ذو الطوق

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو وكان الكأسُ مجراه اليمينا
وما شرّ الثلاثةِ أمَّ عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً وقد يصنع المحدثون مثل هذا.. قال زياد الأعجم

أشمّ اذا ما جئتَ للعرف طالبا حباك بما تحوي عليه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجادَ بها فليتقِ اللهَ سائله

ويروي هذا لأخت يزيد بن الطثرية واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب

ستعلمُ من يكونُ أبوهُ قيناً ومن كانت قصائدهُ اجتلاباً

فانما وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين وأما الجمحي فقال من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلابا مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي

تلك المكارمُ لاقعبانِ من لبنٍ شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه فبنو عامر يروونه للجعدي والرواة مجمعون أنه

لأبى الصلت فقد ذهب الجمحى فى الاختلاف مذهب جرير أنه انتحال ولم أرمحدثا عيره يقول هذا القول والانتحال عندهم قول جرير

ان الذينَ غدوا بلبك غادروا   وشلاً بعينكَ لا يزالُ معينا
غيضن َمن عبراتهن ّ وقلنَ لى ِ   ماذا لقيتَ من الهوى ولقيناَ

فان الرواة مجمعون على ان البيتين للمعلوط السعدى انتحلهما جرير وانتحل أيضاً قول طفيل الغنوي

ولما التقى الجمان ِ أُلقيت ِ العصا   ومات الهوى لما أصيبت مقاتلهُ

ولذلك قال الفرزدق

ان تذكروا كرمى بلؤم ِ أبيكمُ   وأوابدي تتنحلوا الاشعارا

وكانا يتقارضان الهجاء و يعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه وليس ذلك عيباً فى المناقضات ولما قال الفرزدق فى بني ربيع

بنت ربيع أن يجئْ صغارُها   بخير ٍ وقد أعيي ربيعاً كبارهاَ

أخذه البعيث بعينه فى بنى كليب رهط جرير فقال الفرزدق

اذا ما قلتُ قافيةً شروداً   تنحلها ابنُ حمراءِ العجان

يعنى البعيث وكان ابن سرية واما قول البحترى

رمتنى غواةُ الشعر ِ من بين مفحم ٍ   ومنتحل ما لم يقلهُ ومدعى

فيشهد لك بما قدمت ذكره لأنه قسمهم ثلاثة أقسام مفحم قد عجز عن الكلام فضلا عن التحلى بالشعر غير أنه يبع الشعراء والآخر منتحل لا جودةَ من شعره الثالث مدع جملة لايحسن شيئاً . . والاغارة أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتا فيروي له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقدسمعه ينشد

ترى الناسَ ما سرنا يسيرونَ خلفنا   وأن نحن أومأنا الى الناس ِ وقفوا

فقال متي كان الملك فى بنى عذرة انما هو في مضر وأنا شاعرها فغلب الفرزدق على البيت

ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره ٠٠وقد زعم بعض الرواة أنه قال له تجاف لي عنه فتجافى جميل عنه والاول أصح فما كان هكذا فهو إعارة وقوم يرون ان الاعارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى كان ذلك لمعاصر أوقديم٠٠وأما الغصب فمثل صنيعه بالشمردل اليربوعي وقد أنشد في محفل

فما بين من لم يعط سمعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حزّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق والله لتدعنه او لتدعن عرضك فقال خذه لا بارك الله لك فيه وقال ذو الرمة بحضرته لقد قلت أبياتا ان لها لعروضا وان لها لمرادا ومعنى بعيدا قال وما قلت فقال قلت

أحين أعاذت بي تميمٌ نساءَها وجردتُ تجريدَ اليماني من الغمدِ
ومدتْ بضبعيَّ الرباب ومالكٌ وعمروٌ وسالت من ورائي بنوسعدِ
ومن آل يربوع زُهاءٌ كأنهُ دجى الليل محمود النكايةِ والرفدِ

فقال له الفرزدق اياك واياها لا تعودن اليها وأنا أحق بها منك قال والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً الا لك٠٠وسمعت بعض المشايخ يقول الاصطراف في شعر الأموات كالاعارة على شعر الأحياء انما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالابيات يهبها له كما قال جرير لذي الرمة انشدني ما قلت لهشام المرئي فانشده قصيدته

نبت عيناك عن طلل بحزوى محتهُ الريح وامتنح القطارا

فقال ألا أعينك قال بلى بأبي وأمي قال قل له

يعدُّ الناسبونَ الى تميم بيوتَ المجد اربعةً كبارا
يعدون الربابَ وآلَ سعدٍ وعمراً ثم حنظلةَ الخيارَا
ويهلك بينها المرئيُّ لغواً كما ألغيتَ في الديةِ الحوارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشده فلما بلغ هذه قال جيد أعده فأعاد فقال كلا والله لقد علكهنّ من هو أشد لحيين منك هذا شعر ابن المراغة٠٠واسترفد هشام المرئي جريرا على ذي

الرمة فقال فى أبيات

ماشي عدياً لؤمها ما تجنه ... من الناس ماماشت عدياً طلالها

فقل لعدىٍّ تستعن بنسائها ... عليّ فقد أعيي عدياً رحالها

اذا الرمّ قد قلدت قومك رمةً ... بطيئاً بأيدي العاقدين انحلالها

ويروى بأيدى المطلقين. فقال ذو الرمة لما سمعها ياويلتا هذا والله شعر حنظلى وغلب هشام على ذى الرمة بعد ان كان ذو الرمة مستعلياً عليه وقد استرفد النابغة بنى ذبيان زهيراً وأمر ابنه كعبا فرفده والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك اذا كانت شبيهة بطريقته ولا يعد ذلك عيبا لأنه يقدر على عمل مثلها ولا يجوز ذلك الا للحاذق المبرز ٠ والاهتدام نحو قول النجاشى

وكنتُ كذى رجلين رجلٍ صحيحةٍ ... ورجلٍ رمت فيها يدُ الحدثانِ

فاخذ كثير القسم الاول واهتدم باقى البيت فجاء بالمعنى فى غير اللفظ فقال ورجل رمى فيها الزمان فشلت وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهلهل

أنبضوا معجسَ القسيِّ وأبرق ... نا كما توعد الفحولُ الفحولاَ

نظر اليه زهير بقوله

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا ... ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

أو أبو ذؤيب بقوله

ضروبٌ لهامات الرجال بسيفهِ ... اذا حنَّ نبعٌ بينهم وشريحُ

والالمام ضرب من النظر وهو مثل قول أبى الشيص

* أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً *

وقول أبى الطيب ... * أأحبه وأحب فيه ملامةً *

البيت وقد تقدم ذكرهما فى التغاير ٠ ٠ وأما الاختلاس فهو قول أبى نواس

ملكٌ تصورَ فى القلوبِ مثاله ... فكأنه لم يخلُ منهُ مكانُ

احتلسه من قول كثير

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنما ‏ يمثلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

وقول عبد الله بن مصعب

كأنكَ كنتَ محتكماً عليهم ‏ تخيرُ في الأبوةِ ما تشاء

ويروى – كأنكَ جئتَ محتكماً عليهم – احتلسه من قول أبي نواس

خلقت والحسن تأخذه ‏ تنتقي منه وتنتخبُ

فاكتست منه طرائفه ‏ ثم زادت فضل ما تهبُ

أردت البيت الأول ومن هذا النوع قول امرئ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدانُ حيّنا ‏ تعالوا الى أن يأتنا الصيدُ نحطب

نقله ابن مقبل الى القدح فقال

اذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ ‏ عداريه(١) قبل الافاضةِ يقدح

نقله ابن المعتز الى البازى فقال

قد وثقَ القومُ له بما طلب ‏ فهو اذا عرى لصيدٍ واضطرب

* غروا سكاكينهم من القرب *

نقلته أنا الى قوس البندق فقلت

طيرٌ أبابيلُ جاءتنا فما برحتْ ‏ الاَّ وأقواسُنا الطيرُ الأبابيلُ

ترميهمُ بحصي طينٍ مسوَّمةٍ ‏ كأنَّ معدنهـا للرمي سجيلُ

تغدُو على ثقةٍ مما نأطيها ‏ فالنارُ تقدحُ والطنجيرُ مغسول

والموازنة مثل قول كثير

تقولُ مرضنا فما عدتنا ‏ وكيفَ يعودُ مريضٌ مريضا

وازن في القسم الآخر قول نابغة بني تغلب

(١) ن عداريه

محلـا احالك قد تعلمين وكم عيبُ محيلٌ محيلا

والعكس قول ابن أبي قيس ويروى لأبي حمص البصري

ذهب الزمانُ برهط حسان الألى كانت مناقبهم حديثَ العابرِ

وبقيتُ في خلف محلٌ ضيوفهم منهـم بمنزلة اللئيم الغادر

سودِ الوجوه لئيمةٍ احسابهـم فطس الانوف من الطراز الآخر

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع نقلة عسر منه أو عبارة عظيمة .. وأما الموارده فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس وطرفة ولا أظن هذا مما يصح لان طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الاكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس فكيف يكون هذا موارده الا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف واذا صح هذا كان مواردة وان لم يكونا في عصر وسئل أبو عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شـعره قال تلك عقول رجال توافت على ألسنها وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جاده وربما وقع الحافر على موضع الحافر وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية

اذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأن شعاعَ الشمسِ دوني يقابله

فأوله من قول جميل

اذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير

فغضّ الطرفَ انك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي[1]

اذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنّ الشمسَ من حولي تدورُ

(١) هو عنترة بن عكبرة الطائي وهي أمه وأبوه الاخرس بن ملحة فارس شاعر ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف اه كتبه مصححه

فاما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس

نمشّ باعراف الجياد أكفّنا　　اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال عبدة بن الطبيب بعده

ثمّة قمنا الى جردٍ مسوّمة　　اعرافهن لأيدينا مناديلُ

فكشف المعنى وأبرزه ٠٠ وأما المجدود من الشعر فنحو قول عنترة العبسي

* وكما علمتِ شمائِلي وتكرمي *

ررق جداً واشتهاراً على قول امرئ القيس

وشمائلي ما قد علمتِ وما　　نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي

ومنه أخذ عنترة والمخترع معروف له فضله متروك له من درجته غير أن المتبع اذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره ان كان طويلا أو يبسطه ان كان كزاً أو يبينه ان كان غامضاً أو يختار له حسن الكلام ان كان سفسافاً أو رشيق الوزن ان كان جافياً فهو أولى به من مبتدعه وكذلك ان قلبه أوصرفه عن وجهه الى وجه آخر فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وسقوط همته وضعف قدرته فما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ

اذا بلغتني وحملتِ رحلي　　عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

فقال أبو نواس

أقولُ لناقتي اذْ بلغتني　　لقد أصبحتِ مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا　　ولاقلتْ اشرقي بدم الوتين

وكرره فقال

واذا المطيّ بنا بلغنَ محمداً　　فظهورهن على الرحالِ حرام

قرّبننا من خير من وطئ الحصى　　فلها علينا حرمةٌ وذمام

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس ـ فلو أنها نفسٌ ـ البيت

وقول عبدة بن الطيب ـ فما كان قيس ـ البيت .. وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديا ولفظا رديا مستهجنا ثم يأتى من بعده فيتبعه فيه على رداءته نحو قول أبى تمام

باشرت أسبابَ الغنى بمدائحٍ   ضربت بأبوابِ الملوك طبولا

فقال أبو الطيب

اذا كان بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ   ففى الناسِ بوقات لها وطبول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه .. قول أبي دهبل الجمحي فى معنى بيت الشماخ

يا ناقُ سيرى واشرقى   بدمٍ اذا جئت المغيره

سيثيبني أخري سـوا   ك وتلك لى منه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته .. ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة

وخيل قد دلفتُ لها بخيل   عليها الاسدُ تهتصرُ اهتصارا

وقول عمرو بن معدى كرب

وخيل قد دلفتُ لها بخيل   تحية بينهم ضربٌ وجيع

وقول خنساء ترثى أخاها صخراً

وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيل   فدارت بين كبشيها رحاها

.. ومثله

وخيلٍ قد دلفت لها بخيل   ترى فرسانها مثلَ الأُسود

وأمثال هذا كثير وكانوا يقضون فى السرقات أن الشاعرين اذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتا واعلاهما سنا فان جمعهما عصر واحد كان ملحقا باولاهما بالاحسان وإن كانا فى مرتبة واحدة روي لهما جميعا وانما هذا فيما سوى المختص الذى حازه قائله واقتطعه صاحبه الا ترى ان الاعشي سبق الى قوله

وفي كل عام أنت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مجداً وفي الاصل رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فاحذه النابغة فقال

شعب العلافيات بين فروجهم ... والمحصنات عوازب الاطهار

وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره وبما فيه من المناسبة بذكر الشعب بين الفروج وذكر النساء بعد ذلك وأخذه الناس من بعده فلم يغلبه على معناه ولا شاركه فيه بل جعل مقتدياً تابعاً وان كان مقدماً عليه في حياته وسابقاً له بمماته .. وقال أوس ابن حجر

كأن هرا جنيباً عند غرضها ... والتف ديك برجليها وخنزير

فلم يقربه أحد وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري هذا المجرى .. وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر وهذه لمحة منه .. قال بادب الاسكندر حركنا الملك بسكونه فتناوله أبو العتاهية فقال

قد لعمري حكيت لي غصص المو ... ت وحركتني لها وسكنتا

وقال ارسطاليس يندبه قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته .. وقال أبو العتاهية في ذلك

وكانت في حياتك لي عظاة ... فأنت اليوم أوعظ منك حيا

وقال عيسى عليه السلام تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل ما يجزى به أهل الحسنات أجل لايجنى الشوك من العنب .. فقال ابن عبد القدوس

اذا وترت امرأ فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

وأخذ الكتاب قولهم ـ قدمت قبلك ـ من قول الاقرع بن حابس وروى لخاتم

اذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... بموت فكن انت الذى تتأخر

وقولهم ـ وأتم نعمته عليك ـ من قول عدي بن الرقاع العاملي

صلى الإله على امرئ ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها

فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق وفي أقل ما جئت به منه كفاية

باب الوصف

الشعر الأقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس به لانه كثيراً ما يأتي في اضعافه والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا اخبار عن حقيقة الشيء وأن ذلك مجاز وتمثيل ٠٠ وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع كما قال النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جؤذراً

فبات يذكيه بغير حديدةٍ أخو قنصٍ يمسي ويصبح مُفطرا

اذا ما رأى منه كراعاً تحركت أصاب مكان القلب منه وفرفرا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه ٠٠ قال قدامة الوصف انما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها ثم بأظهرها فيه وأولاها به حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته ٠٠ وقال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً ٠٠ وأصل الوصف الكشف والاظهار يقال قد وصف الثوب الجسمَ اذا نمّ عليه ولم يستره ٠٠ ومنه قول ابن الرومي

اذا وصفَتْ ما فوق مجرى وشاحها غلائلها ردّت شهادتها الأزرُ

الا أن من الشعراء والبلغاء من اذا وصف شيئاً بالغ في وصفه وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء ان مدحا فمدحا وان ذما فذما ٠٠ والناس يتفاضلون في الاوصاف كما يتفاضلون في سائر الاصناف فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ومنهم من يجيد الاوصاف كلها وان غلبت عليها الاجادة في بعضها كامرئ القيس قديما وأبي نواس في

عصره والبحتري وابن الرومي في وقتهما وابن المعتز وكشاجم فان هؤلاء كانوا متصرفين بمحاسن الاوصاف وليس بالمحدث من الحاجة الى أوصاف الابل ونعوتها والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمان والوعول ما بالاعراب وأهل البادية لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات وعلمهم أن الشاعر انما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شاكلهما في تلك الطرائق ماهو مشهور في أشعارهم كرائية الحسن في الخصب وحمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .. والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وماشاكلهما وما كان مناسبا لهما كالكؤس والقناني والاباريق وتفاح التحيات وباقات الزهر الى مالا بد منه من صفات الخدود والقدود والنهود والوجوه والشعور والريق والثغور والارداف والخصور ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين فان ارتفعت الصناعة فصفات الجيوش وما يتصل بها من ذكر الخيل والسيوف والرماح والدروع والقسي والنبل الى نحو ذلك من ذكر الطبول والبنود والمحرقات والمحسنات وليس يتسع لنا هذا الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الاوصاف فحينئذ أدل على مطالبها دلالة مجملة وأذكر ما قيل شكله وعن نظيره شواهد وأمثلة تعرف بها المتعلم كيف العمل فيها ومن حيث المسالك اليها ان شاء الله تعالى .. أما نعات الخيل فامرؤ القيس وأبو دؤاد وطفيل الغنوي والنابغة الجعدي وأما نعات الابل فطرفة في معلقته من أفضلهم وأوس بن حجر وكعب بن زهير والشماخ وأكثر القدماء يجيد وصفها لانها مراكبهم ألا ترى رؤبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال أدنى من ذنب البعير وكان عبيد بن حصين الراعي النميري أوصف الناس للابل ولذلك سمي راعيا وأما الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضا والنبل وأما الخمر فمن أوصاف الاعشى والاخطل وأبي نواس وابن المعتز ولأبي نواس أيضا وابن المعتز الصيد والطرد فما شئت من هذه الاوصاف فالتمسها حيث ذكرت ومن الأوصاف القليلة المثل .. قول رؤبة يصف الفيل

أحزدُ الخصرِ طويلُ النابين مشرفُ اللحى صغيرُ العينين[1]

(١) نسخه أبيض كالحصن طويل النابين مشرف اللحي صغير العينين

* عليه أذنان كفصل الثوبين *

وقال آخر يصفه أنشده عبد الكريم

من يركب الفيل فهذا الفيلُ إن الذي يحمله محمولُ

على تهاويل لها تهويل كالطود الا أنه يحول

* وأذن كأنها منديلُ *

هكذا أنشده وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطها وقد أنشدها علام ثعلب عنه عن ابن الاعرابى .. وقال عبد الكريم يجمع ما فرقاه وزاد عليهما

وأصبح مهديّ النجارى تمده ملوكُ بنى ساسان ان داسها أمرُ

من الورق لا من ضربه الورق يراهى أصاح ولا من ضربه الحسن والعشر

يجيء كطود مائل فوق أربع مضبرة لمت كما لمت الصخرُ

له مخدان كالكثيبين اسندا وصدرٌ كما أوفى من الهضبة الصدر

[illegible] كراووق حمرة ينال به ما تدركُ الأنملُ العشرُ

وأذن كفضل البرد [illegible] حمما وطرف يقبضُ العيب مرورٌ

ونابان [illegible] لا يريك سواهما قناتين سمراوين طرفاهما تبرُ

له لون ما بين الصباح وليله اذا نطق العصفور أو عاس الصقرُ

وصفت أنا زرافة أتت فى الهدية من مصر الى مولانا خلد الله ملكه من قصيدة طويلة

وأتتك من كسب الملوك زرافة شتى الصفات لكونها اثناء

جمعت محاسن ماحكت فتناسبت فى خلقها وتنافت الاعضاء

يحتثها بين الجوافق منية نادى عليها الكبر والخيلاء

وتمد جيداً فى الهواء يزينها فكأنه تحت اللواء لواء

حطت مآخرها وأشرف صدرها حتى كأن وقوفها إقعاء

وكأن فهر الطيب ما رجمت به وجه الثرى لو لمت الاجراء

وتحيرت دون الملابس حلة عيت لصنعة مثلها صنعاء
لوناً كلون الورد الا أنه حلى وحرع بعصة الحلاء
او كالسحاب المكفهرة حيطت فيه البروق وميضها يمسه
أو مثل ما صدئت صفائح جوشن وجري على حافاتهن جلاء
نعم التحاوف التي ادرعت به من جلدها لو كان فيه وقاء
وصف أيضاً أيضاً

ومحرونة أبداً لم تكن مذللة الظهر للراكب
قداً بصل الحيد من ظهرها بمثل السنام بلا غارب
ملمعة مثل ما لمعت محاءوتي يد الكاعب
كأن الحوارى كمعها لخالج من كل جانب
وقال كشاجم يصف اصطرلابا

ومستدير كجرم البدر مسطوح عن كل رائعة الاشكال مصفوح
صلب يدار على قطب يليه مثال طرف بشكم الحدق مشبوح
مثل السان وقد أوفت صفائحه على الأقاليم في أقطارها الفيح
كأنما السبعة الافلاك محدقة بالماء والنار والارضين والريح
تنبيك عن طالع الابراج هيئته بالشمس طوراً وطورا بالمصابيح
وان مضت ساعة أو بعض ثانية عرفت ذلك بعلم منه مشروح
وان تعرض في وقت يقدره لك التشكك جلاه تصحيح
يمر في قاسات النجوم لما بين المشائم منها والمناجيح
له على الظهر عينا حكمة بهما يحوي الضياء ويحبيه من اللوح
وفي الدوائر من أشكاله حكم تلقح الفهم منا أي تلقيح
لا يستقل لما فيها بمعرفة الا الحصيف اللطيف الحس والروح

حتى ترى العيب عنهُ وهو مغلق الـ ... أبواب عمن سواه جد مفتوح
نتيجة الدهر والتفكير صوره ... ذوو العقول الصحيحات المراجيح

وقال أيضاً يصف تخت حساب الهندسة

وقلم مداده تراب ... في صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والاضراب ... من غير أن يسوّد الكتاب
حتى يبين الحق والصواب ... وليس إعجام ولا إعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

وقال يستهدي بركارا

جد لي ببركارك الذي صنعت ... فيه يداقينه اعاجيبا
ملاءم الشعرتين معتدل ... ماشين من جانب ولا عيبا
شخصان في شكل واحد قدرًا ... وركبا في العقول تركيبا
أشبه شيئين في اشتباههما ... بصاحب لا يزل مصحوبا
أوثق مسماره وغيب عن ... نواظر الناقدين تغييبا
فبين من يجتليه يحسبه ... في قالب الاعتدال مصبوبا
وضم شطريه محكم لهما ... ضم محب اليه محبوبا
يزداد حرصا عليه مبصره ... ماراده باللسان تقليبا
فقوله كل ما تأمله ... طوبى لمن كان ذاله طوبى
ذو مقلة نصرته مذهبة ... لم يأله زينة وتذهيبا
ينظر منه الى الصواب به ... فلا يزال الصواب مطلوبا
لولاه ما صح شكل دائرة ... ولا وجدنا الحساب محسوبا
الحق فيه فان عدلت الى ... سواه كان الحساب تقريبا
لوعين اقليدس به نصرت ... خرّ له بالسجود مكبوبا

فاهمه واحبه لي عسطرة ... تلق الهوى بالثناء محبوبا
لا رلت تحدى وتحدي حكما ... مستوهبا الصديق موهوبا

وقال في صفة السكام

روح من الماء في جسم من الصعر ... مؤتلف بلطف الحس والبطر
مستعبر لم يعب عن الفه سكن ... ولم يبت قط من طعن على حذر
له على الطهر أجفان محجرة ... ومقلة دمعها يجري على قدر
تدشا له حركات في أسافله ... كأنها حركات الماء في النهر
وفي أعاليه حسبان يفصله ... للناظرين بلا دهن ولا فكر
اذا بكي دار في أحشائه فلك ... خافي المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت يخبرنا ... عنها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضي به الحس في وقت الوجوب وان ... عطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وان سهرت لاسباب تؤرقني ... عرفت مقدار ما ألقى من السهر
محرر كل ميقات تحيره ... دون التحير للاسمار والحصر
ومخرج لك بالاجزاء ألطفها ... من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صوره ... ياحبذا بدع الافكار في الصور

وقال يصف ررمانح آبنوس

نعم المعين على الآداب والحكم ... صحائف حلك الألوان كالظلم
لا تستمد مداداً غير صبغها ... فسر ذي اللب منها غير مكتتم
خفت وحفت فلم تدنس لحاملها ... ثوبا ولم يحش منها سوة القلم
وأمكن المحو فيها الكف فاتسعت ... لما تضمن من نثر ومنتظم
حليها بلجين واتخذت لها ... وقاية من ذكي العود لا الأدم
فالكم يعبق منها حين نودعه ... عرفاً تنسم منها أطيب النسم

لو كن الواح موسى حين نعصه هارون لم يلمها خوفا من الندم

وله من قصيدة ذكر فيها طاوسامات له

زرثته روضة يروق ولم يسمع بروض يمشي على قدم

حثل الدنانى كأن سندسة زرت عليه موشية العلم

متوجاً حلقة حباه بها ذو العطر المعجزات والحكم

كأنه بردجرد متصلاً يبني فيعلي مآثر العجم

يطرق أجفانه ويحسر عن فصين ستصحبان في الظلم

ادل بالحسن فاستذال له ذيلا من الكبر غير محتشم

ثم مشى مشية العروس فمن مستطرف معجب ومبتسم

فهذا طرف مما شرطته كاف يرى به المتعلم منهج هذه الطريقة ان شاء الله تعالى

باب الشطور وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين اما أن يراد بالشطر نصف البيت واما أن يراد به القصد وذلك انهم اذا ذكروا الشطور فربما أنشدوا أبياتاً كاملة وليست أقسمة فيكون هذا من قوله تعالى ﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ وكذلك القسم أيضا يجوز أن يكون نصف البيت ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن لان الحظ يقال له قسيم وقسم .. قال جرير

أتاركة أكلَ الخزير مجاشع وقد حسّ الأفى الخزيرِ قسيمها

يريد حظها .. وقالت ابنة (١) المنذر بن ماء السماء

بنين أباعَ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خيرَ القسيم

(١) نسخة ابن المنذر

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه ﴿ الطويل ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فعولن مفاعيلن ثماني مرات وزحافه القبض الثلم الثرم الكف الحذف ومسدسه أن يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسيم ﴿ المديد ﴾ مثمن محدث مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن فاعلن ثماني مرات وعلى ذلك أبي محدثه وبيت مربعه السالم

يؤس للحرب التي عادرت قومي سدا

قال وهذا شعر قديم الا أن الخليل لم يذكره زحافه الخبن الكف الشكل القصر الحذف الصلم ﴿ البسيط ﴾ مثمن قديم مسدس قديم مربع محدث أجزاؤه مستفعلن فاعلن ثماني مرات ومسدسه مستفعلن فاعلن مستفعلن مكررة قال وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع وقد نقص منه فاعلن الأول والثالثة وبيته المربع المحدث

دارٌ عفاها القِدَمْ بين البلى والعدمْ

زحافه الخبن الطي الخبل القطع الازالة التخليع ومعنى التخليع قطع مستفعلن في العروض والضرب جميعاً ﴿ الوافر ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه مفاعلتن ست مرات ولم يجئ عن العرب في مسدسه بيت صحيح زحافه العصب القطف النقص العقل العضب القصم العقص الجم ﴿ الكامل ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه متفاعلن ست مرات زحافه الاضمار الوقص الخزل القطع الحذذ الترفيل الاذالة ﴿ الهزج ﴾ مسدس محدث مربع قديم أجزاؤه مفاعيلن أربع مرات بيته المسدس المحدث

ألا هلْ هاجكَ الأظعانُ إذ بانوا وإذ صاحتْ بشطِّ البينِ غربانُ

زحافه الخرم الكف القبض الخرب الشتر الحذف ﴿ الرجز ﴾ مسدس مربع مثلث مثنى كله قديم موحد محدث أجزاؤه مستفعلن ست مرات زحافه الخبن الطي الخبل القطع الفرق الوقف ومعنى قوله الفرق أن يفرق الوتد المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعلن بتقديم النون فيكون وزنه مفعولات .. قال وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ولم يجئ ضربه الا مطوياً وفي صدر مربعه قال وهو الذي يسميه الخليل المقتضب وفي ضرب مثناه ومثلثه الا أنه ساكن اللام لأن آخر البيت لا يكون الا

متحركاً وذلك هو الوقف ﴿ الرمل ﴾ مسدس قدم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن ست مرات زحافه الخبن الكف التشكل الحذف القصر الاسباغ ﴿ الخفيف ﴾ مسدس قدم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مكرر ومربعه فاعلاتن مستفعلن ومثله قال وقد ركب منه مربع آخر وهوالذي يسميهالخليل مجتثاً وقد نقص منه فاعلاتن الأولى والرابعة زحافه الخبن الكف التشكل الحذف القطع التشعيث الاسباغ الطي ﴿ المضارع ﴾ مربع قدم لاغير أجزاؤه مفاعلن فاعلاتن مكرر ولم يجئ عن العرب فيه بيت صحيح زحافه القبض الكف الخرب الشتر الخبن ﴿ المتقارب ﴾ مثمن قدم مسدس مربع محدث أجزاؤه فعولن ثماني مرات زحافه القبض الثلم الثرم القصر الحذف البتر وبيت مربعه المحذف

وقفــا هبيّة باطلال منّه

﴿ المتدارك ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فاعلن ثماني مرات وبيته السالم من مثمنه

لم يدعْ من مضي للذي قد غبرْ فضلَ علم سوى أخذه بالأثر

وشعر عمرو الجني مخبون زحافه الخبن القطع الاذالة الترفيل ..وهذا شرح الالقاب عن أبي زهرة النحوي وغيره كل ما حذف ثانيه الساكن فهو مخبون وكل ماحذف رابعه الساكن منه فهو مطوي وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان فهو مشكول وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ولم تعتد به الجوهري وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مضمر وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور وان كان هذا العمل في وتد فهو مقطوع وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهومسبغ وان كان ذلك في وتد فهو مذيل فان زيد على الوتد حرفان فهو مرفل وكل

ما حذف منه وتد مجموع فهو أحذ فان حذف وتد مفروق فهو أصلم واذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذي يليه فهو مقطوف وكل وتد مجموع كان في مبتدأ البيت فحذف أول الوتد فهو مخروم وان كان ذلك في فعولن فهو أثلم فان كان فيه مع الخرم قبض فهو أثرم وان كان الخرم في مفاعلتن فهو أعضب وان كان مع ذلك عصب فهو أقصم وان كان فيه مع الخرم قبض فهو أعقص وان كان فيه مع الخرم عقل فهو أجم واذا خرمت مفاعيلن فهو أخرم واذا كففته مع ذلك فهو أخرب واذا خرمته وقبضته فهو أشتر وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مجزو وما يذهب منه شطره فهو مشطور وما ذهب ثلثاه فهو منهوك وما سلم من الزحاف وهو يجوز فيه فهو سالم وما سلم من الخرم فهو موفور وما استوفى دائرته فهو تام وما استوفى أجزاء دائرته وكان في بعض الاجزاء نقص فهو واف ٠٠ وكل جزء كان في ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح وان خالف الحشو فهو معتل ومخالفة الحشو أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو أو يمتنع من النقص الذي يدخل الحشو والمعتل على أربعة أوجه ابتداء وفصل وغاية واعتماد وقد شرحناها فيما تقدم

بيوتات الشعر والمعرفون فيه

منها في الجاهلية بيت أبي سلمى كان شاعراً واسمه ربيعة وابنه زهير كان شاعراً وله خؤلة في الشعر خاله بشامة بن الغدير وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين وجماعة من أبنائهما ٠٠ ومن المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام هو وأبوه وجده وأبو جده شعراء وابنه عبدالرحمن شاعر وسعيد بن عبدالرحمن شاعر ذكر ذلك المبرد ٠٠ وبعد هذين بيت النعمان بن بشير وبنوه أبان وبشير وشبيب وابنته حميدة ومن بني بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النعمان وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرة وخاله عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ٠٠ ومن

المعرقين في الشعر عن عبد الكريم نهشل بن حرى بن ضمرة بن جابر بن قطن ستة لبس يتوالى في بنى تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا ٠٠ وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصلت وهو القائل

قوم اذا نزلَ الغريبُ بدارهم ترکوه ربَّ صواهلٍ وقيانِ

وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة ٠٠ ومن بيوتات الشعر فى الاسلام بيت جرير كان هو وأبوه عطية وجده الخطفى شعراء وكان بنوه وبنو بنيه شعراء ٠٠ قال أبو زياد الكلابى رأيت باليمامة نوحاً وبلالا بنى جرير وهما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم وأشعر من باليمامة يومئذ جحشاء بن نوح بن جرير وكان عقيل بن بلال شاعراً وعمارة ابنه شاعراً أدرك الطائى حسناً ولقبه المبرد ٠٠ ومن المعرقين عقبة بن رؤبة بن العجاج ٠٠ ومن البيوتات بيت أبى حفصة كان مروان شاعراً وجماعة بيته شعراء يصربون بألسنتهم أبوهم حكاه الجاحظ وكان يحيي جد مروان شاعراً يهاجي اللعين المنقرى ٠٠ وجريراً وأكثر أهل بيته شعراء رجالا ونساء ٠٠ وبنو أبى عيينة بيت شعر منهم محمد وبنوه أبو عيينة وعبد الله وداود وعباد بن داود لقبه المحرق لقوله

انا المحرقُ اعراضَ اللئام كما كان المعرقُ اعراضَ اللئام أبى

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وابناه الفضل والعباس وأكثرهم شعراء ٠٠ وبيت اللاحقيين كان حمدان شاعراً وابنه وأبوه أبان شاعراً وجده عبد الحميد شاعراً ولاحق أبو عبد الحميد شاعراً واليه نسبوا وهو مولى الرقاشيين وأكثر أهل هذا البيت شعراء ٠٠ وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبل وهم أمية واخوته عليّ ومحمد والعباس وسعيد ومن أولاد هولاء أبو العباس بن أمية وأخواه على وعبد الله وابن عمهم محمد بن على بن أبى أمية ٠٠ وبنو رزين بيت شعر منهم عبد الله شاعر وابنه أبو الشيص شاعر واسمه محمد ومنهم على شاعر وابناه دعبل وعلى شاعران ٠٠ وبيت حميد بن عبد الحميد كان حميد شاعرا وبنوه أصرم وأبو عبد الله وأبو نصر وأبو نهشل شعراء ذكرهم دعبل ٠٠ والفرق بين المعرق وبين ذى البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفى أبيه وفى جده فصاعدا ولا يكون معرقا حتى يكون الثالث فما فوقه وعلى هذا فسر قول أبي الطيب

العارضُ المتنُ بنُ العارضِ المتنِ ابنِ العارضِ المتنِ بنِ العارضِ المتن

قالوا انما أراد أنه معرق وزاد واحداً على الشرط المعارف وإنما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات

ما كان يعدنا ويؤمنُ سربنا ويجيرُنا من شر كل مخيفة
الا مقامُ خليفةٍ لخليفةٍ لخليفةٍ لخليفةٍ لخليفة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور فصدق وحسن في معناه ونقص المتنبي بواحد بعد سرقته ..وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم فهذا فرق بينهما ..ومن الاخوة ومن لم نعرق لبيد وأخوه لامه أربد والشماخ وأخوه جزء ومزرد وهو مزرد و بنو ابن مقبل وهم عشرة اخوة تميم وفضالة وحيان ورقعة وبرة والمصاء وأعقد وعبد الله وجعاف وأبو الشمال وأم عمرو بنة أمية بن أبي الصلت وفي أولاد اخوته المذكورين آنفاً شعر وقيس بن عمرو والنجاشي وأخوه خديج وعمرو بن أحمر وأخواه سنان وسيار وعيلان ذو الرمة واخوته أوفى ومسعود وهشام وحرقاس شعراء جميعهم ومسلم بن الوليد وأخوه سليمان الكعيف وأشجع السلمي وأخوه احمد .. وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له الثنيان حكاه عبد الكريم عن غيره وهو كثير لو أخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب

باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس اختلف العلماء في كتب بسم الله الرحمن الرحيم أمام الشعر وكره ذلك سعيد بن المسيب والزهري وأجازه النخعي وكذا يروى عن ابن عباس قال أكتب بسم الله الرحمن الرحيم امام الشعر وغيره قال أبو جعفر ورأيت علي بن سليمان يميل الى هذا وقال ينبغي أن يكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم لانه يجيء بعده قال فلان وما أشبه ذلك .قلت أنا انما هذا في الشعر اذا دون فأما قصيدة رفعها الشاعر

الى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها لكي يمدها واذا كان الأمر هكذا فلا سبيل الى كتاب البسملة لان العذر حينئذ ساقط

باب أحكام القوافي في الخط

اذا صارت الواو الأصلية والياء الاصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما تسقط واو الوصل وياؤه مثل واو نغزو للواحد ولم نغز للجماعة اذا كانت القافية على الراي ألا ترى انهم أسقطوها في اللفظ فصلا عن الخط .. قال الراجز

* كريمةٌ قدرُهم اذا قدر *

يريد اذا قدروا ..قال أبوعبد الله محمد بن ابراهيم بن السميروقدسألته عن هذا لايجوز حذف هذه الواو الا في أشد ضرورة للعرب لاللمولدين لأنهاعلامة جمع واضمار فحذفها يلتبس بالواحد قال وهذامذهب سيبويه والبصريين ومثل واو نغزو وياء يقضي للغائب وتقضي للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب وكذلك ياء القاضي والغازي اذا كانا معرفين بالألف واللام هذا هوالوجه فان كتب باثبات الواو والياء فعلى باب المسامحة والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في العرض وكذلك ياء الضمير نحو غلامي اذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء فان كتبت مسامحة ففي العرض كما قدمت وقد أسقطها بعضهم في اللفظ .. أنشدني أبوعبد الله للأعشى

ومن شانيءٍ كاسفٍ وجههُ اذا ما انتسبت له أنكرن

قال يريد أنكرني فحذف الياء فأما ما يكون منوناً نحو قاض وغار أومجروماً نحو لم يقض ولم نغز فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المسامحة لانهما سقطا بالتنوين والعامل ..ومن العرب من يقول هذا الغاز ومررت بالقاض بغير ياء وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط اذا كانت وصلا للقافية وان كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبا جميعاً بالالف لتستوي القوافي وتشبه صورتها في الخط

باب النسبة الى الروى

اذا قلت قصيدة فنسبتها الى ماعلى حرفين قلت هذه قصيدة يائية وحائية وكذلك أخواتها وان شئت جعلت الهمزة واواً فقلت ياوية وكان أبو جعفر الرقاشي ينسب الى ما كان على حرفين يقول هـذا يوىٌّ يتوىٌّ وكذلك أخواتهـما الاماولا فانه يقول مووىٌّ ولوَوِىٌّ على فعلىّ وتقول على هذا القول قصـيدة موويّة ولوويّة قال ثعلب ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه الاوجه واحد تقول سيت سيباً وعيبت عيبا اذا كتبت سيبا وعيبا فيقول على هذا قصيدة سيبية وعيبية وسيبية وعيبية وكذلك قصيدة ميمية ولا تقول مؤوّمة فانه خطأ وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الاوسط الف بالياء لا غير لـكثرة الواوات فتقول ووّيت واواً حسنة و بعضهم يجعل الواو الاولى همزة لاجتماع الواوين فيقول أوّيت و'واحسنة فالقصيدة على هذا وأوية ومؤوّاه ومؤواة وقال بعضهم في ما ولا من بين أخواتهما مويّت ماء حسنة ولوّيت لاءً حسنة بالمد لـكان الفتحة من ما ولا

باب الانشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف اذا أرادوا الترنم ومد الصوت فى الغناء والحداء في اتباع القافية المطلقة ومثلها من حروف المد واللين فى حال الرفع والنصب والخفض كانت مما ينون أو مما لا ينون فاذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا فمنهم من يصنع كما يصنع فى حال الغناء والترنم ليفصل بين الشعر والـكلام المنثور وهم أهل الحجاز ومنهم من ينون ماينون وما لا ينون اذا وصل الانشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة

يادار مية بالعلياء فالسند

نونا الى آخر القصيدة لا يبالى بما فيه الف ولام ولا مضاف ولا فعل ماض ولامستقبل

وهم ناس كثير من بنى تميم ٠٠ ومنهم من يجري القوافي مجراها ولو لم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين و يعوض المنصوب الفا على كل حال وهم ناس كثير من قيس وأسد فينشدون

لا يبعدِ الله جيراناً لنا ظعنوا   لم أدرِ بعدَ غداةِ البين ِما صنع

يريد ما صنعوا ٠٠وكذلك ينشدون

فغاضت دموعُ العين ِمنى صبابةً   على النحر حتى بلَّ دمعي محمل

فاذا وصلوا جعلوه كالكلام وتركوا المدة لعلمهم أنها فى أصل البناء ٠٠قال سيبويه سمعناهم ينشدون   أقلى اللوم عاذل والعتاب

اذا كان منونا اثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالكلام المنثور٠٠ومن العرب من فى لغته ان يقف على اشباع الحركة فتجر الضمة واوا والكسرة ياء والفتحة الفا فينشد هذا كله موصولا من غير قصد غناء ولا ترنم ٠٠ومنهم من في لغته ان لا يعرض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفا من غير اعتقاد تغيير واذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه باراء اطلاقه فهو غير جائز لأن الشعر المقيد يكسر تنوينه كما يكسر باطلاقه ما خلا الا وزان التى قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز اطلاقها وتقييدها   ويحكي عن رؤبة انه أنشد قصيدته القافية المقيدة منونة فرد ذلك الزجاجى وأنكر وذكر انه وهم من السامع وان الوجه فيه ان من العرب من يزيد بعد كل قافية ان الخفيفة المكسورة اعلاما بانقضاء البيت فينشد

وقاتم الاعماق خاوى المخترق ان   مشتبه الاعلام لماع الخفق ان

* يكلُّ وفد الريح من حيث انخرق ان *

واذا كان ما قبل حرف الروى ساكنا وكانت لغة منشده الوقوف على المضموم والمكسور ينقل الحركة كما أنشد اعرابى من بنى سدس قول ذى الرمة

* ولا زالَ منهلاً بجرعائك ِالقطرُ *

بضم الطاء واسكان الراء لما وقف حكي ذلك عبد الكريم وعلى هذا قال الآخر

* انا ابن ماوية اذا جد النفر *

اراد ـالنفر ـبالجمل .. وأنشد ابو العباس ثعلب

ارتني حجلاً على ساقها فهش الفؤاد لذاك الحجل

فقلت ولم أخفِ من صاحبي الا بأبي أصل تلك الرجل

وقال نقل لاضطرار القافية .. ومما يدخل في شناعة هذا الباب الغناء والحداء والتغبير قال الشاعر

تغن بالشعر إما كنت قائله ان الغناءَ لهذا الشعرِ مضمار

ويقولون فلان يتغنى بفلان أو بفلانة اذا صنع فيه شعراً .. قال ذو الرمة

أحبُّ المكانَ القفرَ من أجل أنني به أتغنىّ باسمها غير معجم

وكذلك يقولون حدا به اذا عمل فيه شعرا .. قال المرار الاسدى

ولو أني حدوت به ارفأنت نعامته وأبصر ما يقولُ

وغناء العرب قديما على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج .. فاما النصب فغناء الركبان والقينات قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو الذي يقال له المرثي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل فنسب اليه ومنه كان أصل الحداء كله وكله يخرج من أصل الطويل في العروض .. وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وهو على ست طرائق الثقيل الاول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه .. وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب و يستخف الحلم قال اسحاق هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير .. قال الجاحظ العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون .. ويقال ان أول من اخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار فانه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداه وايداه وكان

أحسن خلق الله جرما وصوتا فاصغت الابل اليه وجدت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله ها يداهايدا يحدون به الابل حكي ذلك عبد الكريم في كتابه ٠٠ وزعم ناس من مضر أن اول من حدا رجل منهم كان في ابله ايام الربيع فأمر غلاما له ببعض أمر فاستبطأه فضربه بالعصا فجعل يشتد في الابل ويقول يا يداه يا يداه فقال له الزم الزم واستفتح الناس الحداء من ذلك الوقت ٠٠ وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وحكي الزبير بن بكار في حديث يرفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار سمع حاديهم بطريق مكة ليلا فقال انهم ان أبا كم مضر خرج الى بعض رعائه فوجدها قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الابل ذلك فعطفت فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء ٠٠ وأما التغبير فتهليل أو ترديد صوت بقراءة أو غيرها حكي ذلك ابن دريد وحكي أبو اسحق الزجاجي قال سألني بعض الرؤساء لم سمي التغبير تغبيراً قلت لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر أي الباقي أي يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة وقال غيره انما قيل له تغبير لانه جعل مايخرج من الفم بمنزلة الغبار فعرض الجوابان على أحمد بن يحيى فاستجاد جوابي يقال للمراسل في الغناء المتالي حكاه علام ثعلب

* * *

باب الجوائز والصلات

قال أبو جعفر النحاس أصل الجائزة أن يعطي الرجل ما يجيزه ليذهب الى وجهه وكان الرجل اذا ورد ماء قال لقيمه اجزني أي اعطني ماء حتى اذهب لوجهتي واجوز عنك وكثر حتى جعلت الجائزة عطية ٠٠ قال الراجز

يا قيم الماء فدتك نفسي أحسن جوازي وأقلّ حبسي

قال ابن قتيبة أصل الجائزة والجوائز ان عبد عوف بن اصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر فمر به الاحنف بن قيس في جيشه غازيا الي

خراسان فوقف لهم على قنطرة الكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه فكان يعطيهم مائة مائة فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا فهو أول من سن الجوائز ٠٠ قال الشاعر

فدى للأكرمين بني هلال على علاتهم عمي وخالي

هم سنوا الجوائز في معدٍّ فصارت سنةً أخرى الليالي

٠٠ والبدرة عشرة آلاف درهم سميت بذلك لوفورها. قال بعضهم ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة بدراً لتمامه وامتلائه من النور ويقال إنه بادر به الشمس وقيل إن البدرة جلدة السخلة اذا فطمت والجذع من المعز فلا مالا فسمي المال بدرة بسم نوع مجرأ ٠٠ والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما يتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لهبة لملك صلة وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب لما جاء موضعها

ان الذى صاغت يدي وفمي وجرى لساني فيه وقلمي

مما عنيتُ لسبك خالصه وحبرته من جوهر الكلم

لم أهده الا لتكسوه ذكراً تجدده على القدم

لسنا نريدك فضل معرفةٍ لكنهنَّ مصائدُ الكرم

فاقبل هديةَ من أشدت به وسحتَ عنه آية العدم

لاتحسبِ الدنيا أبا حسنٍ تأتي بمثلكَ فنقَ لهمم

* * *

تم كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق الأزدي والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم